

حُيُوتَان

ضياء الدين رجب

زحمة العمر
سبحات
رثاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان : للأستاذ هاشم دفتردار المديني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد المريد بمُعْجَزَاتِ وَحْيِ
الله ، المتحديات كلِّ معارف الحضارات . .
وَحْيُ اللهِ المحفوظُ بحفظِ الله إلى نِهَايةِ الأبد . .
وهذا الحفظ عين الإعجاز :

١ - تلمسُهُ بكلِّ حواسِّك - ناطقاً صارخاً - في أحلك الظروف ، وأسوأ
الأحوال .

٢ - وتلمسُهُ إذا تَفَاقَمَتْ شراسةُ معاول الظالمين الطُّغَاةَ ، واستهدفت يقينَ
العلمِ والحقِّ ، ونورَ الوحي المعجز المتحدي ، وقسَّطَ قسْطَاسه وعدلَ موازينه .
بسفه غرائزهم ورُعوَنةِ غصنريانهم المفقوتة ، وحقدَهم الموروث وانحراف تثقيبهم
وترصدَهم الأعمى الأصم .

وهم أبدأ على غير اكتراث بمودة السلام ، وهُدَى الوحي في أحفل حقائقه ،
وفي أكرم مواكبه ، وفي أسنطع كواكبه . . !!

٣ - أبصرنا كلَّ ذلك بعد رحيل الأسلاف الصالحين في القرون الأولى الثلاثة . .
ولولا أن الله كان يتعهد هذا البيان العربي الأصيل العالي بأمراء نبلاء ، وبحُكَّامِ
عظماء . يمدون أدبائه وعلمائه ، بدفق الحياة العتيدة القويَّة ، ويصنعون بهم إلى
مواصلَةِ الإنثار العبقري الناضج . . لَعَسَرَ رَأْبُ الصدع وما أهولته . .

ولولا أنها كلمةٌ إيجاز عن مكان أدبنا العربي وأقداره واطراده لأدَّتْ بِإِسْهَابٍ
عن كل ما كان ، وما يمكنُ أن يكون قديماً وحديثاً على أجنحة التاريخ .

أما ما كان قديماً ، فكم من أمراء وحُكَّام شَبَدَ اللهُ على سواعدهم - منائر - البيان
العربي الصحيح ، وأمنجاده في عهودهم ، وما وراء عهودهم على مدى التاريخ . .
توهج مطالعها بيضن أسمائهم إشرافاً واعتزازاً وخلوداً .

وكانت لهم رِداءٌ فِيسَاحٌ يحتشد فيها اللسنُ ، وأغنيةُ الحرفِ المهذب ، وإبداع
الكلمة المؤمنة ، بكلِّ منافعها الماكثة في الأرض . .

أنظر . . هذه رَدَّهَ الأمير أحمد بن المعتمد ، مزدهية بعباقة الكلمة العالية ،
ونوايغ الفكر النير . . وها هو أميرُ شعراء عصره حبيب بن أوس الطائي . . يلقي

قصيدته السَّيْنِيَّةُ العِصْمَاءُ أمام الأمير أحمد ومنصَّةُ البيان زاهيةٌ به ، وآذانُ الحضور
منتشبةٌ وقلوبُهُم تفيضُ بشراً .. ولما وصل إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحةٍ حاتمٍ في حِلْمٍ أحنَفَ في ذكاءِ إياسٍ
حاول الفيلسوفُ الكندي أن يخفف ، من سطوة البيان وسحره في نفس الأمير ،
وهو مأخوذ به .. فصرخ مُتَكَرِّراً .. الأمير فوق مَنْ وصفت .. فلم يكنْ رث أبو تمام لقوله
بل رد عليه إنكاره خاطفاً ..

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فأله قد ضرب الأقلَ لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس
وكان وقعُ رَدِّ أبي تمام عاصفاً ، لأنَّ الحقَّ لا يحجبُه حجاب ، مهما كان لونُ
ذلك الحجاب ..

وكان من أثر ذلك الانتصار إسنادُ رئاسةٍ يريد الموصول إلى أبي تمام ، لينهض
برسالة الأدب ، وقد نهض ..

٢ - وكم من ذكريات عطرة الأنفاس تخف بك إلى رَدُّه سيف الدولة . الحمداني
في حلب الشهباء لكي تستمتع بنصرة خمالها ، وأغاريد أطيارها ..

وتلقى هنالك شاعرَ العرب الأكبر ، وحكيمها المفكر الصادح ، أحمد المتنبي
وقد وطَّدَ في أعلى ذراها وأنصرَ أفنانها كرسيَّ إمارة الشعر . وهو ينشد مختالاً فخوراً :
وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ منشداً
وقوله :

ما نال أهلُ الجاهلين كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابل

* * *

وفي فجر هذه النهضة السعودية المجيدة التي تحققت فيها وحدةُ كلمة العرب
في وطنهم المقدس الأم ..

كان الاهتمامُ بِلغةِ القرآن المجيد وآدابها ومعارفها كبيراً جداً .

شُبِّدَتْ لها الجامعاتُ والمعاهدُ والنوادي الأدبية .

وكان من أثر ذلك أن أقيمت رَدْهَة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ،
من أجل الحفاظ على الإسلام ومعالِمه ، واللغة وآدابها ومعارفها .

رَدْهَة لها طابعها العالي الممتاز ومن مفاخرها الخالدة إخراج المؤلفات العَبَقَرِيَّة
النافعة .

وكنْتُ لا أريد التنويه بمزايا صاحب الردهة الفيصلية . لأن مزاياه في غنية عن ذلك .
ولكن الذي اضطرني إلى الإلماع المقتضب هي كلمة أسرة الشاعر الآتية :

كلمة أسرة الشاعر

هذه المجموعة الكاملة من شعر والدنا المرحوم الشيخ ضياء الدين
رجب مدينة لظهورها في هذا الثوب المتكامل الذي يراه القارئ لصاحب
السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، فلقد علم سموه أن نادى جده الأدبي
سيتولى إصدار مختارات منها فتفضل مشكورا بإبداء رغبته في إصدارها
كاملة على نفقة سموه الكريم، وليست هي أولى أيادي سموه الكريم
ولا آخرها على الأدب والأدباء وهو الأمير الشاعر والكاتب الناثِر فليسموه
الكريم أجزل الشكر وأوفى التقدير أدامه الله تعالى نخرًا للادب والفضل
وجزاء عنا وعن والدنا الفقيد أفضل الجزاء .

أسرة الشيخ ضياء الدين رجب

وإني أردف بشكر أسرة الشاعر الكبير الشيخ ضياء الدين رجب شكري على
اختياري للقيام بهذه المهمة على جهد الشيخوخة .

وكان الأديبان الكبيران الأستاذ عبد المجيد شبكشي والأستاذ محمد علي المغربي
هما اللذان انتدباني لأتولى القيام بهذه المهمة المجهدة . لأن الديوان المرسل من وزارة
الإعلام هو في مطبعة الأصفهاني ولولا أن الأستاذ الكبير محمد علي المغربي كفاني بعلمته
النفسية مؤونة دراسة شعره ، وتحليله ، والتنويه بمكان الشاعر المرموق بين شعرائنا المواطنين
النوايف ، وعرض مزاياه ، وقوة عارضته وسحر بيانه في شواهد ... لكان الجهد أضناني .

ويعلم الله أي قضيت الأشهر الثلاثة شعبان ورمضان وشوال وهأنذا في شهر ذي الحجة .
وأنا أراجع أصول الكلمات المستعملة في المعاجم لضبطها بالمقدار الذي يملكه ضعف
الإنسان ووعيه المحدود ..

ولما كنت أفقد معرفة أوزان الشعر المعرفة الصحيحة استعنت بالشاعر الكبير
السيد محمد حسن فقي لقربي منه في مكتب المجلة العربية . . وبالرحيمين الباحثين الأديبين
الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، والسيد علي حافظ . .

استعنت بهم في وزن بعض الأبيات التي اقتضى الأمر في العودة إلى صحة وزنها . .
ولا غرابة أن يكون ذلك .. فإن النسخ مسخ نجد ذلك في المؤلفات المخطوطة والمطبوعة
على الآلة الكاتبة .

ومع كل ذلك اعتقد أنه أفلت بعض ما لم نلفظ إليه ، وشمول العلم لله وحده
وله كل الأمر . من قبل ومن بعد .

هاشم دفتردار المدني

غرة ذى الحجة عام ١٤٠٠ هـ

الموافق ١٠ أكتوبر عام ١٩٨٠ م

زحمة العمر: للمرحوم الشاعر ضياء الدين رجب

كنت أود أن أخلص من نفسي في يوم ما ولكن ما انطوت عليه
تلك النفس من آمال وآلام جعلتني أوتر الانطواء عليها فلا ألقى بها
على الناس حتى لا أشركهم في متاعب حياتي وزحمتها لأنني أعتبر
ذلك خلاصاً من النفس وتخلصاً منها ونفضاً لأوشابها وبلاويها .

من أجل هذا لم أفكر جاداً في طبع ديواني في حياتي بل كنت
أوتر أن يظل تحت ركाम هذه الحياة ثم ينشر على الناس فيتحدثون
عنه كما يشاؤون بلا مجاملة ولا محاباة فيقرأون أثراً محضاً لذهاب
لا يخافونه ولا يرجونه . . ولكن إلحاح الكثير من لدات العمر
ورفاق الحياة على أن أطلع الناس على آثاري هو الذي شجعني على
هذه الانتفاضة وتقديم هذه الزحمة بكل ما فيها . . والواقع أنها
ليست مني ولكنها من الحياة وإليها ولم أرد وأنا أضع هذه الكلمة
أن أقدم لأثر لست أنا راضياً عنه كل الرضا - ولهذا أحجمت حتى
عن تقديم رأيي في الشعر والأدب بوجه عام حتى لا أعبر عن نفسي
ولا أدافع عنها في قليل أو كثير .

...

« ضياء الدين رجب »

مقدمة : للأستاذ الشيخ محمد علي مغزني

هذا الكتاب بما حواه من قصائد ومقطوعات كثيرة هي حصيلة شعر الشاعر الشيخ ضياء الدين رجب خلال رحلته في هذه الحياة ، فلو قلت إنه حصيلة خمسين عاماً من ممارسة الشعر لما كنت مبالغاً في التقدير ، ولو قلت إنه حصيلة عمر الشاعر كله لما تغاليت في التعبير ، ذلك أن هذا الشعر لم ينشر قبل اليوم كاملاً في كتاب وإنما نشرت منه قصائد قليلة في أوقات متفرقة في بعض صحف المملكة مثل صوت الحجاز ، والبلاد ، والمدينة المنورة ، ، ومجلة المنهل ، وقافلة الزيت ، وكان هذا القليل الذي نشر قد وضع الشاعر موضعه الصحيح بين أبرز شعراء المملكة في هذا العصر ولعل هذه المجموعة الضخمة حينما تطالع القاريء متكاملة تضع الشاعر بين أبرز الشعراء في بلاد العرب قاطبة وليس في وطنه فحسب .

إن صاحب هذه المجموعة قد تكاملت لديه الخصائص التي يجب توفرها في شاعر كبير فهو مرهف الحس ، متوهج العاطفة ، وقد امتلك ناصية البيان كما وهب القدرة على الصياغة الشعرية في أداء يجمع بين نضاعة الألفاظ ، وجمال المعاني ، وتوفر الصور الشعرية وكل هذا في عاطفة متدفقة وإحساس متوثب تحس فيه بهذا الوهج الذي به يكون الشعر شعراً .

إن الشيخ ضياء الدين رجب هو من هذه الفئة القليلة من شعراء هذه البلاد التي انقادت لها مقاليد اللغة فهو من الشعراء الذين جمعوا في تحصيلهم بين المدرسة والمحراب ولقد تلقى دراسته هذه على أيدي كبار علماء المدينة المنورة في عصره فهو من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا العلم حببوا على الركب وهم يجلسون في حلقات الدرس في رحاب المسجد النبوي الشريف بين أيدي أشياخ أجلاء تمكنوا من علوم الدين فقهاً ، وحديثاً ، وتفسيراً ومن المعلوم أن دراسة هذه العلوم مرتبطة باللغة بياناً وبديعاً ونحواً وصرفاً ، وكان هؤلاء الأشياخ ولا يزالون يعقدون حلقاتهم في أعقاب الصلوات وبين العشائين فيتنقل الطلاب بين تلك الحلقات حاملين كتبهم ودفاترهم فيجمعون بين شرف العلم ونور العبادة ، في رحاب أكرم المدارس وأعظم المحارب ، ويكفي أن نعلم أن شاعرنا بنتائج هذا التحصيل قد رُشح ليكون قاضياً في العشرين من عمره وتولى قضاء مدينة العلا وهو

في هذه السن الباكورة بعد أن اعترف له أشياخه بالتفوق والتبوغ . ولقد أضاف الشاعر إلى هذا التحصيل الديني واللغوي اطلاعاً كبيراً على الشعر العربي في مختلف العصور فزاد هذا الاطلاع بيانه صقلاً وتعبيراته ثراءً ، وانك لتلمس أثر هذا الاطلاع فيما تقرأ من شعره الذي يذكرك بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره وأجمل صوره وأن هذا الذي تحسه وأنت تقرأ هذا الشعر لا يذكرك بأن هذا الشعر هو تقليد لقديم الشعر العربي وإنما يذكرك بأن الشاعر إنما يستمد جذوره من هذا النبع الأصيل الجميل ، ذلك أن الشاعر قد استطاع الاحتفاظ بشخصيته المستقلة وهي شخصية تتجلى خصائصها للدارس لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر في جلاء ووضوح . وسنعود إلى إيضاح ذلك حينما نتحدث عن شخصية الشاعر التي تتجلى في مختلف قصائد هذه المجموعة والتي تؤكد أن الشاعر إنما يصدر عن عواطف معينة وأحاسيس واضحة تأبى إلا أن تعبر عن نفسها حتى حين لا يتوقع المرء هذا التعبير .

الشعر : -

لقد تحدثنا عن الشاعر بقدر ما تسمح به هذه العجالة وسنتحدث الآن عن ديوانه أو دواوينه التي تجتمع بين دفتي هذا الكتاب الضخم والذي يذكرك بالدواوين الضخمة للشعراء العرب من قدامى ومحدثين قبل ظهور الدواوين الجديدة للشعراء المعاصرين والتي تضم عشر قصائد أو أقل أو أكثر يطلق عليها الشاعر اسماً معيناً فتستوي له دواوين كثيرة بدلاً من ديوان واحد يتكون من عدة أجزاء .

إن ظهور هذه المجموعة الضخمة من شعر الشاعر في كتاب واحد هو ضرورة أملاها تأخر نشر هذا الشعر إلى ما بعد وفاته ليصدر في مجموعة واحدة كبيرة .

ولقد ترك الشاعر هذه المجموعة مرتبة منسوخة على الآلة الطابعة وقسمها إلى المجموعات الآتية : -

- ١ - الشعر الروحي
- ٢ - الشعر الوطني
- ٣ - الشعر الاجتماعي
- ٤ - الشعر العاطفي .

وأطلق الشاعر على هذه المجموعة الضخمة وهي تمثل الجزء الأكبر من شعره اسم - زحمة العمر - ويضمها مجلد واحد كبير حوى معظم شعره ويبدو أنه ألحق هذه المجموعة الضخمة بعد ذلك بما استجد لديه من الشعر في مجلد صغير آخر أطلق على هذه البقية اسم - سبحات - وهذه البقية في مجموعها يمكن أن تدخل في باب الشعر العاطفي فيبقى التقسيم الذي وضعه الشاعر كما هو دون تغيير ونعود الآن إلى هذا الشعر بأنواعه المختلفة لتتحدث عنه بقدر ما يسمح المقام .

هذا وكانت للشاعر مجموعة من القصائد والمقطوعات في رثاء ابنه حمزه في مجلد خاص وقد ألحقناها بهذه المجموعة في باب خاص هو شعر الرثاء وسنتحدث عنه فيما بعد .

الصياغة الشعرية

لقد قلنا إن القراءة لهذه المجموعة تذكر القاري بهذا النسق العالمي من الشعر العربي في أزهى عصوره ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ ، وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات فلا يصدم السمع منه كلمة نابية أو جملة دخيلة ، أو معني فج ، وإنما هناك موسيقى متناسقة الجرس ، عذبة النغمات ويتجلى هذا في كافة شعر المجموعة ليخرج منه القاري بأن الشاعر صاحب أسلوب متميز فريد ، وللقاري أن يتذوق هذا كله فيما نورده من نماذج هذا الشعر على اختلاف أغراضه ودون تمييز .

يقول الشاعر في قصيدة من الشعر الروحي بعنوان (دار الهدى) : -

جاءك الغيث أماناً وسلاماً	ورضاً سمحاً ويُمناً وابتساماً
يا دياراً حلم الغيث بها	يتجرأها سحاباً وغماماً
فلذا ما انطلقت أضواءه	ذاب حباً في مغانيها وهاماً
شامها بارقة معطورة	شمها جبريل من قبل وشاماً
دونها الخلد بما ألسها	صانع الخلد جمالاً ومقاماً
الشذى يألُق من لألأها	والسنا ينضح عطراً وخزاماً
والدنا تسبح في أفلاكها	تعبر النور الذي ينسى الظلاماً
إنها الأضواء في دار الهدى	بهوته فرأى البرق جهاماً

وأنت حين تقرأ هذا الشعر تشعر بهذه الموسيقى تنساب إلى النفس في هدوء وعذب فكأنك في روضة معطورة تشابكت أغصانها وتفتحت أزهارها ، وتغنى الطير على أمتانها بعد أن جادها الغيث بنفح السماء ، ثم يخلص الشاعر ليقول لك أن هذه الروضة الباسمة الحالية .

إنها الأضواء في دار الهدى بهوته فرأى البرق جهاماً

وهذا النسق العالمي من الصياغة الرائعة يتجلى في كل قصائد هذه المجموعة الضخمة فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى طالعنا هذه الأبيات : -

يا قباب الفيحاء يا بسمه الروح	ويا بهجة الفؤاد الشجي
لم الحب ذاته وتغنى الشقوق في صمته الجلي الخفي	
وتهادت على مشارف سلع	نفحات من الشذى النبوي

وتبددت قباء والألق الضاحي وشاح من عسجد عبقرى
النسي المبعوث في خير أرض صانها من منافق ودعى
ونمر عبر الديوان بقصيدة أخرى بعنوان عرفات : -

الأغاريذ في السماء نداء والرحاب الخضراء والأضواء
والخشود التي أطلت مع الفجر على الموقف العظيم دعاء
والخياري والراقصون على السحب أظلت أفيأؤهم أفياء
والثراء العريض والجاه والملك حطام على الثرى مشاء
والمغاني الفيحاء وارقة الظل وآساد غابها والظباء
والمقاصير والخيام وقطعان حماها مع الرعاية سواء
وليس أجمل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات ولا أجمل من هذا
الأسلوب الرائع المبدع في إشراق بيانه وشرف معانيه .

فإذا انتقلنا من هذا الشعر الروحي إلى الشعر الوطني تطالعنا إحدى قصائد الديوان
- وحدة القلوب - : -

أرأيت كيف طوالع الآمال موصولة الإقبال بالإقبال
ترنح البسمات فوق لغورها سكرى وأنت حيالها وحيالي
ومنها يقول : -

وترفقت نسمات مصر فرفرت في الشام بين مرابع وظلال
فحملن عن بردي أرق نسيمه ينسبن بين سبابس وظلال
ومها تحوم على الموارد في الحمى وموائس في الغوطتين حوالي
حتى أغرن البان لسن حواذرا وزحمنه في موكب المختال
وهناك قصيدة أخرى بعنوان يا مصر مطلعها : -

يا مصر يا مصر ما أحلاك صاحبة وصحوك العذب وستان الرؤى غرد
ومنها يقول :

يا مصر أنت هوى قد صيغ من ضرب الشمس تنهل منه والضحي ببرد
والظل يسحب فوق الظل أجنحة كالروح يمرح في أنفاسها الحسد

ومنها : -

يا رعدة حلوة في خافق رجفت أضواؤه في هوى يدنو ويتعد
ويا حيناً تلاقى في مساربهِ تجري به الريح رهواً والضحى راد
ذاب الدجى في تلافيف السرى فهفت أشعة فجرها الوسنان متمد

ولو ذهبنا في الاختيار لأطلنا على القاري والمجموعة كلها من هذا النسق العالي من اللفظ الرائق والمعنى الرائع تنظمها هذه الموسيقى العذبة والأخيلة الشعرية الأصيلة .

شخصية الشاعر : -

إن القاري لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر يستطيع الخروج منها بصورة واضحة المعالم والملاح ، تحمل أفكاراً معينة تدل على البيئة التي ولد فيها الشاعر ونشأ والأرض التي درج عليها والمغاني التي تعلقت بخياله بل والآداب التي أشربها وربى عليها فهو من مواليد دار الهجرة ، ولد في رحاب طيبة الطيبة وأشرب الحب خالصاً لصاحب الرسالة الأعظم ، كما انطبعت مغاني هذه الرحاب الطاهرة في نفسه وخياله فهو لا يمل الحديث عن قباء وسلع ، وأحد وأريس ، والروضة والمحراب والقبّة الخضراء والمآذن الفيحاء والنخيل والزهر والعقيق ومغانيه وكما تتجلى هذه الصور في شعر الشاعر تتجلى كذلك أبعاد هذه البلاد المقدسة وتاريخها العريق الذي هو تاريخ ظهور الإسلام وفتوحاته وأبعاده وامتداده في الأرض فهذا التاريخ حي أبداً في خياله وهو مقرون أبداً بالأسى على حاضر الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها فهو لا يفتأ يذكر به كلما أدهم الخطب واشتد الكرب ، والثقافة الدينية التي تشر بها الشاعر صغيراً تبقى هي النبراس الذي يهتدي به ويهدي إليه فهو لا يفتأ يدعو إليها ويذكر بها فهو ابن بيئته وريب ثقافته تلمح هذا في مختلف قصائده هذه المجموعة الضخمة على اختلاف أنواع القصائد وتنوع أغراضها : -

يقول الشاعر في أفراح الجزائر : -

انظر لأفراح الجزائر في الثغور وفي التخموم
في الكون في عليا المنازل في القباب وفي السديم
في العالم العلوي تاه اليوم في المأ العظيم
في المسلمين وإنه المجد المرفل في الصميم
منحوه أرواح الشهادة في الصراط المستقيم
هذا هو المجد الزعيم يفضج في روح الزعيم

وهناك قصيدة - أغنية زمزم وأريس (وأريس هذه بئر مشهورة في المدينة) .

هل رشفت المزن رشفا ثم حليت بزمزم
صفقوها بأريس وسرى البدر الملم
بشعاع يتلم
من رضاك

وقصيدته في ربوع المدينة : -

بين سلع وقبا من مجالي يثرب
قد مشينا الهيدبي سبباً في سبب
صفقت أيامنا
شعشت أحلامنا
بين أحضان العقيق من شروق لغروب
كم روينا من رحيق بين كأس وحيب
والتي في ظلنا
نهلها من نهلنا
والغوالي في العوالي يتفح العطر شذاها
وظباها في المعالي هدهدت سحر ظباها
فسل الجزع ورامه والمصلى والغمامه
والشذى في أحد من عبر الشهداء
عبرة للأبد في مجالات الفداء

ومن قصيدة قيمة الشعب التي نظمها الشاعر في شبابه : -

ولعمري هذا الحجاز حفي ولديه كرامة في خصاله
وبنيه ان ساءلوا العنصر الحي وكتر الخلود في أعماله
جاوبتهم أصداء مجد عميق يستفز الحنين في تجواله
يتغنى بمجده السالف العهد ويدي تلعثاً في مقاله

وفي قصيدة خلود البطل التي يهديها الشاعر إلى روح الأمير عبد الكريم الخطاطي بطل
الريف يقول : -

المجد أشرق في لفائف مهده فمشى خدين وفاته في لحده
وتلفت التاريخ بعد فلم يجد إلاه في تبريجه أو سهده

ومنها : -

تنهل في الدنيا سواكب فيضه وتهل بالرحمى سحاب رفده
وخلائق المجد الأصيل شمائل تصل الحياة بحظه وسعده
وتشع اشعاع الهدى في موطن غذاه من دمه الزكي بشهده

وفي قصيدة تلك الخيام : -

ولقد ذكرت النابغي ولبه وعكاظ حول قبابه البيضاء
ولمحت عن كثر خيال سكينه وسكينه من قبلها الخنساء
ولقد نظرت البحر بين مداره ومساره وكأنه الصحراء
خطرت حواريه الحسان حملنها عيس تماوج تحتها اليباء
فكان اشعاع الهوادج هالة ضفرت ذوالب حسنها القمراء
وانك لتجد أمثال هذه المعاني حتى في شعره العاطفي حيث لا يتوقع وجودها فيه .

أنظر قصيدته يا ضاحك العين حيث يقول : -

من سر عينيك ومن سحرها تصوغ للبسة بسامها
براءة في ظل أنفاسها أطياها تفسل آثامها
ناسكة تعبق أردانها ما فارقت في الحل أحرامها

ومنها : -

وآمنت بالله في جهها وأسرعت تعلن إسلامها

وفي قصيدة لماذا أحبته : -

أحبته في تحنانه وحنانه وراعته في إيمانه وأمانه

وفي قصيدة حب وأشواق :-

أنا من طيبة وحسبك مني
ضمخت أرضها طيوب الثبوت
لذة نزعته الهوى لدمشق
فإني حلت أشداء عبق
وفي قصيدته صورة :-

حجازية الطبع والمحتد
كأن زروداً بغزلانه
عراقية النبت والمولد
جرى في الرصافة كالعسجد
ومازج بين عيون المها
وغار العقيق من الدجلتين
وصفق للتبع والمورد
وفي قصيدة من هي :-

تغيرها قلبي فلا الحب حيكهم
غرام سماوي والمعاني مجنح
ولا وصفكم وصفي ولا جهدكم جهدي
وألطافه شيء خصصت به وصدى
وفي قصيدة رشح العنايد :-

يا سقا الله في رحاب القداسات
يا رعا الله في الربوع الكريمة
وادياً أشرقت عليه الثبوت
فإذا لاح في الرؤى غير ذي زرع
طيوفاً من الهوى المستكن
مصاييح من جمال وفن
فكانت أبهى ملائك حسن
فقد عاش في ظلال وأمن
وطني إنها القلوب حواليك
فدعني أقبل الأرض دعني

وهكذا تظهر شخصية الشاعر معبرة عن نفسها في أجمل صورة وأحلى بيان :

أغراض الشعر :-

لقد ذكرنا في صدر هذه المقدمة التقسيم الذي وضعه صاحب هذه المجموعة لشعره وهي تتألف من الشعر الروحي والوطني والاجتماعي والعاطفي ، وأن القاري لهذه المجموعة الضخمة من الشعر ليجد فيها تنوعاً في الموضوعات وخاصة فيما يتعلق بتلك القصائد التي أدرجها تحت عنوان الشعر الاجتماعي فهي إلى جانب ما تضمنه من قصائد المناسبات الوطنية والثناء تضم قصائد كثيرة يضمها الشاعر آراءه في أمور كثيرة من واقع الحياة مثل (قصة الحرم العقيم وحكاية البلبل المنتحر والنادمة والبحر وضاربة الودع ودودة القز

وأغادير وغيرها وغيرها من القصائد الكثيرة التي تأتي تحت عنوان الشعر الاجتماعي والقاري لهذه القصائد يلمس فيها نواة للشعر القصصي ان صح هذا التعبير لو تعهدنا الشاعر وتفرغ لها لكان له منها الروائع والبدايع فهي تجمع وحدة الموضوع من جمال الصياغة وموسيقية التعبير واختيار الوزن المناسب للموضوع وهو أمر يدل على أن الشاعر قد دانت له كل الأسباب التي تهيم للشاعر حسن الصياغة وجمال التعبير إلى جانب وضوح الفكرة وشمول النظرة ولو ذهبنا نستشهد بشيء من هذه المجموعة لطال بنا نفس القول وإني لأكتفي باقتباس بعض الأبيات من قصيدة ضاربة الودع ومطلعها : -

جاءت ملثمة وتنزع	الثام البسمة العجب
والنظرة النجلاء قائلة	شيئاً يخالسها فينسرب
والصوت لمح فيه أدمعها	في نبرة من عمقها تثب

ومنها : -

جاءت ملثمة وفي يدها	ودع توشوشه فينجذب
نثرته فوق الرمل قائلة	زينا أبين بعض ما يجب
سر الصبايا لا أبوح به	إلا لمن فدونه الحجب
وسرائر الفتيان ألمعها	والعلم عند الله محتجب
فقاطر الحضار واستبقوا	ويأضهم يحري وينسرب
أسماعهم لفي وأعينهم	عطشى تحاورها وترقب

ومنها : -

قالت هند وهي واجمة	لك غائب أحواله عجب
مرت به في عمره محن	وله عدو ربيعة ذرب
ورواه أنثى لها ولد	إن تنأ عنه فمك يقرب
وشموع فرح وسط منزلكم	ستضاء دون سناها اللهب
هي نقطة أو نقطتان إذا	ذهبت سيذهب عنكم الثعب

ولن أطيل الاقتباس من هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ نحواً من خمسين بيتاً فليقرأها القاري كاملة في الديوان كما يقرأ أخواتها الكثيرات ليدرك مدى القدرة الفنية التي وهبها الشاعر في الوصف والتعبير . وهذا الموضوع يجرنا إلى القول بأن شاعرنا وهو من أبرز الشعراء العموديين استطاع أن يثبت أن هذا الشعر يتسع لمختلف الموضوعات كما يتضمن

أدق الأحاسيس وأروع الفكر ولقد كان حرباً على هذا الغناء الذي ينضح به العجزة والمقلدون باسم الشعر الحر أو الشعر الجديد والشعر منه براء . ولقد وصفهم شاعرنا في قصيدته واشتاق حيث يقول : -

وقالوا قريض يقرض القيد ملؤه فراغ عميق يحذق النشر واللقا
وما فرغت إلا عقول عوام على السطح تهوى أن تخف كما خفا
وكان الذي شئت ففاضت قرائح وفاض هراء زاده جهلهم سخفا

الشعر العاطفي : -

ولنا كلمة أخيرة عن الشعر العاطفي في الديوان وهو يمثل مجموعة ضخمة من القصائد والمقطوعات ولقد حفل هذا الشعر بألوان من الصور والأحاسيس أبدع الشاعر في وصفها وتجلت قدرته في التعبير عنها بهذا الشعر الإنساني الذي تشعر معه برجفات القلب ، وتموجات الحس الذي يصور هذه العواطف التي تغمر القلوب فتظهر أدق خفاياها ، وتجلي سرائرها استمع إليه في هذه القصيدة المطربة بعنوان انحلاك : -

انحلاك في الأهلة تنسب ضياءاً بنور عينيك يرنو
انحلاك في الخميل وفي الروض على نفسه يرق ويخنو
انحلاك في الأصيل الذي ودع شمس الضحى حزيناً يئن
انحلاك في المآقي التي يزحم إشراقها حياء وفن
انحلاك في النائم أنداء أظافها رفيقه منك لحن

وهي قصيدة طويلة يقول فيها : -

كنت في أربع الحجاز غريباً فالهوى موطن وعش وكن
والهوى معزف يغرد للكون فيزهو بالحب عيش وكون
فاشهدي يا سماء أن حياتي في يد كلها سلام وأمن

ولا أريد أن أثقل على القارئ بكثرة الاقتباس والاستشهاد ولكن الذي بلفت النظر في هذا الشعر العاطفي أنه إنما يعبر عن عاطفة بريئة وأخلاق عفة كريمة والشاعر هنا إنما يعبر عن نفسه وأخلاقه فهو كما يقول الراجعي أنه يحب ولكنما معه أخلاقه ودينه والحب هو أرق العواطف الإنسانية وأقواها والشعر هو المجال الرحب للتعبير عن هذه العواطف الكريمة الجياشة بلا مراة .

شعر الرثاء :

افتقد الشاعر ابنه الوحيد الشاب حمزه ضياء الدين رجب الذي توفي في حادث سيارة وترك بعده زوجة وطفلتين هما حنين وأهداب وقد كان لهذا الحادث صده العميقي في نفس الشاعر خاصة وأنه لم يكن له من الذكور غيره ، وإن كان له أربع كريمات وقد ترك هذا الحادث الأليم في نفس الشاعر جراحاً عميقة من الأحزان إلا أنه قابل الحادث بصبر المؤمن بقضاء الله وقدره فله ما أعطى الله ما وهب ، ولكن النفس البشرية هي النفس البشرية فلقد كانت ذكرى العزيز الراحل لا تفارق خيال الأب الثاقل ، وإن كان يتجمل بالصبر ويكتم الأحزان ، ولقد احتفى الشاعر بمخيدتيه اللتين خلفهما ابنه حمزه أجمل احتفاء وفيهما يقول : -

لا تسلمي عن الحنين ففي الأهداب أضحي كما تراه واسمي
فهما الحب نشوة وهما الصفو حياة والروح قلبا وفما
وفيما أيضاً يقول : -

هما عزائي في أعقاب داهية لم تبق غير انكساري بين أحنائي
ويبيح الحنين بالشاعر فيذكر ابنه ويقول : -

كان ملّ العيون ثم نوارى وطوته فيمن طوتهم لديها
ويقول أيضاً : -

أين تلك الخطرات أين تلك الخطوات
أين تلك البسمات والعيون الضاحكات
يا حبيب القلب يا حمزة والخلد حياة
أنت في العين وفي القلب دعاء وصلاة
ويحيي شهر رمضان فيقول : -

وأهل شهر كنت أول فرحة فيه تطالعي فغبت على المدى
ويعر عام فيقول : -

قد أهل العام الجديد علينا يا حبيبي وأنت تسكن لحدك
ويحيي العيد فيقول : -

يا حمزه هذا العيد أول مرة أحياه بؤسا

ويحل يوم عرفه فيتذكر الشاعر فقيدہ الراحل ويشد : -
ضرعت لله والدنيا تعج به يوما أغر رعته فيك أحداقي
ويعمر عامان فيقول : -

يا قرة العين هذا حجبنا الثاني وأنت ناء وفي أحشائنا داني
أنها ذكرى العزيز الغائب تجدد لها المواسم والمناسبات وتحييها الأعياد فهي كالنار
المخبوءة في القلب تجدد ولا تنطفئ ، وتتقد بالذكريات والأحداث .

إن رثاء شاعرنا لابنه الفقيد هو ذوب القلب الجريح والروح الآسي الحزين فلا عجب
أن يستثير عبرات القاري وأشجانه رحم الله الشاعر وابنه الفقيد وأسبغ عليهما من رحماته
في دار الخلود .

كلمة الختام : -

وبعد فقد طال بنا مجال القول في هذه المقدمة التي لم أكن أتصور أنها ستطول إلى
هذا الحد وكلما أريد أن أختتم بها أن هذا الذي سطرته ليس دراسة لشعر هذه المجموعة
ولأنما هو خواطر خطرت لي أثناء قراءتي لها وأعترف أنني قد استمتعت بهذه القراءة كثيراً
وإني لعلّي ثقة أن كثيراً من القراء سيستمعون بها ويقدرونها قدرها كما أنني أأمل أن تجد هذه
المجموعة الشعرية الفصحمة من اهتمام الدارسين والأدباء ما تستحقه من عناية ودراسة .

وبالله التوفيق ، ، ،

محمد علي مغربي

جدة في السادس من ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ

زحمة العمر

تحية العاهلين

صاحب القِمة في أرض الحرم	صافح القمة في أرض الهرم
والسيوف البيض من تحت الثرى	لمعت تذكر قُربى ورحم
والأباة الصَّيد من أجدانها	زأرت زأر أسود في الأجَم
واستحى البين فولى مثلما	زحم الصبحُ ظلاما فانزحم
ما التقي طودٌ وطودٌ ، إنما	أمم لآقت على الحب أمم
إنها الفرحة في إبانها	أخصبت منها هضاب وأكم
ذا أوان الخير فأنهللى ديمٌ	لن نقول اليوم شدي يا زيم
وأفقى يا منى وابتسمى	إنه فجرٌ جديد قد بسم
الكبيران إخاء وهوى	والهوى عهد به يخلو القسم
فاكشفا الكرب الذي غشى الورى	واقشعا عنا دياجير الظلم
العظيمان ، وأمجاد العلى	من بها أحري سوى الطود الأشم
العماليق الألى شدوا على	قبضة الدنيا إباءً وشم
والمغاوير الألى قد بدلوا	صفحة الكون بها ليل قُحم
من هو غير بطولات إذا	ذكرت يعربُ جالت في القمم

مجدُّهم من مجدِّها تضحيةً وحياةً واعتدَادُ بالقيَمِ
قَادَةَ الأخلاقِ هم قَادَتُهَا الرُّعَاةُ الحقُّ والموفُّو الذِّمِّ
أُمَّةُ العُربِ هُمُو رَايَاتِهَا لم تُرْعَ طولَ مداها لم تُضَمَّ
أُمَّةٌ قد وَصَلَتْ أَبْعَادَهَا لغةٌ أُمٌّ وتاريخٌ وَدَمٌ
أَنتمو العهدَ وميثاقُ المني فاسأَلُوا الدنيا تَجِبْكم بِنعمِ
أَيُّهَا القَلْبَانِ فِي جِسمِ العُلَى من عُدَاةِ العُربِ جُرْحٌ مَا التَّامُ
إِنَّا بَيْنَ عِرَاكٍ صَاخِبِ إِنَّا بَيْنَ حَيَاةٍ أَوْ عَدَمِ
نِقَمٌ جَارَتْ وَطَالَتْ ، مَالِهَا غَيْرَ مَنْ يَجْتَاحُ بِالْعِزِّمِ النِّقَمِ
نَازَعُونَا حَقَّنَا فِي أَرْضِنَا وَاسْتَهَانُوا بِالْمَعَانِي وَالْحَرَمِ
حَارَبُوا الإِيمَانَ فِي أَعْمَاقِنَا فَإِذَا هُمْ لَعْنَةٌ فِي كُلِّ فَمِ
أَنْتُمْ الْيَوْمَ شُعُوبٌ كُلُّهَا ثَوْرَةٌ تَزْحَفُ زَحْفُ الْمُنتَقِمِ
لَسْتُمْو فِيهَا سِوِي رُؤَادِهَا وَهُمُو لَيْسُوا بِعِبَادِ الصَّنَمِ
إِنَّهُ الْحَاكِمِ فِي وَجْدَانِهِ إِنَّهُ فَيَمَنُ تَوَلَّى وَحَكَمِ
مِنْ فِلِسْطِينَ نِدَاءٌ صَارِخُ فَأَجَبْنَاهُ جَوَابَ الْمُعْتَصِمِ
وَالشَّامِ الحُرُّ مِنْ إِفْرِيقِيَا أَقْصِمُوا الظَّالِمَ فِيهِ يَنْقَصِمِ
هَذِهِ الْوَحْدَةُ هَذَا مَجْدُهَا فَارَوْ يَا سَيْفُ وَحَدَّثْ يَا قَلَمِ

بغداد

نهر الحوادث مطلب ومراد
 هذي المآسى الداميات وشائج
 يتلمسونك فى القلوب سريرة
 وهوى يزجر بالفحيح سعاره
 مهبج تلوك بشرها فلذاتها
 حار النهى وهذاته فى أمة
 الثائرون لها وباسم كيانها
 قد سالموا أعداءها وتنكروا
 ومشى الفساد إلى الفساد كأنه
 وتأنقوا فى كيدهم وتفننوا
 ومشوا بأحرار البلاد إلى الردى
 إن ساءنا عسف الطغاة وجورهم
 فلقد فرحنا بالعتاد عقيدة
 فتجمل وتحمل بغداد
 زحفت إليك بسرهن الضاد
 وكرى عن الجفن القريح يذاد
 فتدوب من لمساته الأكباد
 ومن العداة الأهل والأولاد
 ماذا يرام بأهلها ويراد
 أكلتهم الأهواء والأحقاد
 لرجالها فاندكت الأطواد
 ركن يقيم بناءه وعماد
 فتسدروا وتبجحوا وأجادوا
 زمرا كما تترنج الآساد
 وماتم فيها لهم أعياد
 إن العقيدة للشعوب عتاد

كَمْ مِنْ يَدٍ لِلظُّلْمِ فِي أَطْوَانِهَا	نِعَمْ فَأَيْنَ الظُّلْمِ وَالْجَلَادِ
إِنْ الْمَصَابِ لَامَةٌ مَفْؤُودَةٌ	فَالْحِسُّ أَعْمَى وَالْفؤَادُ جَمَادِ
لَا وَغَى يَصْرُخُ فِي الدَّمَاءِ وَلَا مُنَى	تَهْفُو . . وَلَا شَعْبٌ وَلَا رُؤَادِ
حَتَّى الْفُتُوَّةُ فِي شِبَابِ بِلَادِهِ	ذَهَبَتْ وَحَتَّى جَيْشُهُ مُنْقَادِ
طَعِمُوا الْفُتَاتَ مِنَ الْمَوَائِدِ فَارْتَضَوْا	وَالْمُتَخَمُونَ هُمُو هُمُو الْأَوْغَادِ
بَغْدَادُ مَا كَتَبَ الْخُلُودَ عَلَى الْمَدَى	إِلَّا دَمٌ وَعَقِيدَةٌ وَجِهَادِ
الصَّدْعُ تَرَابٌ بِالصَّدُوعِ صُدُوعُهُ	وَمِنْ الْجِرَاحِ لِبَعْضِهِنَّ ضِمَادِ
بَغْدَادُ أَيْنَ الْعُرْبُ فِي الْأَمِهِم	وَعَلَى الرُّؤُوسِ تُعَشِّشُ الْأَحْقَادِ
سَيَقَادُ كُلُّ الظَّالِمِينَ لِحَتْفِهِم	وَمِنْ الدَّمِ الْمَطْلُولِ سَوْفَ يُقَادِ
الْعُرْبُ قَدْ شُغِلُوا بِبَعْضٍ وَيَنْحِهِم	وَعُدُّهُمْ لِحَتَاتِهِمْ رِصَادِ
أَيْنَ الزَّعَامَةُ وَالزَّعَامَةُ أَصْبَحَتْ	شَهَوَاتُ حُكْمٍ مَا لَهُنَّ نَفَادِ
إِنَّ الزَّعَامَةَ مَوْثِقٌ وَأَمَانَةٌ	لَا نَزْعَةٌ مَمْقُوتَةٌ وَعِنَادِ
عِزُّ الْعَرُوبَةِ أَنْ يَسُودَ وَاحِدٌ	وَتَغِيبُ عَنْ آفَاقِنَا الْآحَادِ
دُسْتُورُهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ سَبِيلُهُ	لِسِوَاهُ لَيْسَ يَلِينُ أَوْ يَنْقَادِ
يَافِجِرُ طَالَ دُجَاكَ فَاْمُحْ ظِلَامُهُ	فَإِذَا الظَّلَامُ وَسَاكِنُوه رَمَادِ

والرَّكْبُ مُنْطَلِقُ الْعِنَانِ لَغَايَةٍ	كُبْرِي تَوْلَفَ عِقْدَهَا الْأَمْجَادُ
لِيَخُوضَ مَعْرَكَةَ الْمَعَارِكِ حُرَّةً	لِلَّهِ لَا ذُلٌّ وَلَا اسْتِعْبَادُ
حَرْبٍ يَبَارِكُهَا الْمَسِيحُ وَأَحْمَدُ	وَمِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَعْيِ أَجْنَادُ
وَإِذَا الدَّمَارُ عَلَى الدَّمَارِ مُسَلِّطُ	لَمْ يُجَدِ صَارُوخٌ وَلَا مِنْطَادُ
وَيَعُودُ « سَارِيَّة » الْجَدِيدُ مَلْبِيًّا	ذَاكَ النَّدَاءَ وَتَنْصِتُ الْأَطْوَادُ
وَإِذَا الْعَوَالِمُ بِالْعَوَالِمِ تَلْتَقِي	تُطَوِّي لَهَا الْآمَادُ وَالْأَبْعَادُ
أَلْقِ تُشَعِّعُهُ الْهِدَايَةُ سَاطِعًا	لَا يُتَّقَى كُفْرٌ وَلَا إِلْحَادُ
أَمْنٌ يَمُدُّ اللَّهُ وَارِفَ ظِلِّهِ	يَنْمُو عَلَى أَعْطَافِهِ الْإِسْعَادُ
لَا غَرْبَ لَا اسْتِعْمَارَ لَا أَشْيَاعَهُ	ذَهَبُوا كَمَا ذَهَبَتْ ثُمُودُ وَعَادُ
وَالْأَرْضُ بَاكَرَهَا الْغَمَامُ وَأَشْرَقَتْ	وَتَغَيَّرَتْ فِيهَا رُبِّيٌّ وَوَهَادُ
« صَنْعَاءُ » إِنْ هَتَفَتْ بِهَا وَرَقَاؤُهَا	رَدَّتْ صَدْيَ أَلْحَانِهَا بِغَدَادُ

* * *

وحدة القلوب

أَرَأَيْتِ كَيْفَ طَوَّالِعَ الآمَالِ مَوْصُولَةً الْإِقْبَالَ بِالْإِقْبَالِ
تَتَرَنَّحُ الْبَسَمَاتُ فَوْقَ نُغُورِهَا سَكْرَى وَأَنْتِ خِيَالُهَا وَحِيَالِ
أَلَمْخَنِي؟ بَيْنَ الْمَوَاكِبِ مِثْلَمَا أَنَا قَدْ لِمَحْتُكَ تَخْطُرِينَ قُبَالِ
لِي نَشُوتَانِ فَنَشُوءٌ قَدْ أَشْرَقَتْ فِي الرُّوحِ وَالْأُخْرَى عَلَى أَوْصَالِ
فِي وَحْدَةِ الْآلَامِ ذُبْنَا فِتْرَةً أَقْلًا نَذُوبَ بِيُوحْدَةِ الْآمَالِ
اللَّهُ قَدْ جَمَعَ الْقُلُوبَ شِمَالَهَا لِيَجْنُوبِهَا وَجَنْوَبَهَا لِيَشْمَالَ
وَتَرَفَّقَتْ نَسَمَاتُ مَصْرَ فَرَفَّرَتْ فِي الشَّامِ بَيْنَ مَرَابِعِ وَظَلَالِ
تَحْمِلُنَ عَنْ (بَرْدَى) أَرْقَ نَسِيمِهِ يَنْسَبُنَ بَيْنَ سَبَاسِبِ وَزِلَالِ
و(مَهًا) تَحُومُ عَلَى الْمَوَارِدِ فِي الْحِمَى (وَمَوَائِسِ) فِي (الْفُوطَيْنِ) حَوَالِ
حَتَّى أَغْرَنَ الْبَانَ لَسُنَّ حَوَاذِرَا وَزَحْمُنِهِ فِي مَوَكِبِ الْمُخْتَالِ
يَا نَيْلُ «يَا بَرْدَى» رُوَيْدَا بِالْمَنَى بِطُيُوفِ أَحْلَامِ هُنَاكَ غَوَالِ
يَا فَرَحَةَ الْأَلْقِ الْمُشْعَشَعِ فِي الضُّحَى تَحْكِي الثَّنَايَا نُضِّدَتْ بِلَالِ

سُقْيَا لِعَهْدِكُمَا الْخَصِيبُ وَازْهَرَتْ
يَا نَيْلُ هَذَا الْحَبُّ ظِلُّ وَارِفُ
إِنْ صَانَ فِي بَرْدِي الْوِدَادَ وَحَازَهُ
فَلَسَوْفَ يَنْتَظِمُ الْعُرُوبَةُ كُلُّهَا
وَلَسَوْفَ تَلْتَمِعُ النُّصَالُ وَتَلْتَقَى
يَا نَيْلُ فِي بَرْدِي وَفِي أَعْرَاقِهِ
مَا زَالَ أَمْسَ جِهَادُهُ وَجَلَادُهُ
وَلِئِنْ أَعَزَّ طَرِيفُهُ بِتَلِيدِهِ
فَلْتَحَى يَعْرُبُ بَعْدَ طَوْلِ سُبَاتِنِهَا
وَيَفُوحَ مِنْ أَرْجِ الْعَقِيقِ (وَرَامَةِ)
أَرْجُ النَّبِيِّ « مُحَمَّدٍ » وَرِحَابِهِ
جَمْعُ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَكُنْ بِمُحَرَّمٍ
بِكُمَا مَرَابُعُ فَرَحَةٍ وَمَجَالِ
مَثَلُ يَضُمُّ فَرَائِدَ الْأَمْثَالِ
بِالْيُمْنِ فِي الْيَمَنِ السَّعِيدِ الْغَالِي
عَلَّمَ حَمَنَهُ وَشَائِجَ وَعَوَالِي
فِي سَاحَةِ الْأَمْجَادِ وَالْأَبْطَالِ
سِرُّ وَعَنْهُ شَوَامِخُ الْأَجْيَالِ
حَيًّا حَيَاةَ عِظَائِمِ الْأَعْمَالِ
فَلَذَاكَ فَالِ الْعُرْبِ أَطْيَبُ فَالِ
وَلْتَهْنِ بَعْدَ قَطِيعَةِ بَوِصَالِ
و (الْمُنْحَى) وَ (عَذِيبِهَا) وَالضَّالِ
وَرُبُوعُهُ وَصِحَابُهُ وَالْآلِ
مِثْلُ اتِّحَادِ الْعُرْبِ غَيْرُ مُحَالِ

* * *

فَلْتَضَرَعِي لِلَّهِ مِثْلَ ضَرَاعَتِي
أَنْ لَا يُطُولَ بِنَا النَّوَى فَقُلُوبُنَا
رُحْمَاكَ يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ رَاجِيًا
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ وَالْأَحْوَالِ
عِنْدَ الْبُكُورِ وَرُوعَةِ الْآصَالِ
لَمْ تَحْتَمِلْ فِي الْحُبِّ أَيَّ مَطَالِ

* * *

يامص

يا مصرُ يا مصرُ ما أحلاكِ صاحِبَةً
 يا مصر تلمحُ فيكِ النفسُ حاجَتَهَا
 من كلِّ ما تَتَشَهَّى والمُنَى جَدَد
 كأنَّ روحًا من الفِرْدَوْسِ حائِمةً
 لِماءٍ فيكِ تَرانيمُ مُسَهَّدةً
 أَطياؤها نغمُ أعطافها رَغَد
 تَلُوبُ واجدةً مِثْلَ الذي نَجِدُ
 كَذِكرياتٍ: لها عِنْدَ الدُّجى تَرَةٌ
 في كُلِّ هاتِفَةٍ رَجْعٌ لِعَاطِفَةٍ
 يا مصراًنتِ هوىً قد صَيَّغَ من ضَرْبِ
 والظِّلِّ يسحبُ فوق الظلِّ أَجْنَحَةً
 الشَّمْسُ تَنهَلُ فيه والضُّحى يَرِدُ
 حَتَّى النَّخِيلُ تَلَاقَتْ وَهِيَ ذائِبَةٌ
 كالرُّوحِ يَمْرُحُ في أنفاسِها الجَسَدُ
 يا رَعشَةً حُلُوةً في خَافِقٍ رَجَفَتْ
 فَلِلذَّوائِبِ وَقَدْ فِيهِ تَبَسَّرَدُ
 أَحْناؤُهُ في هوىً يَدنو وَيَبْتَعَدُ
 تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ رَهْواً والضُّحى رَأَدُ
 فَهَفَّتْ أَشْعَةً فَجَرِها الوَسْنانُ مُتَّئِدُ
 ويا حِيناً تَلَاقَى في مَسارِبِهِ
 ذَابَ الدُّجى في تَلافيفِ السُّرى
 من أَجلِها راحَ يَطوي نَفْسَهُ الأَمَدُ
 أَمَّا الأَصِيلُ فَدَعَهُ اِنَّهُ مُهَج

وَالسَّاهِرُونَ عَلَى شُطَّانِهِ رَقَدُوا	الْمُتَعَبُونَ اسْتَرَاحُوا فِي مَشَارِفِهِ
بُوحُ الْهَوَىٰ لِلضُّفَافِ الْخَضِرِ قَدْ خَلَدُوا	وَالهَارِبُونَ مِنَ الصَّمْتِ الْعَمِيقِ إِلَى
عَزَفٌ عَلَى الْعَتَبَاتِ الْخَضِرِ مُنْفَرِدٌ	وَرُبَّ نَشْوَةٍ حَبَّ لَا يُطَارِحُهَا
لَا الْهَمْسُ يَظْمَأُ فِي أَحْشَاءِهِ الْبَرَدُ	نَهْوَى الْهَدِيلِ عَلَى الْأَمْوَاجِ مُصْطَفَقَا
لِنَازِحٍ أَنْتِ فِيهَا الْأَهْلُ وَالْبَلَدُ	يَا مِصْرَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْكَ زَاوِيَةٌ
حَتَّى الثَّرَى وَالنَّسِيمُ الْحَرُّ وَالْوَلَدُ	فَمَا يَمَلُّ غَرِيبٌ فِيكَ غُرْبَتَهُ
نَوَازِعُ الْوَدِّ فِي الْأَعْمَاقِ تَتَّحِدُ	الْحُبُّ سَاقِيَتُهُ حَتَّى ارْتَوَى فَبَدَتْ
فَلَنْ يَصِيخُ إِلَى غُرْبَانِهَا أَحَدٌ	إِنْ حَارِبَتْنَا صُرُوفٌ فِيكَ ظَالِمَةٌ
إِنَّ الْهَوَىٰ لِلْهَوَىٰ دِينٌ وَمُعْتَقَدٌ	وَأَنْتِ يَا نَيْلُ صَافِحُ زَمَرَمًا أَبَدًا

ليس بجدي

ليس يُجدي اختبأؤنا في السنين من قضاء يَشُدُّنا للمُنون
فالسنين التي نُصون بها العُمر هي العُمر في القضاء المَصُون
حسبنا أنه المحجَّب في الغيب وحسبُ الأحياء دُنيا الفتون
حجَبته الأقدار تَمْتَحِن الأقدار لا أن تَعِيشه في سُكون
والقضاء المجهول انهض للغُرم التماساً للجوهر المكنون
كالقضاء الممتد عَبرَ التاهات أمان تلوح عَبرَ الظنون
حجَبت نبعه السري لِنَحيا ظمأً لا هِثاً وراء المَعين
حجَبت كنزهِ الثمين فلا نُخدع في غيره بِكَتَرِ ثمين
لو بَدَى سرُّه ولو حُدِّد المِيقَاتُ عِشنا في قُمُومِ مَشْحُون
يَتَحَرى انبثاقه طافِح الغَمِّ اندلاعاً مثل انفِجارِ الأتون
ولَعِشنا الموتَ البطيَّ معانيه مَجَادِيفُهُم بِغَيْرِ سَفِين . . .
إنَّمَا رَوْعَةُ الخَفَاءِ جَلَاءُ كَجَلَى يُلُوح غَيْرُ مُبِين
نَسَقَتْ في الخِضَمِّ أثباجهُ الحُلُوة هِدَارَةُ الصَّدى والرَّنين

فتلاقى العُزفُ المُغرد كالنجوى يَلْحَنُ الأَسَى وَرَجَعَ الأَنِينَ
واستمد النظام من زَحْمَةِ الفَوَاضِي أصولَ البَقَاءِ والتَّكْوِينِ
وتَلَوَى الدجى وقد سَرَقَ الشَّمْسُ فَضَلَّتْ فى مَعْمَعَانِ الدَّجُونِ
ثم ثارتْ على الظلام بِزَخْفٍ سَنَهْرِي اللَّظَى عميقِ الطُّعُونِ
حَالَةٌ بعد حالة ونَهَارٌ بعد لَيْلٍ مُوهَّجِ التَّلْوِينِ
بينَ معنى وَضِدِّهِ فى ائْتِلَافٍ واختِلَافٍ وَضَجَّةٍ وَسُكُونِ
ووَكَونِ تَوُودُهَا فُرْقَةُ الطَّيْرِ وتَفْنَى الطُّيُورِ دُونَ الوُكُونِ
وَجَدِيبٍ مع القَطِينِ خَصِيبٍ وَخَصِيبٍ يَذْوِي بِغَيْرِ قَطِينِ
كُلُّ مَا فى الوُجُودِ صَفَقَةُ المَجْهُولِ خَمْرًا تَشْعُشَعُ فى العُيُونِ
ليس فى طَيْهِ أَدْكَارُ فَنَاءٍ بل صَدَى للخلُودِ والتَّمَكِينِ
أَهْبَةٌ بعد أَهْبَةٍ فى امْتِدَادِ لِحَيَاةٍ على لِقَاءِ حُنُونِ
راق معنى وخَفٌّ حِمْلًا فلا زاد ولا ماء فوق رَحْلِ الطَّعِينِ
عِنْدَ مَنْ يَمْنَحُ القِرَى مَنْ نَدَاهُ . . غيرَ ذِي غُصَّةٍ ولا مَمْنُونِ
قد حِينَا « ائْتَنَيْنِ » أَعْمَارَ آبَائِنَا وَأَعْمَارِنَا وراءَ السُّنِينِ

والحياة الحياة تَنْبُضُ فِينَا ثُمَّ تَجْرِي مِنْ بَعْدِنَا فِي الْبَنِينَ
ورثوها مواهباً نَامِيَّاتٍ وَاِمِضَاتٍ وَمَضَّ السَّنَا فِي الْعُيُونِ

* * *

قَالَ لِي صَاحِبِي وَقَدْ فَاجَأْتَهُ مِنْ حَدِيثِي خُرَافَةٌ « الْحَيَزُبُونَ »
قَدْ رَفَعَتْ الْحَيَاةُ مِنْ حَيْثُ شَوَّهَتْ رُؤَاهَا بِكُلِّ خَفْضٍ مَهِينٍ
وَسَكَبَتْ الْجُنُونُ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ عَلَيْهَا فِي عِبْقَرِي الْفُنُونِ
قُلْتُ يَا صَاحٍ لَا تُرْعَ كَمْ مِنْ عَظِيمٍ قَدْ تَسَامَى بِحِكْمَةِ الْمَجْنُونِ
وَحَصِيفٍ جَثًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ فِذَمٍ مَخْبِطٍ مَأْفُونِ
وَكِعَابٍ كَأَنَّهَا خَوْطُ بَانَ زَاخَمَتْهَا شَمَطَاءُ فِي التَّسْعِينَ
سَلَبَتْهَا فُتُونَهَا وَصَبَاها وَرَمَتْهَا بِعَاهَةِ التَّغْضِيْنِ
ذَلِكَ الْوِزْنُ لِلْحَيَاةِ عَلَى الْفِتْنَةِ أَدْرَى بِهِ غَلَاةُ الْمُجُونِ
لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا الْكَمَالُ كَمَا نَهَوَى وَلَا طَبْعُهَا التَّثَامُ الشُّثُونِ
فَجَدِيبٌ يُلُوحُ بَعْدَ خَصِيبٍ وَسُهُولٌ مُوصُولَةٌ بِحَزُونِ
وَيَمِينٌ قَدْ نَازَعَتْهَا شِمَالٌ وَشِمَالٌ تَرِيغٌ سَلْبٌ يَمِينِ
وَضَنِينٌ مِنْ صَلْبٍ سَمَحٍ سَخِيٍّ وَسَخِيٌّ مِنْ عَرَقٍ كَزٍّ ضَنِينِ
وَأَمِينٌ يَجْنِي عَلَيْهِ خَوْوُنٌ ثُمَّ يَحْيَا عَلَى حَطَامِ الْأَمِينِ

وطويل النِّجاد تُعْجِزُهُ اللَّقْمَةُ مَبْدُولَةٌ بِخَفْضِ الْجَبِينِ
وَضَنِينِ بِسُهُدِهِ وَضَنَاهُ عَنْ خَلِي يَنَامُ مَلُ الْجُفُونِ
لَوْ خَلَا الْعَمْرَ وَالْحَيَاةَ مِنَ الْأَضْدَادِ بَاهَى طَلِيقُهَا بِالسَّجِينِ
فَلْتَكُنْ مِثْلَ مَا تَكُونُ فَلَيْسَتْ غَيْرَ ظَهْرٍ مُحْمَلٍّ بِالْأَدْيُونِ
إِنهَا ذَلِكَ الْمَحْطَ لِعُمُرٍ نَتَرَجَّاهُ بَعْدَهَا فِي حِينِ
قَدْ نَحَرْنَا شَيْطَانَهَا وَاسْتَرْحْنَا مِنْ عَدُوٍّ شَاكِي السَّلَاحِ لَعِينِ
فَلْتَهْنِ عِنْدَكَ الْحَيَاةُ بِلَا مَسْعَى جَمِيلٍ كَالْمَرْمَرِ الْمَسْنُونِ
إِنهَا صَعْبَةُ الْمِرَاسِ حُرُونِ ذَاتِ حَدَّيْنِ مِنْ جَهَامٍ وَلَيْسَ
تَتَحَدَّى الْأَبْيَّ لَا يَقْبَلُ الضَّيْمُ وَتُلْقَى سِلَاحُهَا لِلدُّونِ
أَمَّا تَصْنَعُ الْكَرَامَةَ نَفْسُ حُرَّةٌ قَدْ أَبَتْ حَيَاةَ الْهُونِ
فَلْتَقُلْ لِلْحَيَاةِ ثَانِيَةَ الْعَطْفِ خُذِينِي بِمَبْدُونِي أَوْ دَعِينِي

ليل وهول

وليلِ كَجَوْفِ الضَّغْنِ دُكْنِ سُجُوفِهِ رَمَتْنِي بِهِ طَخِيَاءُ غَوْرٍ قَرَارُهَا
مُورِّقَةً فِيهِ الصُّقُورُ كَأَنَّهَا حَمَائِمِ أَيْكِ شَطَّ عَنْهَا مَزَارُهَا
مُعْرِقَةً أَشْطَانُهُ وَهِيَ أَنْجُمُ يَدُورُ عَلَيْهَا حَيْثُ دَارَتْ مَدَارُهَا
تُعَاوِدُهَا فِي صَخْوَةٍ بَعْدَ صَخْوَةٍ طُيُوفٌ مِنَ الذِّكْرِ يَطُولُ ادِّكَارُهَا
تَرَامِقُ هُجَاعِ الْحَمَى لَا يُرَوِّعُهُمْ سَوِي لَفَتَاتِ الْغَيْدِ وَمَضَّ نِفَارُهَا
وِإِلَّا ثَنِيَّاتِ الْعَقِيقِ تَرَاوَحَتْ عَلَيْهَا هَتُونٌ لَا يَكْفُ قِطَارُهَا
سَرَيْتَ بِهِ لَا أَتَّقِي فِي فِجَاجِهِ كَوَاسِرٍ هَدَّانِي إِلَيْهَا زُورُهَا
وَلَا دُمْدَمَاتِ الْهَوِجِ حَمَقَاءُ أَعُولَتْ يُصَارِحُ أَطَوَاءَ الْقِفَارِ سِرَارُهَا
وَلَا مِنْ زَفِيفِ الْجَنِّ أَصْدَاءُ رُكِّبَتْ عَلَيْهَا رُؤُوسٌ مُسْتَطِيرِ شِرَارُهَا
وَلَا عَرَبِدَاتُ السَّاحِرِينَ تَرَاقَصُوا عَلَى ابْنَةِ حَانَ : بَرَبْرِي عُقَارُهَا
وَلَا شَمَخَاتِ الطَّانِلِينَ عَلَى النُّهَى بَيْتِكَ الْمُدَى لَا تَسْتَرِيحُ شِفَارُهَا
وَلَا بِحُقُودِ الْحَاقِدِينَ غَوَائِرَ لَهَا نَتْنٌ أَغْفَى عَلَيْهِ سِعَارُهَا
أَتَاخَ لَهُمْ غَفْوُ الزَّمَانِ وَمَهْلُهُ مَوَاطِيءُ شَرٍّ لَا يَهُونُ اغْتِفَارُهَا
فَصَالُوا وَجَالُوا مُشْرَعَاتٍ نِصَالَهُمْ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي الرِّقَابِ دِمَارُهَا

تُحَرِّكُهَا مِنْهُمْ نُفُوسٌ فَقِيرَةٌ	يطول على مر الزمان افتقارُها
فَلَا السُّحْتُ مَلَأَتْ النُّفُوسَ لُجَيْنُهُ	ولا جَوَلَاتُ الزُّورُ مَغْنُ نُضَارُهَا
وَلَكِنَّهَا الْوَيْلَاتُ عَقَمَ عَطَاؤُهَا	يزول ويبقى عارُها وشَنَارُهَا
أَجَلْ إِنِّي يَا لَيْلٍ مِثْلَكَ رَابِعٌ	على النَّفْسِ حَتَّى يَلْحَقَ الثَّارُ ثَارُهَا
فَمَا رَوَّعَنِي فِيكَ إِلَّا غَوَافِلُ	يجُوزُ عَلَيْهَا تَحْتَ سِتْرِكَ جَارُهَا
وَالْأَيَّامِي مَسْهَنٌ بِكَرْبِهِ	دُعَاةُ بَلَاءٍ نَمَّ عَنْهَا بُخَارُهَا
أَقَامُوا عَلَى تِلْكَ الْمَاتِمِ بَيْنِنَا	مَخَابِي أَعْرَاسٍ : ظَلَامُ نَهَارُهَا
وَشَادُوا عَلَى أَنْقَاضٍ مُجْدٍ مُرْفَلٌ	من الوهم أَمَجَاداً يَرُوعُ انْهِيَارُهَا
فَنَاءٌ وَشِيكَ كَالْفُوقِ وَلَيْتَهُ	على غَيْرِ أَيْدٍ لَطَّخَ الْكُونَ عَارُهَا
وَيَالَيْتَهَا أَيْدِي الْمَظَالِمِ أَدْرَكَتْ	مَآرِبَ أَعْيَا : الْجَابِرِينَ انْكِسَارُهَا
سَمِعْتِكَ : فَارْبِعُ وَالصَّدَى مِنْكَ هَمْسُهُ	صُراخٍ وَأَسْرَارُ الشَّكَايِ جِهَارُهَا
سَمِعْتِكَ : مِنْ لَحْنِ الْأَسَى مِنْ زَفِيفِهِ	من الْهَدَاةِ الْبَكْمَاءِ رَطْنُ حِوَارُهَا
لَقَدْ ضِيقْتُ بِالنَّجْوَى وَضِيقْتُ مِنَ السَّرَى	كَمَا عَافَ رَكْضُ الْبَيْدِ فِيهَا حَرَارُهَا
فَدَيْتُكَ لَوْ نَامَ الدَّجَى نَوْمَةَ الْكَرَى	لَأَصْحَرَتِ الدُّنْيَا وَجَفَّتْ بِحَارُهَا
فَدَعَهَا تَمَّ هَذَا الْمَعَالِمُ كُلُّهَا	وَيَتَّبِعُ حُطَامُ الْأَرْضِ فِيهَا عَمَارُهَا
وَتَخِيَا هُنَاكَ الرُّوحُ بَيْنَ عَوَالِمٍ	من الْحُسْنِ مَحْيَاها مِنَ النُّورِ نَارُهَا

يُؤرِّجُهَا طِيبُ الْقُلُوبِ كَأَنَّهُ
تَطُوفُ عَلَيْنَا بِالْكُؤُوسِ مَرَّاشِفُ
كَوَاعِبِ أَتْرَابٍ عَلَيْهَا غَلَائِلُ
فَلَا لَغَوٍّ لَا تَأْتِيهِمْ لَا عُنْجَهِيَّةُ
مُنَاهَا وَبَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ سِفَارُهَا
مَعْتَقَةٌ أَمَّا الْجَنَّا فَنِشَارُهَا
مِنَ النُّورِ فَضْضَاضًا عَلَيْهَا دِنَارُهَا
وَلَا جَفْوَةٌ يُظْمِي النُّفُوسَ أَوَارُهَا
رِيَاضٍ مِنَ الرُّضْوَانِ يَشْدُو هَزَارُهَا
أَلَا إِنَّهُ الْخُلْدُ الْمَقِيمُ وَحَسْبُنَا .

نَجْمَانَا

جبلٌ شامخٌ له ذُرُوتَانِ نهجنا هل تصدنا الذُرُوتَانِ
أنا لا أَسْتَرِيحُ للقَصْفِ والحطْمِ فَخَيْرٌ أَنْ تَثْبُتَ الذُرُوتَانِ
ثم نمشي إليهما في دَبِيبٍ كَدَبِيبِ النَّمَالِ بَيْنَ الرُّعَانِ
وإذا طال في الزمان سُرَانَا وانتَهَيْنَا إلى بُلُوغِ الأَمَانِ
وافترشنا الذُّرَى وما آدنا المسعى ولاحتْ فوق الذُّرَى « المَرُوتَانِ »
وصنعنا فوق الذُّرَى قِمَتِي مَجْدٍ طريفٍ : من فوقها قِمَتَانِ
فلننقلْ يا زمان حدث وياتاريخ فاكُتُبْ والخُلْدُ للأوطانِ

أفراح الجزائر

لا تأس فالأحداث إرْهَاصٌ بِمَا خَلَفَ الْيُومُ
وتلُفٌ من قُدَامِهِ وَوَرَائِهِ فِتْنٌ تَحُومُ
ومهازِلٌ تَحْتَلُ في الأفلاك مَنْزِلَةَ النُّجُومِ
وعظائمٌ تَغْفُو على الجُلَى كما غَفَتِ الحُلُومُ
لا تأس فالخير العَمِيمُ بِشِيرُهُ الكَرْبِ الْعَمِيمِ
هذي الرِّزَايا السُّودِ تَعْبَثُ بالقلوب وبالجُومِ
وتُغَيِّرُ آوَنَةً على الأرواحِ تَفْتِكُ بالسُّومِ
وعلى المعاني الضاحياتِ تَشَعُّ في أَلْقَى الْفُهْمِ
فتُغْلَفُ الآمالَ والأفراحَ غَاشِيَةً الْهُمُومِ
والباطلَ الْمَشْهُومَ يَمْرَحُ بَيْنَ أَعْطَافِ الظُّلُومِ

* * *

يَلْقَى الرُّعَايَةَ في حِمَاهِ وظِلِّهِ الحَانِي الرُّؤُومِ
يا قلبُ قُلْ لِّلَّيْلِ مَا عَفْنَا دُجَاكَ الْمُسْتَدِيمِ

أَبَدًا وَلَا صَمْتُ الْحَيَاةِ كَصَمْتِ سَكَّانِ الرَّجِيمِ

فَاللَّيْلِ تُطْرِبُ فِيهِ آهَاتُ الْكَلِيمَةِ وَالْكَلِيمِ
وَتَطْيِبُ بَيْنَ سَكُونِهِ نَجْوَى النَّدِيمِ إِلَى النَّدِيمِ
أَمَّا الصَّبَاحُ فَإِنَّهُ أُسْطُورَةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

أَيَّامُ كَانَ الْفَجْرُ يَقْطُرُ بِالشَّدَى لَا يَسْتَهِيمِ
كَانَتْ نَهِيمٌ بِهِ السَّعَادَةُ حَيْثُ كَانَ بِهَا يَهِيمِ
وَالْحُبُّ يَنْضَحُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْحَمِيمِ إِلَى الْحَمِيمِ
كَانَتْ مَعَانِيهِ الْحِسَانُ كَخُودِهِ مَا إِنْ تَرِيمِ
الْمَجْدُ يَعْثُو فِي الرَّحَابِ الْبَيْضِ عَذْوًا كَالظَّلِيمِ
يُرْوِي السَّحَابُ إِلَى السَّحَابِ صَدَى الْمَكَارِمِ فِي الْكَرِيمِ
يَخْنُو الْكَرِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ خَنَوَ اللَّئِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ

الْحُسُّ يَنْطِقُ فِي الصَّبَاحَةِ كَالدَّمَامَةِ فِي الدَّمِيمِ
يَا قَلْبُ فِيكَ الصَّوْلَجَانُ بِرَغَمِ شَنْشَنَةِ الرِّغِيمِ

أُنْظِرْ لِأَفْرَاحِ الْجَزَائِرِ فِي الثُّغُورِ وَفِي التُّخُومِ
فِي الْكَوْنِ فِي عُلى الْمَنَازِلِ فِي الْقِبَابِ وَفِي السَّدِيمِ
فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ تَاهَ الْيَوْمِ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ
فِي الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُ الْمَجْدُ الْمَرْقَلُ فِي الصَّمِيمِ

* * *

مَنْحُوهُ أَرْوَاحُ الشَّهَادَةِ فِي الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الزَّعِيمِ يَضِيحُ فِي رُوحِ الزَّعِيمِ
عَاشَ الدَّمُ الصَّافِي وَلَا عَاشَ الْمُخْدَرُ وَالنُّؤُومِ

* * *

أَلْقَ الْجَحِيمِ عَلَى الْمَعَارِكِ قَدْ تَلَأَ فِي النَّعِيمِ
وَالْقَنْعُ الْأَحْيَاءُ كَالْمَوْتَى لَهُمْ خُلْدُ الْجَحِيمِ

عيد الثورة

وَفَتِيَّةٌ خَضَخُوا الْأَمْجَادَ نَائِرَةً لِلَّهِ مَا أَضْرَمُوا لِلَّهِ مَا وَقَدُوا
 جَارَتْ عَلَيْهِمْ عَوَادِي الْجُورِ فَانْتَفَضُوا وَلَنْ يُطَاطَىءَ فِي آجَامِهِ الْأَسَدُ
 مَوَاطِنُ الْعِزِّ إِلَّا مِنْهُمْ جَدَبٌ وَأَصْرَاتُ الْعَلَا فِي غَيْرِهِمْ بَدَدُ
 ثَارُوا وَمَا كَانَ إِلَّا الْحِسْرَانُ لَهُمْ وَأُمةٌ نَفْسُهَا فِي نَفْسِهِمْ وَجَدُوا
 وَمَا يُجْمَعُ بِالْآلَامِ فَارِسُهَا إِلَّا وَتَلَقَّفَهُ آمَالُهَا الْجُدَدُ
 حَيًّا دَمًا زَمَجَرَتْ فِيْنَا نَوَابِضُهُ دَمٌ يُقَهِّقُهُ فِي شِرْيَانِهِمْ غُرْدُ
 وَالْعُسْرُ كَالْيُسْرِ لِلْأُوطَانِ جَامِعَةٌ اللَّهُ يَشْهَدُ وَالتَّارِيخُ وَالْأَمَدُ
 وَلِلزَّعَامَةِ فِي آفَاقِ عَالَمِهَا دُنْيَا بِمَا وَلَدَتْ دُنْيَا بِمَا تَلِدُ
 وَالْبَارِقُ السَّمْحُ تَتْلُوهُ بَوَارِقُهُ وَمَنْ دَنَوْا شَرْعُ فِيهِ وَمَنْ بَعَدُوا
 لَا تَحْسَبُوهُ بَعِيدًا إِنَّهُ أَمَمٌ فَقَدْ تَلَمَّحَ شَمْلُ الْعُرْبِ وَاتَّحَدُوا
 هَذِي الرُّؤُوسُ اشْرَأَبَتْ فِي أَمَاكِنِهَا وَلَنْ يَعُوقَهَا عَنْ نَهْجِهَا أَحَدُ
 التَّابِعُو الْفِكْرَةَ السَّمَاءِ يُلْهِبُهُمْ شِعَاعُهَا مِثْلَ مَنْ شَدُّوا وَمَنْ عَقَدُوا
 قَدْ اسْتَوَى فِي مَجَالِ الْمَوْتِ مُقْتَحِمٌ وَثَائِرٌ فِي مَجَالِ الْفِكْرِ مُضْطَهَدُ

عليهما قامت الأمجاد واعتزكت
ما عذت أخشى على الأكباد نافذة
ولست أرهب من أعمى بصائرهم
ضراوة الحكم هأموا في مباديلها
ولم يطيقوا الشدي والكون منطلق
زادت جراح العلا فيهم ومن أسف
ولن يدوم لهم جو ولا أفق
يا ليتهم أخذوا للأمر عذته
هما السبيل لمن يمضي ومن يقف
من السموم ولا الحقد الذي حقدوا
عن الشعوب هوى قد عافه الرشد
وللمطامع في أربابها عبدوا
حرية قد فداها الروح والجسد
ما كل جرح على الأيام ينضم
يبقى الصراح ويفنى الغث والزبد
أو للكواكب في أفلاكها رعدوا

جَنَاحَانِ

جَنَاحَانِ يَا لَيْلَى مَهِيضٌ وَعَائِرٌ وَجَفْنَانِ يَا لَيْلَى أَسِيرٌ وَأَسِيرٌ
هُمَا الْحُسْبَيْنِ الْقَلْبُ يَخْفِقُ وَالنُّهَى يَلُوبُ وَبَيْنَ الظِّلِّ وَالظِّلِّ سَاتِرٌ
تَأَلَّقَ فِي أَصْفَادِهِ ثُمَّ رَفَرَقَتْ قَوَادِمُهُ وَالطَّرْفُ غَيْمَانِ حَائِرٌ
وَلَكِنَّهُ الْقَيْدُ الْحَبِيبُ تَخَالَهُ مَعَاصِمُ حُسْنٍ طَوَّقَتْهَا الْأَسَاوِرُ
دَعِيهِ وَلَا تَخْشَى عَلَيْهِ انْطِلَاقَهُ فَإِنْ انْطَلَقَ الرُّوحُ فِي الْحَبِّ قَاهِرٌ
دَعِيهِ يَحُلِّقُ كَالْفَرَّاشَةِ هَائِمًا فَكُلْ شَدَى فِي عَيْنِهِ مِنْكَ زَاهِرٌ
دَعِيهِ يَطْفُفُ بَيْنَ الزَّنَابِقِ فِي الرَّبَى فَطَيْفُكَ يَا لَيْلَى مَزُورٌ وَزَائِرٌ
وَلَا تَحْرِمِيهِ مِنْكَ فِي كُلِّ نَفْحَةٍ تَطُلُ بِهَا مِنْ نَاطِرِيكَ الْبَشَائِرُ
فَأَنْتِ لَهُ الْكُونُ الْمَجْنَحُ وَالرُّوَى مُعْبَرَةٌ وَالْقَلْبُ كَالْحَبِّ طَائِرٌ
يَرَاكِ مَعَ الْفَجْرِ الْمَغْرَدُ لِحْنَهُ وَتَحْضُنُهُ أَنْفَاسُهُ وَالْأَزَاهِرُ
وَتَسْبِحُ فِي أَعْمَاقِهِ مِنْكَ نَشْوَةٌ وَتَصْدَحُ بِالْهَمْسِ النَّدَى الْخَوَاطِرُ
وَيَهْتَفُ بِالنَّجْوَى حَنِينٌ مُخَامِرٌ وَيَسْرَحُ بِالشَّكْوَى وَجِيبٌ مُسَاوِرٌ
لَكَ الْعَنْبُ فَالْقَلْبُ الشَّجِي أَمَانُهُ عَذَابٌ وَيَحْمِيهِ الْأَمَانُ الْمُحَازِرُ

دَعِيهِ فَمَا بَيْنَ الدَّجَىٰ وَعُيُونِهِ
 فِي الشُّهُبِ لَوْتَدْرِينَ يَا لَيْلِي رَوَّاصِد
 تَمَاجٍ فِيهَا عَسَجِدٌ مُتَهَدِّلٌ
 يَقُولُونَ يَا لَيْلِي هُوَ الْغَيْدِ نَظْرَةٌ
 وَأَوْهَامٌ «غَيْرِي» تَذَرَعُ الْخَطُوءُ اثْرَهُ
 وَمَا الْحُبُّ إِلَّا عِصْمَةٌ مَدَّ ظِلُّهَا
 وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ
 رَوَّافِدُهَا فَوْقَ السَّحَابِ وَنَبْعُهَا
 وَأَصْدَاءُ حِسِّ عِبْقَرِي تَنْفَسَتْ
 وَأَطْيَافُ أَحْلَامِ حِسَانٍ كَانَتْهَا
 وَدُنْيَا مَغَانِيهَا حَيَاةٌ تَرَاقَصَتْ
 وَتَعَرَّشَ فِي أَكْنَافِهَا أَوْ ظِلَالِهَا
 وَقَالُوا جَجِيمٌ قُلْتُ مَرَحِي عَرَفْتُهُ
 وَقَالُوا ضَلَالٌ قُلْتُ وَالْقَوْلُ آفَةٌ
 فَكَمْ مِنْ هُدًى قَدْ غَلَفَتْهُ مَسَاوِيءُ
 سَوِي غَائِبٍ لَكِنَّهُ فِيكَ حَاضِرٌ
 يُرَاوِحُهَا مِنْكَ الشَّدَىٰ وَيُبَاكِرُ
 وَبَيْنَ حَوَاشِيهِ تَرْفُ الْعَدَائِرُ
 تَذُوبُ الْمَاقِي عِنْدَهَا وَالْمَحَاجِرُ
 دِرَاكًا فَلَا تَسْطُو عَلَيْهِ الْجَازِرُ
 صِرَاعٍ عَنِيفٍ أَلْهَبْتَهُ الْمَشَاعِرُ
 رَعَتْهَا عُيُونُ حُرَّةٍ وَضَمَائِرُ
 مَصَابِيحِ ضَاءَتْ فِي حَشَاهَا السَّرَائِرُ
 مَعَانِيهِ فِي لَحْنٍ حَكَمْتُهُ الزَّوَاغِرُ
 سَحَابٌ مُزْنٌ وَاكْفَاتُ مَوَاطِرُ
 أَوَائِلُهَا مَسْحُورَةٌ وَالْأَوَاخِرُ
 وَشَائِجُ رَجْمِي أَخْصَبَتْ وَأَوَاصِرُ
 قُرْبٌ نَعِيمٌ فِي اللَّطَىٰ يَتَقَاطِرُ
 إِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ تُجَلِّي الْبَصَائِرُ
 وَكَمْ مِنْ ضَلَالٍ حَبَّبَتْهُ مَظَاهِرُ

وَمَهْمَا يَطُلْ عَهْدٌ بِحَالٍ وَضِدَّهُ فَلِلَّهِ يَا لَيْلَى تَصِيرَ الْمَصَائِرِ
إِذَا أَنْتِ أَطْلَقْتَ الْمَشَاعَرَ حُرَّةً صَفَا لَكَ مُرْتَابٌ وَصَفَقَ غَادِرُ
وَإِنْ أَنْتِ أَعْطَيْتِ الْوِدَادَ سَجِيَّةً تَحَاشَاكَ مَفْوُودٌ وَحِيَاكِ نَائِرُ
فَلَا تَحْمِلِي الصَّبَّ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ عَلَى غَيْرِ مَا تَهْوَى اللَّيْثُ الْكَوَاسِرُ
وَلَا تَجْعَلِيهِ ظَاهِرًا غَيْرَ بَاطِنٍ فَكَمْ بَاطِنٍ صَغْبٍ يُغْطِيهِ ظَاهِرُ
وَرُبَّ يَرَاعٍ أَرْسَلَ الشَّدُوْا إِنَّمَا تَضِجُ بِمَكْتُومِ الْيَرَاعِ الْمَحَابِرُ
فَهَا أَنْتِ يَا لَيْلَى دَعِيهِ مُحَلَّقًا يَوُوبٌ وَجَنَاحَاهُ هُدًى وَشَعَائِرُ
وَقُولِي لَهُ آمَنْتُ أَنَّكَ شَاعِرٌ وَآمَنْتُ أَنْ لَا يَأْلَفُ الْقَيْدَ شَاعِرُ

أغنية زمزم و«أليس»

هل رَشَفْتَ المَزْنَ رَشْفًا ثم حَلَّيْتَ بِزَمَزَمِ
صَفَقُوهَا بأَريس وَسَرَى البدر المُلْتَمِ
يَشْعاعِ يَتَلَعَثَمِ مِنْ رِضابِكَ

* * *

أَنْتِ يا مُزْنَ طَيْفُ لَوْلُؤِي يَتَثَنَّى
أَنْتِ يا مَزْنَ لَحْنُ عَسَجَدِي يَتَغَنَّى
وَالسَّنا يَوْمِضُ وَهنا فِي شَبابِكَ

* * *

رَقَصَ الحَب وَلكن رَقِصَةَ الصَّبِ الجَرِيحِ
زَحَفَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فِي غَبُوقِ وَصَبُوحِ
فَتَلَوَّى كَالطَّلِيحِ فِي عُبَابِكَ

* * *

المَغَانِي فِي ظِلَالِكَ كَالْمَعَانِي فِي خِيَالِكَ
أَنَا لَا أَرْجُو وَصَالًا فَالْمَنَى دُونَ وَصَالِكَ
خَطَرَةٌ تَكْفِي بِبِئْسَالِكَ
مِنْ سَرَائِكَ

يَا مَهَاءَ خَطَرْتُ فِي رَبِّ رَبِّ ذَوْبِي مَا شِئْتُ قَلْبِي ذَوْبِي
أَنَا أَهْوَى لَفْتَةِ الْحَرِّ الْأَبْي بِأَبِي أَفْدِي مَهَاتِي بِأَبِي
لَا تُرَاعَى . . لَا تَخَافِي فَالْمَنَى
بِرِحَابِكَ

* * *

أَنْنَى أَعَشِقُ وَهَمَّ الْوَاهِمِينَ فَشُكُوكَ الْغَيْدِ مِفْتَاحَ الْيَقِينِ
وَالْهَوَى الْعَذْبُ شَقَاءٌ وَأَنْبِي وَمَنْ تَرَكُضَ أَثَرُ النَّافِرِينَ
رُبَّ شِدْوٍ مِنْ أَنْبِي الْوَالِهِينَ
فِي رِكَابِكَ

* * *

أَنَا أَهْوَى الظِّيِّ مُخْتَلًا شُرُودًا مَثَلَمَا يُعْجِبُنِي الْمَعْنَى الشُّرُودُ
فَالْفَلَا أَوْسَعُ مِنْ قَلْبِ الْعَمِيدِ وَالْهَوَى فَوْقَ قُيُودٍ وَخُدُودِ

مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ

فِي سَحَابِكَ

* * *

وَالْهَوَى أَحْلَاهُ حَدْسُ الْخَاطِرِ حِينَمَا يَبْدُو كَوَّهَمُ الشَّاعِرِ

فِي الرَّبِّيِّ مِثْلَ جَنَاحِي

فِي طِلَاجِكَ

* * *

فِي رُبُوعِ الْمَدِينَةِ

بَيْنَ سَلْعٍ وَقَبَا مِنْ مَجَالَى يَنْزُرِ
قَدْ مَشِينَا الْهَيْدَبَى سَبَسَبَا فِي سَبَسَبِ
صَفَّقَتْ أَيَامُنَا
شَعَشَعَتْ أَحْلَامُنَا

• • •

بَيْنَ أَحْضَانِ الْعَقِيقِ مِنْ شُرُوقِ لُغْرُوبِ
كَمْ رُؤِينَا مِنْ رَحِيقِ بَيْنَ كَأْسٍ وَحَبِيبِ
وَالْمُنَى فِي ظِلِّنَا
نَهْلُهَا مِنْ نَهْلِنَا

• • •

وَالْغَوَالِي فِي الْعَوَالِي يَنْفَحُ الْعِطْرَ شَذَاهَا
وُظَبَاهَا فِي الْمَعَالِي هَذَهَدَتْ سَحَرَ ظِبَاهَا
فَسَلَّ الْجَذْعَ وَرَامَةً
وَالْمُصَلَّى وَالْغَمَامَةَ

والشذى في أحدٍ من عَبر الشَّهداء
عِظَةٌ للأَبَد في مَجالات الفِداء
فلنُعْظِم قَدرها
ولنُمجِّد ذِكرها
وصَلَّت مجدَّ حراءٍ في رَبِّي البيت العتيقِ
وجَلَّت نور السماء في مَحياءُ الطَّلَيقِ
أحمدُ خير البرية
بالمعاني العِقرية

* * *

الهوى السَّح هوأها من صَبَا نجد الشذي
والحميما شَفَّأها في بُكور وَعِشْي
إنها نَخْبُ اليمامة
في عَسِير وتَهامة

* * *

رَبَّةَ الْقِدْحِ الْمَعْلَى فَسَلُّوا قَيْسًا وَلِيْلَى
وَاخْضِرَارِ النَّفْسِ أَغْلَى مِنْ خَصِيبِ عَادَ مَحَلَا
فَلْتَقُولِي يَا بِلَادِي لِلْعُلَا أَهْلًا وَسَهْلَا
إِنَّهُ مَجْدُ بِلَادِي
فَوْقَ أَوْهَامِ الْأَعَادِي

* * *

قيمة الشعب

من قصيدة كنت نظمتها بمناسبة خاصة جميلة . فأحببت أن
أقدمها لقراء المدينة بدلا من حديثي الأسبوعي الذي حالت دون
نشره ظروف الجريدة عام ١٣٥٣ هـ .

قيمة الشعب في ارتقاء رجاله ذروة الفضل عن طريق فعّاله
وابتهاج الحياة فيه دليل إن للشعب (قادة) من رجاله
علمتنا حوادث الدهر قدما أن سر الحياة في أجباله
وغدا يكشف الزمان سارا عن بني العصر في عظيم مجاله
وجهود المغد في السير تُدنى من بعيد المني عزيز مناله
والمغاوير في البلاد إذا ما حاولوا النفع وُفقوا لنواله
وذوو الرأي والحصافة إن هم حصنوا الرأي وُفقوا لاكتماله
والحجاز الحجاز جد خليق برجال تفكيرهم في ماله
والحجاز الحجاز غايته القصوى رجال تصافروا في مجاله

لم يُريدوا إغفَاءة تَدَعِ الشُّعْبَ خِدَاجًا وَالْأَمْرَ فِي جُجَاهِهِ
 فَلَقَدْ شَاهَدُوا التَّوَاءَ أَمَانِيَهُ وَسُوءَ الْكَثِيرِ مِنْ أَحْوَالِهِ
 حِينَمَا أَظْلَمَتْ فِجَاجٌ وَسُدَّتْ سُبُلُ الْخَيْرِ فِي وَجْهِهِ رِجَالِهِ
 وَتَبَارَتْ مَعَاوِلُ الْهَدْمِ تَسْعَى لِاجْتِنَاثِ النِّعَمِ وَاسْتِثْصَالِهِ
 فَعَدَا الْبَعْضُ فِي رِيَاضِ الْأَمَانِي وَغَدَا الْبَعْضُ سَابِحًا فِي خِيَالِهِ
 وَفَرِيقٌ شَاءَ الْخُمُولَ وَضَحَّى بِالْجَسِيمِ الْعَظِيمِ مِنْ مَالِهِ
 وَلَعَمْرِي هَذَا الْحِجَازُ حَفِيٌّ وَلَدَيْهِ كَرَامَةٌ فِي خِصَالِهِ
 وَبَنُوهُ إِنْ سَاءَلُوا الْعُنْصَرَ الْحَيَّ وَكَتَنَزَ الْخُلُودَ فِي أَعْمَالِهِ
 جَاوَبَتْهُمْ أَصْدَاءُ مَجْدٍ عَمِيقٍ يَسْتَفِزُّ الْحَنِينَ فِي تَجَوَّالِهِ
 وَتَرَاىَ لَهُمْ مَلَائِكُ بَهَاءٍ عِبْقَرِي فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
 مِلْؤُهُ الْفَضْلَ وَالسَّمَاحَةَ وَالنُّبْلَ مُقِيمًا وَالسَّعْدَ فِي تَرْحَالِهِ
 وَحِفَافَهُ شُعْلَةً مِنْ رَجَاءٍ تُبْصِرُ النُّورَ سَاطِعًا مِنْ حِيَالِهِ
 يَتَغَنَّى بِمَجْدِهِ السَّالِفِ الْعَهْدِ وَيُبْدِي تَلْعُثًا فِي مَقَالِهِ
 يَنْشُدُ الْمَجْدَ فِي خِصَالِ زَعِيمِ الْعُرْبِ فَخَرِ الزَّمَانِ دُرَّةَ آلِهِ

فاكرم به عبدالعزيز موفتاً

القصيدة القيمة التي ألقاها الأستاذ ضياء الدين رجب في حفلة

تكریم (الدكتور الخاشقجي) التي أقامتها جريدة المدينة المنورة :

ذَرِينِي أَغَامِرَ فِي مَجَالِ الْعَزَائِمِ وَلَوْ كُنْتُ فِيهَا عُرْضَةً لِلصَّوَارِمِ

فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا غَمْرَةٌ بَعْدَ غَمْرَةٍ يَصَافِحُ فِيهَا عِبْقَرِيَّ الْمَكَارِمِ

دَعْنِي الْمَعَالِي فَاسْتَجَبْتُ نِدَاءَهَا بِمَوْقِفِ عَزٍّ حَافِلٍ بِالْمَغَانِمِ

فَأَقْدَمْتُ بِحُلُونِي رَجَاءَ مُجَنِّحٍ وَخَلَفْتُ دُونِي رَاغِمًا بَعْدَ رَاغِمِ

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ تَرْتَقِبُ الْمَنَى وَمَا الْقَلْبُ إِلَّا حَيْثُ رُكْضُ الْعَزَائِمِ

تُجَاوِبُ أَصْدَاءٍ وَتُرَدِّدُ هَاتِفٍ يُؤُوبُ بِرِاضٍ ثُمَّ يَغْدُو بِنَاقِمِ

وإِنَّ حَيَاةَ الْعِزِّ صَعْبٌ مِرَاسُهَا إِذَا لَمْ تُزَوِّدْ فِي الْحَيَاةِ بِقَائِمِ

وإن حياة العز صعب منالها إذا رام فيها نائمٌ نصرَ نائمِ

وإن حياة العز جدٌ بعيده إذا عاش فيها أهلها كالسوائمِ

وَلَكِنْ قَوْمًا جَاشَ بِالنَّفْسِ مِنْهُمْ	صَلِيلُ سَيْوْفٍ فِي الْوَعْيِ وَالْمَلَا حِمٍ
وَمَاجٍ بِهِمْ عَزْمٌ تُؤَوِّرُ إِلَى الْعُلَا	وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ عَاصِيَاتُ الْجَمَاجِمِ
أُولَئِكَ يَلْقَوْنَ الْحَيَاةَ رَضِيَّةً	وَتُشْرِقُ فِيهِمْ طَامِسَاتُ الْمَعَالِمِ
فَمَرَحَى بِأَمَالِ الْبِلَادِ وَشَعْبِهَا	وَمَرَحَى بِأَبْنَاءِ الْبِلَادِ الضَّرَاغِمِ
أَفَاءَ عَلَيْهِمْ مُلْكُهُ مِنْ ظِلَالِهِ	مَفَاخِرُ تَزْهُوٍ فِي أَجْلِ الْعَوَاصِمِ
بِهِ قَدَّرُوا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ وَبَرَّهَنُوا	عَلَى سَعْيِهِمْ لِلْمَكْرُمَاتِ الْجَسَائِمِ
فَأَكْرَمَ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَوْفَقًا	جَلِيلَ الْمَسَاعَى فِي طِلَابِ الْعِظَامِ
أَلَا تَزْدَهِي فِيهَا بِعَصْرِ مُنَوَّرٍ	يَفِيضُ عَلَى أَبْنَائِهِ بِالنَّعَائِمِ
تَلُوحُ عَلَيْهِ سَاطِعَاتُ كَأَنَّمَا	تَقْلُدُ حَقًّا بِالْثُّغُورِ الْبَوَاسِمِ
تَبْلُجُ نُورُ الْعِلْمِ وَضَاءً بَيْنَهُمْ	عَلَى لَا حَبِّ سَهْلٍ وَرِضَى الْمَعَالِمِ
عَلَى حَافِيَتِهِ لِلنُّبُوغِ مَظَاهِرُ	وَفِي رَاحَتِهِ صُورَةُ الْكَرَائِمِ
يَدَارُ الْهَدَى مِنْ شُرُفَتْ بِرَسُولِهَا	إِمَامُ الْهَدَى رَمَزَ التَّقَى فِي الْعَوَالِمِ
تُكْرَمُ رُوحَا شَاقِهَا الْفَضْلُ فَاعْتَذَتْ	بِأَبْنَائِهِ حَتَّى سَمَتْ لِلْعِظَامِ
تَرَامَتْ مَعَ الْأَيَّامِ حَتَّى تَقَاصَرَتْ	بِعِزِّ شَبَابٍ فَائِرٍ الْعِزْمِ فَاحِمِ
أَرَادَ فَلَمْ يَهْزَلْ وَجَدَّ فَلَمْ يَهْنِ	وَجَاهَدَ لَمَّا يَنْتَظِرُ عَطْفَ زَاحِمِ

تَغَرَّبَ عَنْ أَهْلِ وَفَارَقَ مَوْطِنًا فَآبَ وَقُورًا غَانِمًا أَيَّ غَانِمٍ
فَأَنْتَنِي عَلَيْهِ الْمَجْدُ وَالْفَضْلُ جُهْدَهُ وَشَادَ صُرُوحًا عَالِيَاتِ الدَّعَائِمِ
وَأَنَّ بِلَادًا أَكْرَمَتْهُ لِسَانَهُ وَعَادَتْ بِهِ تَشْدُوا كَشْدُو الْحَمَائِمِ
وَقَدْ لَمَسَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ وَرُوحَهَا بِفَنٍّ عَزِيزٍ نَالَهُ خَيْرُ حَازِمِ
فَلَمْ تَأْتِ إِلَّا وَاجِبًا كَانَ دُونَهُ فَذَلِكَ رَمَزٌ لِلْسُرَاةِ الْأَعْظَمِ
رَأَتْكَ الْأَمَانِيُّ الْعِذَابَ مُحَمَّدًا فَوَافَتْ تُحْيِي قَادِمًا تَلُو قَادِمِ
كَأَنَّكَ فِيهَا بَاقَةٌ قَدْ تَفْتَحَتْ عَنْ الْأَقْحُوَانِ الْغَضُّ أَجْمَلُ بِاسِمِ
نُرِيدُكَ تِمَثَالَ الْفَخَارِ وَرَمَزِهِ وَنَرْجُوكَ عُثْوَانَ الطَّبِيبِ الْمُسَالِمِ
لِتَكْشِفَ عَنْهَا بِالْأَشْعَةِ دَاءَهَا وَتُذْهَبَ عَنْهَا مُغْرِيَاتِ الطَّلَاسِمِ
فَلَيْسَ لِشَعْبٍ فِي الْبِلَادِ تَفَاخُرٌ إِذَا لَمْ يُفَاخِرْ فِي طَبِيبٍ وَعَالِمِ
فَأَعْظَمَ بِهِ خَفَلًا تَسَامَى بِهِأُوهُ بِسَعْدِ أَمِيرٍ قَامِعٍ لِلْمَظَالِمِ
دَوُوبٌ عَلَى خَيْرِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا كَرِيمٌ نَبِيلٌ جَامِعٌ لِلْمَكَارِمِ
يُرِينَا مَحْيَاهُ السَّمَاحَ كَأَنَّمَا يُرِينَا الْغَوَادِي هَاطِلَاتِ الْغَمَائِمِ
صَلَاةٌ مِنَ الْمَوْلَى لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ تَلُوحُ كَمَا لَاحَتْ بُدُورُ التَّمَائِمِ

• • •

نشرت هذه القصيدة بالعدد (٦٩) تاريخ ٨ رمضان سنة ١٣٥٧ هـ

خلود البطل

مهداة : إلى روح سمو الأمير الصديق عبد الكريم الخطابي :
رحمه الله

قد سَابَقَتْهُ إِلَى الرَّدَى أَمْجَادُهُ فَنَأَلَّقَتْ آمَالُهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَبَى عَلَيْهِ إِبَاؤُهُ أَنْ يَفْتَدِي وَهُوَ الْفِدَاءُ بِعُمُرِهِ وَبِمَجْدِهِ
شَأْنُ الْعَظِيمِ يَعِيشُ مِلَّةَ حَيَاتِهِ وَإِذَا قَضَى طَابَ الْخُلُودُ بِخُلْدِهِ
مَا عَاشَ زَهْوًا بِالْبَقَاءِ وَإِنَّمَا زَهْوُ الْحُسَامِ بِحَدِّهِ وَفِرْنَدِهِ
لَمْ يَسْتَبِحْ لَمَّا أَضَافَ طَرِيفَهُ لِتَلِيدِهِ حَتَّى ذُبَالَةَ جُهِدِهِ
وَاسْتَلْهَمَ التَّارِيخَ سِرَّ بَقَائِهِ مُتَأَهِّبًا كَالْمَشْرِفِيِّ بِغَمْدِهِ
مَا نَابَهُ أَسْفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ بَلْ أَوْدَعَ الْأَيَّامُ حَسْرَةً فَقْدَهُ
مَا حَاسَبَ الْأَيَّامُ فِي خَطَوَاتِهَا لِيُظَلَّ فِي أَسْرِ الْكِفَاحِ وَقَيْدِهِ
ضَنْ الْكَرِيمِ وَمَا يَضِنُّ وَإِنَّمَا أَلْوَى بِهِ شُحُّ الزَّمَانِ بِنِدِهِ
الْمَجْدُ أَشْرَقَ فِي لَفَائِفِ مَهْدِهِ فَمَشَى خَدَيْنَ وَفَاتِهِ فِي لَحْدِهِ
وَتَلَفَّتْ التَّارِيخُ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّاهَ فِي تَبْرِيجِهِ أَوْ سُهْدِهِ

فِي مَوَكِبِ الْأَحْدَاثِ كَيْفَ تَصَارَعْتَ	فِي فَقْدِهِ كَصِرَاعِهَا فِي وَجْدِهِ
وَهَفًا لِأَصْدَاءِ الْحَيَاةِ مُطْلَةً	مِنْ رُوحِهِ عَزَمَاتُهُ فِي جُنْدِهِ
تَنْهَلُ فِي الدُّنْيَا سِوَا كَبُ فَيَضِيهِ	وَتَهْلُ بِالرُّحْمَى سَحَابِ رِفْدِهِ
وَخَلَائِقِ الْمَجْدِ الْأَصِيلِ شَمَائِلُ	تَصِلُ الْحَيَاةَ بِحِظِّهِ وَيُسَعِدُهُ
وَتَشَعُّ إِشْعَاعُ الْهَدْيِ فِي مَوْطِنِ	غَذَاهُ مِنْ دَمِهِ الزُّكْيُ وَشُهِدُهُ
وَنَمَاهُ يَشْرُفُ أَصْلَهُ مِنْ قَرَعِهِ	شَرَفَ الْفَخُورِ بِأَصْلِهِ وَبِجَدِهِ
وَعَلَى الْعِظَائِمِ فِي الْعَظِيمِ دَلَائِلُ	سَطَعَتْ لِتُشْرِقَ بَعْدَهُ فِي ضِدِّهِ
أَغْنَتْ عَنْ التَّمَثَالِ يَنْصَبُ بَعْدَهُ	مُثْلُ تَشِيدِ بِشُكْرِهِ وَبِحَمْدِهِ
وَمِنْ الرِّجَالِ صُورٍ عَلَى طُولِ الْمَدَى	تَهْدِي لِأَقْوَمِ مَنْهَجٍ وَاسِدِّهِ
تَسْمُو عَلَى أَذْنَى الْهَنَاتِ سَجِيَّةٌ	قَدْ صَوَّرَتْ خَطَأَ الْعَظِيمِ كَعَمْدِهِ

فجميعته الحب الحالم

فى يقينى عاشت نعيما وما زالت
 حببتلى الحياة من بعد أن كانت
 بسمة فى السماء صورها الله
 ورجاء فى زحمة اليأس وأفانى
 وأنا الصابر الذي اعتصر العمر
 كم رجوت الأمان فى كنف الصبح
 وأنا الواهب الحنان سخيا من
 قلت مرعى توأم الروح والنفس
 مرحبا بالحياة أرسلها الله
 وتفتيات ظلها أنشد الرحمة
 هو حبيبى وعطفها أمل العمر
 قربت بيننا المعانى على البعد
 حلم عشته وفجر جديد
 صافحتها نفسى ففرت من العين
 وتمرغت فى ثراها ومحضت هواها
 وفى القمة من مهجتي ومن إيماني
 جحيما وأشرقت فى كياني
 ملاكا وشعلة من أمانى
 وفى غمرة الكروب أتانى
 شقاء بكأسه قد سقانى
 فما فزت عندهم بالأمان
 لسانى ومهجتي وحنانى
 وأهلا فى السر والإعلان
 شعاعا يجلو به أحزاني
 لا ابتغى سوى الإحسان
 وفى مشرق المنى نشوتان
 ويا طالما تجود المعانى
 شعثته من روحها بسمتاني
 ابتهاجا لقربها دمتان
 عزى مزجته بهوانى

وارتَضَيْتِ الهوى كما تَرْتَضِيهِ وسواء أَطَاعَنِي أو نَهَانِي
 هِيَ هَمِّي وَشُغْلُ نَفْسِي وَقَلْبِي وصلَاتِي فِي كُلِّ حِينٍ وَآنٍ
 ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ فُجِئْتُ بِأَحْلَامِي على غِرَّةٍ بما قد دَهَانِي
 إِذْ تَبَيَّنْتَ أَنَّي عِشْتُ على سُوءٍ ظَنُّهَا حَيَاةَ الهَوَانِ
 وَأَنَا الغافل الذي عَافَ حَتَّى العَقْلِ فِي حُبِّهَا على اطمِئْنَانِ
 أَنْتِ مَعْدُورَةٌ فما : لِمَ لَمَّاكَ يَتَدَنَّى لِقَادِرٍ مَنْنِ

* * *

غَيْرَ أَنَّي يَانُورُ عَيْنِي على العَهْدِ سَاحِيَا - وَلَوْ حَيَاةَ الجَبَانِ
 وَالَّذِي وَزَّعَ السَّرَائِرَ فِي النَّاسِ عَلِيمٍ بِالسُّرِّ فِي الْإِنْسَانِ
 رَبُّ سِرِّ يَطِيبُ إِعْلَانُ خَافِيهِ وَسِرُّ يَخْلُو مع الْكِتْمَانِ
 فَسَلِيَ النُّجُومَ وَالذُّجَى وَالْأَغَارِيدَ وَهَمْسَ الْوَرَقَاءِ فِي الْأَغْصَانِ
 كَيْفَ أَغْفُو وَأَنْتِ إِغْفَاءُ الْعَيْنِ وَأَصْحُو وَأَنْتِ رَجْعُ الْأَغَانِي
 وَاسْبَحِي كَيْفَ شِئْتَ فِي عَالَمِ الشَّكِّ فَإِنِّي رَاضٍ بِحُكْمِ الزَّمَانِ

* * *

الجرم العقيم

(١)

بعدَ عشرينَ خَلْتُ من عُمرِي حينَ أبصرتُ بعيني . . . أثري
 وتلمَّظْتُ رحيقَ القَدَرِ مثلُ من يرشِفُ ضوءَ القمرِ
 وتعلَّقتُ على الهُدبِ الذي طالما أَرَقَّ جَفَنَ السَّحَرِ
 وبَكَى قَلْبِي دِعاءَ صامِتِنا للحنانِ الغامرِ المُنهمِرِ
 لِلَّذِي هَدَّلَ لِي أَغْصَانَهُ ورَعَى مَهْدِي وداري حَذْرِي
 صُغْتُ من فَرَحَةِ نَفْسِي أَمَلًا أن يَرى قَبْلَ سِوَاهِ ثَمَرِي
 فَهُوَ مِنِّي الأَبَ والأُمَ معًا يا لَأُمٍّ شَفِيتَ بالوَطَرِ
 لَمْ أَكُنْ فَرَحَتِها في صِغَرِي لَمْ أَقْبَلْ يَدَها في كِبَرِي
 وتَحامَلْتُ أوَارِي ذِكْرَها بالذي شَعَّعَ كَأْسَ العُمَرِ
 بِالَّذِي قَلْبِي اغْتَدَى من عَظِفِهِ وفَمِي اترَعَهُ بالدُرَرِ
 بِالَّذِي ساءَ لُتُّهُ عن إِسْمِها فأَضاءَتْ دَمْعَةً في المَحْجَرِ
 ثُمَّ فَرَّتْ تَتَوَارَى في دُجَى ضَارِبٍ في لُجَّةِ المُعْتَكِرِ

تَهْدِي وَمَضَّةً شَارِدَةً تَحْدِي غَمَمَاتِ الْقَدَرِ

مِثْلَ مَنْ أَشْرَقَ فِي مَعْلُومِهِ وَضَحَ الْمَجْهُولِ رِثٌ أَغْبَرُ

غَائِمٌ يَلْهَثُ كَالْمُسْتَغْفِرِ وَاجِمٌ فِي حِيرَةِ الْمُنْكَسِرِ

كَالَّذِي يَرْتَضِي لِحَالِي جَاحِدًا أَنْ لِي أُمًّا فَيَا لِلنُّكْرِ

قُلْتُ : يَا لِلنُّكْرِ حَقًّا إِنَّهَا رَغَمٌ مَا تُخْفِيهِ إِخْدِي الْكُبْرُ

جَحَدُهَا جَحَدَ أَبِي يَا لَيْتَنِي قَدْ طَوَيْتَ الْعَمْرَ تَحْتَ الْحُفْرِ

وَعَلَى رَأْسِي كَأَنِّي غَارِقٌ فِي دَمٍ أَوْ قَادِمٍ مِنْ سَفَرِ

وَبَدَا ظِلُّ حَيَاتِي كَالِحًا رَاقِصًا فِي هَيْكَلِ الْمُخْتَضِرِ

وَتَصَوَّرْتُ أَبِي أَيْنَ أَبِي حِينَما يَشْنِي عِنَانُ الْخَطَرِ

فِي حَنَانٍ غَاضِبٍ فِي ثَوْرَةٍ مِثْلَ زَحْمِ الرَّعْدِ قَبْلَ الْمَطَرِ

وَتَبَيَّنْتُ الَّذِي قَدْ كَتَمْتُ تِلْكَمُوهَ الدَّمْعَةِ لَمْ تَنْحَلِرِ

إِنِّي مِنْهُ غَرِيبٌ طَارِيءٌ فَاقْدِ الرَّحْمَةَ هَشُّ الْمَكْسَرِ

قَدْ تَبَنَّنَانِي لِسِتْرِ جَابِرِ آهِ لِلْكَسْرِ الَّذِي لَمْ يُجْبِرِ

إِنَّهُ الْجُرْحُ الَّذِي أَلْعَقَهُ كُلَّمَا امْتَدَّ لِحْيٌ بَصْرِي

وَاسْتَحَالَ الْعَطْفُ ذَنْبًا كَاوِيَا لَوْ دَنَا مِنْ أَخْذَعِيهِ خَنْجَرِي

لَيْتَنِي خَلَى حَيَاتِي هَمَلًا أَوْ (لَقَا) يَعْرِفُ سِرَّ الْخَبِيرِ
 وَاضِعًا نَفْسِي فِي مَوْضِعِهَا غَيْرِ ذِي إِرْبٍ وَلَا مُنْتَظَرِ
 هِيَ فِي حُلٍّ فَلَا تَرَدُّعُهَا نِسْبَةً تَزْهَوُ بِمَعْنَى نِيرِ
 إِنْ لِلشَّيْطَانِ نَبْتًا صَاحِبِيًّا طَلَعَهُ مِثْلَ رُؤُوسِ الْغَجْرِ
 فَإِذَا الْأَشْجَارُ لَمْ تَرْضَ بِهِ فَهُوَ لَا يَغْدُمُ سَمْتَ الشَّجَرِ
 إِنَّهُ الْوَاقِعَ أَقْوَى حُجَّةً مِنْ خَفِيٍّ بَارِزٍ فِي الصُّورِ
 إِنْ ذَاكَ النَّبْتُ خَيْرٌ مَظْهَرًا مِنْ ظِلَالِ كَاذِبَاتِ الْمَخْبَرِ

(٢)

إِنِّي الْيَوْمَ وَقَدْ طَالَ الْخَنَا صُورَةً فِي غَرَضٍ مُحْتَقَرِ
 صَنَعْتُهُ غَفْوَةً آثِمَةً إِنَّهَا الْجُرْمُ الْعَقِيمُ الْمُصْدِرِ
 دَنَسُ الْمِثْرُزِ فِي الْجَانِي الَّذِي وَلَدَ الْغَافِلَ عَفَّ الْمِثْرَ
 أَلْبَسَ الْعَارَ بَرِيئًا وَمَضَى يَنْزِعَ اللَّيْلَ بِوَجْهِهِ أَضْفَرِ
 أَيْنَ سِرُّ الدَّمِ فِي الْقَلْبِ الَّذِي لَطَّخَ الْأَعْرَاقَ فِي الْمُسْتَهْتَرِ
 الْجَبَانَ الْقَدَمَ مَوْبُوءَ الْحَشَا إِنَّهُ مِثْلِي هَجِينُ الْمَحْدَرِ

مِثْلَمَا قَدْ عَافَنِي فِي خِصَّةٍ سَوْفَ لَا أَرْضَى بِهِ فِي الْمَحْشَرِ
إِنِّي أَعْدَى عِدَاهِ جَهْرَةً لَسْتُ عَمَّا قُلْتُ بِالْمَعْتَذِرِ

* * *

(٣)

فَلْنَدْعُهُ . . . أَيْنَ أُمِّي يَا تَرَى كَيْفَ تَحْيَا فِي اللَّطَى الْمُسْتَعِرِ
أَيْنَ قَلْبٌ لَمَحْتَنِي عَيْنُهُ كَيْفَ لَمْ يَنْشَقْ أَوْ يَنْفَطِرِ
أَنْتَ يَا أُمِّي أَصْلَ النَّسَبِ أَنَا مِنْهُ مِثْلُ نَفْحِ الزَّهْرِ
إِنْ يَكُنْ قَلْبُ أَبِي مِنْ حَجَرٍ لَنْ تَكُونِي أَبَدًا مِنْ حَجَرِ
أَنْتِ ضَعْفٌ لِبِسْتِهِ قُوَّةٌ لَيْسَ عُهْرًا غَيْرَ عَهْرِ الْمَبْصَرِ
الْقَوِي الْأَيْدِ خَطَافُ النَّهْيِ صَانِعُ الْفُحْشِ صَنِيعُ الْعَبْقَرِيِّ
يُرْسِلُ النَّظْرَةَ قَدْ وَشَى بِهَا حُلْمًا قَدْ صَاغَهُ مِنْ غَرَرِ
رُبَّ زُورٍ نَسَجْتَهُ حُلَّةٌ قَدْ طَوَتْ أَقْبَحَ مَعْنَى قَدْرِ
لَسْتُ يَا أُمَاهُ شَرًّا فَا بَرُزِي رَصْدًا لِلْهَارِبِ الْمُسْتَرِ
أَنْتِ فِي هَمٍّ لَذُلٍّ وَاحِدٌ وَهُمُومِي فِيكَ فَوْقَ الْكُثْرِ
وَخِيَالِي عَاقِرٌ مُنْسَرِحٌ رَسْمُهُ أَنْتَ بَدِيعُ الْمَنْظَرِ

واثقُ أنك مثلي حيرة وهوى حرّ الأسى لم يُكدر
 أينما أقسى عذابا فاشك لي إن بثّ الشكوى غيرَ الحَصِرِ
 ربّما تدرين حالي ربما تعرّفيني بالسّمات الأخر
 وأنا وخدي الذي لا اجتلي غير معنّاك بلحظ الفكرِ
 وعزّائي أنما في النّسبة الكبرى عيالُ الله بين البشرِ
 ما خلا مِنّا زمان الوبر ما خلا منا زمان المَدَرِ
 قد حملنا الوزرَ لا فاض على غيرنا منه نثار الشرِّ
 فاسمعي يا أمّ أنى كنتِ من قلبي الصّاحي؟ حديث العبرِ
 ليس للأخلاق وزنٌ في الدّنا إنه المعروفُ مثل المنكرِ
 فانظريني لو رمى المجد على كتفي الواهي شفيف الحبرِ
 لرأيتِ الناس أفواجًا على عتباتي زمرًا في زمرِ
 وأشاعوا أننى نسلُ العلا لوذعيّ مخولٌ من مضرِ
 وأداعوا أن لي بالمصطفى نسبًا في أمّهات السّيرِ
 وسقوني ثم غنّوا طربًا ثمّ خصّصوني بورد الكوثرِ
 وراؤني طائرا فوق السّما وتناسوا سقطة المنحدرِ

قَدْ تَذَكَّرْتُ زِيَادًا فِي الْوَعَى وَهُوَ مَنْ قَدْ جَحَدُوا فِي الصَّغَرِ
 حِينَ ادْنَتْهُ إِلَيْهِمْ كُرْبَةً فَمَحَتْ عَنْهُ ظَلَامَ الْأَعْصَرِ
 بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهِمْ سَبَةٌ قَدْ غَدَى مَفْخَرَةً الْمُفْتَخِرِ
 إِنْ حُبِّي لَكَ لَمْ تَذْهَبْ بِهِ رَجَفَةَ الْأَعْصَارِ لَمْ يَنْحَسِرِ
 صَانَ عَقْلِي مِنْ شُرُورِ فَنَاءٍ لَكَ أَحْيَا لَسْتُ بِالْمُنْتَحِرِ
 قَدْ تَحَدَيْتُ قُوَى الظُّلْمِ فَلَمْ أَنْهَزِمِ يَا أُمُّ لَمْ أَنْدَحِرِ
 وَرَضِيتُ اللَّهَ حَسْبِي أَنَّنِي عَبْدُهُ بَيْنَ عِدَادِ الْبَشَرِ
 فَإِذَا مَا قِيلَ مِنْ أَنْتَ أَقْلُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ هَلْ مِنْ مُنْكَرِ
 فَابْسِمِي لِي شَجْعِيْنِي وَاهْتِفِي إِنَّهُ ابْنِي بَعِيدَ النَّظَرِ
 بِالْأَغَارِيدِ الْوُضِيئَاتِ الصَّدَا أَتَحَرَّكَ وَقَلْبِي وَتَسْرِي
 وَاقْبَلِي مِنِّي ضَرَاعَاتِ الْهَوَى وَاطْهَرِي يَا أُمِّي هَيَّا فَاظْهَرِي

مهدة إلى الفيلسوف المهادر "البحر"

أَلْقَاكَ فِي الشُّطِّ أَمْ أَلْقَاكَ فِي الْمَاءِ عَلَى جَنَاحِ خِيَالٍ مَائِلٍ نَائِي
وَأَسْتَحِمُّ مِنَ الْأَضْوَاءِ سَابِحَةً فِي الْعِطْرِ تَمْزِجُ أَشْدَاءً بِأُنْدَاءِ
وَأَسْتَرِيحُ كَأَنِّي فِي جَوَانِحِهَا أُعَانِقُ الْبَدْرَ بَيْنَ الْعُشْبِ وَالْمَاءِ
فَهَلْ تَعُودُ حَيَاتِي بَعْدَ مَا اخْتَلَجْتَ تَرِفُ كَالطَّيْرِ فِي صُبْحٍ وَإِمْسَاءِ
وَأَسْتَضْحِكُ الْبَحْرَ فِي أَعْمَاقِهِ عَجَبًا مِنْ شَاعِرٍ ظَامِيٍّ فِي الْيَمِّ مَشَاءِ
إِذَا تَرَاقَصَتِ الْأَمْوَاجُ ظَنًّا بِهَا سُوءًا وَمَا رَقَصَتْ فِيهِ لِإِغْرَاءِ
وَخَالَهَا ثَوْرَةَ الْعَذَّالِ مَائِجَةً تَرْنُوا إِلَيْهِ فَتَرْمِي الدَّاءَ بِالدَّاءِ
وَمَا دَرَى أَنَّهَا الْأَشْوَاقُ هَائِجَةً تَرَاكَضَتْ عَاصِفَاتٍ بِالسُّوَيْدَاءِ
فَضَّاحَةً لِقُلُوبٍ طَالَمَا اعْتَصَرَتْ آلَامَهَا فَاطْمَأْنَنْتْ بَعْدَ إَعْيَاءِ
كَأَنَّمَا الْأَمَلُ النَّشْوَانُ فِي يَدِهَا يَصِيحُ . كَأْسِي وَأَلْحَانِي وَصَهْبَانِي
وَأَنْتَ يَا بَحْرُ كَمْ تَغْفُو عَلَى سِنَةٍ مَكَارَةً تَقْذِفُ الْمَرِيئِيَّ بِالرَّائِي
وَمَا سَمِعْتُ الْمَدَى الْمُطْوِيَّ تَلْمَحُهُ لَمَحَ الطُّيُوفِ عَلَى وَهْنٍ وَإِبْطَاءِ

تَلَمَّسُوكَ هَوًى رَقَّتْ مَسَاجِيه
وَأَوْدَعُوكَ خَفِيًّا مِنْ سَرَائِرِهِمْ
وَلِلْأَجَبَةِ فِي شَطِّيكِ زَمَزَمَةٌ
وَلِلْأَغَارِيدِ فِي الْأَسْحَارِ هَيْئَةٌ
وَفِي شُعُورِ الْغَوَانِي لِلصُّبَا عَبَثٌ
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَا دَرَيْنَ بِهِ
وَكُلَّ صَدَاحَةٍ فِي الْأَيْكَ رَوَّعَهَا
وَذَاتُ دَلٍّ مَلُولٌ حَطَّمْتُ أَمَلًا
وَعَادَةً فِي رُبْعِ الْعُمُرِ بِاسِمَةٍ
أَلْفَتَ إِلَيْكَ وَلَمَّا تَجَنَّ غَيْرَ هَوًى
وَبَائِسَ عَضَّهُ بَعْدَ الثَّرَاءِ أَذَى
وَأَفَاكَ يَلْفِظُ مِنْ أَنْفَاسِهِ رَمَقًا
وَسَائِرِينَ عَلَى الْأَثْبَاجِ مَآخِرَةً
قَدْ خَضَّبُوا بِالْدَّمِ الْقَانِي وَرَجَفَتِهِ
وَخَضَّخُوا فِي مَجَالِ الرُّغْبِ مَا صَنَعَتْ
فَوْقَ الرَّمَالِ عَلَى صَحْرِ وَإِغْفَاءٍ
فَخَادَعُوا عَيْنَ نَمَامٍ وَوَشَاءٍ
تَنَاوَحَتْ عِبْرَ إِذْنَاءٍ وَإِقْصَاءٍ
عَلَى ثُغُورِ النَّدَامَى وَالْأَحْبَاءِ
مُرْفَرَّقٍ مِنْ شُعُورِ الْحَاءِ وَالْبَاءِ
وَكُلُّ ذِي عَبَثٍ عَادٍ وَهَزَاءٍ ..
غَدَرَ اللَّدَاتِ وَتَنَكَّلَ الْأَلْدَاءِ
فِي مُدْنِفٍ دُونَهُ أَعْلَى الْأَشْقَاءِ
فَرَّتْ إِلَيْكَ بِآثَامٍ وَأَقْدَاءِ
بِنَفْسِهَا فِي لَظَى كَالْحُسْنِ دَعَاءِ
مِنْ شَامِتٍ وَعَقُوقٍ مِنْ أَخِلَاءِ
يُصَافِحُ الْمَوْتَ فِي ذُلِّ الْأَعْرَاءِ
فِيكَ الْعُبَابُ بِأَمْوَاتٍ وَأَحْيَاءِ
صَفَاءُكَ الْحُلُو فِي هَوْلِ وَاضْمَاءِ
قَسَاوَةُ الْعِلْمِ فِي عُنْفِ الْأَلْبَاءِ

وَرَوَّعُوا فِي طَبَاقِ الْبَحْرِ آمَنَةً
 وَأَنْتَ أَنْتَ لَعَمْرِي كَيْفَ مَا اخْتَلَفْتُ
 مِنْ الْعَوَالِمِ أَثَغْتُ ثَغْوَةَ الشَّاءِ
 عَلَيْكَ يَا بَحْرُ أَشْيَاءَ بِأَشْيَاءَ
 تَفَلَّسِفَ الرَّجْفَةَ الْكَبْرِيَّ بِقَهْقَهةِ
 تَبَعَثْتَ بَيْنَ إِزْبَادٍ وَإِرْغَاءِ
 وَتَعَبَرِ الزَّمَنَ الْغَافِي إِلَى زَمَنٍ
 صَاحٍ بِبَهْجَةٍ مِعْرَاجٍ وَإِسْرَاءِ
 وَمَنْ يَثُرُ لِلْمَعَانِي دُونَ هَيْكَلِهَا
 يَا بَحْرُ يَشْقُ بِضَلَالٍ وَهَدَاءِ

* * *

وَضَاقَ آذِيكَ الْعَاتِي فَأَرْسَلَهَا
 تَقُولُ قَوْلَتِكَ الشَّعْوَاءَ بِاسِمَةِ
 مَلَمُومَةٍ بَيْنَ إِخْفَاءٍ وَإِبْدَاءِ
 أَنَّنِي تَضْيِيقُ الدُّنَا فِي عُمُقِ أَحْشَائِي
 الْعَائِثُونَ عَلَى فَيْضِي وَمُنْتَجَعِي
 وَالْهَالِكُونَ طَعَامَ لِلْأَجْنَاءِ
 فَمَا أَسِفْتُ لِرَوْاحٍ عَلَى ثِقَةٍ
 الْهَابِطُونَ عَلَى مَانِي وَأَجْنَحَتِي
 وَلَا فَرِحْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَدَاءِ
 وَالصَّاعِدُونَ عَلَى أَفْقِي وَإِمْدَائِي
 إِنْ يَضْحَبُوا بَيْنَ آفَاقِ السَّمَاءِ ضُحَى
 قَلْتُ السَّمَاءُ عَلَيْهَا طَعْمُ أَنْسَوَانِي
 وَلَسْتُ أَحْمِلُ عَنْهُمْ عِبْتَهُمْ أَبَدًا
 وَلَوْ هُمُ حَمَلُوا بِالْوَهْمِ أَعْبَائِي
 تَذُوبُ فِي اللَّجِّ أَطْوَادُ وَالْوَيْةِ
 عَلَى الْحُرُوبِ وَفَوْقَ الدَّهْرِ إِفْنَائِي

* * *

غَالَطْتَ يَا بَحْرَ هَذَا الْكَوْنِ فَاسْتَبَقُوا إِلَى صِفَاتِكَ مِنْ دَانٍ وَمِنْ نَائِي
قَالُوا عَظِيمُ كَعْمَقِ الْبَحْرِ مُنْبَسِطٌ كَوَجْهِهِ بَيْنَ إِشْعَاعٍ وَلَا أُلْأِ
فَتَاهَ كُلُّ عَظِيمٍ فِي مَطَارِفِهِ وَالتَّفَّ فِي ثُوبِ ذَكَارٍ وَنَسَاءِ
وَكُلَّ مَا انْفَرَجَتْ دُنْيَاهُ وَاتَّسَعَتْ قَالَ الدُّنَا طَوْعَ آرَابِي وَأَهْوَائِي
وَإِنْ تَشَاجَرَتِ الْآرَاءُ وَارْتَطَمَتْ لَدَيْهِ حَطَّمُ آرَاءٍ بِآرَاءِ
مَا دُمْتُ قَدْ جُزْتُ آفَاقَ الْمَدَى قُدُمًا لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحِبَّائِي وَأَعْدَائِي

* * *

الفرحة الكبرى

هي الفرحة الكبرى وقتنا وعودها
 وأجمل بها أمنيّة عبقريّة
 تعالٰى هتافُ العُرب بالدين داويا
 تُمثلهم فيها المعانى كريمة
 وما هي إلا أمة وحدّ الهوي
 ولقت عروق المجد عرفا لصنوه
 فإن أبرقت باليمن وطفاء شرة
 وإن سرها عيد الجلوس لضيغم
 أجل بان ذاك الفخل أصلا ومختدا
 فخذها فما كان العظيم لغيرها
 بلونا من العُرب الكرام شمائلًا
 تُخصّضها الجلى فيعلو صراحها
 تطلّعت الدنيا إليك مُطلّة
 تُحييك باسم الدين أغليت شأنه
 فأجمل بها أن يبدؤ اليوم عيدها
 تداننى على رغم الزمان بعيدها
 ورجع الصدي أعماقها وكبودها
 وتخفق بالبشري عليهم بنودها
 هواها وصاحت فى ثراها جلودها
 فعزت ولم يُعجم لحاها وعودها
 وإن نورت بطحاءها ونجودها
 فبالوحدة الكبرى يتم سعادها
 إليك الأمانى مُثقلات نقودها
 وقلها تشر تحت العجاج أسودها
 إذا انطلقت أوفى على الجودجودها
 وبغضاؤها تبلى وتغنى حقودها
 قلوبًا ومن خلف القلوب جنودها
 وباسم الغواي مثلها بل تزيدها

اغدير

بَلَعَتْ مَدَاهَا الْحَادِثَاتُ حِيَالَهَا
 أَلْحَظُهُ دَارَتْ عَلَى لَحْظَاتِهِ
 وَتَصَامَمَتْ عَنْ رِيثِهِ وَأَنَاتِهِ
 صَالَتْ مَصَالًا دُونَ شَمَخَتِهِ الذُّرَى
 جَالَتْ مَجَالِ اللَّمَحِ فِي خَطَرَاتِهِ
 حَتَّى ذُكَاؤُ مَحَا الْبَلَاءِ شُعَاعَهَا
 لَمْ تَبْقَ آمَالٌ تُهْدِدُ حَالَهَا
 لُطْفٌ أَغَارَ عَلَى الْمُغِيرِ فَلَمْ يَدَعِ
 غَالِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فَلَا تَرَى
 كَلًّا وَلَا أُمَّ تَقْطَعُ قَلْبُهَا
 الذَّاهِبُونَ مَضَوْا ضَحِيَّةَ نَقْمَةٍ
 وَالسَّالِمُونَ مِنَ الْخَلَائِقِ إِنَّهُمْ
 كَمْ تَخْبَى الْأَقْدَارُ مِنْ أَهْوَالِهَا
 أَمْدٌ يَطُولُ فَيَسْتَرِيحُ لِطُولِهِ
 وَجَلَّالَهَا الرَّزُّ الْمُرِيْعُ جَلَّالَهَا
 عَجَلَى تُذِيبُ بِطَاءَهَا وَعِجَالَهَا
 كَيْ لَا تُزْعِرَ بِالْمُحَالِ مُحَالَهَا
 فَاسْتَنْزَلَتْ عُصَمَ الْفَلَا وَجِبَالَهَا
 فَاسْتَعْجَلَتْ أَعْمَارُهَا آجَالَهَا
 وَمَحَتْ بُكُورُ حَيَاتِهَا آصَالَهَا
 لَمْ تَبْقَ أَفْكَارٌ تَجُولُ مَجَالَهَا
 نُعْمَى تَجُرُ وَرَاءَهُ أَذْيَالَهَا
 ثَكَلَى تُشِيعُ بِالْبِكَاءِ رِجَالَهَا
 حُزْنَا يُلَاحِقُ دَمْعُهَا أَطْفَالَهَا
 قَدْ حَمَلُوا مِنْ دُونِهِمْ أَحْمَالَهَا
 «أَطْلَالُهَا»^(١) فَلْيَنْدُبُوا أَطْلَالَهَا
 حَتَّى تَلْمَلِمَ جُهِدَهَا أَهْوَالَهَا
 شَرُّهُ النِّفُوسُ فَلَا يَجُلُّ عِقَالَهَا

(١) أى بقاياها .

وَيَزِيدُهَا الْأَمَلُ الطَّوِيلَ ضَرَاوَةً
 حَتَّى اسْتَرَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَأَيَقَنْتَ
 الشَّرَّ لِلْأَشْرَارِ مَدَّ جِبَالَهُ
 وَالطَّيِّبُونَ الْمُبْتَلُونَ حَصَادُهُمْ
 يَمْضَى الْكِرَامُ لَهَا خِيفًا مِثْلَمَا
 وَتَسُوخُ أَقْدَامُ الشَّقَاءِ بِخَيْلِهَا
 تَهْوِي لِتَقْتُلَعَ الْجُدُورُ رَوَاسِخًا
 ذَهَبَتْ « أَغَادِيرُ » الْجَمِيلَةِ ضَحْوَةً
 وَالسَّابِحَاتِ الْفَاتِنَاتِ تَجَاذَبَتْ
 تَطْفُو وَتَرْسُبُ تَسْتَمِدُّ فُتُونَهَا
 عَشْنُ الْحَيَاةِ غَضَارَةٌ وَنَضَارَةٌ
 وَيَلَاهُ تِلْكَ فَجِيعَةٌ مُوصُولَةٌ
 وَلِدَاتُهَا عَبْرُ الشَّوَاطِئِ فِي الدُّنَا
 وَالتَّائِرُونَ عَلَى الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
 وَالْقَاطِعُونَ رَحَامَهُ وَالْآكِلُونَ
 هَلْ يَأْمَنُونَ الشَّرَّ فِي أَوْطَانِهِمْ
 يَا رَبُّ أَنْتَ لَهَا وَكُلُّ عَظِيمَةٍ
 وَقَسَاوَةٌ قَدْ أَحْكَمْتَ إِقْفَالَهَا
 عَجَزَ السَّمَاءُ فَمَنْ يُغَيِّرُ حَالَهَا
 كَالْفَاجِعَاتِ لَهُمْ تَمُدُّ جِبَالَهَا
 فِتْنٌ تَزَلْزَلُ فَوْقَهُمْ زِلْزَالُهَا
 يُبْقَى الرَّدَى أَنْفَالُهَا وَعِقَالُهَا
 وَبِرَجْلِهَا فِي زَحْمَةٍ تَسْعَى لَهَا
 عَبْرًا تُنَاشِدُ بَعْدَهَا أَجْيَالُهَا
 غَالِ الرَّدَى شُطَّانُهَا وَرِمَالُهَا
 أَحْلَامُهَا وَاسْتَنْفَرَتْ آمَالُهَا
 عَزْمًا يَنَاهِضُ سِحْرَهَا وَدَلَالُهَا
 يَنْسِجُنْ مِنْ ظِلِّ الْجُفُونِ ظِلَالُهَا
 تَبْكِي صَوَاحِبَهَا وَتَحْرِقُ آلُهَا
 يَرْقُبُنْ فِي خَطْوِ الزَّمَانِ مَالُهَا
 وَالْغَاصِبُونَ عَرَاضُهَا وَطَوَالُهَا
 حَرَامُهَا وَالْعَائِفُونَ حَلَالُهَا
 هَلْ يَأْمَنُونَ زَوَالَهُمْ وَزَوَالُهَا
 فَاقْهَرِ عِدَاكَ فَلَا تَنَالِ مَنَالُهَا

خاطرة الولاء

فى عرض مساجلة شعرية مع أديب مصري من وفود بيت الله
الحرام المملوئين ولاءً صادقاً لإصلاحات الدولة فى الحجاز عام ٥٦ .

خُذْ تَحَايَا الْحِجَازِ يَا صِنُو مِصْرٍ مِنْ مُعْنَى بَادِي الضَّنَا وَالسَّقَامِ

خُذْ حَنِيناً قَدْ فَاضَ شِعْراً وَحُبّاً هَاجَ فِي النَفْسِ ذِكْرِيَاتِ الْغَرَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ لَا يُرْفَرُ إِلَّا عَنْ حَنِينٍ لِسَالِفِ الْأَيَّامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ لَا يُرِيدُ سِوَى الرَّوِّ ضٍ بِهِجْجاً وَمَرْتَعِ الْآرَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ يَرْتَجِي الْمَرْتَعِ الْخَ ضَبَ لِتَرْدِيدِ طَيْبِ الْأَنْغَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ مِلْؤُهُ ذِكْرِيَاتِ بَيْنَ يَقْظَاتِهِ وَبَيْنِ الْمَنَامِ

حِينَ يَبْدُو السَّرْبُ الْمُجِدُّ طَلِيقاً وَاسِعَ الْخَطْوِ نَافِذاً كَالسَّهَامِ

لَا قُيُودَ لَا أَسْرَ ثَمَّةَ تَضْفُو لِي حَيَاتِي وَتَمَحِّيَ آلَامِي

أَنَا كَالطَّيْرِ فِي انْطِلَاقِ لِسَانِي عَنْ شُعُورٍ مُثَلِّ لِمَرَامِي

ما ابتِسامُ الحياةَ غيرَ سُرورٍ مثلَ فَجْرِ يَغْزُو جُيُوشَ ظَلامٍ
 وهَنائِي كُلَّ الهَنَاءِ بِلادي إِذْ أَرَاها جَدِيرَةً بِاحْتِرَامٍ
 فَيَلادي رُوحِي وروحِي بِلادي ليسَ بِدَعَا إِذَا انْتَضَيْتِ حُسامِي
 في هَواها عِشْتُ عِشْتُ سَعِيداً أَوْ تَفَانَيْتِ فَالحياةَ أَمَامِي
 هِيَ لِي بِسْمَةِ عَلَى الثَّغْرِ تَبْدُو أَيُّ ثَغْرٍ يَحِلُّو بِغَيْرِ ابْتِسَامٍ
 لَهَبُ الشَّوْقِ أَذْهَبَتْهُ سُوَيْعاً تُحْسانَ مَرُورُها كَالسَّهَامِ
 قَدْ تَرَأَتْ لَهَا الْأَمَانِي سِرَاعاً بِاسِمَاتِ فَصَدَّقَتْ أَخْلَامِي
 فَتَقَبَّلْ أَنْفَاسَ قُطْرِ مَجِيدٍ هِيَ رَمَزُ الْمُتَى وَرَمَزُ السَّلَامِ
 وَتَذَكَّرْ بِدارِ « طه » صَدِيقاً وَافِرَ الشَّوْقِ عَنِ شَبَابِ ظَامِي

• • •

طرفة

فى مجلس الشورى . بالمجلس على ظهر جدول الأعمال - بين
شاعرين . شاعرنا والشيخ إبراهيم الغزاوي .

قال الشاعر ضياء الدين :

الطيب الساسى يُناغى الرئيس ونحن فى الجلسة رُحْنَا فِطِيش
لم يشْعروا بِوقوف الهوى من دُون تَكْيِيفٍ ودون الفُلُوس

* * *

ورد الشاعر الغزاوي :

رُوَيْدَكَ لا بدع أن يُذمَّلا وقرعُ الأدلة حامي الوطيش
فأما الهواء وأما اللهى فمَوَعِد ذلك يومُ الخميس

* * *

يوم الاحتفال

تكریم مؤسی جريدة المدينة المنورة
الأديبين السيد علي والسيد عثمان حافظ عام ١٣٥٦هـ

ياصفوة الشعب بل ياصفوة الأمم	في بقعة هي مثنوى الجود والكرم
ويا أميراً غداً إكليل نهضتها	يحكي نضارتها في الأعصر القدم
واسيتها وعطفت اليوم فابتهجت	وهللت بيننا خفاقة العلم
عاش المليك فمن أبهى صنائعه	هذا الأمير مثال الفضل والنعم
عاش المليك الذي عزت به مضر	من بعد رقدتها في «هوة» العدم
رأته قائدها في كل مكرمة	فتابعته وجازت نهضة الأمم
وبعد : فهذا فتى يزجي عواطفه	فرائد انتظمت عقداً من الكلم
قال الصّحاب تقدّم خير آونة	وافتك فاضرب على نهج من النعم
وشنف السمع وأرسلها موججة	إن الشباب إلى هذا المقام ظمي
فقلت مرّحي بأبنساء عطارفة	وقلت مرّحي بأسد الغاب والأجم

وكيف أغصى لكم أمراً وفي خلدي
ونحن إن لم نكن أبطالاً معركة
فكيف يجمعنا شمل وينظّمنا
وما التواني سيوي جُبْن ومنقصة
وصاحب المجد دأب لمطلبه
هذي حياة نحيتها على أمل
وذا مجال رحيب قام ينشدنا
فإن تضاfer فتیان البلاد على
وباركوا نهضات العلم واقتبسوا
وحبّدوا ساعياً من أجل نصرتيه
وكرموا نابهاً من أجل ما صنعت
وفي غدٍ أثر يَبْدُو لصاحبه
وفي غدٍ «صفحة» يزهو بطلعتها
نريدها أدباً نضراً يعزُّ به
ونرتجيبها رسولا للثقافة في
نريدها منبراً يغلوهُ كلُّ فتى
نريدها صورةً للشعب صادقة
ولا نريد غُثاء القول تقذِفه

عواصِفُ بين مُهْتَاجٍ ومضطّرم
وأسدّ غاب إذا وقد الوطيس حَمِي
عقد ونفخر بالقُرْبَى وبالرحم
وما ذُووه سيوي ضرب من البهم
وأمة المجد لم تهدأ ولم تنم
في أن نودّع عهد النّوم والسّام
تضامناً لنفي بالعهد والذّم
ما يرتجون بحد الصّارم الخبم
من نهضة الشعب في الديجور والظلم
وآزروا مُخلِصاً للدين والحرم
يَمِينُهُ فهُمُوا العُنوان لِلشّيم
يرنُّ منه الصّدى في الهُضْب والأكم
سُكّان «وادي النقا» والضّال والسّلم
أبناء (يعرب) والفيحاء والحرم
بنى العروبة من بغداد للهزم
يقطّ المَدَارِك شَهْمٌ غير مُنْهَرَم
تُقاسِمُ الشعب في نُعمى وفي آلم
على البلاد ولا لَحْماً على وَصَم

ونحن لا شكَّ في أولى مراحلنا
 إن لم تُؤسَّس على أسمى المبادئ في
 وتستمدُّ من الدين الحنيف سنًا
 وتستقي من معين الفضل في (ملك)
 وتستفيد من الأخلاق « أحسنها »
 وإننا في بلاد لا يؤائمهـا
 ونحن في بلد فيه الرسول ثوى
 لا تُشعر اليومَ فينا نهضة القلم
 هذي البلاد أتت بالويل والنقم
 يضيء نهج الهدى للخلق والأمم
 فاق الممالك في حلم وفي كرم
 وتستنير بخير الآي والنظم
 هتك الفضيلة والأخلاق والحرم
 أكرم به من رسول صفوة الأمم

يا فيصل

يا « فيصلاً » للحق يجلو غيبها
 هتفت بذكراك الشعوب وكلها
 أما الحجاز فقد كسوت ربوعه
 وأثرت للنشء الحديث طريقة
 وغلدت رائداهم فشعشع بينهم
 مثلت في البلد الأمين شمانلاً
 برهنت أن لذي الجزيرة مرتعاً
 هذا لسان « صحيفة » عربية
 « بالرأي » آونة « وبالقرضاب »
 أمل يغيبض بفائق الإعجاب
 بفضيلة تزهو مدى الأحقاب
 بمراد تحكى الزلال عذاب
 قبس الرجاء يضيء للأعقاب
 فواحة بالفضل والآداب
 خضبا يجود بصالح الأنجاب
 برزت بفضل العاهل الغلاب

فلسطين

عام ١٣٥٧ هجرية

فَلَسْطِينُ إِنِ الْخُطْبَ يَبْدُو مُجَسِّمًا ولكنه بالصبر والعزم يَضْغُرُ
فَلَسْطِينُ إِنِ الدِّينَ خَضِبَ وَإِنَّمَا بَنُوهُ بِسَقَى الْغُرْسِ أُولَى وَأَجْدَرُ
وَأَنْ مَادَاهَانَا الْيَوْمَ رُزْءُ مُرْوَعٍ أَصَابَ الْأَمَانَى وَهِيَ بِيضَاءُ تَزْخَرُ
وَجَرَّدَ فِينَا السَّيْفَ صَلْتًا مُخَضَّبًا عِصَابَةُ بَغْيٍ بِالْحَقِيقَةِ تَكْفُرُ
وَرَامُوا بِنَاكِدًا لِتَوْهِينِ أُمَّةٍ تَقَدَّسَ فِيهَا اللَّهُ يُدْعَى وَيُذَكَّرُ
فَإِنَّا لِنَضُرَّ اللَّهُ رَاجُونَ خُشْعًا وَمَنْ رَامَ نَضَرَ اللَّهُ لَا شَكَّ يُنْصَرُ
وَإِنْ دِمَاءٌ أَهْرَقَتْ فِي سَبِيلِهِ دِمَاءٌ بِهَا الْإِسْلَامُ يَزْهُو وَيَفْخَرُ
فَلَسْطِينُ إِنِ الدِّينَ جِسْمٌ إِذَا اشْتَكَى لَهُ عُطُوٌّ بِشُكُو الْجَمِيعِ وَيَضْجَرُ
وَذِي لُغَةُ الْقَلْبِ الْحَزِينِ تَصَعَّدَتْ تُتَرْجَمُ عَمَّا بِالْحَشَا وَتُعْبَرُ
فَلَسْطِينُ إِنِ الشَّرْقَ رِبْعَتِ حُدُودِهِ وَجَلْجَلَ صَوْتَ لِلْجِهَادِ يُزْمَجِرُ
لِيُسْمِعَ أَنْ الدِّينَ حَى وَلَمْ تَزَلْ دِمَاءٌ بَيْنِهِ إِثْرُهُ تَتَحَدَّرُ

وَأَنَّ تَمَائِيلَ السِّيَاسَةِ خُلِبَ لَعَمْرِي أَوْهَى مَا يُرَاد وَأَخْفَر
وليس لنا من بعدِ حَيْفٍ وَذِلَّةٍ وَتَجَزُّةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تُحِيرُ
سِوَى مَوْقِفٍ صَعْبٍ جَسُورٍ مُشْرِفٍ فَإِنْ مُصَابِ الشَّرِّ بِالشَّرِّ يُبْتَرُ
وَمَا ذَلٌّ مِنْ يَرْجُو المَمَاتَ لِعِزَّةٍ تُظَلِّلُهُ فِيهَا عَجَاجٌ وَعِثِيرُ
وهذا نَشِيدُ بَيْنَ « قَبْرِ وَرُوضَةٍ » نَشِيدٌ يُزَجِّيه خَطِيبٌ وَمُنْبَرُ
فلسطينَ لَسْتُ الْيَوْمَ مَرْمًى وَغَايَةً تُهَدِّدُكَ الْأَحْدَاثُ وَالْوَيْلُ يُنْذِرُ
وَدُونَ حِمَى « عَبْدِ الْعَزِيزِ » قَسَاوِرُ إِذَا الْحَرْبُ عَنْ أَنْيَابِهَا الْيَوْمَ تَكْشُرُ
وَنَحْنُ لَعَمْرِي قِبْلَةُ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَى شِعْبِنَا الْأَقْطَارُ تَرْنُو وَتَنْظُرُ
لَقَدْ جَاهَدَ الْأَسْلَافُ قَدَمًا بِدِينِهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ الْحَقُّ يَظْهَرُ
فَلَا بُدَّ مِنْ سَخَقِ الْيَهُودِ وَوَعْدِهِمْ « لِبَلْفُورِ » وَالْأَيَّامُ تَسْطُو وَتَقْهَرُ

ذكريات

يا صديقي لك الثناء الجميل من صديق عن عهده لا يحول
 قد تقبلت باقة الزهر جبا في قصيد كانه السلسيل
 ودعاء من قلبك الحر حر وعلى الله يا صديقي القبول
 جمع الله شملنا « بدمشق » والمنى ظلها علينا ظليل
 والمعاني في « دمر » ورباها حاليات يحلو لديها المقييل
 حانيات لحسنها عاطفات والصبا كالصبا رقيق عليل
 والسنا يغمر الوجود حياة هام في حُسْنها وذاب الأصيل
 وهوى يملأ الجوارح عطرا وحيننا كانه التقييل
 والعزیز العزیز نور ونور وشذى عابق وغيث هطول
 إنها مُهَجَّتِي ونفسي وحبي مآلها في الوجود عندي مثيل
 جمع الله شملنا « بدمشق » والهناات حولنا لا تحول
 فنعب السرور علا ونهلا لا فراق لا كربة لا فضول

حَارِبْتَنِي مِنَ الزَّمَانِ صُرُوفُ أَنْتِ أَدْرَى بِهَا وَعَبْءُ ثَقِيلِ
كَمْ قَرِيبٌ مِنِّي وَلَيْسَ حَبِيبًا وَحَبِيبٌ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلِ

(٢)

وَاللِّدَاءُ إِذْ يَسْرِي عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ الْفَتَكِ وَيَلَاتُ أَمْسٌ وَأَخْطَرُ
وَمَا نَحْنُ بَيْنَ «الْأَمْرِ» إِلَّا مُرَوِّعٌ تَقَادَفُهُ غِيلٌ بِهِ الْأَسَدُ تَزَارُ
فَإِنْ رَامَهَا عَطْفًا رَمَتْهُ بِكَارِثٍ وَإِنْ رَامَ عَهْدًا فَهِيَ أَنْكَى وَأَعْدَرُ
وَلَيْسَ بِنَاجٍ دُونَ خَوْضِ غِمَارِهَا فَإِنَّ نَجَاةَ النَّفْسِ إِذْ هِيَ تَشَارُ
فِيهَا أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَالِدَاءُ مُحْدِقٌ لَقَدْ آتَى أَنْ يَبْدُو لَنَا الدِّينَ مَظْهَرُ
هُوَ «الْقُدْسُ» أَوْلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَثَالِثُ الْمَسَاجِدِ يَغْزُوهُ الْعَدُوُّ الْمُدْمَرُ
فَكَيْفَ نَقِيرُ الضَّيْمَ فِي حَقِّ وَكَيْفَ نَقِيرُ الْخَسْفَ وَالْحَقُّ أَظْهَرُ
وَإِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ يَسْطُو عَلَيْهِمْ غَشُومٌ مَرَامِيهِ تُذِيبُ وَتُصْهَرُ
وَأِنَّا عَلَى الْأَحْدَاثِ صَعْبٌ مِرَاسُنَا فَحَتَّامٌ هَذَا الذَّلُّ وَالْعِزُّ أَجْدَرُ
أَتَضْحَى دِيَارَ الدِّينِ مَثْوَى «أَذِلَّةٍ» مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ فِيهَا تُغَيَّرُ
وَمِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَتْ مَنَارَ هِدَايَةٍ تَدُقُّ نَوَاقِيسَ وَيَعْزِفُ مِزْهَرُ
وَفِينَا دِمَاءٌ تَسْتَجِيبُ لِرَبِّهَا وَتَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ وَالْمَوْتَ أَعْدَرُ
فَيَا مَلِكَ الْإِسْلَامِ يَا خَيْرَ عَاهِلٍ تُلَبِّيهِ أَصْوَاتٌ وَتُخَمِّمُهُ أَظْهَرُ

لَأَنْتَ بِيَدَيْنِ اللَّهِ أَوَّلُ نَاهِيضٍ وَأَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَرْعَى وَأَغْيَرُ
وَأَنْتَ لَدَى الْهَيْجَاءِ مُوقِدُ نَارِهَا وَأَنْتَ عَلَى دَفْعِ الْمِلِمَاتِ أَقْدَرُ
وَمِنْ حَوْلِ هَذَا «العرش» شعب وأُمَّةٌ تَعُجُّ بِتَهْلِيلٍ وَأُخْرَى تُكَبِّرُ
تُلبِّي نِدَاءَ اللَّهِ والموت غَايَةٌ إِذَا صَالَ فِي الْهَيْجَا حُسَامٌ وَأَسْمَرُ
فَخُذْهَا تُؤَدِّ الْحَقَّ لِلْحَقِّ نَفْسَهُ فَأَنْتَ بِهَذَا الْيَوْمِ أَذْرِي وَأَخْبِرُ

(٣)

غُرْبَةٌ . لَوْعَةٌ : وَحِيرَةٌ قَلْبٍ واضطرابٌ وَحُرْقَةٌ وَذُهُولٌ
آهٍ لَوْ أَبْصَرَ الصَّدِيقُ حَيَاتِي رَأَاهُ الصَّمْتُ وَالْأَسَى وَالنُّحُولُ
هِيَ مَهْمُومَةٌ بِهِمِّي عَلَى الْبُعْدِ وَقَلْبِي بِهِمَّهَا مَشْغُولٌ
وَكَلَّانَا يَرَاكَ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ وَبُشْرَاكَ فَالْتَوَى لَا يَطُولُ
نَلْتَقَى ، نَلْتَقَى وَيَغْمُرُنَا الصَّفْوُ وَيَذْنُو الرِّجَاءُ وَالْمَأْمُولُ
وَلَا وَطَانَنَا نَعِيشُ وَنَحْيَا فَهِيَ حُبٌّ بِحُبِّنَا مَوْصُولُ

* * *

« أمشاج » من جعبة المستعمرين

شَغَلُونَا بِالرَّضَا والغَضَبِ فَشَغَلْنَا : بِلِثْمٍ : وَغَيْبِي
 ذَبَذَبْتُ أَخْلَاقَهُمْ : أَخْلَقْنَا فَشَقِينَا : بِالنَّهْيِ الْمُضْطَرِبِ
 وَنَسِينَا : أَنْ فِي إِرْضَائِهِمْ غَضَبُ اللَّهِ : وَسُوءُ الْأَدَبِ
 وَنَسِينَا : أَنْ فِي إِغْضَابِهِمْ فَرَحَةُ اللَّهِ : وَإِرْضَاءُ النَّبِيِّ

قالت الذكري

قالت الذكري : تَصَوَّرَ أَنَّنِي ذَاتُهَا « تِلْكَ » الَّتِي تَذْكُرُهَا
 أَنَّنِي السَّرُّ الَّذِي أَطْوِي بِهِ صُورَ الْحَبِّ : كَمَا أَنْشُرُهَا
 أَنَّنِي رُوحُ الْهَوَى مُنْسَابَةٌ فِي طُيُوفٍ حُلُوةٍ . . تَغْمُرُهَا
 وَذُكَاءُ الْحَبِّ قَدْ (١) يَلْمَحُهَا وَ « ذُكَاءُ » الْحَبِّ قَدْ تَغْبِرُهَا
 رَبٌّ وَهُمْ بَارِقٌ يَكْسِرُهَا وَابْتِسَامٌ عَارِضٌ يَجْبِرُهَا

* * *

إِنْ تَمَثَّلْتَ الْمَنَى ضَاحِكَةً فِي لِحَاطٍ فَتَكُهَا : أَيْسَرُهَا
 أَوْ تَرَشَّقْتَ رُضَابًا مِنْ فَمٍ يَنْظُمُ الدُّنْيَا : كَمَا يَنْثُرُهَا

(١) الشمس .

أَوْ تَحَسَّسْتُ الشَّدَى فِي زَهْرَةٍ تَكْبِيرُ : الْبُرْعَمَ : أَوْ يَكْبِيرُهَا
لَا تَقُلْ ذِكْرِي : وَلَكِنْ رُوحُهَا ذَاتُهَا تِلْكَ الَّتِي تَذْكُرُهَا

* * *

قُلْتُ يَا نَفْسِي أَفِيقِي أَنَّهَا خُدْعُ الْوَهْمِ : وَنَسِجُ الْعَنَعَنَاتِ
لَا تَغْضَبِ

قَالَ : لَا تَغْضَبِ فَكَمْ مِنْ جَفْوَةٍ هِيَ لِلْمَجْفُوءِ وَالْجَافِي دَوَاءُ
يَنْفُضُ الْوَهْمَ الَّذِي أَشْعَلَهُ « نَاقِلٌ » يَضْرِبُ فِي طِينٍ وَمَاءِ
قُلْتُ لَا يَجْهَلُ حُبِّي لَيْتَنِي جَهْلُ الْحُبِّ . فَإِنَّ الْحُبَّ دَاءُ
عِزَّةُ الْمَحْبُوبِ مِنْظَارٌ يَرَى فِي مَعَانِي الْحُبِّ عَجَزَ الضُّعْفَاءِ
فَإِذَا اسْطَغَتْ سَبِيلَ الْأَقْوِيَاءِ كُنْتُ وَالْمَحْبُوبَ فِي الْأَمْرِ سَوَاءُ

* * *

قُلْتُ حَسَنِي قُوَّةُ الضَّعْفِ عَلَى « حُبِّهِ » أَحْيَا حَيَاةَ الشُّعْرَاءِ

* * *

تحية مصنع الجبس في الرياض

تفضل الدكتور محمد خاشقجي صيف العام الماضي عندما كنت بالرياض ودعاني إلى زيارة مصنع الجبس الذي بذل فيه من جهده وتفننه ما جعله خليقاً بأن يسهم في مشروع النهضة السعودية الكبرى في عاصمة المملكة وعروسها الفاتنة التي تجاوزت سميت الطليعة من العواصم العالمية بأروع بهاء وأحسن تصميم ولقد كان المصنع بحق فتحاً قوياً في حركة التصنيع وأمجاداً للدعم الاقتصادي الرائع ولقد برز بأضخم معداته وأحدث آلاته التي يزمر دويها كما يزمر المجد الزاحف فينتزع الإعجاب ويملأ الأسماع والشعاب وكأنما أراد الدكتور خاشقجي أن يترك الدوي الذي تمناه المتنبي حين قال :

وتركك في الدنيا دويًا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وما انتهينا من الزيارة والتطواف في كل فرع من فروع المصنع ورحابه في جولة ممتعة تبعث في النفس النشوة والحياة والاعتزاز بكل جهد وطني لحما ودما حتى قلت للدكتور أتمنى لو تسعف القريحة بوصف هذا المشهد الرائع وإذا به يقول هيا لأعيد معك أنت ذكرى

خالك المرحوم الشيخ عمر كردي شاعر المدينة الأول وقاضيهامفتيها
يوم أن فاجأنا مفاجأة سارة وليدة الساعة واللحظة فارتجل لي رحمه
الله مقطوعة شعرية وأنشدني الدكتور أبياتها فإذا بها من غرر الشعر
وعيونته وتركت تلك الذكرى الحلوة بين خالي والدكتور أثرها
الطيب في نفسي وضاق الوقت آنذاك فسافرت إلى مصر وما أن عدت إلى
المملكة هذا الأسبوع وسمعت بأثر هذا المصنع ونتاجه الذي غمر
الأسواق حتى بدأت بهذه الكلمة وثنيت بهذه المقطوعة تحية وذكرى
لمجهود دكتورنا الخاشقجي الذي جمع الله له بين موهبة الطبيب
الناجح وحيوية الناهض الكادح .

بِالْجَيْسِ كُنْتَ تُدَاوِي الْكَسْرَ فَانْطَلَقْتَ
يَدَاكَ تَصْنَعُ مِنْهُ الْيَوْمَ عُمرَانَا
تُقِيمُ بَيْنَ الْمُرُوجِ الْخَضِرِ شَاهِقَةً
مِنَ الصُّرُوحِ تَعَالَى شَأْنُهَا شَانَا
تَعْدُو الرِّيَاضَ إِلَى جَارَاتِهَا قُدَمَا
وَتَرْفَعُ الْمَجْدَ بُنْيَانًا فَبُنْيَانَا
حَارِبُ بِمَجْدِ الْغَنَى إِرْجَافُ طَاغِيَةٍ
بِاسْمِ الْفَقِيرِ تَحْدَى اللهُ بُهْتَانَا

خَلَّ القُصُورَ رُمُوزاً حَيَّةً وَأَشِيعَ

إِسْكَانَ مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي النَّاسِ إِسْكَانَا

مِنْ عِزَّةِ الدِّينِ عِزُّ الْمَالِ تَبْسُطُهُ

بَسْطَ الْجَنَاحِينَ إِسْرَارَا وَإِعْلَانَا

فَالْحَرْبَ لِلْمَبْدِ الْهَدَامَ لَوْ نَفَذْتُ

حَقِيقَةَ الدِّينِ فِي أَعْمَاقِ دُنْيَانَا

حَتَّى نَسُدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ نَافِذَةٍ

مِنْ السُّمُومِ تَبُثُّ الدَّاءَ أَلْوَانَا

لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ تُزْجِيهِ وَتُرْسِلُهُ

أَسِنَّةً لُطِّخَتْ عَاراً وَكُفِّرَانَا

هِيَ الْمَصَانِعُ فَلْتَصْنَعْ بِهَا أَمْلاً

ضَخْمَا فَكَمْ صَانَتِ الْإِيمَانُ إِيْمَانَا

إِنْ فَاتَنَا الْأَمْسَ لَا يَلْوِي عَلَى ثِقَةٍ

فَلْنَنْسَ إِهْمَالَنَا وَلْنَعْمَلِ الْآنَا

نَمْضِي عَلَى شُعْلَةِ الْأَهْدَافِ صَادِقَةٍ

فَالْخَيْرَ يُنْبِتُ أَنْصَاراً وَأَعْوَانَا

أصبح الرجال

قالوا دَعَا النَّاسَ إِلَى أَدْبِهِ فَقُلْتُ هَذَا الْفَضْلُ مِنْ دَأْبِهِ
قالوا أَشَاعَ الْأُنْسُ مَجْلُوءَةً سَمَاوَهُ الْحُلُوءَ فِي شُهْبِهِ
ورغَرَ عَ الْآمَالِ فِي ظِلِّهِ فَانْتَعَشَتْ تَمَرَحُ فِي حَلْبِهِ
فَقُلْتُ لَوَزَارَ الْحَيَاحِيَّةُ غِبًّا لَعَافَ الْقَطَرُ فِي غَيْبِهِ
قَدْ شَعَشَعَ الْفَرَحَةُ لَا تَنْتَهِي مِنْ عَيْنِهِ حِينًا وَمِنْ قَلْبِهِ
يَفْرُطُ فِي الْبَهْجَةِ مَوْصُولَةً وَيَفْرُطُ اللَّوْلُؤُ مِنْ سَيْبِهِ
وَالْمَزْنُ هَذَا الْمَزْنُ مَا شَأْنُهُ يَدْنُو فَيَبْدُو الْبُعْدُ فِي قُرْبِهِ
يَسْأَلُ لَا يَدْرِي أَمِنْ صَنْبِهِ رَدَّادُهُ الْمُنْهَلُ أَمْ سُخْبِهِ
وَقُلْتُ أَسْخَى النَّاسَ أَعْلَاهُمُ قَدَرًا وَأَدْنَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ
قالوا أَفَاضَ الْخَيْرُ فِي أَهْلِهِ وَأَغْدَقَ الرَّحْمَةُ فِي شَعْبِهِ
مَكْرَمٌ فِي ذَاتِهِ صَخْبُهُ وَأَنَّهُ الْمَكْرَمُ فِي صَخْبِهِ
فَقُلْتُ مَنْ رَشَّ دُرُوبَ الْوَرَى بِالْعِطْرِ غَابَ الشَّرُّ عَنْ دَرْبِهِ

من صَانَ سِرَّ اللَّهِ فِي سِرِّهِ رَعَتْهُ عَيْنُ اللَّهِ فِي عَقْبِهِ
 وَانْحَدَرَتْ أَمْجَادُهُ رَحْمَةً تَزْخَرُ بِالْأَمْجَادِ فِي صُلْبِهِ
 قَالُوا سَقَى النَّاسَ وَأَرْوَاهُمُو مُسْلَسَلًا يَقْطُرُ مِنْ عَذْبِهِ
 فَسَامِرٌ يَجْنَى الْجَنَى صَاحِبًا مِنْ يَنْعِهِ الْغَضُّ وَمِنْ رَطْبِهِ
 وَالْكُلُّ قَدْ عَبَّ عَيْبَ الْمُنَى وَكُلُّهُمْ يَرْضُبُ مِنْ رَضْبِهِ
 الْعِلْمُ فِي الْإِشْرَاقِ مِثْلُ الضُّحَى يَأْلِقُ بِالتَّيْجَانِ فِي رَكْبِهِ
 وَالشَّعْرُ إِذْ تَهْتَزُّ أَطْيَافُهُ تَحْكِي اهْتِزَازَ الْقَلْبِ فِي وَثْبِهِ
 مَثَلُنْ مَا مَثَلُنْ إِلَّا أَلْمَهَا تَنْسَابُ فِي الرَّبْرِبِ مِنْ سِرْبِهِ
 رُؤَى وَأَحْلَامٌ عَلَى بَقْظَةٍ يَنْشُدُنْ دَاءَ الْقَلْبِ فِي طَبِّهِ
 فَيَاخُجُورَ الْكُونِ يَا رُوحَهُ يَا شَرْقَهُ السَّاطِعِ فِي غَرْبِهِ
 حُبِّيتْ فَاقْبَلْهَا تَحَايَا النِّقَا وَلَعْلَعِ وَالْجِزْعِ مِنْ صَوْبِهِ
 « وَرَامَةٌ » وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا وَهَاشِمٌ يَخْطُرُ فِي شِغْبِهِ
 تُوَاكِبُ الْفَرَحَةَ فِي مَهْدِهَا وَتَحْمِلُ الْمِشْعَلَ فِي رَكْبِهِ
 وَتَبْلُغُ الْآفَاقَ أَصْدَاءُهَا يَعْنُو لَهَا الْكَوْنُ عَلَى رَحْبِهِ
 مَرْهُوبَةٌ يَزْحَمُ أَعْدَاءُهَا مَا يَزْحَمُ الْمَكْرُوبَ فِي كَرْبِهِ

والرأية البيضاء في أهلها تخفق خفق القلب في حبه
فاشدد عليها شد حامى الحمى قد نال فوق الأرب في إربه
الله صان العصب في غمده للقدّر المخبوء في حجه
لا ثورة تجدي ولا ثائر فالبئت لا أرحم من ربه
كم نفحة في طيها لفحة أنكى على المحروب من حربه
ومن تحدى الله في مكره يذوب مطوياً على خبه

* * *

صحة المجد

أَيْهَذَا الْمَرْجَى الْمُحِبِّ فِي النَّفْسِ	مَثَالًا مُحِبًّا فِي الْقُلُوبِ
وَالسَّنَا صَاغَهُ السَّنَا فَتَجَلَّى	عَبْقَرِيًّا فِي سِمَطِهِ الْمَرْهُوبِ
وَالْهَتَافِ الْحَبِيبِ يَهْتِفُ بِالنَّفْسِ	فَتَهَفُّوْا إِلَى اللَّقَاءِ الْحَبِيبِ
وَالْمُنَى وَالْهَنَاءِ وَالطَّلَاعِ الْمُشْرِقِ	مَا إِنَّ لِنُورِهِ مِنْ مَغِيبِ
إِنْ نُكْرِمَكَ وَالْأَمَانَى سِرَاعٌ	دَانِيَاتٍ مَا بَيْنَ صُبْحِ قَرِيبِ
أَوْ نُحْيِيَّ فِيكَ الْبُطُولَةَ رَمَزًا	صَقَلَتْهُ مَوَاهِبُ الْمَوْهُوبِ
أَوْ نُبَاهِي وَفِي الرِّغَابِ رَغَابِ	مَسَّهَا الْوَقْدُ فَازْدَهَتْ بِاللَّهِيبِ
إِنَّمَا نُكَبِّرِ الشُّعُورَ وَنُعْلِيهِ	فَصَوْتُ الشُّعُورِ صَوْتُ الشُّعُوبِ
وَاحْتِفَاءِ الْقُلُوبِ بِالْمَأْمَلِ الْحُلُوِّ	احْتِفَاءِ بِعِزَّةِ الْمَرْغُوبِ
وَبِعِزْمِ الدُّعُوبِ يُثَارُ لِلْمَجْدِ	وَمَا إِنَّ يَخِيبُ عِزْمُ الدُّعُوبِ
وَالْحَيَاةِ الْحَيَاةَ مَجْلَى غِلَابِ	وَعِرَاكِ . وَالْوَيْلُ لِلْمَغْلُوبِ
إِنَّهُ السَّعْدُ فِي الْحَيَاةِ شُكُولِ	بَيْنَ مَجْلَى شُرُوقِهَا وَالْغُرُوبِ

وَطُيُوفٌ تَحْجَبُ مِنْ بَعِيدٍ قَدْ يُعِدُّنَ الذِّكْرِي لِعَهْدٍ خَصِيبٍ

وَأَجَلٌ الْإِسْعَادُ مَا سَايَرَ الْمُبْدَأُ حُرًّا لِلْمَأْمَلِ الْمَرْقُوبِ

وَانْتَحَى مَذْهَبَ الْمَجَادَةِ طَلْقًا فِي مَجَالِ سَامٍ وَأُفْقٍ رَحِيبِ

لِلْبِلَادِ الْبِلَادِ لِلوَطَنِ الْغَالِي طَلَابٌ لِحِفْظِهَا لِلوُثُوبِ

تَحْتَ ظِلٍّ مِنَ الْحَصَافَةِ وَالنُّبْلِ ظَلِيلٌ مِنْ فَيْضِهَا الْمَسْكُوبِ

إِنَّمَا تُلَيِّسُ الْعَظِيمَ سَجَايَاهُ رِدَاءً فَوْقَ الرِّدَاءِ الْقَشِيبِ

وَيُظَلُّ السَّلِيبُ مِنْ خُلُقِ الْمَجْدِ سَلِيبًا يَاوَيْحَهُ مِنْ سَلِيبِ

فَالْعَظِيمُ الْعَظِيمُ مِنْ أَثَلِ الْمَجْدِ بِعَزْمٍ مُضْمَرٍ مَشْبُوبِ

تَتَسَامَى فِي رُوحِهِ صِرَخَةُ الْمَجْدِ وَلِلْمَجْدِ صِرَخَةُ فِي الْقُلُوبِ

ثُمَّ يَبْدُو بِنُورِهِ السَّاطِعِ الْمُشْرِقِ فِي صَوْلَةِ الْحُسَامِ الرَّهِيبِ

وَالدُّنَا وَالْحِظُوظُ تَسْتَبِقُ الْخَطُوءَ إِلَيْهِ فِي سَلَمِهَا وَالْحُرُوبِ

يَا صَدِيقِي وَلِلصَّدَاقَةِ مَعْنَى يَتَجَلَّى فِي سِرِّهَا الْمَخْجُوبِ

لَمْ أَرِدْ مَوْقِفًا يُتَرْجَمُ عَنْهُ رُبَّ سِرٍّ يُجَلَّى وَرَاءَ الْغُيُوبِ

إِنْ حَفَلَا يُقِيمُهُ أَمَلُ الصَّحْبِ بِهِجًا فِي شَكْلِهِ الْمَخْجُوبِ

سَبَقْتَهُمْ إِلَيْهِ مَفْخَرَةَ الْحُبِّ بَلَخْنَ مِنَ الْوَلَاءِ طَرُوبَ
لِعَرُوسٍ مِنَ الْأَمَانِيِّ زُفَّتْ فَتَهَادَتْ نَجِيبَةَ لِلنَّجِيبِ
نَازَعَتْنِي لِلْمَوْقِفِ الْيَوْمَ نَفْسُ تُكْبِرُ الْفَضْلَ فِي الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ
قَدْ هَجَرْتَ الْقَرِيفُ مَذْ نَازَعَتْنِيهِ صُرُوفٍ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَجِيبِ
وَاسْتَحَالَ الشَّبَابُ يَبْسَا فَأَنْتَى لِي أَرْجِيهِ بَيْنَ يَبْسٍ جَدِيدِ
فَتَقْبَلُ مَا يَشْفَعُ الْحُبُّ فِيهِ إِنَّهُ الْحُبُّ سَاتِرٌ لِلْعُيُوبِ

* * *

تحية

لشاعر آل البيت الأستاذ محمود جبر بمناسبة صدور ديوانه

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي سَكَبَ الرُّوحَ	حَيْنِنَا وَلَوْعَةً لَا تَكِفُ
فَتَلَقَّيْتَهُ بِالنَّسَائِمِ اسْحَارُ	وَوُرُقُ سَوَاكِبُ اللَّحْنِ هُتَفُ
شَاقَهَا الْبَارِقُ الْمُشْعِشِعُ بِالْمُ	زُنْ عَلَيْهِ سَحَائِبُ الْيُمْنِ وَطُفُ
فَتَغْنَى بِهِ الْعَقِيقُ « وَسَلْعُ »	وَالْمَعَانِي الْحِسَانُ صُورُ تُزْفُ
وَالْمُنَى الْحَالِمُ الْمَصْفَقُ سِرُّ	وَالْحَبِيبُ الْحَبِيبُ مَعْنَى وَوَصْفُ
وَالْهَوَى الْكَأْسُ وَالْقُلُوبُ نَدَامَاهُ	وَقَرْعُ الشَّفَاهِ نَهْلُ وَرَشْفُ
وُقُبَاءُ وَمَنْ لَنَا بِقُبَاءِ	أَلْهَبَتْهُ حَنَاجِرُ وَأَكْفُ
وَبَنَاتِ النَّجَارِ إِذْ طَلَعَ الْبَدْرُ	هُتَافُ يَحْلُو وَنَايُ وَدُفُ
صُورٌ قَدْ بَسَمَنَ فِي شِعْرِكَ الْحُلُوفُ	عَلَيْهَا مِنْ الْبَشَاشَةِ لُطْفُ
نَضَّرَتْهَا أَمْجَادُنَا فَتَهَادَتِ	وَالْمَعَانِي مِنْ قَبْلُ كَادَتْ تَحِفُ
أَيُّ حُبٍ لَا يَنْتَشِي بِحِمِيَاهُ	وَقَلْبٍ بِذِكْرِهِ لَا يَرِفُ
أَنْتَ غُصْنٌ مِنْ دَوْحَةِ الْحُبِّ « يَا جَبْر »	وَفَرْعُ الْحَبِيبِ لَيْسَ يَجِفُ

* * *

عظيم

تَلُوبُ فِي ذَاتِهِ الْأَصْدَاءُ سَارِيَةً
وَتَسْتَبِدُّ بِهِ الْأَمَالُ قَاهِرَةً
يَعِيشُهَا هَدَفًا يَحْيِي لَهُ فَإِذَا
الرَّوْحُ مِنْ رَوْحِهَا تَجَلَوُ عَرَائِيسُهَا
فَلَا غِرَاسَ الْمَنَى تَذَوِي مَعَارِسُهَا
حَشْدُ تَوَاكِبِهِ الدُّنْيَا بِمَا وَسَّعَتْ
عَظَائِمُ تَتَلَقَى فِي عَزَائِمِهِ
شَمَائِلُ رَاضِهَا لِلْمَجْدِ فَائْتَلَفَتْ
وَنَبْضَةٌ يَتَحَرَّى فِي مَسَارِبِهَا
يَطْوِي الْمَعَانِي آمَالًا مُجَنَّةً
وَيَضْطَفِّيهِهَا فَيَغْلِيهَا الْمُهُرُولا
وَلَنْ يُكْفِكَ دَمْعًا عَزَّ رَاحِمُهُ
آلَى أَلِيَّتِهِ الْكُبْرَى فَلَا سِنَةَ
لَمْ تَبْقُ فِي ذَاتِهِ ذَاتٌ تُنَازِعُهَا
مَسْرِي الْحَيَاةِ عَلَى الْأَنْفَاسِ تَنْطَلِقُ
إِنْ خَانَهُ جَلَدٌ لَمْ يُعِهِ رَمَقُ
تَسَامَقَتْ صَانَهَا الْإِشْعَاعُ وَالْأَلَقُ
وَالرِّيُّ مِنْ رِيَّهَا نَشْوَانُ يَضْطَفِقُ
وَلَا مَرَامِيهِ يَدْرِي سِرَّهَا أَفْقُ
يَشْكُولُهَا الْآيِنَ وَخُدُّ الْعِزْمِ وَالْعُنُقُ
وَزَحْمَةُ لِلْعِرَاكِ الْحَيِّ تَسْتَبِقُ
كَأَنَّهَا الْفَجْرُ فِي دُنْيَاهُ يَنْبِثُ
حِسٌّ خَفِيٌّ تُدَارِي سِرَّهُ الْحَدَقُ
يَحْنُو عَلَيْهَا كَمَا تَحْنُو وَتَرْتَفِقُ
يُهْدِدُ الشَّوْقَ إِلَّا الْجُهْدُ وَالْأَرْقُ
حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ الْمَخْضُوبُ لَا الْعَرَقُ
تُدَاعِبُ الْجَفْنَ أَوْ يَسْتَأْذِنُ الْقَلَقُ
فَذَاتُهُ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ وَالْخُلُقُ

ثلاثية من قصيدة مفقودة

دُنْيَا خَبِرْتُكَ فِي نَفْسِي وَإِنْ خُدِعْتُ بِكَ النُّفُوسَ وَحَيَّتُكَ الْأَغَارِيدُ
مَا أَنْتَ مَيِّ وَلَا مِنْكَ انْتَشَى أَمَلِي لَكِنْ نَفْسِي هِيَ الدُّنْيَا هِيَ الْعِيدُ
كَأَنَّمَا كُرَبُ الْأَيَّامِ مُطْلَقَةٌ وَصَفُوهَا مُوثِقُ الْأَطْرَافِ مَشْدُودُ

* * *

حقیقۃ فی خیال

دَوْحَةٌ تَهْزَأُ بِالْقَصْفِ الْمُرْبِعِ وَتَنَاجِي الْكَوْنَ بِالصَّنْتِ الْوَدِيعِ
ظِلُّهَا ظِلٌّ لِآسٍ وَفَجِيعِ وَذُرَاهَا لِغِنَاءٍ وَحَنِينِ
مَشْرِقٌ يَجْحَدُ نُورَ الْفَلَقِ وَيَغِيْمُ الْكَوْنَ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ
فِي سُكُونِ الْيَمِّ تَحْتَ الشَّفَقِ هَلْ تَرَى قَدْ ضَلَّ مَسْرِي الْمَطْلَعِ
أَمْ رَجَاءَ عَافَ دُنْيَا الْأَرْبَعِ فَتَوَارَى عَنْ قُلُوبٍ وَعُيُونِ

• • •

ذكریات ماجدة

مهداة إلى السابق بالفضل وحسن الافتكار الأستاذ الأديب
الشيخ محمد سعيد دفتردار وهذه سجة بدون اختيار :

راجعتُ أيامي وصحو شباي	وهوى وقفْتُ به على الأعتاب
ومنازلًا رويت بين بقاعها	أملًا تضرَّم باللظى المنساب
وصبًا تمد له الصبابة ظلها	فيموج في آذيتها الصخاب
وكواكبا بين الموابك في الدجى	وكواعبًا محروسةً بكعاب
وصدى يُغمغم بالحنين فامل	وصلا ومنجوع على أحباب
وسنا يُغازل برعما من زهرة	مخضلة تزهو بغير خضاب
وشذى لأطيب النبوة والهدى	في روضة مجلوة الأطياب
لولا مباهج في الشباب وعهده	ما عدت أذكر في المشيب شباي

ولما هتفت بكل أبيض وامض
كالفجر يملأ مهجتي واهابي
أبقى عليّ الذكريات كأنها
فلقُ تُلَقَّع في زحام خباب
ولقد تلفت خافقي وتلفتت
مهجٌ يخادعها بريقُ سراب
أيامٌ يقترب السحاب من الدُّرى
والطير أسراب إلى أسراب
والشمس تسكُب في النخيل شعاعها
كالراح بين صواحبٍ وصحاب

(٢)

وجنا الرعابيب الحسان كأنه
كأسٌ مُصَفَّقة يخلو رِضاب
والشامخ التَّيَّاه في أمجاده
«أُحَدِّ» يُمَثِّل شَمَخَةَ الْأَحْقَاب
ومدارج الصُّبُوتِ حين تألَّفت
في «سَلَع» بين أَبَاطِح وهَضاب
والشعرُ يَسْبَح في العقيق وَيُنْثَنِي
نشوان من مَرَحٍ ومن تَطْرَاب
والظامئون الوَالِهون تَقَاطَرُوا
يَتَلَمَّسُونَ الله في المِحْرَاب
ومِنَ الرِّسُولِ على الرُّحَابِ ظِلَالَةٌ
سَرَحَتْ بكل عَجِيبَةٍ وَعُجَاب
نَسَجَتْ سَحَابُهَا الوُطَافُ مَسَارِبَا
من رَحْمَةٍ مَمْدُودَةٍ الْأَطْنَاب
ومشى بها الكَوْنُ المُنْعَمَ رَجْعُهُ
يَخْتَال بين سَبَاسِبٍ وَرَوَابِي
والفرحة الكُبْرَى مَشَاعِرُ صَاغَهَا
سِرٌّ يُهْدِدُ حَيْرَةَ الْأَلْبَابِ

مَجْدُ الْخَلِيقَةِ مِنْ رِحَابِ مُحَمَّدٍ	مَجْدُ السَّلَامِ وَرَحْمَةِ الْوَهَّابِ
يَا مَنْ يُنَاشِدُنَا وَقَدْ جَارَ النَّوَى	جُهِدَ الْبَعِيدِ وَحُرْقَةُ الْأَغْرَابِ
وَمَنْى الدُّعُوبِ عَلَى هُمَامَةٍ طَامِحِ	سِرِّ الْحَيَاةِ وَمُعْقِلِ الْآرَابِ
إِنَّا تَلَوَّقْنَا الْهَوَى وَهَوَانَهُ	فِي شَهْدِ غَانِيَةٍ وَنَهْدِ كِعَابِ
وَتَرَاقَصَتْ بَيْنَ الْعُيُونِ مَفَاتِنُ	مِنْ نَاعِيسٍ سَاجٍ وَمِنْ وَثَابِ
وَمِنْ الشَّامِ إِلَى الْجَنُوبِ نَوَافِدُ	لِلْفَتَكِ أَتْرَابًا إِلَى أَتْرَابِ
كَالنَّضْلِ إِنْ تَحْبِسَهُ يَفِرُّ قِرَابَهُ	وَيَجُلُّ مَجَالِ السَّحَرِ فِي الْأَهْدَابِ
مَا حَقَّقَتْ سُلُوبِي وَلَا رَوَّتْ صَدْيُ	لَكِنَّهَا خُدَعٌ وَفَرَطٌ كِذَابِ
يَا صَاحِبَ وُقُيْتِ النَّوَى وَشُجُونِهِ	إِلَّا نَوَى فِي عِزَّةٍ وَغِلَابِ
إِلَّا أَنْتَجَاعَ مَرَايِعِ مَاهُولَةٍ	بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ وَالْآدَابِ
إِلَّا لِكَشْفِ حَقِيقَةِ مَخْبُوءَةٍ	قَدْ اجْفَلَتْ فَتَنَقَّبَتْ بِنَقَابِ
إِلَّا عِرَاكًا لِلْحَيَاةِ كَرِيمَةٍ	عَزَتْ بِغَيْرِ أَسْنَةٍ وَجِرَابِ
فَالْمَوْطِنُ الْأَسْمَى هَوَى وَمَقَاصِدُ	مَوْضُولَةُ الْأَسْبَابِ بِالْأَسْبَابِ

ومضات

إلى من لا أسمىه تجلّة وحُبًّا :

يا مَنْ أَرَادَ الظَّنَّ فَاسْتَنْكَرَتْ عليه حتى الظَّنُّ أخلاقه
وَصَارَعَ الْإِنْسَانَ فِي ذَاتِهِ إنسانُهُ الصَّافِي وَأَعْمَاقُهُ
وَرَفَّرِقَ الْجَوْهَرَ فِي حِسِّهِ جُفُونُهُ الْحَيْرَى وَأَمَاقُهُ
إِنْ حَارَبَ الْحُبَّ بِأَوْهَامِهِ فَالْحُبُّ لَا يَخْضَعُ عِمْلَاقُهُ
أَوْ خَانَهُ النَّبْضُ وَدَقَّاتُهُ أَوْ حَنَّ لِلْسَّلْسَلِ دَفَاقُهُ
فَلَنْ يَرَى فِي ذَاتِهِ غَيْرَهَا ذَاتًا هِيَ الْقَلْبُ وَإِشْرَاقُهُ
يَا مَنْ رَأَيْتَ الْوَهْمَ فِي عَيْنِهِ وَالْوَهْمُ قَدْ يَبْرُقُ بَرَاقُهُ
أَمَّا الْهَوَى الْحَيُّ وَإِحْسَاسُهُ فَلَنْ تَضُمَّ الدَّهْرُ أَحْدَاقُهُ
كَمْ مَشْهَدٍ مُسْتَفْرِقٍ هَوْلُهُ يَجْلُو غُيُومَ الْهَوْلِ إِطْرَاقُهُ
وَالسُّحْبُ مِثْلَ جَمْعٍ مَزْحُومِهَا زَحَزَحَهَا الْمُرْنُ وَرَقْرَاقُهُ

والدَّمْعُ فِي الْحَيْرَةِ لَا يَأْتِي يُخَضِّخُضِ الْقُوَّةَ مُهْرَاقَهُ
والعَجْزُ عَنْ صَدِّ النَّهْيِ عِزَّةً فَالْحُبُّ لَا يُحْمَدُ سَبَّاقَهُ
وَمَنْ يَجُلُ فِيهِ إِلَى غَايَةٍ فَإِنَّمَا الْغَايَةُ إِنْخِفَاقَهُ
الْحُبُّ كَالطَّيْرِ بِأَمَالِهِ أَجْوَاؤُهُ الدُّنْيَا وَآفَاقُهُ

* * *

اللَّهُ فِي الْحُبِّ . . . وَفِي سِرِّهِ فَاللَّهُ رَاعِيهِ وَخَلَّاقَهُ
الرَّحْمَةُ الْكُبْرَى وَإِظْلَالُهَا وَالِدِينَ وَالْمَهْدَ وَمِيثَاقَهُ
وَمَنْ يَفِقُ مِنْ نَشَوَاتِ الْهَوَى تَطُلُ بِلَاوِيهِ وَإِشْفَاقَهُ
وَلَنْ يَذُوقَ الصَّفْوَةَ إِلَّا فَتًى جَفَّتْ عَلَى الْبِأْسَاءِ اعْرَاقَهُ
عَلَى الْمَعَانِي الْبَيْضِ فِي حِسِّهَا أَمْرَاسُهُ شُدَّتْ وَأَوْثَاقُهُ
كَرَائِمُ الدُّنْيَا وَخَمَرُ الْمُنَى نَفَائِسُ الصَّفْوَةِ وَأَعْلَاقُهُ
أَوْطَانُهُ الْأَغْصَانُ مَخْضَلَةٌ أَوْدِيَةٌ يَقْوَى بِهَا سَاقُهُ
وَالرَّوْضُ كُلُّ الرَّوْضِ فِي مَأْمَنِ تَسُدُّ فِيهِ الْعُمَرَ أَرْمَاقَهُ
لَا مَأْوَاهَا رَنْقٌ وَلَا سَمِيرُهَا خَوْفٌ يُفِيضُ الْعَيْشَ أَرْهَاقَهُ

قد سالمتُ حتى وحوشَ الفَلا والوحشُ قد تحسُن أذواقه
والوحشُ فى الإنسانِ يا هوْلَه لذاعةٌ يَكوي وحرَّاقه
وَإِنَّ ظُلْمَ الحَيِّ فى حَيِّه شرُّ بهْدُ الحِيلِ إطباقه

* * *

يا عبيد

ما أَخْطَأَ الْمُتَنَبِّئُ فِيكَ يَا عِيدُ فَكَمْ تَحَرَّكَ مَحْظُوظٌ وَمَنْكُودُ
وَكَمْ تَوَغَّلَ فِي دُنْيَاكَ مُنْطَلِقُ مِهَادُهُ بِظُهُورِ النَّاسِ مَمْدُودُ
شَرَابُهُ مِنْ نَجِيعٍ مِثْنِ قَلْقِ وَزَادُهُ مُدْنِفٌ عَانٍ وَمَفْؤُودُ
وَرَاحَةُ الْأَكْبَدِ الْحَرَى الَّتِي اعْتَصَرُوا حَيَاتَهَا . دُونَهَا كَرَمٌ وَعُنُقُودُ
إِذَا تَلَامَحَ فِي آفَاقِهِ شَبَحُ ضَاوٍ أَطَاحَ بِهِ كَالْهَوْلِ جُلُودُ
وَإِنْ تَلَمَّسَ رِيًّا فِي سَرَابٍ مُنَى عَدَتْ عَلَيْهِ طُيُوفٌ عُهْرٌ سُودُ
كَأَنَّمَا كُرِبَ الْأَيَّامِ مُطْلَقَةٌ وَصَفُوهَا مُوْتَقُ الْأَطْرَافِ مَشْدُودُ
وَأَنْتَ يَا عِيدُ أَنْتَ الْعِيدُ مَا اخْتَلَفَتْ إِلَّا عَلَيْكَ الْأَمَانِيُّ الْخُرْدُ الْغِيدُ
تَنَاحَرَتْ وَاشْرَأَبَتْ دُونَ غَايَتِهَا وَخَانَهَا فِي مَرَاقِي الْعِزِّ تَصْعِيدُ
وَصَدَّهَا الْمَوْجُ زَخَّارِ الْعُبَابِ لَهُ عَلَى الْمَسَالِكِ إِرْغَاءٌ وَتَزْيِيدُ
وَمَا تَغْضَنَ يُمْنٌ فِيكَ مُؤْتَلِقُ وَلَا تَصَوِّحُ غُصْنٌ مِنْكَ أَمْلُودُ

ولا تَرْتَقِ صَفْوُ أَنْتِ رَافِدُهُ ولا تَجْهَمِ فَوْقَ الْأَيْكِ غَرِيدُ
 ولا صَحَا الْفَجْرُ إِلَّا فِي غَلَائِلِهِ نَدَى تُرْفِقُهُ مِنْكَ الْأَنَاشِيدُ
 ولا اسْتَوَى فِي الرُّحَابِ الْفَيْحَ رَجْعَ صَدَى تَحْيَايَاهِ الْبِيدُ أَوْ تُشْفَى بِهِ الْبِيدُ
 ولا اسْتَوَى فِي الْعِرَاكِ الْحَرْدُ وَلِبْدُ ضَارٍ وَمُنْتَفِخُ الْأَوْدَاجِ رِعْدِيدُ
 ولا اسْتَوَى فِي مَجَالِ الْفِكْرِ مُنْجَرِدُ وَغَارِقُ فِي الْهَوَى وَالْهُونِ عَرِيدُ
 يَاعِيدُ قَلْ لِبَنَى الدُّنْيَا وَعَتَرَتِهَا أَنْتُمْ مَعَانِي أَنْتُمْ أَهْلِي الصَّيْدُ
 لا نَحْمِلُوا فَوْقَ ظَهْرِي كُلَّ شَائِنَةٍ فَاثْنُمُوا بِالْمَعَانِي الْحُلُوهَ الْعِيدُ
 بِالْمُلْتَقَى السَّمَحِ بِالْأَطْيَابِ عَابِقَةٍ بِالْمَكْرُمَاتِ تَنَاهَى عِنْدَهَا الْجُودُ
 بِالْمُلْتَقَى مِنْ أَفَاوِيقِ النَّهْيِ سَطَعَتْ عَلَيْهِ أَشْدَاءُ مَجْدٍ نَفَحُهَا الْعُودُ
 بِالْحُبِّ تَصْدَحُ فِي آفَاقِهِ مُهَجٌّ غَنَّى لَهَا فِي رُبْعِ الْحُبِّ دَاوُدُ
 فِي هَذَاةِ اللَّيْلِ فِي أَطْيَافِ سَامِرِهِ فِي اللَّحْنِ يُطْرِبُ فِيهِ النَّائِيُّ وَالْعُودُ
 فِي بَسْمَةِ الْفَجْرِ فِي أَعْطَافِ سُندُسِهِ مَوَائِسُ تَتَمَنَّى حُسْنَهَا الْخُودُ
 فِي آصِرَاتِ الْهَوَى الْغَالِي مَوْشَجَةٍ عَزَّتْ فَلَا حَاسِدٍ فِيهَا وَمَحْسُودُ
 بِالزَّحْفِ بَارَكَهُ وَحَى مَجَنَّةٍ فِيهِ الْمُئِي رَائِدُ وَالْعَزْمُ تَجْدِيدُ
 عَلَى السَّرِيِّ وَمَضَاتٍ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ فَالْمَجْدُ مُنْطَلَقُ وَالْعَزْمُ تَأْكِيدُ

سَمُّوا عَلَى كُلِّ وَهْمٍ فِي عَقَائِدِهِمْ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْأَخْلَاقُ تَأْيِيدُ
وَالْعَبَقَرِيَّاتُ شُغْلُ شَاغِلٍ أَبَدًا يَنْصُهَا أَمَلٌ يَزُهِو بِسِهِ الْجَيِّدِ
فَلَا فَرَاغَ يَقُودُ النَّاسُ فِي سَفَهَ إِلَى الدَّنَايَا إِذَا هُمْ ضِلَّةٌ بَيَدُوا

* * *

مَا ذَنْبُ سَارِيَةٍ يَا عِيدُ مَثْقَلَةٌ بِالْخَيْرِ سَخَرَهَا لِلشَّرِّ مَوْعُودُ
مَا ذَنْبُ نَكْلَى عَدَتْهَا رَحْمَةٌ دَلَفَتْ إِلَى بَغْيٍ لَهَا رَجْعُ وَتَرْدِيدُ
وَأَيْمُ سَاقِهَا الْمَقْدُورُ فَاقْتَرَبَتْ مِنَ النَّهْيَةِ لَا بُشْرَى وَلَا عِيدُ
وَطِفْلَةٌ طِفْلَةٌ كَالزَّهْرِ يَانِعَةٌ إِذَا بِهَا وَالْحَنَانُ الْحُلُوْ مَفْقُودُ
يَا عِيدُ كَمْ حِكْمَةٍ لِلدَّهْرِ قَائِلَةٌ فِي الْعُطْفِ أَسْرُوفِي الْإِحْسَانِ تَقْيِيدُ
يَا عِيدُ كَمْ كُرْبٍ جَارَتْ وَمَارِحَتْ آثَارَهَا مَشْهَدُ فِي الْبُؤْسِ مَشْهَدُ
عَاشَتْ عَلَى كُلِّ شَلْوٍ فِي الدُّنْيَى فَبَكَى آمَالَهُ وَالْدُّنَا شَاكٌ وَمَوْلُودُ
وَفِي الْمَخَاضِ مَآسٍ لَمْ تَزَلْ نُظْفًا لَهَا الرَّدَى قَدْرُ كَالْمَوْتِ مَخْدُودُ
مَا عَاقَتْ الشَّرْقُ عَاشَتْ فِي مَرَابِعِهِ وَمَهْدُهَا بِالْدَمِ الْمُهْرَاقِ مَمْنُودُ
يَا عِيدُ نَاشِدِ بَطُولَاتٍ لَنَا سَلَفَتْ فَقَدْ وَهَى نَاشِدُ مِنَّا وَمَنْشُودُ

وغيّمت في سماء الحق غائمةً فجاحِدُ غادرُ فينا ومجْحود
وفي الضمائر من وخز الهوى أَسْنُ وفي المشارب تعكير وتَضريد
كأننا في جحيم من مصائرنا حتى الظلال لها ومض وتصهيد
حتى القلوب استحالت قسوةً أبداً والنَّصل رَغْم اقتحام الهول مغمود
حتام تَصْهَل فينا كلُّ صاهلة كالشاة يركُض في أعقابها السيد
قدغالنا الوهم في نفس وفي وطنٍ وللعواصِف إنذار وتهديد

* * *

تحية وذكرى

أَجَلُّكَ لَا يَحْمِي النَّجَلَةَ غَيْرُهَا وَلَا يَتَمَلَّى الْعَقْلُ غَيْرُ هَوَى الْعَقْلِ
وَأَحْبُوكَ لَا أَحْبُوكَ إِلَّا مَلَاوَةً تَعَهَّدَهَا حِسِّي وَأَنْصَرَهَا سُؤْلِي
فَمَا ضَوَّعْتَ إِلَّا رَجَاهَا وَمَا نَمَتَ عَلَى غَيْرِ رَوْضٍ وَارِفِ الظِّلِّ مُخْضَلِ
فَأَثَمَرَهَا غَرْسُ النَّهْيِ بَيْنَ مَرْبَعٍ زَكِيٌّ يَتَبَّهِ الْأَصْلُ فِيهِ عَلَى الْأَصْلِ
وَبَاكَرَهَا حَبَّ الْغَمَامِ وَجَادَهَا مِنْ الْغَيْثِ مُنْهَلٍ بِأَبْيَضٍ مُنْهَلٍ
فَمَا أَطْلَعْتَ إِلَّا فُؤَادًا بِحُبِّهِ بِمَعْنَاهُ لَا جَدْبٍ وَلَا بَاخِلٍ ضَخْلِ
حِبَاءٍ امْرِيٍّ مَا كَانَ لَوَلَاكَ حَبْوُهُ خُطَى تَتَحَامَاهَا خُطَى اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ
حِبَاءٍ امْرِيٍّ أَكْرَمْتَهُ وَهُوَ هِينٌ عَلَيْكَ فَرَنْتَ الْحَبَّ بِالنَّبْلِ وَالْفَضْلِ
وَأَشْرَفْتَ فِي قَلْبٍ فَمَا كُنْتَ غَيْرُهُ وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْتَ كَالْمِثْلِ لِلْمِثْلِ
عَلَى أَنَّكَ الْأَسْنَى حِبَاءً وَمِنَّةً وَمَا أَنَا إِلَّا الْغَمْدُ يَفْخَرُ بِالنَّصْلِ

أَجَلٌ إِنَّهُ قَلْبِي رَعَتْكَ عُيُونُهُ
وَعَاطَفْتَهُ لَا عَظْفَةَ الْهُونِ وَالْأَسَى
وَقَدْ صَوَّرَ الْوَهْمُ الْمُحِسَّ مَعَانِيًّا
وَأَنْكَرْتَ فِي وَجْهِ الْمَعَانِي طَلِيقَةً
وَمَا هِيَ إِلَّا لَمَحَّةُ الْقَلْبِ مِنْهُ
وَأَنْصَرْتَ مَا قَدْ صَوَّحَ الْوَهْمُ عَادِيًّا
فِيَا قَلْبَ هَلْ غَيْرَ الْوِدَادِ تَصُونَهُ
فِيَا سَيْدِي وَالْقَلْبَ لِلْقَلْبِ مَنْطِقَ
أَجَبْنِي فَمَا أَحْلَى مَعَانِيكَ حُرَّة
فَرَاغَيْتَهُ وَالزَّهْرَ يَبْسُمُ لِلطَّلِّ
وَلَكِنَّهَا الرَّحْمَى وَقِيَتْ هَوَى الدَّلِّ
خَطَرُنْ بِبَالٍ خَطَرَةَ الْوَهْمِ مِنْ قَبْلِ
أَمَامِكَ لَا كَانَتْ خَيَالَاتِ ذِي النَّبْلِ
فَأَشْرَقَتْ بِالنَّيْلِ الْمُدِلِ عَلَى النَّبْلِ
وَأَرْوَيْتَ رَيَّ الْغَيْثِ لِلْمُقْفِرِ الْمَحِلِّ
جَزَاءً وَقَدْ ضَاقَتْ بِمَطْلَبِهِ سُبُلِي
حَفِيلٌ إِذَا أَعَيْتْ مَنَاطِقَةُ الرُّسُلِ
تَرْوُحَ عَلَى رِسْلٍ وَتَغْدُو عَلَى مَهْلٍ

...

ياليلة حوت النبوغ

ألقيت هذه القصيدة في - تكريم فضيلتي الأستاذين :
السيد محمد شطا والسيد أحمد العربي (بنادي جماعة المحاضرات)
عام ١٣٥٦ هـ

أَمَلَا نُحَى أَمَ طَلَّاعِ نَهْضَةٍ أَكْرَمَ بِهِمْ فِي مُحْتَدِ وَنِجَارِ
إِنْ جَلَّ مَرْكَزَهُمْ وَقَصَّرَ دُونَهُ رُوحَ الْبَيَانِ وَمُعْجَزِ الْآثَارِ
فَالْقَلْبُ مِلْكُ يَمِينِهِمْ لَوْ سَاءَلُوا كَشَفَ السُّتَارَ لَبَاحَ بِالْأَسْرَارِ
وَالشُّكْرُ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ إِذَا وَنَى عَنْهُ الْمَقَالُ وَفَائِقُ الْأَشْعَارِ
مَرْحَى دَعَائِمِ مَجْدِنَا فِي أُمَّةٍ تِمْنَالِ مَكْرُمَةٍ وَرَمَزِ فَخَارِ
إِنْ الْبِلَادِ سَعِيدَةٍ بِشَبَابِهَا إِنْ شَعَّ مَوْلَقًا كَضَوْءِ السَّارِي
مَا كُنْتُ أَعْتَزِمُ الْوُقُوفَ وَإِنَّمَا هِيَ نَشْوَةُ الْإِعْجَابِ وَالْإِكْبَارِ
مَا كُنْتُ غَيْرَ مُقَدِّمٍ لِمُحَاضِرِ لَكِنَّ تَقْدِيرَ النَّبُوغِ شِعَارِي
يَا لَيْلَةَ حَوْتِ النَّبُوغِ مُجَسَّمًا فِي نُخْبَةٍ هُمْ صَفْوَةُ الْأَخْيَارِ

أَسَى إِلَيْكَ كَمَنْ يَفُوز بِوَجِب لِبِلَادِهِ فِي حَلْبَةِ الْمِضْمَارِ
إِنْ كَرَّمَ النَّادِي الْمِبَادِيءَ حُرَّةً فِي السَّيِّدِينَ سَلَائِلِ الْأَحْرَارِ
فَخَرَّ الشَّبَابُ (شَطَا) وَضَوْءُ كَمَالِهِ أَعْظَمَ بِهِ مِنْ عَسَجَدِ زَخَّارِ
وَالسَّيِّدِ الْعَرَبِيِّ (أَحْمَد) مَنْ بَدَى فِي النَّابِغِينَ مُوشِحَا بَوَقَارِ
لَا يَدْعُ فَلَا مَلُ الرَّحِيبِ مُتَوَّج بِجُهِودِهِمْ كَالْحُسْنِ فِي (آذَارِ)
مَرْحَى بِجَامِعَةِ الْإِحْيَاءِ فَإِنَّهَا أَسُّ النَّجَاحِ وَمَبْلَغُ الْأَوْطَارِ
إِنْ رَاحَ يَجْمَعُنَا الْوَفَاءُ لِأُمَّةٍ سَادَتْ بِعِزَّتِهَا مَدَى الْأَعْصَارِ
فَلَنَنْعَمَ مَا جَمَعَ الْوَفَاءُ وَإِنَّهُ قَبَسَ الشُّعُوبَ وَرَائِدَ الْأَفْطَارِ
مَهْلًا أَخِي زَيْدَانِ إِنْ جُرْتَ الْمَدَى فِي خِلْسَةٍ فَالْعَفْوُ مِنْكَ مُدَارِي
وَلَسَوْفَ تَظْفَرُ بِالْمَنَى إِنْ قُورِنْتَ مَنَا الْجُهِودِ بِعِزِّمَةِ الْأَبْرَارِ
وَتَضَافَرْتَ مَنَا الْقَوَى وَتَسَانَدْتَ فِي غَيْرِ مَا نَزَقٍ وَلَا اسْتِفْثَارِ
هَذِي مَعَارِفَ طَيِّبَةٍ مَا بِأَلْهَا تَرْجُو الْكَمَالَ بِنَظَرَةِ الْمُخْتَارِ
وَإِذَا الشَّبَابُ وَقَدْ تَوَسَّدَ أَمْرَهَا تَمْشَى الْوَرَاءَ فَيَا لَهُ مِنْ عَارِ

...

مساجلة بين شاعرين

بين الشيخ القاضي ضياء الدين رجب وشاعر آل البيت محمود جبر
مرفوعة إلى أب الشعراء معالي الشيخ محمد سرور الصبان
قال شاعر آل البيت :

وَأَشْتَاقُ أَنْ أَلْقَى السَّمَاحَةَ لَا النَّدَى فَقَدْ عَمَّنِي مِنْكَ النَّدَى وَأَفَاضَا
وَأَمْسَى ضِيَاءُ الدِّينِ مِنْ بَعْدِهَا جَرِي وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَاهُ تَغَاضَى
وَمَا نَصَرَ الْقَلْبَ الْجَمُوحَ بِحُبِّهِ وَلَا سَاسَ مِنْ هَذَا الْجِمَاحِ وَرَاضَا
رَفَعْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْوَزِيرِ قَضِيَّتِي فَهَلْ جِئْتُ يَوْمًا قَاضِيًا وَيَقَاضَى

* * *

وأجاب القاضي الشاعر ضياء الدين :

وَقَاضَيْتَنِي يَا جَبْرُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ أَدَارُ بِهَا السَّاقِيَ الْمَنَى وَأَفَاضَا
رُؤِينَا وَأَرْوِينَا، وَلِلْكَأْسِ صَبُوءٌ مُصَفَّقَةٌ تَجْلُو النُّفُوسَ رِيَاضَا
تَنَفَّسْتُ الْأَسْحَارُ بَيْنَ ظِلَالِهَا فَجَاسَتْ رُبِّي مُخْضَلَةٌ وَغِيَاضَا

* * *

وَأَلْبَسَتْ الدُّنْيَا حُلًى عَزَّ وَشَيْهًا	أَيَادِي كَالْفَجْرِ الْمُشَعِّ بَيَاضًا
رَعَى الطَّيْرُ فِي أَفْيَانِهَا وَارِفَ الْجَنَى	فَرَّاحَ قَرِيرًا بِالْحَيَاةِ وَأَضَا
وَأَخْجَلَ فِيهَا النَّرْجِسُ الْغَضُّ مِثْلَهُ	عُيُونًا صَحَاحًا فَاسْتَحَلْنَ مِرَاضًا
أَجَلَ إِنَّهُ الْقَاضِي الَّذِي رَفَقَ النَّهْيُ	بِفَضْلِ حَسْبِنَاهُ الشُّفَا وَعِيَاضًا
سُرُورٌ ، تَحْدَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ	فَقَدْ جَالَ فِي أَسْمَى الْمَجَالِ وَخَاضًا
حَبِيبٌ إِلَى الْمَشْكُورِ بَيْنَ رَحَابِهِ	شَكَوَى لَعَمْرِي كَمْ مَلَأْنِ وَفَاضًا
تَمَلَّأَ وَالشَّاكِي عَلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ	طَوَالًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عِرَاضًا
فِيَا أَيُّهَا الْمُرْسِلُ الشُّكُورَ بَاعِثًا	بِهِ الشُّدُورَ مَنْ قَاضِيَتْ لَيْسَ يَقَاضِي
فَتَى ظَمِئَتْ بِالرَّيِّ مِنْهُ حُشَاشَةٌ	وَلَمْ يَحْمِ أَرْبَاضًا لَهَا وَحِيَاضًا
نُفُوسٌ وَأَثَامٌ زَحَمْنَ حَيَاتِهِ	وَعَاشَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَجَفَّ وَغَاضًا
وَلَكِنَّهُ مِنْ جِيرَةٍ عَزَّ قُرْبُهَا	غَذَاها بِاللُّدَى مِنْ رَاحَتِهِ وَفَاضًا
فِيَا شَاعِرَ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَآلِهِ	حَنَانِيكَ هَلْ جَارَ النَّبِيِّ يَقَاضِي ؟

فرد شاعر آل البيت على ذلك الإبداع . . . قال : -

بُرُوقُ أَمَانٍ أَوْمَضَتْ إِيمَانَهَا فَسَحَّ هَتُونُ الرَّأْيَاتِ وَفَاضًا

وَأَفْلَحْتَ فِي أَنِّي أَهَمَجْتُ شُجُونَهَا فَاتَّزَعَرْتُ هَذَا أَبْحُرًا وَحِيَاضًا
وَكُنْتَ كَمَنْ يَشْكُو إِلَى الْقَلْبِ مَا بِهِ فَفَجَّرْتُ نَبْعًا كَانَ جَفًّا وَغَاضًا
وَلَوْ لَا شَكَاةُ الطُّفْلِ مَا اهْتَزَّ خَافِقُ يَعْطِفُ وَلَا قَلْبُ الصَّغِيرِ تَرَاضِي
شَكْوَتْ وَمَا نَصْتُ شَكَاتِي لِحَاذِقٍ أَذَانُ الْمَعَانِي بِالْبَدِيعِ وَقَاضِي
بَعَثْتُ لَهُ عُجْفًا تَرَدَّتْ سَمِينَةٌ وَزَادَ وَأَرْبَى لَا أَقُولُ وَعَاضًا
وَأَيْنَ الْمَعَانِي الْبِكْرُ فِي شِعْرِ شَاعِرٍ وَيَا سَعْدَ مَنْ يَجِدُ النُّهْيَ فَضَاضًا
وَزِيرَ النَّدَى وَالنُّبْلِ وَالْفَضْلِ وَالْحِجَا وَهَاتِيكَ أَذْوَاحَ زَحْمَنِ رِيَاضًا
سَلَامٌ عَلَى قَاضِي الْقَرِيضِ وَعَاذِرُ بَسَطْتُ لَهُ عُذْرِي فَهَلْ يَتَغَاضِي

سحر الكرسي

يُشَدُّ إِلَى سِحْرِ الْكَرْسِيِّ حَيَاتُهُ وَيَرْجِعُ بَعْدَ الْوُتِّ يَنْشُدُ ذَاتَهُ
فَلَا ذَاتَهُ أَبْقَى وَلَا مَجْدَ وَاهِمٍ بِأَنَّ حَيَاةَ الْوَهْمِ تُبْقَى حَيَاتَهُ
تَلَمَّسُ فِي تِلْكَ الْأَرَائِكِ نَشْوَةَ تَخِيلُهَا صَحْوًا فَكَانَتْ سُبَاتَهُ
وَأَغْرَقَ حَتَّى لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ سِوَاهَا وَإِلَّا ، لَاتَهُ « وَمُنَاتُهُ »
وَفَاقَ عَلَى سِرِّ الْحَقِيقَةِ صَارِحًا فَاجْهَشْ أَثَرَ الرَّكْبِ وَالرَّكْبَ فَاتَهُ
وَهَزْهَزَةُ الْكُرْسِيِّ هَزَّةَ عَابِثٍ فَاقْصَاهُ وَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ رُفَاتَهُ
وَقَهْقَرَهُ يَسْتَدْنِي إِلَيْهِ لِذَاتِهِ وَأَعُولُ يَسْتَعْدِي عَلَيْهِ عُدَاتَهُ
وَقَالَ لَهُ أَهْوَى الدَّمَى وَيَلْذُّ لِي هَزِيلُ الْمَعَانِي لَا أَدَارِي شِمَاتَهُ
تَعَبَّدَ بِي فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ فَضَيَّعَ حَتَّى صَوْمُهُ وَصَلَاتَهُ
وَيَا طَالَمَا هَزَّ النَّدَى مُغَرَّدٌ بِحَمْدِي فَمَا أَبْقَيْتَ حَتَّى لَهَاتَهُ
لَقَدْ مَاتَ فِي الْمَوْتَى وَزَادَ عَلَيْهِمُو وَأَخْلَفَ أَنِّي قَدْ نَسِيتَ وَفَاتَهُ

التاريخ الشامت

وَتَمَطَّى التَّارِيخُ شَمَتَانِ وَاسْتَرْخَى فَأَحْسَسْتُ فِي الْمَفَاصِلِ ضَغْطَهُ
صَارِخاً نَاعِقاً كَعَبٍّ حَقُودٍ شَالَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ ثُمَّ حَطَّهُ
كَانَ رَبُّ الْيَرَاعِ سِبْطِي فَهَلْ يَخْدَعُ رَبُّ الْيَرَاعِ فِي الْكُونِ سِبْطَهُ
أَنَا أَلْبَسْتُهُ الْقَلَائِدَ مِنْ حُرْجُمَانٍ فَمَزَّقَ الْيَوْمَ سِمْطَهُ

* * *

قَدْ وَطَأْتُمْ أَمْجَادَكُمْ وَعُلَاكُمْ شُرُوطَ مَنْ لَمْ يَزْعِ إِلَّا وَمَهُ
أَنْتُمُوهَا أَنْتُمُوهَا الَّذِي شَرَبَ الْكَأْسَ الْمُصَفَّى عَلَى رَوَاسِبِ رِمِهِ

* * *

كَلْتُمُوهَا الْمَذْحَ وَالْثَنَاءَ لِمَنْ شَوَّهَ أَزْمَانَكُمْ بِظُلْمٍ وَظُلْمَهُ
مَا اسْتَحْيَيْتُمْ وَقَلْتُمُوهَا صَانِعَ الْمَجْدِ تَبْنَاهُ قِمَّةً فَوْقَ قِمِّهِ

* * *

وَيَحْكُمُ تَخْتَفُونَ إِذَا مَا حَصَّصَ الْحَقُّ وَاسْتَدَارَ الزَّمَانُ
وَاسْتَفَاقَ أَشَدُّ وَاسْتَيْقِظَ الْوَسْنَانُ وَأَنْقَدَ فِي السَّبَاقِ الْبَنَانُ

سَوْفَ تَنْصَبُ فَوْقَكُمْ لَعْنَةَ الْعَصْرِ بِأَبْعَادِهِ وَيَفْنَى الْأَوَّانَ
وَتَمْنُونُ لَوْ تَذُوبُونَ فِي اللُّغَةِ لَكِنْ لَمْ يُسْعِفِ الذُّوبَانُ

* * *

وَتَصَاحَكْتَ ثُمَّ قُلْتَ لَهُ رِفْقًا فَقِيلَ الْوُجُودُ حُمُ الْقَضَاءِ
لَيْسَ فِي الْكُونِ غَيْرَ مَا ضَمَّتْ الْأَرْضُ وَمَا أَنْزَلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ
مَا لِهَذِي الْحَيَاةِ مَاضٍ وَلَا آتٍ وَلَا حَاضِرٍ لَهُ أَمَدَاءُ
هِيَ تَارِيخُهُ الْحَيُّ أَنْفَاسٌ وَظَرْفٌ كَمَا يَشَاءُ الْفَنَاءُ
ثُمَّ يَجْرِي الْقَضَاءُ بِالْبَعْثِ وَالْبَعْثُ امْتِدَادٌ وَلَا يَعْتَرِيهِ فَنَاءُ

. . .

فَدَعَ النَّوْحَ وَالْعَوِيلَ وَلَا تَرْجُفْ فَطَبَعَ الْأَشْيَاءُ ضِدَّ السُّكُونِ
فَإِذَا كُنْتَ مِنْ مِدَادٍ وَطِرُسٍ وَالْمَعَانِي مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
فَتَحَمَّلَ وَزَرَ الْوَعَاءِ الَّذِي مَزَقَ أَحْشَاءَهُ صِرَاعُ السِّنِينَ
ذَاقْ شَأْنَ الْغُرْبَالِ يُلْقَى الَّذِي فِيهِ بِحَسْبَانٍ مُطْمَئِنِّ ضَنِينِ
وَإِذَا كُنْتَ مِنْ تَجَادِيفِ طِينٍ فَالَّذِي فِيكَ أَصْلُهُ مِنْ طِينِ
مِنْكَ يَا صَاحِبَ طِبْنَةِ الْأَمْسِ أَمَا الْيَوْمَ فَالطِّينُ صَائِرٌ كَالْعَجِينِ
كُلُّنَا كُلُّنَا شَجٍ فَتَرَفَّقْ لَا تُحَرِّكْ نَوَازِعِي وَشُجُونِي
وَتَلَمَّلِمْ وَاسْتَبَقْ فِي الْقَاعِ إِنْ شِئْتَ ظِلَالًا مِنْ طِينِكَ الْمَسْجُونِ

بينى وبين الدينار

وأوماً بالفتنة الصارخة على قمة صعبة شامخة
بتلك الأنامل غلابها حكى الزهو فى الروعة الباذخة
يقول هلم فهذي الحياة بدونى كالحة ماسخة

* * *

وما طاب لى غير حطم العيوف وأخلاقه الساهيات الأبية
أرامق حاجاته الكاربات يلح صبى بها أو صبية
فانفذ كالسهم من بينها وازهو بمصرع تلك الضحية

* * *

وحملت فى خادع ماكر يُقامر بالشرف الغامر
ويمتص فى نشوة الساخر إباء الكرامة فى الصابر
وأشقى البلاء هوان الكريم بباب لثيم الخطى هادر

بما فيه من ذلٍّ يُرتجى مذلَّة عَفِّ اليَدِ الطَّاهِرِ
وحيث يَشِيم بِرَيْقِ النُّصَارِ إِذَا هُوَ كَالرَّاعِ الصَّاعِرِ

* * *

شحيح النَّهْيِ مِثْلُ شُحِّ الْفُؤَادِ ثَقِيلٌ عَلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ
ويَهْرُبُ مِثْلُ هُرُوبِ الْجَبَّانِ مِنَ الْأَسَدِ الزَّائِرِ الْكَاسِرِ
ويَخْشَى عَلَى الْمَالِ هَبَّ النِّسِيمِ وَتُرْعِبُهُ نَظْرَةُ النَّاضِرِ

* * *

فَمَا الصَّحْبُ فِي ظِلِّ تَقْدِيرِهِ سَوِي طُغْمَةٍ عَشِقُوا مَا لَهُ
تَنَاسَى عَلَى الْخَضْبِ أَحْوَالِهِمْ وَأَنْكَرَ فِي الْجَدْبِ أَحْوَالَهُ
كَذَلِكَ عِبَادَ دِينَارِهِمْ حَقِيرُونَ . وَاللَّهِ . أَمْثَالُهُ

* * *

فَيَا ابْنَ الْكَرَامَةِ خُضْ لِلْعُلُومِ بِحَارًا مِنَ الْفَيْضِ لَا تَنْفَدُ
وَطَاطِيءُهَا الرُّأْسَ حَتَّى تَغُوصَ فَكَمْ غَائِصٌ دُونَهُ الْفَرْقَدُ
وَمَنْ ذَلَّ لِلْعِلْمِ ذَلَّتْ لَهُ رُؤُوسٌ وَدَانَ لَهُ السُّؤْدَدُ

* * *

مجد الأدب

أَدَبُ المَجْدِ ومَجْدُ الأَدَبِ خَيْرُ أَثْوَابِ الخُلُودِ القَشِبُ
فَالْمَعَالَى فِي ذُرَاهَا شُهْبُ وَالإِطَارَاتُ رِداءُ الشُّهْبِ
وَالْمَعَانِي البَيْضُ يَعْرِوْهَا البَلَى حِينَما تَأْوِي لِجُحْرِ خَرِبِ
رُبَّ سِرٍّ غَامِضٍ قَدْ صَانَهُ فِي الْجَمَالِ الحُرُّ نَسْجُ الذَّهَبِ
وِثْمَارُ مَنْ جَنَّا الفِكْرَ ذَوَتْ فِي أَكْفٍ بِأَدْيَاتِ العَطَبِ
مِثْلُ مَا تَهْوِي صُرُوحُ رَفَعَتْ فِي بِنَاءِ عَائِمٍ مُضْطَرِبِ
دَوْحَةُ العِرْفَانِ مَجْدٌ بِادِخُ ضَوْؤُهَا الحَرْفُ كَظَلِ الكَوْكَبِ
وَالْبُطُولَاتُ وَأَمْجَادُ النُّهْيِ وَالخَبَالَاتُ وَرَاءَ السُّحْبِ
وَالثَّقَافَاتُ وَسَاحَاتُ الوَعْيِ وَهَوَى الفَنِّ وَدُنْيَا الطَّرِبِ
وَالسِّيَاسَاتُ وَمَا تَقَاسُ مِنْ شُجُونٍ وَشُثُونٍ عَجَبِ
كُلُّهَا مِنْ مُزْنَةِ الحَرْفِ ارْتَوَتْ فَتَلَقَتْ كَلِقَاءَ النِّسَبِ
فِي دَمٍ حَرٍّ كَمَا تَهْوِي العُلَا طِيبَ العِرْقِ وَشَيْجَ القُرْبِ

اللاثيات

يَا صَدِيقِي الَّذِي تَأَلَّقَ فِي الْيُسْرِ حَفِيًّا يَرِي بِقَلْبِي وَعَيْنِي
كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ حَالُكَ يَا حُلُوَّ التَّغْنِي وَيَا جَمِيلَ التَّنْثَنِي
أَيْنَ مِنِّي هَوَاكَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ قُلْهَا عَسَايَ يَكْذِبُ ظَنِّي

* * *

وَتَعَالَى الصَّدَى يُقَهِّقُهُ يَا وَبَحُّ غَيْبِي يَرِي السَّرَابَ كَمْزَنَ
كَانَ لِي يَوْمَ كَانَ غَضُّ الْأَسَاوِيرِ فَذَاكَ الْهَوَى الَّذِي كُنْتُ أَغْنِي
كُلُّ مَا بَيْنَنَا عَوَاطِفُ لَا تُسَمِّنُ يَوْمًا وَلَا مِنْ الْجُوعِ تُغْنِي

* * *

الْوَدَادُ الرَّسْمِيُّ صَدَقَ الْمَعَايِيرَ إِذَا قَسَتْهَا بِكَيْلٍ وَوَزَنَ
وَابْتِسَامَاتُنَا الْغَنِيَّةُ كَالْحَلِيَّةِ وَالسُّرُّ فِي الْجُبُوبِ يُغْنِي
نَتَبَارَى فِي الْأُمْنِيَّاتِ لِبَعْضٍ ثُمَّ لَا شَيْءَ غَيْرُ ذَاكَ التَّمَنَّى

الناقد والمنقود

الناقد الحرُّ مَشَاءٌ عَلَى سَنَنِ	أَهْدَافُهُ الْبَيْضُ قَدْ شَدَّتْ مَبَادِئَهُ
حَتَّى يَرَى نَفْسَهُ فِي النَّقْدِ مَائِلَةً	وَلَوْ رَأَى ذَلِكَ الْمُنْقُودَ شَائِنَةً
يَجْلُو الْمِحَاسَنَ فِي قَصْدٍ وَفِي آدَبٍ	كَمَا يُعَالِجُ فِي رِفْقٍ مَسَاوِيَهُ
فَالنَّقْدُ تَصْفِيَّةٌ كُبْرَى وَتَنْقِيَّةٌ	لَا جَمْرٌ يَحْرِقُ بِالنَّيِّرَانِ وَاطِّئَهُ
فَلَنْ يُجَامِلَ مَنْقُودًا بِمَحْضِ هَوَى	وَلَنْ يَثُورَ عَلَيْهِ أَوْ يُنَاوِيَهُ
كِلَاهُمَا فِي كُتُوسِ الْفَنِّ غَمْغَمَةٌ	وَطَالَمَا قَدْ تَحَدَّى الْكَأْسُ مَالِيَهُ
وَرُبَّ مُسْتَهْدَفٍ يَلْوِي بِهِ هَدَفٌ	وَرُبَّمَا مَزَّقَ الْمَكْلُوءُ كَالِيَهُ
وَالنَّقْدُ إِنْ جَلَّ عَنْ هَدَمٍ وَمَنْقَصَةٍ	بَحْرٌ مَنَائِرُهُ تَحْيِي مَوَانِيَهُ
وَلَيْسَ سَهْلًا فَحَرُّ النَّقْدِ هَنْدَسَةٌ	تُقِيمُ مُعْجَزَةً : تُقْصِي نَوَاتِيَهُ
صَوْتُ الضَّمِيرِ وَسِرُّ الذَّوْقِ جَوْهَرُهُ	كَمَنْ يُرَاقِبُ : فِي نَجْوَاهُ بَارِيَهُ

* * *

الصدقان

عَرَفْتُهُمَا قَبْلَ أَنْ يُعْرِفَا مُضِيِّينَ فِي الْوَدِّ كَالْمَقْتَلَيْنِ
 لَقَدْ رَضَعَا مِنْ لِبَانِ الصِّفَا كَأَنَّهُمَا صَاحِبَا الرِّقْمَتَيْنِ
 وَاسْعَى لِدَارِيَهُمَا طَائِعًا كَمَنْ خَفَّ لِلْسَّعْيِ فِي الْمَرَوَتَيْنِ
 وَعَاشَا عَلَى الْحُبِّ مَا أَخْلَفَا لَهُ مَوْعِدَا يُبْعَدُ الْخَطَوَتَيْنِ
 فَغَارَ الصُّدُودُ وَغَارَ الْجَفَا وَهَمَّا بِمَا يُوْغِرُ الْمُهْجَتَيْنِ
 فَقَدْ سَاوَمَا الْجَاهُ أَنْ يَعْرِفَا عَلَى وَتَرٍ وَاحِدٍ نَغْمَتَيْنِ
 فَوَاحِدَةً تَشْطُرُ الْأَحْرُفَا كَمَا انْشَطَرَتْ نَجْمَةٌ نَجْمَتَيْنِ
 تُرِيكَ التَّنَافُسَ كَيْفَ اصْطَفَا وَشَاحَ الْمَعَارِكِ فِي الْجَبْهَتَيْنِ
 وَزَحَمَتَهُ تُلْهِبُ الْمَوْقِفَا فَتَجْعَلُ عَزْفَتَهُ عَزْفَتَيْنِ
 وَثَانِيَةَ النَّغْمَتَيْنِ الْوَفَا تُصَوِّرُهُ ثَانِي الْخُدَعَتَيْنِ
 وَدَارَتْ حُمَيَاهُمَا قَرْقَفَا لَهَا أَلْقَ الصَّخُوفِ فِي الْجَمْرَتَيْنِ
 وَعَبَّ طَرِيفٌ فَلَمَّا اخْتَفَى عَنْ الْحِسِّ يَسْبَحُ فِي الضَّفَّتَيْنِ

تَخِيلُ أَنَّ السَّمَاءَ اخْتَفَى بِمَقْدَمِهِ حَامِلًا شَمْعَتَيْنِ
وَبَدْرَ السَّمَاءِ لَهُ قَدْ وَفَا وَحَيَّاهُ مَبْتَسِمًا بَسْمَتَيْنِ
وَفَوْقَ الدُّرَى الشَّمُّ قَدْ رَفُرَفَا يُوَاكِبُ فِي الْجَوِّ شَحْرُورَتَيْنِ
رَأَى الْوَدَّ بَيْنَهُمَا عَازِفًا صَدَى فَرْحَةٍ أَشْرَفَتْ مَرَّتَيْنِ
وَمَهْمَا قَسَا الدَّهْرُ أَوْ أَنْصَفَا لَصِيقَيْنِ شَبًّا عَلَى الْحَالَتَيْنِ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُ خَلَفَا صَدِيقَ الطُّفُولَةِ فِي كَرَبَتَيْنِ
وَلَمْ يَتَذَكَّرْ بِهِ الْمَوْقِفَا فَقَدْ عَظُمَ الْخُلْفُ فِي النَّظَرَتَيْنِ
لَكِنَّ تَوَآمَهُ الْمُنْصِفَا « وَلِيدَا » تَأَلَّقَ فِي دُمْعَتَيْنِ
وَشَقَّ الطَّرِيقَ كَمَا أُسْرَفَا إِلَى وَجْهَةٍ لَا إِلَى وَجْهَتَيْنِ
فَقَبَّتْ أَقْدَامُهُ وَانْكَفَى بِعَذْبِ النَّسِيمِ مِنَ الشُّرْفَتَيْنِ
وَمَنْ أَحْكَمَ الْهَدَفَ الْهَادِفَا إِلَى اللَّيْثِ لَمْ يَنْتَظِرْ قُبْلَتَيْنِ
وَمَنْ جَاوَرَ الشَّادِنَ الْأَهْمِيْفَا فَلَيْسَ كَمَنْ يَمَّمُ الْقِبْلَتَيْنِ
وَطَارَا إِلَى الْجِدِّ هَذَا وَفَا لَهُ حَقُّهُ فِي « رَبِّي » الْمَكْتَبَيْنِ^(١)

(١) يشير الى من فرق بين مكة وبكة في المدلول

ويخلو خِصامُ العُلا عاصِفاً فليس سِويَ وَهَجِ الحِقْبَتَيْنِ
 وموتُ العُلا كالهوي إن شَفَا عَلِيلاً نَمُوتُ بِهِ مَرَّتَيْنِ
 وَأَرْقَى سَامِقٌ قَدْ عَفَا وَذَابَتْ مَعَانِيهِ فِي لَحْظَتَيْنِ
 وَفِي نَشْوَةِ الجِدِّ لَمَّا غَفَا تَقَطَّعَ مُحْتَرِقاً قِطْعَتَيْنِ
 وَقَدْ وَخَطَ الشَّيْبُ عَهْدَ الصَّفَا وَعَهْدَ شَبَابِ المُنَى وَخُطَّتَيْنِ
 وَمَا رَاعَى بَعْدَ ذَلِكَ الجَفَا وَبَعْدَ القَطِيعَةِ فِي الذُّرُوتَيْنِ
 سِوَى نَغَمٍ حَرَكِ المَعْرِفَا وَبِحَثِّهِ مِنْ صَدَا البَحْتَيْنِ
 وَفِي الجِدِّ مَعْنَى غَرِيبِ الصِّفَاتِ عَلَى الدَّرَبِ لَا يَقْبَلُ الزَّحْمَتَيْنِ
 فَإِنْ أَخْصَبَتْ فتراتُ الجَفَافِ اطمئناً إِلَى شامِخِ القِمَتَيْنِ
 فَضَمَّهُمَا ضَمَّةً اعْتَفَا مِنْ أَلْحَبِ رَقَّتْ بِهِ بَرَقَتَيْنِ

عندما يبكي العقل

أهدي هذه القصيدة إلى نوعين : من الناس الذين عرفتهم
وجهلوني والذين عرفوني وجهلتهم .

تَسَائِلُنِي كَيْفَ التَّقِينَا عَلَى هَوَى شَحِيحِ الْمَعَانِي كُلُّ أَرْبَاضِهِ مَحَلٌ
فَمَا آتَسْتَنَا فِي فَيَافِيهِ نَسْمَةٌ وَلَا طَلْنَا فِي جَوْفِهِ أَبَدًا طَلٌ
وَلَا ظَلَّلْتَنَا فِي سُرَاهِ سَحَابَةٌ وَلَا بَارِقٌ حَتَّى وَلَوْ خَلَبٌ ضَحَلٌ
رَضِينَا بِأَشْوَاكِ الْقِتَادِ وَمَا رَتَضْتُ فَيَاوِيحِ سَارِ عَافِهِ الصَّعْبُ وَالسَّهْلُ
وَدُرْنَا وَدَارَتْ حَوْلَنَا الْبَيْدُ هَلْ تَرَى جُنُنًا أَمْ الْبَيْدَاءُ قَدْ مَسَّهَا خَبَلٌ
وَمَا أَنَا فِي شَكٍّ مِنَ الْحَبِّ إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ هَلْ لِلنَّارِ مِنْ جَمَرِهَا ظِلٌ
أَجَلٌ فِي اللَّطَى عِشْنَا وَفِي الْقَلْبِ جَنَّةٌ لَهَا شَفَقٌ يَزْهُو بِحُمْرَتِهِ النَّخْلُ
وَفِي غُنْفَوَانِ الْجَذْبِ تُخْصِبُ لَوْبَدَتِ بَوَادٍ مِنَ النِّعْمِ يَلِجُ بِنَا الْوَبْلُ
أَجَلٌ فِي حَوَاشِينَا تَرِفُ خَمِيلَةٌ رَبِيعَةُ الْأَنْدَاءِ تَزْكُو وَتَخْضَلُ
لَهَا أَلْقُ أَمَا إِذَا الشَّمْسُ زَاوَرَتْ فَيَضْحُو وَبِالْمُزْنِ الْعَقِيقِيُّ يَنْهَلُ
وَنَضْحُو عَلَى هَمْسِ الْكَرَى مِثْلَ مَا صَحَّتْ عَلَى النَّرْجِسِ الْعَفْوَانُ أَعْيُنُهُ النَّجْلُ

ضَحِكْنَا فَعَبَّ النِّجْمُ نَحْبَ شَعَاةِ وَرَفَّتْ عُرُوقُ الْأَيْكَ تَغْفُو وَتَنْحَلْ
 وَغَرَّدَ لَحْنُ عِبْقَرِيٍّ كَأَنَّمَا تَعَجَّلَ ضَوْءُ الْفَجْرِ طَال بِهِ اللَّيْلُ
 فَقُلْتُ لَهَا يَا مَيَّ لِلْحُبِّ مَنْطِقُ فَرِيدٌ فَلَا زَمَرَ لَدَيْهِ وَلَا طَبْلُ
 مَطَالِعُهُ فَوْقَ السَّحَابِ فَإِنْ دَنْتُ مَنَازِلُهُ فَالْحُبُّ مِنْ دُونِهَا يَعْلُو
 وَأَجْوَاؤُهُ حُمُرُ الْمَطَا لَا قَشَاعِمُ تُزَاحِمُ عُقْبَانَا هُنَاكَ وَلَا جُدُلُ
 وَلَا نَهْجُهُ نَهْجَ الْقَطَا وَهُوَ سَابِحُ وَلَا لِمَرَامِي شَأُوهُ أَبَدًا سُبُلُ
 إِذَا حَارَبَ الْهَادُونَ جَهْلًا بَعْلَمَهُمْ فَعِلْمُ الْمُحِبِّينَ الْغَبَاوَةُ وَالْجَهْلُ
 وَإِنْ ضَحِكَ الْقَلْبُ الشَّجِيُّ وَرَاقَصَتْ مَعَانِيهِ أَطْيَافُ الْحَيَاةِ بِكِي الْعَقْلُ

• • •

عندما يضحك الدم

وَوَمَضُ تَوَارِي بَيْنَ أَعْطَافِهِ سُؤْلُ وَغَرَّدَ فِي «مِي» نَحِيبٌ مُهْدَهْدِ
أَتَغْرِضُ لِلْحُبِّ الْمُوشِجِ سَلْوَةٌ أَيْسُطُو عَلَى أَعْرَاقِهِ : الْعِزُّ وَالذُّلُ
أَيَعْرُوهُ مَا يَعْرُو الرِّبِيعَ أَظْلَاهُ خَرِيفٌ فَيَذْوِي فِي الْغُصُونِ وَيَنْسَلُ
وَهَلْ هُوَ مِثْلُ الْكُونِ يَرْجِفُ إِنْ عَدَتْ زَلَّازِلُ أَمْ تَعْدُو رَوَاسِيَهُ الْبُسْلُ
وَهَلْ لِسُومِ الشَّكِّ وَالْغَدْرِ جَوْلَةٌ تُحَاوِرُهُ حَتَّى يَرِثَ لَهُ . حَبْلُ
وَكَيْفَ يَجُورُ الْحُبُّ وَالسُّرُّ وَاحِدٌ أَمَا كَانَ مِثْلًا حِينَ قَالَ هُوَ الْمِثْلُ
فَقُلْتُ خَلَائِكَ الدَّمُ قَدْ يَحْجُبُ السَّنَا دَبِيبٌ : كَمَا دَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا النَّمْلُ
خَفَاءً بِلا ذَنْبٍ لِجَانِبِهِ لَوْ دَرَى لَكَانَ لَدَيْهِ الْمَوْتُ أَسْهَلَ وَالْقَتْلُ
وَمَا هُوَ لَوْ لَوْ فَاْلَهْوَى حُلَّ أَمْرُهُ وَكَمْ فِي سَبِيلِ الْحُبِّ يَمْتَنِعُ الْحُلُّ
رَقِيقٌ كَحَدِّ السِّيفِ أَمَا صَفَاؤُهُ فَبِالْعَيْنِ مِنْ إِشْعَاعِهِ النَّهْلُ وَالْعَلُّ
وَكَمْ مِنْ دَمٍ فِي الْعِرْقِ يَجْرِي وَرَاءَهُ دَمٌ لَيْسَ مِنْهُ قَدْ يَمُرُّ وَقَدْ يَخْلُو
وَيَا وَيَلْنَا مِنْ ضِحْكَةِ الدَّمِ لَيْتَنَا ضَحِكْنَا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَضْحَكَ الْعَقْلُ

...

رودة القز

حَسِبُوا أَنَّهَا إِذَا نَسَجَتْ نَسْجًا جَمِيلًا يَمْتَصُّهَا فَتَذُوبٌ
وَهِيَ فِي جُهِدِهَا الْمُحَجَّبِ تَحْيَا فِي جَدِيدٍ هُوَ الْبَقَاءُ الْعَجِيبُ
لِمَ هَذَا وَكَيْفَ ؟ ذَلِكَ سِرٌّ فِي مَدَارَاتِهِ الْحَيَاةُ تَلُوبُ
هُوَ حِينًا يَبْدُو عَلَى النَّسْجِ الْعَالِيِ وَحِينًا بَيْنَ الضُّبَابِ يَغِيبُ

* * *

كَثَمْتُ أَنَّهَا تُمَزَّقُ ذَاكَ النُّورَ مِنْ جُهِدِهَا كَمَا تَشِعُّ الْكُرُوبُ
ثُمَّ تَعْدُو فَرَاشَةً فِي انْطِلَاقِ تَنْفُثِ « الْبَيْضِ » بِالْحَيَاةِ يُؤُوبُ
إِنَّهُ بَعَثَهَا الْجَدِيدَ وَلَوْلَا ذَلِكَ النَّسْجُ لَاحْتَوَاهَا الْمَغِيبُ
كَمْ غُرُوبٍ يَلُوحُ مِنْهُ شُرُوقٌ وَشُرُوقٌ يُطِلُّ مِنْهُ الْغُرُوبُ
فَالَّذِي يَسْرِقُ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَوْتِ يُوفِّيَ لَهُ كَمَا يَشَاءُ النَّصِيبُ
إِنَّهُ الْبَاذِلُ الْحَيَاةَ لِأَسْمَى مَا يُرْجِيهِ فِي الْحَيَاةِ دَوُوبُ
لِلْبَقَاءِ الْجَمِيلِ فِي الْأَثَرِ الْأَبْقَى وَبِالْمَجْدِ لَا تَضِيقُ الدُّرُوبُ

...

لم يكن بذله لأجل مُرادِ النَّفسِ فالعاشقُ المُرادُ سَلِيبٌ
 وَخَصِيبُ المني على شهوة الذات وإن فاض فيضُه لَجَدِيبٌ
 جَوْهر المَجْد في معانيه فَرْدٌ لَا يطيق العَدُولُ بَلْ يَسْتَرِيبُ
 شَرَفٌ واحدٌ إذا مَزَجُوهُ بِهَوَى غَيْرِهِ عَرَاهُ الشُّحُوبُ
 شَرَفٌ سِرُّه الجمالُ المصنَى ضَوْؤُهُ في شُعَاعِهِ مَسْكُوبُ
 ذَائِعُ الدَّفْنِ شَائِعُ الحُبِّ لَا تَرْقِصُ إِلَّا على سَنَاهِ القُلُوبِ
 مَا لَهُ من جَدَاهِ أدنى نَصِيبٍ مَا لَهُ في ارتِفَاعِهِ مَنْسُوبُ
 اللَّذَّاتُ عِنْدَهُ في الوَعَى الحُرَّةِ يُدْعَى لِخَوْضِهَا فَيُجِيبُ
 وَأَمَانِيهِ أَنْ تُزِفَ الأَمَانِي فَإِذَا طَابَتُ الحَيَاةُ يَطِيبُ
 وَتَلَفَ الحَيَاةَ آصِرَةُ الرَّحْمَى سَوَاءٌ بَعِيدُهَا والقَرِيبُ
 أَنَّمَا تَضْحَكُ الكُرُوبُ وَتَمْتَدُّ إِذَا ضَاقَ بِالحَيَاةِ غَرِيبُ
 حَيْثُ لَا غُرْبَةٌ إِذَا صَدَقَ الحِسُّ فَمَا فِي الوجودِ إِلَّا نَسِيبُ
 وَعَطَاءُ القُلُوبِ أَسْمَى عَطَاءٍ وَاهِبُ الحُبِّ نَفْسُهُ المُوْهَبُ
 كُلَّمَا صَفَّقَ المُدَامَةَ ذَوَاقُ شَذَاهَا يَبْقَى السَّنَا وَتَذُوبُ
 وَتَعِيشُ الظَّلَالُ حَرَكَهَا الوَقْدُ وَحَلَى أَطْيَافُهُنَّ اللَّهِيبُ
 وَاسْتَرَا حَ الكَمَالُ فَوْقَ مَدَاهِ وَتَسَاوَى المَحِبُّ والمَحْبُوبُ

...

إلى تهاني

دخلت غرفة ابنتي « تهاني » في البيت وهي في المستشفى تعملُ
عملية الزائدة : فنظرت إلى صورتها وكتبت تحتها هذه الأبيات :

لَا خَلَا : مِنْكَ زَمَانٌ لَا خَلَا : مِنْكَ مَكَانٌ
يَا ابْنَتِي قَدْ غَبَتْ أَيَّاماً لَهَا شَانٌ : وَشَانٌ
فَصِغَارُ الْبَيْتِ غَدَتْهُمْ وَإِيَّاكَ لِبَانٌ
فِي دُعَاءٍ : عَنْهُ لَمْ يَفْتَرِ جَنَّانٌ : وَلِسَانٌ
يَا تَهَانِي كُلُّكُمْ عِنْدِي أَمْنٌ وَأَمَانٌ
فَرَحَةٌ تَمْشِي وَأَكْبَادٌ حَوَاشِيهَا حَنَانٌ
وَعُقُودٌ خَالِيَاتٌ أَنْتُمْو : فِيهَا الْجُمَانُ
وَأَزَاهِيرٌ رَبِيعٌ غَارَ مِنْهَا الْأَقْحَوَانُ
سَعُودِينَ كَمَا عَادَ بِنِعْمَاهُ الزَّمَانُ

إِنْ تَكُنْ « زَائِدَةٌ » عِنْدَكَ تُقْصِي وَتُبَيِّنُ
فَلَقَدْ تَكْمُلُ بِالنَّقْصِ كِعَابٌ : وَحِسَانُ
وَعَلَى الْإِيجَازِ كَمْ يَحُلُو حَدِيثٌ وَبَيَانُ
وَالَّذِي زَادَ عَلَى زَيْفِ طِلَاءٍ وَدِهَانِ
إِنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَإِنْ زَادَتْ ثَمَانُ
وَتَعُودِينَ كَمَا عَادَ بِنِعْمَاهِ الزَّمَانُ
قَدْ حَمِدْنَا اللَّهَ وَالتَّعْمَى بِشُكْرَانٍ تُصَانُ

* * *

فَلَكُمْ : مَرٌّ عَلَى الْخَاطِرِ مَعْلُولٌ مُهَانَ
مَا لَهُ ضَلَعٌ وَلَا رِيشٌ وَفِي الرِّيشِ الْكِيَانُ
كَمْ كَرِيمٌ قَدْ تَخَطَّاهُ لَيْثٌ أَلْعَبَانُ
لَيْسَ فِي الْوُجْدَانِ رُحْمَى لَيْسَ فِي الْكَفِّ لِسَانُ
يَا ابْنَتِي : الصَّدَقَ فَإِنَّ الصَّدَقَ نِعْمَ التَّرْجُمَانُ
مِثْلُ مَا نَعْمَلُ نَلْقَى وَبِمَا دَنَا نُدَانُ
وَالَّذِي يَسْعَى لِهَوْنِ النَّاسِ : لَا شَكَّ يُهَانَ

حَسْبُنَا الصَّحَّةُ وَالْعَفْوُ فَذَٰكَ : الصَّوْلَجَانِ
وَهُمَا السَّرُّ الْمُرْجَى حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ
وَهُمَا الْخَمْرُ الْمَصْفَى لَيْسَ مَا تَسْقَى الدَّنَانُ
وَهُمَا النَّعْمَاءُ لَا يَهْرَمُ فِيهَا الْعُنْفَوَانُ
فَارْقُبِي السَّعْدَ كَمَا تَهْوِينِ قَدْ آتَى . . . الْأَوَانُ
إِنَّ مَنْ يَطْرُقُ بَابَ اللَّهِ مُحْفُوظٌ مُعَانُ
مِثْلَمَا يَقْهَرُ حُرُّ النَّفْسِ رَغْدِيدُ جَبَانِ -
أَوْ يَصِدْ فِي عَكْرِ الْمَاءِ دَعَىٰ بِهِلَوَانُ

* * *

شاعر الأمس

ياشاعرَ الأمسِ كانَ الأمسُ رابيةً منَ العقيقِ عليها تَنطَفُ السُّحبُ
تَهْتَزُّ أَعْطافُها في مَحْمَلٍ عَجَب الفرحةَ البِكرُ من أَرجائه تَشِبُ
ولمَّها العَيْنِ خَطوُ في مَدارجِه والبدرُ يُسْفِرُ أَحْيَانًا وَيَنْتَقِبُ
نَشْوَانَ في عَبَقِ هَيْمانِ في أَلقَى العَيْنُ في ضَوْئِه تَنأى وَتَقْتَرِبُ
وللثُرَيَّا حَفيفٌ حَوْلَ هَالَتِه كَمَا يَثْنُ بِجُنْحِ اللَّيْلِ مُغْتَرِبُ
كَانَها في رِحابِ الخُلْدِ غَانِيَةً أَثَرِي بِها الحُسْنُ حَتَّى شَعْرُها ذَهَبُ

* * *

ياشاعرَ الأمسِ رَوَّتْكَ الحِياةُ هَوًى غَضًّا تَمْنَى شَذاهُ الكَرَمُ والعِنبُ
تَمَوجُ في سُبُحاتٍ مِنْ عِوالمِها كَمَا تَمَواجِ لَيْلٍ فِيكَ مُضْطَرِبُ
سِوَادُه كَسِوَادِ العَيْنِ مَاتَلِقُ بِنُورِ إِنسانِها وَالْمُلْتَقَى عَجَبُ
الحِسنُ رافِدُه الأَسْمى وَرائِدُه والحِسنُ مُنْطَلِقُ شُقَّتْ لَه الحُجُبُ
طِباعُه كَطِباعِ اللَّيْلِ رَفَرَفَةٌ فَوْقَ المَدى وَرِحابِ ما لَها طَنَبُ
تَمَدُّ لِلحُبِّ أَسْبابًا مُغَرَّبَةً أَحلامُها نَغَمٌ أَسرارُها قُرْبُ
لا تَأَلَّفُ القَيْدُ يُملِئُه النُّهى قَدْرًا يَجري على سَنَنِ تَعْيَا بِهِ الحِقَبُ

فَللنَّهَى شِقْوَةً مِنْ عَجَزِهَا نَصَبَتْ
 يَاشَاعِرَ الْأَمْسِ كَانَ الْأَمْسُ أَجْنَحَةً
 ظِلَالُهَا كَرِيَاضِ الْخُلْدِ ضَاحِكَةٌ
 شَبَابُهَا مِنْ شَبَابِ الرُّوحِ مُصْطَفَقٌ
 فَلَيْسَ تَهْرُمُ فِي أَعْمَاقِ نَشْوَتِهِ
 فَإِنْ نَأَتْ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ بَهْجَتِهِ
 وَإِنَّمَا مِنْ لُهَابِ الرُّوحِ جَدْوَتُهُ
 يَاشَاعِرَ الْأَمْسِ عَادَ الْأَمْسُ أَصْبَغَةً
 وَمُدْخِنَاتٍ لَظَى قَدْ رَاحَ يَنْسِجُهَا
 حَتَّى الْمَظَلَّةُ كَانَتْ فِي حَانِيَةِ
 عَادَتٍ وَسِيلَةَ فَتْكَ نَسْجُهَا حُمَمٌ
 فَأَعْجَبَ لِمُنْتَحِرِ يَرْمِي فَرِيَسَتَهُ
 يَاشَاعِرَ الْأَمْسِ هَلْ نَمَضَى عَلَى سَنَنِ
 وَأَيُّ ظِلٍّ خَيَالٍ لَمْ يَلِدْ نَسَقًا
 يَاشَاعِرَ الْأَمْسِ دَعُهُمْ تِلْكَ تَجْرِبَةٌ

شِرَاكِهَا تَتَحَدَى وَهِيَ تَنْتَحِبُ
 كَأَنَّهَا مِنْ خِصَابِ الْخُورِ تَخْتَضِبُ
 وَسِخْرُهَا مِنْ حُمَيَّا الْخُلْدِ مُنْسَكِبُ
 وَالْأَنْجَمُ الزُّهْرُ فِي أَقْدَاحِهِ حَبَبُ
 إِلَّا السِّنِينَ عَلَيْهَا تَضْحَكُ الشُّهْبُ
 هَبَّتْ لِتَرْجِعَهُ الذِّكْرَى فَيَقْتَرِبُ
 وَكَمْ شَبَابٌ خَبَا فِي شَرْخِهِ اللَّهَبُ
 وَأَفْؤُسًا فِي بُطُونِ الْغَابِ تَخْتَطِبُ
 مِنَ الْقِتَامِ هَدِيرٌ لَحْنُهُ صَخِبُ
 يَخْنُو عَلَى صَبَّهَا مِنْ ظِلِّهَا سَبَبُ
 يَجْرُهَا عَسْكَرٌ مُسْتَهْتَرٌ لَجِبُ
 وَرَبَّمَا مَسَهُ مِنْ دُونِهَا الْعَطَبُ
 تَشَعَّبَتْ فِي مَلَاوِي خَطِّهِ الشُّعْبُ
 مِنَ الْحَقَائِقِ حَتَّى اللَّهْوُ وَاللَّعِبُ
 تَمُرُّ وَالْأَصْلَحُ الْأَبْقَى لَهُ الْغَلَبُ

...

أدوا الأمانات

أَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا تَعَبْتُ : مِنْ « بُكْرَا » وَمَنْ ظَلَّهَا
مَمْطُوطَةٌ تَسْبَحُ فِي عَرْضِهَا وَرُبَّمَا تَسْبَحُ فِي طُولِهَا
فِي سَبْحَةٍ زَعَمُوا أَنَّهَا خَمَائِلُ الْأُنُسِ عَلَى مَحَلِّهَا
لَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى أَرْضِهَا لَا رَفَّ قِمَرِيٌّ عَلَى نَخْلِهَا
أَتَعَبَنِي هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ الْأَفْنِينَ مَعَ مِثْلِهَا
وَطَالَتِ الْغُرْبَةُ مَشْدُودَةً لِكَرْبَةٍ أَخْبَطَ فِي لَيْلِهَا
خَابَرْتُهُ قُلْتُ لَهُ أَدَّهَا يَبْعُضُهَا إِنْ شِئْتَ أَوْ كُلَّهَا
إِلَى وَكَيْلِي حَامِدٍ إِنَّهُ أَسْلَفَنِي أَكْثَرَ مِنْ جُلِّهَا
فَرَدَّنِي يَطْلُبُ أَنْ أَحْضُرَا بِالذَّاتِ أَوْ أُحْرَمَ مِنْ نَيْلِهَا
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ عَلَى غُصَّةٍ هِيَ إِلَى الْمَوَدِّعِ مِنْ أَجْلِهَا
لَعَلَّهُ خَيْرٌ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً : أَنْعَمَ فِي سَهْلِهَا
وَلَمْ أَكْذِبْ خَبَرًا مُبْهَمًا حَمَلْتُ نَفْسِي فَوْقَ مَا حِمْلُهَا

وَجِئْتُ لِلصَّاحِبِ فِي فَرَحِهِ أَقْبِضْ قِيَضَاتِي عَلَى أَصْلِهَا
 فَهَشْ فِي الْوَجْهِ عَلَى خَشْبَةٍ كَقَاصِدِ الْحَسَنَاءِ فِي أَهْلِهَا
 وَمَنْ غَدَا لِبُعْدِهَا : : بَعْدَهُ أَلْمَحْ لِي بِالْيَأْسِ فِي وَضْلِهَا
 وَقَالَ لِي فِي جَفْوَةٍ سَاخِرًا أَتَيْنَ بَقَايَاكَ عَلَى كُلِّهَا
 فَقُلْتُ مَاذَا تَبْتَغِي مِنْهُمْ أَمَانَتِي وَحَدِي وَمَنْ : حِلُّهَا
 قَالَ اشْكِنِي إِنْ شِئْتَ لَكِنَّهَا دَارُ ابْنِ لَقْمَانَ عَلَى حَالِهَا
 فَقُلْتُ أَشْكُو حَالِي كُلَّهَا اللَّهُ يَا وَيْلَكَ مِنْ وَيْلِهَا

* * *

تَحْنُتُ وَشَكَر

جاءتني من الصديق الأديب الكبير الأستاذ السيد علي عامر
قصيدة يهنئني فيها بزفاف إبنتي مرام ويدعوني باسم الصحافة
السعودية إلى مغادرة مصر والعودة إلى المملكة فأجبت بهذه القصيدة .

شكرا

شكراً فَقَدْ عَوَّدَتْنِي	حُلُوَ الْمَعَانِي الْخُرْدِ
بِهَيْجَةٍ كَالْعَسْجَدِ	شَرِيفَةٍ كَالْمَقْصَدِ
مَا ضَرَّهَا طَوْلُ النَّوَى	أَوْفَدَتْ أَوْ لَمْ تَفِدِ
فِي أَلَنِي مُعْطَرٍ	مِثْلَ الشَّذَى الْمُنْصَدِ
مَسْجُوعَةٍ كَأَنَّهَا	تَرْجِيْعُ شَادٍ غَرْدِ
مَجْبُوكَةٌ مِنْ زَرْدٍ ..	فِي حُلَّةٍ مِنْ بَرْدِ
صَافِيَةٍ مِنْ كَدَرِ	نَقِيَّةٌ مِنْ حَرْدِ
تَحْكِي الْمُنَى رَقَافَةً	مِنْ خَلَدٍ لِحَلْدِ
صَارَ الْمَرَامُ نَسْجُهَا	مِنْ مُهَجٍّ وَأَكْبَدِ
فَإِنْ نَأَتْ فَرَحْتُنَا	فَإِنَّا لَمْ نَبْعُدِ

بالروح بالمعنى الوض	ي هالة في الجسد
فخذ حديث القلب من	نخب هوانا السرمدي
معضورة خمرته	من خافق لم يبرد
مفتونة بالدردي	س في دنان الأبد
مختومة ما مسها	ثغر ولا ظل يد
أثارة الماضي الذي	عشنا وبقيما مجهد
مخبوءة مذخورة	لما نرجى في غد
فلينها يا صاحبي	رهينة بالموعد
يوم العلا يوم الذرى	في موطنى فى بلدي
ونلتقى فى فرحة	غامرة لم تهجد
مؤارة صخابة	فوق السهى والفرقد
بادئة بريئة	من عبث ومن رد
هى الوجود قبلها	كأننا لم نولد
ونعد كيف الحال	يا أخا الهوى المتقد
وهل تردد الشط فى	غفلة عين الرصد

وتُحَلُّ المَقْلَةُ أَمْ . .
طَارِيءٌ أَوْ عَارِضٌ
وَكَيْفَ نَقْضِي الْوَقْتَ ف
وَكَيْفَ زَيْدَانُ وَيَاسِي
وَالْجَهْبَذُ الْأَشْيَ مِنْ
أَبْلِغْهُمُوا الْوَكَةَ
فِي غُرْبَةٍ قَاسِيَةٍ
وَكُلْ مَا يَشْفَعُ لِي
إِنِّي هُنَا مِنْ أَجْلِهِ
أَطْعَمَكَ اللَّهُ وَلَوْ
تَرَى الشَّابَّ مِنْ جَا
وَتَزْرَعُ النُّورَ عَلَى
فَرَبَّمَا طَابَ الثَّرَى
وَرَبَّمَا وَرَبَّمَا . .
وَلَا تَهَبْ مِنْ أَحَدٍ
فَاقْضُ لَهَا يَا دَلْعِدِي
«مَوْلُودَةٌ» مَوْلُودَةٌ . .
عُودَتْ مَا لَمْ تَعْتَدِ
أَوْ خَلَلَ فِي الْمِرْوَدِ
ي الرُّوشَنُ أَوْ فِي الْمَقْعَدِ
ن وَأَهْلُ الْمُدَدِ . .
زَكَا يَعْطُرُ الْمُخْتَدِ
مِنْ ظَامِيءٍ لَمْ يَرِدِ
يَا صَاحِ أَوْهَتْ جَلْدِي
فِي تَعَبِي لِكَيْدِي
فَلَنَذَرَ كَيْدِي وَلَدِي
بُرْعُمَةٍ كَالشَّهْدِ
مَدِيدٍ بِالْمَعَانِي الْجُدِ
نَهَجٍ خَلَا مِنْ عُقَدِ
فِي خَطْوَةِ الْمُتَيْدِ
حَمَدَتْ مَا لَمْ تَحْمَدِ
فَأَنْتِ مِثْلُ «أَحَدِ»
«جِيدَانَةٌ» فِي غِيَدِ
فِي بُرْجٍ ثَوْرٍ أَوْجَدِي

...

البراءة الحاملة

أَيُّ حُبٍّ مَهْمَا سَمَا وَتَعَالَى بِالِغُ فِي سَمَائِكَ الْآمَالَا
فَجَرَتْ مَجْدَهُ الْعَرِيقُ مِنَ النَّفْسِ يَنَابِيعَ صَفَقَتِهِ زُلَالَا
سَكَبَتْهُ رُوحِي فَطَابَتْ بِمِرْآةٍ وَضَمَّتْ حَقِيقَةً وَخَيَالَا
وَرَوَتْهُ مِنَ الشُّعَاعِ الْمُصْفَى عَسْجِدِيَا مُعْطَرًّا سَلْسَلَا
بَعْضُ نَفْسٍ وَسِرٌّ مَعْنَى عَمِيقُ كَانَ لَوْلَا الْوُجُودُ أَمْرًا مُحَالَا
إِنَّهُ غُضْنُ دَوْحَةٍ قَدْ تَغَنَّتْ لَوْ شَآهَا فِي قِمَّةٍ لَنْ تُطَالَا

* * *

سَأَلَ الْعَقْلُ : خَاشِعًا هَلْ لِعَاطِفَةِ الْحُبِّ مِنَ السُّخْرِ مَا يَقُكُّ الْحَبَالَا
هَذِهِ الْبَرَعُمُ النَّدِيَّةُ تَحْيَاهَا لِتَرْعَى طُفُولَةً : أَمْ جَمَالَا
وَالْأَمَانِي قَدْ حَوَّلَتْكَ عَنِ النَّفْسِ إِلَى ظِلِّهَا لِتَنْعَمَ حَالَا
وَتَغَافِلْتَ عَنِ سَنَا الْبَدْرِ وَضَاءٍ بِهَذَا الَّذِي تَظُنُّ هِلَالَا

الْمَجَالَات كُلُّهَا فِي النَّهْيِ الْوَاصِلِ لَا فِي طُفُولَةٍ تَتَلَّالَا . .
 وَتَصَدَّتْ مِنَ الطُّيُوفِ الْغَوَالِي لَمَحَاتٌ عَلَى النَّهْيِ تَتَغَالَى
 تَتَحَدَّى الْأَطْوَادَ : لُحْنٌ ثِقَالًا بِرُؤْيٍ أَرْسَلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا . .
 إِنَّمَا هَذِهِ الطُّفُولَةُ أَسْرَابُ شِفَافٍ لَا تَعْرِفُ الْأَوْحَالَ
 إِنَّهَا الرُّوحُ فِي طَبِيعَتِهَا الْحُرَّةُ وَحْيٌ لَمْ يَأْلَفِ الْأَغْلَالَ
 إِنَّهَا الْوَجْهَ لِلخَلِيقَةِ مَذْ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَسَائِمًا وَظِلَالًا . .
 لَمْ يُدْنَسْ جَبِينُهَا وَضُرُّ الذَّاتِ أَنَانِيَّةٌ وَنَفْعًا مُذَالَا
 هِيَ أَنْفَاسُهَا اللَّطَافُ هِيَ الْمُثُلُ الْعُلْيَا لَعَمْرِي بَرَاءَةٌ وَجَلَالَا
 إِنْ فِيهَا خُلُودًا لِأَسْمَى . . الرِّسَالَاتُ عَطَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ تَوَالَى
 إِنْ فِيهَا مِنَ الْجَمَالِ الْمُسَجَّى بِمَعَانِيهِ مَا يَدِقُّ مِثَالَا . .
 إِنْ فِيهَا خَلَاوَةُ الْبَشَرِ الْوَاعِلِ فِي عُمُقٍ جَيِّفَةٍ تَتَعَالَى
 قَذَرٌ عَاشَهُ وَيَحْمِلُهُ النَّاسُ غُثَاءً وَكُدْرَةً وَضَلَالَا . .
 مَا أَحْسَوْا بِثِقَلِهِ عِنْدَمَا كَانُوا نِطَافًا أَوْ هُذِّبُوا أَطْفَالَا
 وَلَقَدْ جَاوَزُوا الطُّفُولَةَ فَارْتَاعُوا وَذَاقُوا السِّنِينَ عُجْظًا مِحَالَا
 وَدَعَوْهَا فَوَدَّعُوا الْخَيْرَ . وَالْحُسْنَ وَعَافُوا الْمِيَاهَ وَالْأَظْلَالَ

واستراحوا للشَّرِّ يَكْمُنُ فِي الْأَطْوَاءِ خَالُوا رُؤُوسَهُ أَبْطَالَا
 وَاسْتَبَدُّوا وَقَاوُمُوا السَّلْمَ . . بِالْحَرْبِ فَزَادَتْهُمْ الْحُرُوبُ وَبَالَا
 وَاسْتَطَابُوا مَرَاعِيَ السُّوءِ ظَنُّوْهَا ذَكَاءً وَأَرْقَلُوا أَرْقَالَا . .
 زَعَمُوا طِيبَةَ النَّفُوسِ غَبَاءً وَاسْتَغَلُّوا الضَّمَائِرَ اسْتِغْلَالَا
 وَرَمَوْا بِالْعَفَافِ فِي لُجَّةِ الْقَا عِ وَرَامُوا الْحَيَاةَ جَاهًا وَمَالَا
 وَالْمَنَى عِنْدَهُمْ طَرَائِقُ أَنَّى وَجَهْتُهُمْ خَدِيعَةً وَاخْتِيَالَا
 وَعَجِيبُ أَمْرُ الْحَيَاةِ وَأَمْرُ . الْخَلْقِ فِيهَا قَدَارَةٌ وَسِفَالَا
 بِالدُّنْيَا انْطَوَتْ عَلَيْهَا يَرَاهَا الْإِنْسَانُ حَالَا وَيَرْتَجِيهَا مِثَالَا
 فِي مَنَى حُبِّهِ وَفِي شَهْوَةِ النَّفْسِ إِلَى وَضْلِهَا يَمُدُّ الْحَبَالَا
 فَلَكُ دَائِرٌ يُغْلَفُهُ . . الشَّكْلُ جَمَالَا مُنَمَّقًا خَتَالَا
 كَيْ يَنْوَرِ الْإِنْسَانُ فِي الْفَلَكَ الْوَاعِلِ فِي الرَّجْسِ ضَلَّةً وَخَبَالَا
 وَمِنَ الْحُسْنِ مَا يَرِينُ عَلَى . . الْأَمَالِ يَغْتَالِ حَسَنُهُنَّ اغْتِيَالَا
 وَمِنَ الْقُبْحِ وَاللِّمَامَةِ . . مَا يَغْمُرُ دُنْيَا الْوُجُودِ سِحْرًا حَلَالَا
 رَبُّ طِفْلِ أَهْدَى إِلَى الْخَيْرِ مِنْ شَيْخٍ عُتْلٌ يُضِلُّ الْأَجْيَالَا
 رَبُّ طِفْلِ « بَغَايَةِ » يُنْهَجُ النَّفْسَ لِأَجْدَى مِمَّنْ حَسِبَتْ رِجَالَا

كَمْ مُهُودٍ تَسْمُو عَلَيْهَا نُهَى الْأَطْفَالِ تَدْعُو أَكْبَرًا أَطْفَالًا
كُلُّ مَنْ فِي الْحَيَاةِ يَنْسِجُ مِنْوَالًا وَيَأْتِي مَنْ يَنْسُجُ الْمِنْوَالَا
صُورٌ كُرِّرَتْ عَلَى نَسَقٍ فَرْدٍ حَالَاهَا وَغَيْرُوا الْأَشْكَالَا . .
فَالْأَبْوَآتِ وَالْأُمُومَاتِ . . تَلْقَاكَ لِتَلْقَى مِنْهُنَّ عَمَّا وَخَالَا . .
فَإِذَا مَا افْتَقَدْتَ قُرْبَاكَ . . لَا تَيَاسَ فَقَدْ تُبْصِرُ الْأَبَاعِدَ آلا
سُنُّنُ الْعَيْشِ لَا تَدُومُ لِيَكِيَ نَذَكَّرَ رَبًّا يُبَدِّلُ الْأَحْوَالَا

* * *

حلم غادة

ليس لى إلا فضل الرواية فقد قصت على غادة ابنة صديقى
الفيلسوف رحمه الله حلمها اللذيذ فأثرت أن أقدمه للقراء منظوما
فعسى أن يروقهم كما راقنى :

يا أبى كيف أنت كيف تُروض الوقت فى العالَم الكبير الكبير
كنت لا تستريح فى هدأة الليل ولا ضُحوة النهار الهجير
لم يكن للفراغ عندك . مِيقَات فَقَد دُبَّت بين نارٍ ونُور
وتألفت فى العِشِيَّات بالفِكر المُجَلَّى غِيَاهِب الدِّيَجُور
يا أبى الفيلسوف بالله هل تذكر أَشْيَاءَنَا بِوَعَى ذُكُور
والأَمَامِى حَالِمَات المَعَانِى صَاحِيَات صَخَو النُّهَى فى البُكُور
تَنَضُّح الليل فى النجوم كما تَنَضُّح أَشْطَانَهَا صَبَايا الغَدِير
هَلْ لَقِيت الصُّحَاب فى النَّوَّة الكُبْرَى : أَرِسْطُو والجَهَنَذ ابن نَظِير
والأَسَاطِين فى القَرِيض الألى كنتَ تُنَاجِيهِمُوا بِذُؤَبِ الشُّعُور
ابنِ هَانِى وأحمد المُنْتَسَبِى والنَّدَامِى فَرَزْدَقِ وجَرِير

كُلُّهُمْ كَيْفَ حَالِهِمْ هَلْ تَلَاَقَتْ بَعْدَ لَايٍ أَفْكَارُهُمْ فِي الْمَصِيرِ
 كَيْفَ ذَابَ الْخِلَافَ أَيْنَ تَوَلَّتْ إِحْنٌ أَوْ غَلَتْ بِهِمْ فِي الصُّدُورِ
 هَلْ بَدَارَ الْقَرَارَ تُشْفَى صُدُورٌ بَيْنَ نَعْمَى وَبَيْنَ عَيْشٍ قَرِيرِ
 مَا لِقَاءُ الْأَرْوَاحِ مَا هَيْئَمَاتٌ . . الْكَوْنُ مَا السَّرُّ فِي خَفَايَا الْأُمُورِ
 كَيْفَ تَحْيَا النُّفُوسَ حِينَ يَسُودُ الصَّمْتُ مُسْتَلِّهِمَا حَيَاةَ الْقُبُورِ
 وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ مِنْ نَكْهَةِ الْفِرْدُوسِ هَلْ نَفْحُهُ كَنَفَحِ الْعَبِيرِ
 وَسُؤَالُ أَلْفَيْتِهِ أَنَا مِنْ قَبْلِ عَلَى عَلِمِكَ الْوَفِيرِ الْغَزِيرِ
 ذَلِكَ الدُّودُ هَلْ يَلُوكُ صَغِيرِ الْقَوْمِ تَحْتَ التُّرَابِ لَوْكَ الْكَبِيرِ
 أَمْ يَهَابُ الْكَبِيرِ شَأْنَ بَنَى الدُّنْيَا وَلَا يَسْتَطِيبُ غَيْرَ الصَّغِيرِ
 وَالْإِهَابُ النَّضِيرِ بِالْحُسْنِ وَالرَّوْنَقِ هَلْ طَعْمُهُ كَطَعْمِ النَّضِيرِ
 وَعُيُونُ الْمَهَا وَاهْدَابُهَا الْوُطْفُ تَنَاهَلْنَ مِنْ شُعَاعِ الْبُذُورِ
 سَلِمْتَ : مِنْ بَرَائِنِ الدُّودِ فِي الظُّلْمَةِ أَقْوَى مِنْ مِخْلَبِ مَسْعُورِ

وَتَجَلَّى أَبِي كَعَهْدِي بِسِيمَاهُ مُحْيَا مُشْعَشَعًا فِي حُبُورِ
 وَهُوَ يُمَلِّ سَطُورَهُ فِي ابْتِسَامِ كَابْتِسَامِ مَقْطَرٍ فِي سَطُورِ

إِيَّاهُ يَا غَادَتِي وَيَا نَفْسِي خُذِينِي فِي جَوْهَرِي فِي ضَمِيرِي
 كُلِّ مَنْ قَدْ ذَكَرْتَ فِي كَنْفِ اللَّهِ رِفاقَ عَلِيٍّ بِسَاطِ السُّرُورِ
 مِثْلَ رَشْفِ الرِّضَابِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ نَظِيمٍ إِنْ شِئْتَهُ أَوْ نَشِيرِ
 وَالْمَعَانِي كُؤُوسُهُمُ وَالْمَغَانِي حَانِيَاتِ بَيْنِ الرَّبِّيِّ وَالزُّهُورِ
 نَحْنُ لِلصَّفْوِ يَا حَبِيبَةِ فِي الْجَنَّةِ كَالزُّغْبِ هُجَعًا فِي الْوُكُورِ
 السِّيَاحِ الْكَبِيرِ يَا زَهْرَةَ . . الْعُمَرِ حَيَاةٌ لَمْ تَذُرْ مَعْنَى الْفُتُورِ
 وَإِذَا الْوُدُّ عِنْدَكُمْ أَرْسَلَ . . اللَّوْمُ عِتَابًا عَيْبِهِ كَالزُّفِيرِ
 فَهُنَا عَالَمٌ مِنَ الرَّحْمَةِ الْكُبْرَى مِنَ الْحُبِّ وَالْفِدَاءِ الْأَثِيرِ
 أَبْعَدُ الْخَاطِرَاتِ فِي عَالَمِ الْخُلْدِ رِثَاءٌ لِعَابِدٍ مَغْرُورِ
 أَوْ مَهِيضِ الْجَنَاحِ فِي زَحْمَةِ النُّورِ يَجْرَحُ دَامٍ وَقَلْبٍ كَسِيرِ
 وَالْتِمَاسِ الْغُفْرَانِ لِلْأَمَلِ الرَّاجِي سَمَاحٌ مِنَ الْعَفْوِ الْغُفُورِ
 وَعَنِ الدُّودِ فَاسْمَعِي مَنَظِقَ الدُّودِ بِصَوْتِ جَمِّ الْبَيَانِ جَهِيرِ
 إِنَّهُ قَالَ لَسْتُ كَالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَلَا مِثْلَهُمْ بِشَرِّهِ نَقِيرِ
 لَا أَمْسُ الضَّعِيفَ لَكِنَّمَا . أَقْوَى عَلَى كُلِّ فَاتِكٍ جَسُورِ
 إِنَّمَا الدُّودُ عِنْدَنَا ثَاقِبُ النَّظَرَةِ مَهْمَا خَطَى كَخَطْوِ الضَّرِيرِ

وَإِذَا مَا سَمِعْتَ عَنْ أَقْرَعٍ . . اللَّحْدِ وَتُعْبَانَهُ الْعَتَى الْمَرِير
 فَهُوَ وَالِدُودٌ تَوْأَمَانِ وَكَمْ نَابًا جِهَارًا عَنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ
 لَا تُرَاعِي يَا غَادَتِي أَنَّمَا نَحْنُ وَأَنْتُنَّ عَلَى شَفَا أَوْ شَفِيرٍ
 نَتَرَجَّى الْمِيعَادَ فِي يَوْمِهِ الْأَكْبَرَ فِي ظِلِّهِ الْخَفِيُّ الْوَثِيرُ
 نَحْنُ يَا غَادَتِي وَأَنْتُنَّ عَلَى الْمَفْرَقِ وَالسَّرِّ فِي الْهُدَى الْمُسْتَنِيرِ
 مَا لَنَا شَافِعَ سِوَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَنْ لِي بِالْوَاوِلِ الْمَبْرُورِ
 وَبَيْنَنَا فِي دَعْوَةٍ تَنْقُلُ . . السَّرَّ إِلَيْنَا عَلَى جَنَاحِ الْأَثِيرِ
 وَعَلَى فِكْرَةٍ فَأَمَّاكَ تُقْرِيكِ سَلَامًا كَالْعِقْدِ فَوْقَ النُّحُورِ
 وَوَصَاةً مِنْهَا إِلَيْكَ عَلَى الْبُعْدِ خُذِيهَا كَبَشَرِيَّاتِ الْبَشِيرِ
 أَنْ تُقِيمِي عَلَى الْعَفَافِ عَلَى الصُّونِ بِمَنْجَى مِنْ عَالَمٍ مَسْحُورٍ
 بَهْرَتِهِ الْأَضْوَاءُ بِالْخَلْبِ الْبَارِقِ لَا مَاطِرٍ وَلَا مَمْطُورٍ
 فَتَبَدَّى وَقَدْ تَسَرَّبَلْ بِالْعُرْيِ وَعِزُّ الْجَمَالِ فِي الْمَسْتُورِ
 وَاسْتَرَا حِ الْأَوْغَادِ إِذْ وَجَدُوا الْعَلِيَاءَ مَبْذُولَةً بِغَيْرِ مُهُورٍ
 ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ صَحَّوَتْ مِنَ الْحُلْمِ بِقَلْبِ مُرَوِّعٍ مَذْعُورٍ
 وَتَحَرَّيْتُ أَنْ أَفْصِكَ . . . رُوبَاكَ فَإِنِّي ظَمَأَى إِلَى التَّغْيِيرِ

المريض الجانى

أَفْعَدَهُ الدَّاءُ وَلَمْ يَقْعُدْ بِهَيْمَةِ الْمَشْلُولِ وَالْمُقْعَدِ
الْخَائِفُ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرْتُدْ اللَّيْلَ وَلَمْ يُرْقِدِ
يَا مَغْلَقَ الْحِقْدِ عَلَى نَفْسِهِ تُوَارِبُ الْبَابَ وَلَمْ يُوصِدْ
وَانْجَذَبَ اللَّفْحُ وَجَذَابُهُ وَاشْتَغَلَ الْمَوْقِدَ فِي الْمَوْقِدِ
حَسَدَتْ حَتَّى قَلْبِكَ الْمُبْتَلَى بِأَنَّهُ بِالْدَّاءِ لَمْ يُخْسَدِ
وَحَجَبَتْ عَنْكَ مَعَانِي الْهُدَى لَمْ تُهْدِ لِلْخَيْرِ وَلَمْ تَهْتَدِ
الْعِلَّةُ الْكُبْرَى تَذَوَّقْتُهَا فَانْعَكَسَتْ فِي النَّظَرِ الْأَرْمَدِ
مَجْنُونَةُ الْحَسْرَةِ مَشْبُوبَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي قَلْبِكَ الْأَسْوَدِ
مَثَلُهَا الْحِسُّ الَّذِي أَذْهَبَتْ رَوْنَقَهُ نَفْسِيَّةُ الْمُجْهَدِ
نَفْسِيَّةُ الْمَسْلُوبِ قَدْ آدَاهَا تَجَهَّمُ الْيَوْمَ وَكَرَبُ الْغَدِ
وَقَسْوَةُ الدَّهْرِ وَهَزَاتُهُ وَمَكْرُهَا الْحَائِقُ بِالْمُعْتَدِي
طُيُوفُهَا الْوَسْنَى إِذَا أُبْعِدَتْ فِي أَنْفِهَا مِنْ أَفْقِهِ الْإِرْبِدِ

فإنَّهَا صُورَةُ مُسْتَقْبَلِ يُلْفِي الرَّدَى فِيهَا عَلَى مَوْعِدِ
تَقْدَمُهُ اللَّوْعَةُ حَرَّاقَةٌ جَزَاءَ مَا حَرَّقَ مِنْ أَكْبَدِ
وَالْبُؤْسُ هَتَّاكَ لِأَسْتَارِهِ كَهْتِكِهِ لِلصُّوْنِ الْخَرَدِ
وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ وَسَوَاطِ الْأَذَى وَنَقْمَةَ كَاللَّيْلِ لَمْ تَجْهَدْ
قَالُوا كَلِمَ مِلءٍ أَبْرَادِهِ حَصَافَةً كَالْعَلَمِ الْمُفْرَدِ
وَعَبَقْرِيَّ نَضْحُ أَغْرَاقِهِ مِنْ سُودَدٍ يُنْمَى إِلَى سُودَدِ
يَجُولُ بِالرَّأْيِ مَجَالِ النَّهْيِ فَيَقْنَصُ الشُّرْدَ بِالشُّرْدِ
وَقِيلَ سِرُّ الْعَقْلِ فِي صَمْتِهِ وَإِنَّهُ كَالصَّارِمِ الْمُغْمَدِ
وَانْطَلَقَ الدَّهْرُ بِأَحْدَاثِهِ وَعَصَفِهِ كَالهَادِرِ الْمُزِيدِ
تَعَلَّقَ النَّاسُ بِأَذْيَالِهِ تَعَلَّقَ الْحَائِرُ بِالْفَرْقَدِ
وَانْتَظَرَ النَّاسُ وَمَا اسْتَعْجَلُوا سَيِّدَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ السَّيِّدِ
فَرَاغَهُمْ يَا هَوْلَ مَا رَاعَهُمْ ضَحَالَةُ الرَّأْيِ وَوَهْنُ الْيَدِ
وَالْفَشْلُ الصَّاعِقُ لَا يَأْتِي يُعَالِجُ الْفَاسِدَ بِالْأَفْسَدِ
قَدْ أَجْدَبَ الْخِصْبَ عَلَى عَهْدِهِ وَانْفَضَّ الْعَابِدُ فِي الْمَعْبَدِ
وَمَا صَحَا إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ مُطَارِدًا يَلْهَثُ فِي الْفَدْفَدِ

إلى أبي العلاء المعري في عالمه

يا فلذة من ضمير الكون صاحبة
وناسج المجد في أعراق حكمته
شذبة العرف تحكى في ملاحظها
سامرت كل شجي في مفاتنه
ولم تدع فوق آفاق السماء علًا
ولم تدر تحت أطباق الثرى جدًا
قالوا تحيرت في دنياك بين هو
وإن ظلمة كون عشتها قلقًا
قد أورتك ضللاً في متاهتها
وتستحل حرام العيش في شطف
ولست يا ابن الشأم الحلو غير فتى
صحا بمهجته صخوا تضيق به
رعى الحقيقة في أسمى منازلها
وعانق الحسن في أطواء عالمه
صحو الربيع الموشى بالرياحين
تنبه في الخلد تبه الخرد العين
لواحظ الغيد في عنف وفي لين
وهجت كل خلى غير مفتون
حتى أباحك منه كل مكثون
حتى تحرك بين الماء والطين
طاغ وبين رشاد غير مأمون
تجتر حرماتها في الخفض والهون
فرحت تحرق مضمونا بمضمون
وتحرم النفس من نعى ومن لين
أعطى الحياة عطاء غير ممنون
مشاهد الكون في رؤيا المجانين
بصيرة فوق أبصار الملايين
كما تعانق فتان بمفتون

إِذَا تَدَفَّقَ فَالسَّلْسَالُ رَوْنَقُهُ
 وَإِنْ تَأَلَّقَ فِي أَعْمَاقِهِ قَبَسُ
 وَإِنْ تَلَفَّتْ صَوْبَ الْغَيْدِ بَارِقُهُ
 حَبَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا كُلُّ فِلَسْفَةٍ
 وَأَنْطَقَ الْمَجْدُ نُطْقًا غَيْرَ مُتَكِيٍّ
 وَرَاشَ بِالْمُثَلِّ الْعُلْيَا كَنَانَتَهُ
 وَمَدَّ لِلْعَقْلِ ظِلًّا مِنْ رَحَابَتِهِ
 قَالُوا شَمَخْتَ شُمُوخَ الْحِقْدِ لَوْ عَقَلُوا
 الرَّائِدُ الْفَرْدُ فِي عُمُقِ الْفَضَاءِ عَلَى
 فَإِنْ تَدَافَعَ «دَانْتِي» حَوْلَ سَرَحَتِهِ
 يَجْرِي مَعَ الْغَيْثِ فِي آنٍ وَفِي حِينٍ
 تَفْتَحُ الرُّوْضَ عَنْ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ
 مَشَيْنَ مَشَى الْقَطَا حَوْلَ الْبَسَاتِينِ
 رَعْنَاءُ تَنْشُدُ سِرَّ الْكَافِ وَالنُّونِ
 عَلَى الْخُرَافَةِ فِي تَهْرِيجِ مَأْفُونٍ
 فَمَزَّقَ السَّهْمُ أَحْشَاءَ الثَّعَالِبِينَ
 تَمَخَّضَتْ عَنْ حَضَارَاتٍ وَتَمْدِينِ
 لَمَجْدُوا فِيكَ تَفْجِيرَ الْبَرَائِكِينَ
 مَطَارِحَ الْبَيْدِ فِي نَجْحِ الدَّهَاقِينِ
 فَذَاكَ مَجْدُ النُّهَى فِي مَنْطِقِ الدِّينِ

• • •

ذِكْرُ تَكَرُّبِ

ذَكَرْتُكَ وَالْقَلْبُ الْوَفَى ذَكَرُ
 وَصَاغَ الْهَوَى مِنْ لَحْنِهَا مَا أَثَارَنِي
 وَمَا صَدَحَتْ إِلَّا بِلَحْنِي وَلَيْتَهَا
 إِذْ نَلَدَرْتُ قَلْبًا وَعَى اللَّحْنُ حِسَّهُ
 تَنَاءَى الَّذِي يَجْلُو سَنَاهُ بِقُرْبِهِ
 وَغَادَرَهُ لَا عَنْ قَلِي أَوْ مَلَالَةٍ
 فَحَمَلَنِي هَمِينَ هَمَّ فِرَاقِهِ
 عَشِيَّةً قَالُوا أُمُّ كَلْثُومٍ وَعَدُّهَا
 وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي وَالْحَيَاةَ وَصَفْوَهَا
 وَغَنَّتْ وَقَلْبِي شَارِدُ الْحَسِّ هَائِمٍ
 وَصَحْبِي مِنْ حَوْلِي يُرِيدُونَ سَلَوَتِي
 خُلْدِيهَا كَمَا شَاءَ الْهَوَى عَسْجَدِيَّةً
 وَيَا طَلَعْتَ قَلْبِي ضَنِينٍ بِحُبِّهِ
 فَهَاجَتْ شُؤْنُ هُجَعٍ وَأُمُورُ
 وَأَذْكَى حَنِينِي وَالْحَنِينُ شُعُورُ
 تَحْسُ بِأَشْجَانِ الْفُؤَادِ تَمُورُ
 تَطِيرُ بِهِ آهَاتُهُ وَتُثُورُ
 وَآفَاقُهُ بِشُرِّ يُلُوحِ وَنُورُ
 وَلَمْ يَدْرُ أَنَّ الْحَفْلَ بَعْدُ يَصِيرُ
 وَهَمًّا مِنَ الذِّكْرِ عَلَى يَجُورُ
 مَسَاءً عَرْنَتِي رِعْدَةٌ وَفُتُورُ
 وَقُلْتُ هُوَ الْحِظُّ الْجَمِيلُ نَفُورُ
 يُنَازِعُهُ مِنِّي هَوَى وَضَمِيرُ
 أَسْأَلُو؟ كَأَنِّي خَائِنٌ وَغُدُورُ
 سُلَاقًا عَلَى ذِكْرِي هَوَاكِ تَدُورُ
 وَفِيَّ عَلَى حَالِي هَوَاكِ صَبُورُ

الشامخة

وشَامِخَةٌ نَفْسُهَا عِزَّةٌ كما شَمَخَ الصَّدْرُ بِالنَّاهِدِ
 تَأَلَّفَ فِي جِيدِهَا الْعَبْقَرِي شَذَى مِثْلَ تَنْهِيدَةِ الْعَابِدِ
 وَأَضْبُوَ لِحُسْنِ ثُرَيَّاتُنْهُ أَشِيعَةً بِدُرِّ الدُّجَى السَّاهِدِ
 أَفَاقَ الصُّبْحِ وَلَمَّا تَزَلْ شَوَادِيهِ كَالْوَاجِدِ الْفَاقِدِ
 هُوَ الْحُسْنُ فِي الْمَوْكِبِ الْمُجْتَلَى فَأَعْظَمَ بِمَوْكِبِهِ الْخَالِدِ
 تَنَاعَمُ أَمْجَادُهُ الصَّادِحَاتِ مَجَالَى الْمُنَى فِي الصَّبَا الْعَائِدِ
 وَتَبَسُّمُ فِي رَوْضِهِ فَرَحَتَانِ قُتُولَانِ لِلْعَازِلِ الْحَاسِدِ
 تَكُورَتَا فَوْقَ مَجْرَى الْعَبِيرِ تَعْبَانِ مِنْ مَنْهَلٍ وَاحِدِ
 دُعَاءُ الطَّبِيعَةِ قَدْ صَوَّرَتْهُ ثِمَارًا عَلَى الْغُصْنِ الْمَائِدِ
 تَرَجَّرَجَ مِنْ فَوْقِهَا بُرْعَمُ حَكَى هِزَّةَ الرَّيْبِ فِي الشَّاهِدِ
 فَيَا أَحْيَى الْمُنَى الزَّاهِيَاتِ مُقْصَصُضَةً بِالسَّنَا الْوَاقِدِ
 وَيَسْرِي الْهَوَى بَيْنَ هَمْسِ الْكَرَى وَتَعَزِيمَةِ الْفَاتِكِ الْعَامِدِ

يُوزِنُ فِي خَطْوِهِ كَالْقَطَا
وَعَادَ وَلَمَّا يَثْبُثُ رُشْدُهُ
فِيَا نَفْحَةَ الْحُلْمِ الْعَسْجَدِي
وَيَا فَرْحَةَ فِي شِغَافِ الْقُلُوبِ
رَوِينَا مِنْ الْبَسَمَاتِ الْعِذَابِ
تُمَثِّلُ رِفْقَ النَفُوسِ الرُّطَابِ
وَعُدْنَا وَفِي الصَّخُورِ لَمَّا تَزَلْ
وَبَيْنَ لُبَانَاتِهِ ذِكْرِيَّاتُ
فِيَا أَنْتِ يَا حُلُوةَ الْمُجْتَنِي
وَيَا نَسْمَةَ أَقْبَلْتَ بِالْحَيَاةِ
تَلْمِيزَ فِي حُطَامِ الشَّبَابِ
تُرَاعِينَ مَجْدًا هَوَى كَالشُّهَابِ
هُوَ الْحُبُّ نَهْرُ الْحَيَاةِ السَّرِيِّ
لَقَدْ كَانَ مِذْ كَانَ سِرُّ الْوُجُودِ
وَبَيْنَ الرُّعَانِ وَبَيْنَ الشَّعَافِ
وَفِي غَمْغَمَاتِ الْعِرَاكِ الْخَفِيِّ
وَفِي صَخُورَةِ الْفِكْرِ فِي سُهُودِهِ
فِيَا فَرْحَتِي: لِلْمُنَى «قَارِيِي»
وَيَبْسُمُ لِلْمَشْرِعِ الرَّافِدِ
وَيَخْلُدُ غَيْرَ الْهَوَى الرَّاشِدِ
وَإِغْفَاءَ الْقَدْرِ الرَّاصِدِ
أَضَاءَتْ عَلَى الْكَفِّ وَالسَّاعِدِ
تُصَفِّقُ سِرَّ الْهَوَى الرَّائِدِ
وَتَهْزَأُ بِالزَّمَنِ الْحَاقِدِ
مَعَالِمُ فِي سَرِّهِ الْبَائِدِ
هِيَ الْعَيْشُ بِالْأَمَلِ الشَّارِدِ
وَيَا قِمَّةَ الْمُلتَقَى الصَّاعِدِ
كَمَا ابْتَسَمَ الْقَصْدُ لِلْقَاصِدِ
وَمَا فَاضَ عَنْ جُهِودِهِ الْجَاهِدِ
وَمَا يَقْدِرُ الْمَجْرَى كَالْمَاجِدِ
وَمُعْجِزَةُ الصَّيْدِ وَالصَّائِدِ
تَدْفَقُ فِي الْوَجْدِ وَالْوَاجِدِ
تُزَمِّزِمُ أَنْشُودَةَ النَّاشِدِ
وَفِي صَوْلَةِ الْجُنْدِ بِالْقَائِدِ
وَفِي جَلُوةِ الْفَلَقِ الْمَارِدِ
وَيَا مُنِيَّتِي: لِلْجَفَا «بَاعِدِي»

ضحك العين

يا ضاحك العين وبسامها وواهباً للنفس أحلامها
وراقصاً فوق تُغُور المني ومُلهِمَ الألحان أنغامها
ما بَسْمَةِ الثَّغْرِ سِوَي شُعْلَةٍ من خَمْرَةٍ قد أَسْكُرَتْ جَامَهَا
مِنْ سِرِّ عَيْنَيْكَ وَمِنْ سِحْرِهَا تَصُوغُ لِلْبَسْمَةِ بَسَامَهَا
بَرَاءَةً فِي ظِلِّ أَنْفَاسِهَا أَطْيَابُهَا تَغْسِلُ آثَامَهَا
نَاسِكَةً تَعْبُقُ ارْدَائُهَا ما فَارَقْتُ فِي الْحِلِّ أَحْرَامَهَا
وَيَا حَدِيثًا لَمْ يَزَلْ سِحْرُهُ يَحْكِي مِنَ الرِّقَّةِ أَنْسَامَهَا
وَيَا مُنَى صَاغَتْ مَعَانِي الْهَوَى حَسَانُهَا الْغَيْدُ وَآرَامُهَا
وِطَارَخْتُ بِالْحُبِّ أَسَدَ الشَّرَى فَمَا أَطَاقْتُ بَعْدَ آجَامَهَا
وَأَمَنْتُ بِاللَّهِ فِي حُبِّهَا وَأَسْرَعْتُ تُعْلَنُ إِسْلَامُهَا
تُسَابِقُ الْفَرَحَةَ أَعْوَامُهَا وَتَمْلَأُ الْبَهْجَةَ أَيَّامُهَا

* * *

لماذا أحبته؟

أَحَبَّهُ فِي تَحَنُّانِهِ وَحَنَانِهِ	وَرَاعَتْهُ فِي إِيمَانِهِ وَأَمَانِهِ
فَلَيْسَ لَهُ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ شَانِهَا	وَلَيْسَ لَهَا فِي نَفْسِهَا غَيْرُ شَانِهِ
أَطْلَتْ بِعَيْنَيْهِ فَلَمْ تَرَ غَيْرَهُ	وَشَامَ بِعَيْنَيْهَا صَفَاءَ زَمَانِهِ
إِذَا خَافَ غَدَرَاتِ الزَّمَانِ أَحَبَّهُ	وَرَوَّعَهُمْ زَحْفُ النَّوَى بِجِرَانِهِ
وَكَحَلَّ أَعْيُنَهُمْ سَهَادُ مُورِقٍ	يُحَجِّبُ اشْرَاقَ الْمُنَى بِدُخَانِهِ
تَسَاقَوْا كُؤُوسَ الْخُلْدِ رَفَافَةَ السَّنَا	وَعَاشُوا بِرَوْضِ الْحُبِّ أَغْصَانُ بَانِهِ
صَحَاوَى فَلَا يَدْرِي الْحَمَامُ مَكَانَهُمْ	وَغَاطُوه حَتَّى مَادَرُوا بِمَكَانِهِ
هُمَا فِي رِحَابِ الْأَمْنِ وَالْحُبِّ بَهْجَةٍ	مُطَوَّقَةٌ فِي الْخُلْدِ بَيْنَ جِنَانِهِ
وَلَيْسَ النَّوَى إِلَّا لِقَاءً وَبَهْجَةً	لِلْأَلْفَيْنِ فِي رُوحِ الْهَوَى وَكَيَانِهِ

* * *

يَانِمَةُ

يَا نَسْمَةً مِثْلَ اللَّيْلِ عَذْبَةً تَرَوِي الْهَوَى عَنْ طِيبِ أَنْفَاسِهَا
 نَاشِدْتُكَ اللَّهُ أَمِنْ فَجْرِهَا أَشْرَقَتْ أَمْ مِنْ نَبْعِ إِحْسَاسِهَا
 وَهَذِهِ الْبَسْمَةُ مِنْ ثَغْرِهَا أَوْ مَزْجُ يَاقُوتِ بَالْمَاسِهَا
 وَكَيْفَ جَاوَزَتْ سَوَادَ الدُّجَى فِي شَعْرِهَا الْمَاتِعِ فِي رَأْسِهَا
 أَمَا خَشِيتِ الْعُنْفَ فِي رِفْقِهَا أَمَا خَشِيتِ الْبَاسَ مِنْ بَاسِهَا
 وَهِيَ الَّتِي تُسَكِّرُ أَسَدَ الْحِمَى فَلَا تَفِيقُ الدَّهْرَ مِنْ كَأْسِهَا
 وَهِيَ الَّتِي تَقْتُلُ فِي بَسْمَةٍ وَهِيَ الَّتِي تُخَيِّ بِإِنْسَاسِهَا
 فَقَالَتْ النَّسْمَةُ خَالَسْتُهَا فِي غَفْلَةٍ عَنْ عَيْنِ جَلَّاسِهَا
 غَافِيَةً تَضْحَكُ أَحْلَامُهَا صَاحِبِيَّةً فِي ضَوْءِ نَبْرَاسِهَا
 عَوَّذْتُهَا مِنْ شَرٍّ وَسَوَاسِهَا رَقِيتُهَا مِنْ سِحْرِ خَنَاسِهَا
 أَعْمَيْتِهِ عَنْهَا لِكَيِ اهْرَبَا مِنْ سَاجِنِ الرُّوحِ وَحَبَّاسِهَا
 تَرَكْتُهَا تَسْبَحُ فِي صَمْتِهَا تَضْرِبُ أَخْمَاسًا بِأَسْدَاسِهَا
 كَأَنَّهَا الْوَرْدَةُ فِي كُمَّهَا وَأَنْتِ مِنْهَا الْعَيْنُ فِي رَأْسِهَا
 شَبَّهْتُهَا مِثْلَ ظَبَاءِ الْفَلَا ضَاقَتْ بِهَا وَخَشَةُ أَكْنَاسِهَا

من عطرها غبّ الضيا وانتشى لم يدر بالدنيا ولا ناسها

ملائكُ الرحمة في برجها حارسه اكـرم بحراسها

طباعها الحلوة من معدن غراسه يُنمي لأغراسها

تزفُ بشري فرح غامر كفرحة الغيد باعراسها

والحربُ في الحسادِ قد أعلنت واليوم قد دقت بأجراسها

* * *

يَا مَيِّ

أَهْوَاكِ فَوْقَ هَوَايَ فَوْقَ هَوَاكِ
أَشْدَاءُ رُوحٍ فِي غَلَاثِلِ سُندُسٍ
هَمْسُ الْمَلَائِكِ دُونَ هَمْسِكَ رَاعَهُمْ
وَتَلَفَّتُوا مِنْ حَوْلِ ذَاتِكَ فَاَنْبَرَى
وَيُصَفِّقُ الْأَمَلُ الْهَنِيئُ كُؤُوسَهُ
أَقْسَمْتُ مَا أَدْرِي لَهُ طَعْمًا سِوَى
أَطْيَافِ أَنْسٍ فِي مَبَاهِجِ صَانِهَا
وَإِذَا تَرَاقَصَتِ الْمُنَى وَتَرَاحَمَتْ
وَلَكِ الرِّضَى مَا شِئْتُ حَتَّى تَعْلِمَنِي
يَا «مَيِّ» مَنْ لِي وَالْهَوَا جِسْ جَمَّةٌ
وَالْعَاذِلُونَ تَفَنَّنُوا فِي كَيْدِهِمْ
يَا مَيِّ لَا أَدْرِي وَقَدْ عَصَفَ الْجَوَى
يَا مَيِّ مَا أَحْلَاكَ بِسْمَةِ طَالِعِ
الْعُمَرُ فِي لَحْظَاتِ عُمْرِكَ سَاعَةً
وَالْحُسْنُ فِي ذَهَبِ الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ

وَأَرَاكَ أَجْمَلَ مَا تَكُونُ رُءَاكَ
فَكَأَنَّمَا صَاغَتْكَ مِنْكَ يَدَاكَ
مِنْكَ السَّنَا فَتَطَلَّعُوا لِذُرَاكَ
طَيْفٌ يُنْغَمُ رَجْعُهُ بِصَدَاكَ
رَاحًا مُشْعَشَعَةً بِخَمْرِ لَمَاكَ
أَرَجَ عَرَفْتُ بِعَرَفِهِ رِيَّاكَ
مَرَحُ الشَّجِيِّ وَلَوْعَةُ النُّسَاكِ
فِي مُهْجَتِي أَغْرَيْتُهَا بِرِضَاكَ
أَنَّ الْمُنَى كُلَّ الْمُنَى لُقْيَاكَ
حُفَّتْ وَرُودُ هَوَاكِ بِالْأَشْوَاكِ
كَيْ يُحْرِمُوا عَيْنِي مِنْ رُؤْيَاكَ
بِحَشَاشَتِي مَا مَوْضِعِي بِحَشَاكَ
بِالْيُمْنِ فِي دُنْيَايَ مَا أَحْلَاكَ
مَسْحُورَةٌ ضَحِكْتُ لَهَا عَيْنَاكَ
فَحَوَاكِ أَوْ مَعْنَاكَ أَوْ مَعْنَاكَ

وَإِذَا سَخَوْتَ بِبِسْمَةِ عِطْرِيَّةٍ فَكَأَنَّمَا جَادَتْ بِهَا كَفَّاءُ
 وَإِذَا تَحَدَّثَ خَاطِرِي وَتَأَلَّقَتْ شَفَتَاكِ وَاهْتَزَّ لَهَا عِطْفَاكِ
 طَابَ الْحَدِيثُ إِلَيْكَ حَتَّى أَنَّنِي أَبْصَرْتُهُ شَبَحًا يُقْبَلُ فَاكِ
 فَأَغَارُ مِنْ ذَاتِي لِذَاتِي وَيَحَهَا خُدْعُ الْهَوَى مَنْصُوبَةُ الْأَشْرَاكِ
 فَأَعِيشُ بَيْنَ يَدَيْكَ عُمَرًا ثَانِيَا لَوْلَاكَ مَا عِفْتُ الْكَرَى لَوْلَاكَ
 أَفْرَاحُ أَسْمَارٍ كَأَنَّ نَعِيمَهَا أَسْحَارُ أَنْدَاءٍ وَطَيْفُ مَلَكَ
 وَأَوْدُ لَوْ وَصَلَ الْهَنَاءُ دَوَامَهَا لِمُورِقِ صَاحٍ وَقَلْبِ بَاكِ
 فَالْلَيْلُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ جَوَانِحُ مَخْضُوبَةٌ فِي صَمْتِهَا أَرْعَاكِ
 وَاللَّيْلُ حَمَالُ الْكُرُوبِ سَجِيَّةٌ فِيهِ عَرَفْنَاها مِنَ الْأَفْلَاكِ
 يَحْلُو بِهِ سَمَرُ التَّهَجُّعِ آهَةٌ هَجْعُ الْحَمَائِمِ فَوْقَ غُضَنِ أَرَاكِ
 وَإِذَا أَنْسَتُ إِلَيْكَ أَخْطَرَ مَا أَرَى مَسْرَاكِ وَيَنُحُ الْقَلْبُ مِنْ مَسْرَاكِ
 فَأَحْسُ وَثْبَتَهُ كَوَثْبِكَ فِي الْخُطَى يَا لَيْتَنِي يَا مَيَّ بَعْضُ خُطَاكِ
 يَا مَيَّ أَسْعَدَنِي هَوَاكِ فَهَلْ تَرِي يَا مَيَّ قَدْ أَحْظَاكِ أَمْ أَشْقَاكِ

...

يا صمتها

يا صَمْتَهَا الحُلُوَّ يا أَسْرَارَ مُهْجَتِهَا يا سِحْرَهَا العَذْبَ في أنْفاسِ رِقَّتِهَا
ويا رَهَافَةَ حِسِّ بَعْضِ حَلِيتِهَا مَتَى أَبُوحُ بِأَقْصَى ما أَدَارِيه

★ ● ★

الحُسْنُ نَفْحَةُ عِطْرِ مِنْ مَجَامِرِهَا والسَّحَرُ ومَضَّةُ جَفْنٍ في مَحَاجِرِهَا
والأَسْرُ لَفْتَةٌ جَيِّدٌ : هُمْ شَاعِرِهَا صَوْنُ النجومِ عُقُودًا في مَعَانِيه

★ ● ★

ويا عُدُوبَةَ نَفْسٍ قَدْ كَلَفْتُ بِهَا وَلَمْ أَزَلْ أَتَغَذَّى مِنْ أَطَائِبِهَا
فَكَانَ مَذْهَبَ حُبِّي مِنْ مَذاهِبِهَا قَدْ طَوَّقْتَنِي بِدَيْنٍ كَيْفَ أَقْضِيه

★ ● ★

يا رَبُّ نَفْسِي إِلَيْهَا الْيَوْمَ قَدْ أَنْسَتُ في فَرْحَةٍ بِقَضَاءِ مِنْكَ قَدْ سَنَحْتَ
ما خَادَعْتَنِي وَلَا رَأَيْتُ وَلَا لَبِستُ غَيْرَ الوَفَاءِ رِداءً عَزَّ بَارِيه

★ ● ★

وَالْيَوْمَ كَاشَفْتُهَا بَعْضَ الَّذِي أَجِدُ وفي الحَنَايا لَظْيَ كَالجَمْرِ يَتَّقِدُ
فَاغْرُورَقْتُ عَيْنُهَا مَذْ خَانِهَا الْجِلْدُ مَعْنَى جَحِيطٍ بِهِ مِمَّنْ أَفْدِيه

★ ● ★

وَفَتْ في عَضْدي أَنَّى شَكُوتُ لَهَا يَا لَيْتَنِي قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ وَالْوَلَهَا
لَكِنَّ إِيْمَانَهَا الحَسَّاسَ شَاغِلُهَا فَادْرَكَتْ في هَوَاهَا ما أَعَانِيه

وَطَالَ صَمْتُ كَثِيبٍ شَابَهُ أَلَمٌ وَفِكْرُهُ فِي النَّوَى تَغْلِي وَتَحْتَدِمُ
وَفَارَقَ الشَّعْرَ حَتَّى الْجَرُسُ وَالنَّغَمُ وَدَبَّ حَسَّ غَرِيبٌ فِي قَوَافِيهِ

★ ● ★

وَقَاوَمْتُ بِبَقَايَا الْجُهْدِ قَائِلَةً أَلَا تَرَى فِي احْتِجَابِي عَنْكَ طَائِلَةً ؟
فَقُلْتُ هَلْ تَحْسِبِينَ الْحُبَّ قَافِلَةً يَلْبُوِي أَزِمَّتَهَا فِي الرُّكْبِ حَادِيَهُ

★ ● ★

قَدَزِدْتُ فِي الْقَلْبِ فَوْقَ الْعَيْنِ وَالنَّظَرِ لَكِنَّ صَفْوَ الْهَوَى يَحْلُوْ مَعَ الْكَدْرِ
فَلَنْصَطِرَ عَلَّ فِي تَصْرِيفِهِ الْقَدَرِ حَظًّا إِلَى أَجَلٍ عَنَّا يُوَارِيهِ

★ ● ★

وَلَمْ تَدْعِنِي إِلَّا وَالِدُجَى أَمَلُ فَالْعَيْنُ قَدْ ضَحِكَتْ وَالصَّفْوُ مَكْتَمِلُ
حَتَّى كَأَنَّ أَحَادِيثَ الْمُتَى قُبْلُ صَدَاحَةٌ فِي فَمٍ حُلُوٍ تُنَاجِيهِ

* * *

لوكان

لَوْ كَانَ مُعْتَقِدِي أَنَّ الْهَوَى ثَمَنٌ
 أَوْ كُنْتُ مِثْلَ بَنَاتِ الْيَوْمِ عَاطِفَةً
 وَلَوْ رَضِيتُ بِأَنَّ الْحُبَّ مَنْزِلَةٌ
 لَكِنَّ لِي أَمَلًا فِي الْحُبِّ يَعْرِفُهُ
 وَرِثَتُهُ عَنْ مَعَانٍ فِي صَافِيَةٍ
 إِنِّي أَجِلُّكَ عَنْ عَيْبٍ وَمَنْقَصَةٍ
 أَحَبَبْتُ فِيكَ نَقَاءَ الْمُرْنِ فَانْطَلَقْتُ
 وَهَبْتُكَ الرُّوحَ مَجْدًا خَالِدًا أَبَدًا
 جَرَحْتُ يَا أَمَنَ نَفْسًا أَنْتَ عَزَّتْهَا
 أَشْتَرِي أَنْسَكَ الْغَالِي وَبَهْجَتَهُ
 لَيْسَتْ هِبَاتٌ وَلَكِنْ فَرْحَةٌ عَرَضَتْ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْكَأْسَ وَاحِدَةً
 لِمَنْ أَبَتْ شَكَاتِي وَهِيَ فِي خَلْدِي
 مَا عَشْتُ وَحْدِي فَرِيدًا بَيْنَ خِلَانِي
 لَصَانِي عَنْكَ وَجْدَانِي وَإِيمَانِي
 تُشْرَى لَسَاوَمْتُ فِي مِصْرٍ وَلِبْنَانٍ
 مِثْلِي وَيَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ فَنَانٍ
 صَفَاءَ نَفْسِي فِي سِرِّي وَاعْلَانِي
 لَوْلَاكَ مَا سَمَحْتُ نَفْسِي بِغُفْرَانٍ
 تَشْدُو بِرُوحِكَ قِيثَارِي وَأَلْحَانِي
 فَهَلْ يُقَاسُ بِمَجْدٍ خَالِدٍ : فَانِي
 وَأَنْتَ جَوْهَرُهَا فِي نَفْسِ إِنْسَانٍ
 بِمَا أَرَى فِيهِ تَقْصِيرِي وَنُقْصَانِي
 مِنِّي إِلَى حَكَّتْ أَنْفَاسَ نَبْسَانٍ
 وَلَوْ تَرَشَّفَهَا يَا آمَنَ اثْنَانِ
 سِرٌّ كَسْرُكَ فِي طَيٍّ وَكِهْمَانِ

...

ہو ویہے

کَیْفَ أَحْبَبْتُ رَوَاہَا ؟ کَیْفَ أَكْبَرْتُ هَوَاہَا ؟

لَسْتُ أَذْرِی

أَصْبَحْتُ لِلْقَلْبِ دِیْنَهُ یَوْمَ أَحْظَانِی لِقَاہَا

فہو عُمرِی

أَہِیَ أَحْلَامُ شَبَابٍ زَهْزَهَتْ عِندَ مَشِیْبٍ ؟

وہی تَذْرِی

فَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ لَا کَہْنِدٍ أَوْ رَبَابِ

رَغْمَ صَبْرِی

یَا فَتَاتِی لَکِ أَجْرٌ لَکِ إِنْ صَدَّیْتُ عُذْرٌ

أَیُّ عُذْرٍ

لَا یَطِیْقُ الْمَاءُ جَمْرٌ لَا یَطِیْقُ الْحُلُوُّ مُرٌ

أَیُّ مُرٍ

لَا مَ عُدَالِي وَلُمْتُ وَتَحَدَوْنِي فَقُلْتُ

بِنْتُ ... حُرٌّ

أَنْتِ زَهْرٌ أَنْتِ نَبْتُ وَأَنَا يَا آمَنَ مَيْتٌ

دُونَ قَبْرِي

مَيْكَلُ يَمْشِي ثَقِيلًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ذَلِيلًا

مِثْلَ شِعْرِي

إِنْ تَمِيلِي لَنْ أَمِيلَا فَاصْبِرِي صَبْرًا قَلِيلًا

أَيَّ صَبْرٍ

فَهِيَ أَيَّامٌ بَوَاقِي رَغَمَ أَنَّ الْحُبَّ بَاقِي

كُلُّ دَهْرِي

فَرَحَتِي يَوْمَ التَّلَاقِي تَتَلَاشَى بِالْفِرَاقِ

غَيْرِ سِرِّي

فَصَلِّبْنِي بِالتَّمَنِّي بِرِضَاكَ الْمُطْمَئِنِّ

لَا تَفَرِّي

لَا تَرْفِي لَا تَحْنِي غَيْرَ حَنِةٍ ضَنْ

دُونَ هَجَرٍ

فَأَنَا يَا أَنْتِ مَعْنَى دُونَ لَفْظٍ يَتَغَنَّى

مِثْلَ طَيْرٍ

أَنَا رَمَزُ يَتَمَنَّى لَكَ إِسْعَادًا وَأَمْنًا

لَوْ يَغْيِرِي

يَا فَتَاتِي لَنْ تَخَافِي أَنْتِ حُبٌّ فِي شِغَافِي

طُولُ عُمْرِي

لِلْعَنَادِيلِ خَوَافِي وَأَنَا تِلْكَ الْخَوَافِي

فَاطْمَئِنِّي وَاسْتَقْرِي

وَاسْمَعِي بَعْدَ الْأَصِيلِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَقِيلِ

حَقَّقْ صَدْرِي

تَعْرِفِينِي بِالْخَمِيلِ إِنَّ شَدَا بَيْنَ الْخَمِيلِ

لَحْنُ قَمْرِي

وَإِذَا أَظْلَمَ لَيْلٌ وَأَوَى فَرْعٌ وَأَضْلُ

تَحْتَ سِرِّ

وَإِذَا حَفَحَ نَخْلٌ وَاخْتَفَى لَحْنٌ وَهَذُلٌ

فَهُوَ أَمْرِي

أَنَا رَاضٍ يَا فَتَاتِي مِنْكَ حَتَّى بِالْفُتَاتِ

وَسَطَ قَفَرٍ

أَتَحَرَّى أُمْنِيَّاتِي عَلَى فَجَرِ الصُّبْحِ آتِي

لَصَبُورٍ مُتَحَرِّي

قَالَ لِي حَسِّي الْعَجِيبُ إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ

أَيَّ سِرِّ

أَشْرُوقُ أَمْ غُرُوبٌ ؟ أَغْنَاءُ أَمْ نَحِيبٌ ؟

لَسْتُ أَذْرِي

أَنْتِ أَبْصَرْتَ قَبْلَ مِيلَادِ

دُونَ أَمْرِي

هَلْ تَحَدَّثْتَ السُّنِينَ ؟ هَلْ تَهَجَّمتِ العَرِينَ ؟

بَعْدَ عُسْرِ

كَيْفَ أَرْضَيْتِ السَّمَاءَ ؟ كَيْفَ دَارَيْتِ الْقَضَاءَ ؟

هَلْ بَيُسِّرُ ؟

هَلْ تَخَطَّيْتِ الْقَضَاءَ ؟ مِثْلَمَا شِئْتِ وَشَاءَ

قَبْلَ فَجَرِ

قُلْتُ لِلْحُبِّ شُهُودٌ وَالْهَوَى عِطْرٌ وَعُودٌ

فَوْقَ قَلْبِي

كُنْتُ أَبْدِي وَأَعِيدُ فَدَنَا النُّجْمُ الْبَعِيدُ

حَوْلَ شَهْرِ

وَرَعَانِي وَرَعَاهَا وَسَقَانِي وَسَقَاهَا

حُلُوَ خَمَرِ

وَبَدَتْ لِي مُقَلَّتَاهَا ثُمَّ رَقَّتْ وَجَنَّتَاهَا

دُونَ مَكْرِ

وَتَمَلَّيْتُ شَذَاهَا نَاقِلًا عِطَرَ لَمَاهَا

عِطَرَ سِخْرِ

كُلُّ مَا أَعْلَمُ عَنْهَا أَنَّ نَفْحَ الْمِسْكِ مِنْهَا

نَفْحَ زَهْرِ

كُلُّ حُبِّي لَمْ يَزِنْهَا كُلُّ وَصْفِي لَمْ يُبَيِّنْهَا

فَوْقَ شِعْرِي

فَاقْبَلِي أَنْفَاسَ قَلْبِي إِنَّهَا زَفْرَةُ حُبِّي

رَمَزُ شُكْرِي

كُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ عِنْدَمَا أَبْعُدُ عَنْكَ

قَيْدَ شَبْرِ

إِنْ تَصُونِي فِي يَدَيْكَ لَمَسَاتِ مِنْ يَدَيْكَ

فَهِيَ ذِكْرِي

وَدُعَاءُ كَالْحَيْنِ لِهَوَى حُرٍّ أَمِينٍ

صَوْبٍ وَكُرَى

إِنَّهَا دُنْيَا تَمُرُّ وَالْمُنَى مَدٌّ وَجَزْرٌ
 مَوْجٌ بَخْرٌ
 فَإِذَا أَظْلَمَ فَجْرٌ وَمَضَى عُمْرٌ وَعُمْرٌ
 أَيَّ عُمْرٍ
 لَيْسَ لِلْأَحْيَاءِ قَدْرٌ إِنَّمَا الْأَيَّامُ ذِكْرٌ
 نَبْعٌ خَيْرٌ
 قَالَ لِي طَيْفُكَ أَمْسٍ إِنَّ طَبَعَ الدَّهْرِ يَنْسِي
 قُلْتُ بَدْرِي
 هِيَ عَيْنِي هِيَ رَأْسِي فَوْقَ أَرْضِي تَحْتَ رَمْسِي
 ضَوْءُ بَدْرِي

* * *

يَا رَبِّ

يَا رَبُّ صَنَعْتُكَ الْجَمِيلَةَ يَا رَبُّ فِطَرْتُكَ الْأَصِيلَةَ
فَاقْتِ بُنْبُلٍ خِصَالِهَا
وَبِطِيبِهَا وَكَمَالِهَا
قَدْ كَانَ يَأْسِرُنِي الْجَمَالُ وَالْيَوْمَ يَأْسِرُنِي الْجَلَالُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ الدَّلَالَ وَأَظُنُّهُ أَلْقُ الْجَمَالَ
فَبَدَتْ حَنَانُ فَوْقَ مَا
تَبْدُو الْمَلَأْتُكَ فِي السَّمَاءِ
كَانَتْ بِحَقٍّ بَلَسَمًا وَمِنْ الْمَكَارِمِ أَكْرَمًا
يَا رَبُّ صَنَعْتُكَ الْجَمِيلَةَ يَا رَبُّ فِطَرْتُكَ الْأَصِيلَةَ
يَا رَبُّ كَالْإِشْرَاقِ يَسْطَعُ فِي الْخَمِيلَةِ يَا رَبُّ كَالْإِعْجَازِ إِذْ يَرْوِي دَلِيلَهُ
يَا رَبُّ كَانَتْ بِالْكَمَالِ
تَضِنُّ بِالسَّخَرِ الْحَالِ

كَانَتْ تُجْمَعُ بِالْحَنَانِ وَتَخَافُ مِنْ زَحْمِ الْحَنَانِ

كَانَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ تَذُودُ إِشْرَاقَ الْبَيَانِ

وَتَظُنُّهُ سِحْرَ اللِّسَانِ

وَكَانَ إِحْسَاسُ الْحَنَانِ

فَرَكَعْتُ يَا رَبَّاهُ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ أَمَامَهَا

وَجَثَوْتُ أَلْتُمُ فِي رِضَا فَوْقَ الرِّضَا أَقْدَامَهَا

وَضَمَمْتُهَا ضَمَّ السَّحَابَةِ فِي سَمَاكِ غَمَامَهَا

وَقَرَنْتُ بِاسْمِكَ مُسْتَرِيحًا بَدْعَهَا وَخِتَامَهَا

وَلَقَدْ شَكَرْتُكَ رَحْمَةً بَرَزَتْ دَلَائِلُ أَصْلِهَا

فِي قَوْلِهَا فِي فِعْلِهَا لَسْتُ الْجَدِيرَ بِمِثْلِهَا

أَبَدًا وَلَا مِنْ أَهْلِهَا

لَكِنِّهَا رُحْمَاكَ تَغْمُرُنِي بِوَارِفِ ظِلِّهَا

سَكْرَانُ يَا رَبَّاهُ مِنْ عَذْبِ اللَّيْلِ مِنْ كَوْنِهَا

وَمِنْ الشَّدْيِ قَدْ دُقَّتْهُ وَكَانَنِي فِي جَنَّتِكَ

وَنَهَلْتُ مِنْ حُلُوِّ الرُّضَابِ وَإِنَّهُ مِنْ رَحْمَتِكَ

وَسَكَرْتُ لَسْتُ بِجَاحِدٍ مِنْ ثَغْرِهَا مِنْ خَمَرَتِكَ
 يَا رَبِّ إِنَّ مَنَعْتَ بِأَسْرَارِ الْكَمَالِ
 فَالْيَوْمَ قَدْ مَنَحْتَ بِأَسْرَارِ الْكَمَالِ
 بِالْحُبِّ مَوْصُولًا بِحُبِّكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْخَيَالِ
 وَلَأَنْتَ يَا رَبَّ الْقُلُوبِ الْبَيْضِ لَا يَخْفَاكَ حَالِي
 فَاتُكِّبْ لِقَلْبَيْنَا الْأَمَانَ
 وَاتُكِّبْ لَنَا حُسْنَ الْمَالِ
 وَاجْعَلْ دَائِمًا فِي حُسْنِهَا ذَاتَ الدَّلَالِ
 فَأَنَا الْفَخُورُ بِحُبِّهَا
 فِي بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهَا
 صُنْهَا عَنِ الشَّرِّ الْمُبِينِ فِي الْجَلَاءِ وَفِي الْخَفَاءِ
 صُنْهَا عَنِ الْحُسَادِ أَنْتَ كَمَا تَشَاءُ
 فَهِيَ الَّتِي تَهْوَى رِضَاكَ وَلَا تُحَاذِرُ مَا سِوَاكَ
 وَأَنَا الْفَخُورُ بِحُبِّهَا
 فِي بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهَا

أهلاً

أَهْلًا بِمَنْ وَهَبَتْ نَفْسِي وَأَعْيَادِي عُمْرًا جَدِيدًا كَعُمْرِي يَوْمَ مِيلَادِي
 فَنَشْتِيهِ كَمَا تَبْغِينَ تَنْشِئَةً وَزُودِيهِ بِمَا تَهْوِينَ مِنْ زَادِ
 وَأَشْرِقِي فِي مَعَانِيهِ يَكُنْ أَبَدًا صَدَاكِ يَامِي مِنْ وَادٍ إِلَى وَادٍ
 طَوْقَتِهِ مِنَّنَا غَرَاءَ صَافِيَةً فَكَيْفَ يَنْسَى النَّدَى مِنْ غُصْنِهِ النَّادِي
 يَوْدٌ لَوْ سَارَتْ الرُّكْبَانُ تَنْقُلُهَا كَالْغَيْثِ يَنْقُلُهُ لِلرَّائِحِ الْغَادِي
 أَجَلَ مُرِيهِ فَمَا أَحْلَاكِ أَمْرَةً عَلَيْهِ يَامِي فِي خَافٍ وَفِي بَادِي
 أَسِيرُكَ الْيَوْمَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَهُ عَلَى أَسَارِ فَضْلِكَ أَسْرَ الظَّامِي الصَّادِي

...

ساعتها

يَا عَذُولًا فِي يَدَيْهَا أَنْتَ مَنْ أَنْتَ لَدَيْهَا؟
مَا كَفَى أَنَّكَ طُولَ الْوَقْتِ تَطْوِي مِعْصَمَيْهَا؟
كَالَّذِي يَسْتَرْقُ السَّمْعَ وَيَلْوِي نَظْرَيْهَا
صَوْبَ ذَاكَ الْعَقْرَبِ اللَّامِعِ . يُغْرِي أُذُنَيْهَا
فَتُطِيلُ الْمَسَّ وَالنَّظْرَةَ دَوْمًا فِي يَدَيْهَا
مَنْ تُرَى أَنْتَ وَهَلْ وَصَّالِكَ ذُو شَأْنٍ عَلَيْهَا؟

* * *

كَانَ أُخْرَى بِكَ ذَوْقُ يَتَأَنَّى ، يَتَأَدَّبُ
لَا يُطِيلُ الرِّقْصَ كَيَّ يَرْكُضُ بِالْوَقْتِ وَيَهْرَبُ
أَنْتَ حَوْلَ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ شُعَاعُ يَتَوَثَّبُ
كَيْفَ لَا تُشْجِيكَ دَقَّاتُ فُؤَادٍ مِنْكَ أَقْرَبُ؟
كَيْفَ لَا تَسْكُنُ لَا تَهْدَأُ فِي رِفْقِي وَتَطْرَبُ؟

فَتَمَهَّلْ أَيُّهَا الرَّقَّاصُ وَاغْفِلْ وَتَهَذَّبْ
بَارِكِ الْوَقْتَ وَجَرَّبْ وَتَعَلَّمْ مِنْ مُجَرَّبٍ
إِنَّهَا لَحَظَةٌ أَخْلَامِي وَعُمْرِي فَتَجَنَّبْ
لَسْتُ لَوْلَا يَدُهَا الْحُلُوءُ إِلَّا سُمَّ عَقْرَبْ

* * *

وَإِذَا حَاوَلْتَ أَنْ تُسْرِعَ بِالْوَقْتِ عَلَى غَيْرِ هَوَانَا
سَوْفَ نَسْتَبْدِلُكَ عَقِيَانًا وَمَاسًا وَجُمَانًا
وَيَوَاقِيتَ تُرِينَا الْوَقْتَ لَكِنْ لَا تَرَانَا
سَاعَةً قَدْ صَنَعُوهَا ذَاتَ حِسٍّ لَا يُدَانِي
تَرْقُبُ الْفَرَحَةَ تُغْلِيهَا زَمَانًا وَمَكَانًا
ذَاتُ حِسٍّ عَبَقَرِيٌّ فِي لِقَانَا تَتَفَانِي
حَسْبُهَا رَجْعُ صَدَانَا تَغْمِضُ الطَّرْفَ خَانَا
تَكْتُمُ السِّرَّ وَلَا تَنْطِقُ شَيْئًا مِنْ وَرَانَا
رُبَّمَا أَبْطَأَتِ السَّيْرَ فَلَا تَسْبِقُ فِي السَّيْرِ خُطَانَا
بِنْتُ أَضَلِّ وَبَنَاتُ الْأَضَلِّ أَغْلَى النَّاسِ شَانَا

حَسْبُهَا يَا نَاسُ أَنْ تَشْهَدَ حَالَيْنَا عَيْنَانَا
حَسْبُهَا رُؤْيَا لِقَانَا ثُمَّ تَشِيْعُ خُطَانَا
وَمَعًا لِلْبَابِ حَتَّى حِينَ تَعْيَا قَدَمَانَا
نَسْرِقُ الصَّفْوَةَ مِنَ الْوَقْتِ وَنَرْجُوهُ الْأَمَانَا
وَهُوَ بِالْأَنْسِ ضَنِينٌ قَلَّمَا يُعْطِي الْأَمَانَا
وَإِذَا صَافَى فَأَيَّامُ الصَّفَا آتَا فَآتَا
وَأَخِيرًا فَاعْلَمِي يَا مَلِيًّا أَنَا فِي الْهَوَى غَيْرُ سَوَانَا
إِنْ مَحَا الدَّهْرُ أَمَانِي النَّاسِ لَا يَمْحُو مُنَانَا
أَوْ طَوَى النَّاسَ فَإِنَّ الْحُبَّ قَدْ يَطْوِي الزَّمَانَا

* * *

ساعتها تجيب

حَنَانِيكَ قَدْ أَوْسَعَتْ لَوْماً
 وَمَا أَنَا نَمَامٌ وَلَا أَنَا حَاسِدٌ
 فَبُرْجِي كَمَا تَدْرِي كَفِيفٌ وَصَامِتٌ
 فَفِي حُبِّهِ أَعْمَى وَفِي الْكُرْهِ مُبْصِرٌ
 يُحَرِّكُهَا سَمْعٌ وَيُلْهِبُهَا لَظَى
 وَفِي بُرْجِ ذَاتِ الْمِعْصَمِ الرِّخْصِ شَيْمَةٌ
 قَلِيلَةٌ حُبٌّ غَيْرُ أَنْ مَزَاجُهَا
 لَهَا فِي مَذَاقِ الْحُبِّ نَكْهَةٌ حَالِمٌ
 وَرُبَّ خِيَالٍ آسِرٍ فِي صَفَائِهِ
 طَبِيبٌ يُدَاوِي طِبُّهُ غَيْرَ دَائِهِ
 يَرَى فِي دَلَالِ الْحُبِّ سُلْطَةً قَادِرٌ
 وَيُعْجِبُهُ فِي الْحُبِّ طَاعَةٌ وَالِهِ
 وَأَسْمَى مَعَانِيهِ الْوَفَاءُ وَرُبَّمَا
 كَانَنِي عَذُولٌ بِحَقِّ تُسْتَبَاحِ دِمَائِي
 فَحَسْبِي فِي دُنْيَا الْبَلَاءِ بَلَائِي
 ثَقِيلٌ بَطِيءٌ فِي أَشَدِّ حَيَاءٍ
 عَلَى غَيْرَةِ شَفَافَةٍ كَذُكَاءٍ
 إِذَا مَسَّهَا ذُو غِلْظَةٍ وَغَبَاءٍ
 تُلَاثِمُ حُبِّي فِي الْهَوَى وَإِبَائِي
 عَلَى الْحُبِّ يَجْرِي دَائِمًا بِقَضَاءٍ
 بَرِيءٌ بَرِي الدُّنْيَا بَعِينٌ رِضَاءٍ
 يَفُوقُ الْهَوَى الطَّاعِي بَغِيرِ صَفَاءٍ
 تُشْعِشِعُ فِيهِ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ
 مُمَثَّلَةٌ فِي نَشْوَةِ الْخِيَلِ
 تَفِيضُ عَلَيْهَا رِقَّةُ النَّبَلِ
 يَذُوبُ حَيًّا فِي رِذَاءٍ وَفَاءٍ

وَيَنْصِمُهُ الْحُبُّ الْحَفِيَّ وَطَالَمَا
وَيَنْصِمُ مَنْ يَهْوَاهُ حَتَّى كَانَمَا
تَسَامَى عَلَى جَاهٍ وَطُولِ ثَرَاءٍ
يَرَى كَوْنَهُ دُنْيَا بِغَيْرِ شَقَاءٍ
مَغَانِي تَرَعَى أَنْفَسَ الشُّعْرَاءِ
وَيُبْصِرُ آفَاقَ الْحَيَاةِ جَمِيعَهَا
وَحَتَّى مَعَانِي الْحِظِّ مَعْكُوسَةَ الرُّوَى
عَلَى مَنْ حَوَالَيْهَا بِكُلِّ سَخَاءٍ
وَتَحْرِمُ حَتَّى نَفْسَهَا يُمْنُ حِظِّهَا
وَتَرَعَى بِحُبِّ عِزَّةِ الْكُرَمَاءِ
فَلَا تَرْتَضِي فِي عِزِّهَا ذُلَّ وَالِهِ
وَتَأْسِرُهَا فِي الْبَذْلِ جَرْعَةُ مَاءٍ
تَضِجُ الْمَعَانِي فِي حَنَائِيَا قُودَاهَا
وَتَرَعَى انْطِلَاقَ الْحُبِّ فِي غَيْرِ مَغْرَمٍ
تُدِيرُ أَحَادِيثَ الْهَوَى بِلَبَاقَةٍ
وَيَكْبُرُ مِنْهَا الضَّنُّ حَتَّى كَانَهُ
وَلَا مَغْنَمٍ عَنْ عِفَّةٍ وَإِبَاءٍ
وَتُعْجِبُهَا إِشْرَاقَةُ النَّدَمَاءِ
عَطَاءٌ يَرَى فِيهِ أَلَذَّ عَطَاءٍ
وَتِلْكَ الْمَزَايَا مُنِيَّةُ الْعُظَمَاءِ
وَكَيْفَ وَآسَادُ الْعَرِينِ وَرَائِي
وَتِلْكَ الَّتِي قَدْ هَذَهَدَتْ فِيكَ ثَوْرَةً
وَلِلْأَسَدِ الزَّعَارِ بُرْجٌ كَانَهُ
أَرْتَنَا لِيُونًا فِي إِسَارِ طِبَاءٍ
لَهَا الشُّكْرُ نَزْجِيهِه ثَنَاءٌ مُعْطَرَا
عَلَى جَنَبَاتِ الْكَوْنِ رَعْدُ سَمَاءٍ

الصحواح سالم

وَقَدْ غَادَرْتَنِي بَيْنَ صَفْوٍ وَضِدِّهِ وَحَيْرَةٍ مَسْلُوبٍ وَقَسْوَةٍ سَالِبِ
 تَسَمَّرْتُ خَلْفَ الْبَابِ ثُمَّ وَصَدْتُهُ بِحُرْقَةٍ مَغْلُوبٍ وَأَمَالٍ غَالِبِ
 مَشَيْتُ الْهُوَيْنَا وَإِنِّي الْخَطُورَاجِفَا كَمُبْصِرٍ أَظْعَانٍ مَشَتْ بِالْحَبَابِ
 رَجَعْتُ إِلَى كُرْسِيِّهَا فَلَثَمْتُه وَحَاضِنْتُهُ فِي حُزْنٍ أَسْفَانِ ذَائِبِ
 وَسَاوَرَنِي مَالًا أَطِيقُ اخْتِمَالَهُ وَزَاخَمَنِي زَحَمَ الْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ
 وَلَيْلٍ كَلِيلٍ « النَّابِغِي » مُورِقٍ ثِقَالٍ مَرَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
 تُمَلِّمُنِي فِيهِ أَمَانِي ظَافِرٍ وَتَحْرِقُنِي فِيهِ أَحَاسِيسُ خَائِبِ
 أَعَاتِبُ نَفْسِي كَيْفَ ضَايَقْتُ ثَاوِيَا بِقَلْبِي مُقِيمَا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي
 وَلَوْ كُنْتُ ذَا وُدٍّ صَحِيحٍ كَتَمْتُهُ وَعِشْتُ عَلَى مَعْنَاهُ أَطْوِي جَوَانِبِي
 وَأُبْدِي سِوَاهُ عِنْدَهَا رَغَمَ أَنِّي أَضْمُّ عَلَى ذِكْرَاهُ كُلَّ رَوَاجِبِي
 فَمَنْ لِي بِمَنْ يُرْضِينِي . . بَعْدَمَا رَمَنْتِي بِلِحْظِ جَاهِمِ الْحِسِّ غَاضِبِ
 وَقَدْ خَلَفْتَنِي فِي اللَّطَى الْعَذْبِ حَاتِرَا وَمَا أَنَا بِالسَّالِي وَلَسْتُ بِعَاتِبِ

وَلَكِنَّهَا نَفْسُ الْمُحِبِّ عَجُولَةٌ تَطِيرُ بِهَا أَحْلَامُهَا لِلْسَّحَابِ
 فَمَنْ مُبْلِغٍ عَنِّي . . أَنَّهَا إِذَا مَا عَفَتْ تَلْقَى شَمَائِلَ تَائِبِ
 وَحَسْبِي مِنْهَا فِي الْكَرَى طَيْفُ حَالِمٍ وَلَوْ حَسْبَتَنِي فِي عِدَادِ الصَّوَابِ
 سَأَحْمِيكَ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَسُوءُكَ وَعَدًّا صَادِقًا غَيْرَ كَاذِبِ
 وَدُمْتُ كَمَا تَبْغِينَ نُبْلًا وَعِزَّةً تَفُوقِينَ فِي دُنْيَاكِ أَسْمَى الْكَوَاكِبِ
 وَرَجَوَايَ أَنْ لَا تَنْدَمِي رَغَمَ مَا جَرَى عَلَى كُلِّ مَا اسْلَفَتْ رَغَمَ مَعَائِبِي
 وَإِنِّي عَلَى وَدِّي بِأَشْوَاقِ حَاضِرٍ وَإِنِّي عَلَى عَهْدِي بِأَمَالِ غَائِبِ

* * *

أَتَنَسِّينَ ؟

إِذَا فَرَغَ الْعَطْفُ هَلْ تَنْتَهِي مَعَانِيهِ فِي نَفْسِكَ الطَّيِّبَةُ ؟
وَأَنْتِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ نَفْحُهَا نَدِيَّ الْعُذُوبَةِ مَا أَطْيَبَهُ ؟
أَتَنْسِينَ أَنَّكَ أَزْهَى رَبِيعٍ حَفِيلِ الصَّلَاتِ جَزِيلِ الْهَبَةِ ؟
وَشَعْرُكَ تَنْسِينَ إِلْهَامَهُ وَأَوْرَاقَهُ الْغَضَّةَ الْمُخْصِبَةَ ؟
أَلَمْ تَرْتَضِي حَرَّ أَنْفَاسِهِ وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِهِ مُعْجَبَةً ؟

* * *

الكوافير

وَكُنْتُ أَخَافُ عَلَى الْوَجْنَتَيْنِ مِنْ اللَّهَبِ الْحَرِّ فِي الْجَمْرَتَيْنِ
وَمِنْ أَثَرِ الْكَأْسِ فِي «الشَّقَتَيْنِ» وَمِنْ خَطَرَاتِ النَّسِيمِ الْعَلِيلِ
فَطَمَأَنَّنِي حَارِسُ الْمُقْلَتَيْنِ وَقَالَ أَنَا الْحِرْزُ مِنْ كُلِّ عَيْنِ
وَلَا تَنْسَ عَنَبْرَةَ بَيْنَ بَيْنَ عَلَى شَفَةِ كَاخِمِرَارِ الْأَصِيلِ
تَصُونُ لَمَاهَا بِغَمَّازَتَيْنِ وَظِلُّ الْجُفُونِ الْوَرِيفِ الظَّلِيلِ
وَلِلْسَهْرِيِّ لَطَى طَعْنَتَيْنِ يَصُونُ عَلَى الْغُصْنِ رُمَانَتَيْنِ
فَلَا تَخْشَ إِلَّا تَبَارِيحَ بَيْنِ فَشَرُّ الْهَوَى يَوْمَ شَدِّ الْحُمُولِ

...

فَقُلْتُ لِحَارِسِهَا الْمُشْفِقِ فَدَيْتُكَ صِفَ لِي وَلَا تَقْلِقِ
بِمَاذَا تَصُدُّ يَدَ الْخَالِقِ كَوَافِيرُهَا وَالشَّدَى يَقْطِرُ
أَأَحْسَنُ مِنْ صَنْعَةِ الْخَالِقِ ؟ تُرِيدُ وَفِي شَعْرِهَا أَبْحُرُ
تَمُوجُ بِتَعْبِيرِهَا النَّاطِقِ تَرَانِيمُهَا النَّايِ وَالْمِزْهُرُ
يَمُرُ بِكَفَيْهِ كَالسَّارِقِ وَيَسْكُرُ بِالنَّفْسِ الْعَابِقِ

وَفِي خَصَلَاتِ الصَّبَا الدَّافِقِ يُخَالِسُهَا الْمُشْطَ إِذْ يَغْبِرُ
وَفِي شَعْرِهَا كُلِّ مَا فِي الدُّجَى مِنْ الْوَمُضِ كَالْأَمَلِ الْمُرْتَجَى
وَفِيهِ دُعَاءٌ يُدِيرُ الْحِجَى فَكَيْفَ عَلَى حُسْنِهِ آمَنُ ؟
فَجَاوَبَنِي الْحَارِثُ الْآسِرُ هَوَاكَ هُوَ الْحَاكِمُ الْآمِرُ
يُكَيِّفُهُ حِسْكَ الشَّاعِرِ وَمِنْ خَوْفِهِ تَغْمُضُ الْأَعْيُنُ

...

المستلقىة

رَأَيْتُكَ فِي سَدْحَةِ النَّائِمِ كَأَنَّكَ فِي سَبْحَةِ الْعَائِمِ
وَلِلَّحْنِ فِي الْجَسَدِ النَّاعِمِ تَرَائِمُ مِثْلَ الدُّجَى الْفَاعِمِ
فَمَا هَزَهَزَ الْغُصْنُ أَثْمَارَهُ سِوَى ثَمَرٍ نَافِرٍ هَائِمِ
كَأَمْوَاجٍ نُورٍ تَدَلَّتْ عَلَى عَنَاقِيدَ مِنْ عَسَجِدٍ بِاسِمِ
فَعَوَّذْتُهَا ثِمَلًا بِالْمُنَى تَضَاحَكْنَ لِلْحُلُمِ وَالْحَالِمِ

قالت

قَالَتْ أَخَافُ الْمَعَانِي فِيكَ غَافِيَةً وَلَا أَخَافُكَ فِي صَخْرِ يُدَارِيهَا
 فَأَنْتَ إِذْ يَهْجَعُ الْإِحْسَاسُ مُنْطَلِقُ كَالْمَاءِ فِي الْأَرْضِ يَنْأَى عَنْ أَعَالِيهَا
 وَيَسْتَرِيحُ إِلَى أَعْطَافٍ مُنْخَفَضِ عَلَى طَبِيعَتِهِ فِي حِضْنٍ وَادِيهَا
 وَأَنْتَ كَالْحُبِّ تَطْوِيهِ عَوَاطِفُهُ وَحُلُوهُ حِينَ تَطْوِيهِ وَيَطْوِيهَا
 فَقُلْتُ أَنْتِ الْمَعَانِي فِي حَقِيقَتِهَا فَكُلُّ مَا فِيكَ عُنْوَانٌ لِمَا فِيهَا
 قَالَتْ حَبَسْتُ مَنَى نَفْسِي بِأَقْنَعَةٍ طَرِيَّةِ اللَّمَسِ رَقَّتْ فِي حَوَاشِيهَا
 فَلَنْ أَطِيقَ بِمَا أَخْفَيْتُ أَبْدِيهَا وَلَنْ أَطِيقَ بِمَا أَبْدَيْتُ أَخْفِيهَا
 فَقُلْتُ لَا تَحْسَبِيهَا حَيْرَةً أَنْفًا فَكَمْ نُفُوسٍ مَضَتْ كَانَتْ تُعَانِيهَا
 وَقِمَّةُ الْحِسِّ فِي دُنْيَا الْهَوَى صُورُ وَشَيْكَةُ الصَّفْوِ أَشْبَاحُ مَرَائِيهَا
 إِذَا اسْتَرَاخَتْ إِلَيْهَا النَّفْسُ ثَانِيَةً كَرَّتْ عَلَيْهِ بِأَهْوَالِ لَيَالِيهَا
 وَالْحُبُّ كَالْكَوْنِ يَا لَيْلَايَ تَجْرِبَةٌ تُضِيءُ فِي الرَّحْمَةِ الْكُبْرَى مَعَانِيهَا
 وَالْفَجْرُ مِنْ عَسَقٍ يَبْدُو مِنْ حُرْقٍ كَادُمٍ الصَّبِّ حَارَتْ فِي مَا قِيهَا
 وَكَمْ سَحَابٌ ظَنَنْتُ وَهِيَ مُثْقَلَةٌ بِمَزْنِهَا ثُمَّ لَا تَذَرِي بِمَا فِيهَا

رَجَوْتُ أَمْنَكَ يَا لَيْلَايَ فَأَعْتَرَضَتْ
 لَكِنِّي بِكَ يَا أَمْنِي وَيَا أَمَلِي
 فَهَلْ تَصُونِينَ بَقِيَا النَّفْسِ فِي حُلْمٍ
 قَضَيْتُ عُمْرِي فِي دُنْيَا الْهُدَى أَرْقَا
 بَذَلْتُ رُوحِي فِي أَمْجَادِهَا لِأَرَى
 وَآثَرَتْ نَفْسِي الْجِرْمَانَ أَنْشُدْهُ
 فَعَقَّنِي كُلُّ خَلٍّ كُنْتُ أَمَلُهُ
 وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ مُعْتَاضٌ بِأُمْنِيَةِ
 إِذَا صَحَوْتُ فَمِنْ أَنْفَاسِهَا أَمَلِي
 مَلَكْتُهَا الْقَلْبَ لَا أَبْغِي لَهُ ثَمَنًا
 وَلَيْتَ أَوْرَاقَ عُمْرِي بَعْدَمَا ذُبُلْتُ
 شَتَّى صُرُوفُ تَمَادَتْ فِي تَجَنِّيْهَا
 سَأَحْتَمِي بِالْعَوَادِي مِنْ عَوَادِيهَا
 فَقَدْ تَعِيشَ الْأَمَانِي فِي بَوَاقِيهَا
 أَرَعَى الذَّمَّارَ لِأَوْطَانِي وَأَحْمِيهَا
 مَا كُنْتُ أَمَلُهُ فِي عِزِّ أَهْلِيهَا
 غِذَاءَ أُمْنِيَةِ كُبْرِي أَرْجِيهَا
 وَبَاعَ دِينًا بِدُنْيَا ذَلِّ رَاجِيهَا
 عَزِيزَةَ كَهْوَى الْأَوْطَانِ أَغْلِيهَا
 وَإِنْ غَفَوْتُ فَأَطِيفُ أَنْاجِيهَا
 حَسْبِي ابْتِسَامَةُ فَجْرِ لَا تُوَارِيهَا
 تَلُمُهَا كَفُّ أُمِّي ثُمَّ تَطْوِيهَا

* * *

قوله

قولي بِرَبِّكَ مَاذَا أَنْتِ صَانِعَةٌ بَعْدِي وَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنِي عَيْنَاكَ
 فَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرْسُمْ هَوًى ثَمَلًا عَلَى جَبِينِكَ بَادٍ فِي مُحِبَّاكَ
 وَلَيْتَ أَنَّكَ قَدْ أَطْفَأْتَ شُعْلَتَهُ أَوْ أَنَّ حُبًّا سَوَى حُبِّي تَفَادَاكَ
 إِنْ كُنْتُ أُسْعِدُ نَفْسِي فِي شَقَاكَ فَلَا دَامَتْ سَعَادَةٌ مِنْ يَا مِيَّ أَشَقَاكَ
 حَسْبِي مِنَ الذُّكْرِ يَاتِ الْبَيْضِ مَا تَرَكَتْ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ بَقَايَاكَ
 وَأُمْسِيَّاتٌ لَنَا كَالْحُلُمِ قَدْ سَلَفَتْ الشُّعْرُ أَنْجُمُهَا وَالْخَمْرُ نَجْوَاكَ
 وَلَمْ نَذُقْ طَعْمَ رَاحٍ غَيْرَ مَا سَكَبْتُ عَيْنَاكَ مِنْ نَشْوَةٍ فِيهَا حُمَاكَ
 أَجَلٌ فَدَيْتُكَ هَلَّا تَذْكُرِينَ إِذَا مَرَرْتُ بِالْجِيْزَةِ الزَّهْرَاءِ مُضْنَاكَ
 وَلَوْ بِنَظَرَةٍ عَطْفٍ فَوْقَ مِصْعَدِهَا إِذَا تَيَمَّمْتُ فِي أَعْلَاهُ قُرْبَاكَ
 تَذْكُرِيهِ وَلَوْ عَتَبًا وَلَوْ غَضَبًا فَسَوْفَ تُسْعِدُهُ يَا مِيَّ ذِكْرَاكَ
 قَوْلِي هُنَا كَانَ مِنْ دَارِ الْهُدَى رَجُلٌ بَادِي الْهَيْبَامِ عَلِيلٌ ضَا حِكْ بَا كِي

سلمت يدك

سَلِمَتْ يَدَاكَ الْحُلُوتَانِ	يَا مَيُّ يَا نَوْرَ الْجِنَانِ
يَا مَنْ سَمَوْتَ عَلَى الْحَنَانِ	فَكَيْفَ يَبْلُغُكَ الْبَيَّانُ
لَوْ قُلْتُ جَوْهَرَةَ الزَّمَانِ	أَخَافُ مِنْ حَسَدِ الزَّمَانِ
لَمَسَاتُ كَفِّكَ بِالْبَنَانِ	طَابَتْ بِهِنَّ الْمُقْلَتَانِ
مَا « كَمَدْتَنِي » الْقُطْنَتَانِ	بِالْمَاءِ ثُلْجًا يَقْطُرَانِ
لَكِنْ بِأَنْفَاسِ الْحَنَانِ	بِشَذَى الْحَلَاوَةِ فِي اللِّسَانِ
عَرَافَةٌ عَرَفَ الْكَمَانِ	وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : كَمَانِ
أَنْتِ الطَّبِيبَةُ بِالرَّهَانِ	وَلَقَدْ كَسَبْتُ أَنَا الرُّهَانِ
أُمْنِيَّتَانِ عَزِيزَتَانِ	إِنْ تَعْتَرِي مَرَضَتَانِ
أَحْظَى بِأَنْمَلِكِ الْحِسَانِ	وَلَوْ تَطُولُ الْعِلَّتَانِ
يَا مَنْ أَبَيْتَ لِي الدُّخَانِ	وَقُلْتَ تَكْفِيكَ لُفَافَتَانِ
أَغَضْتُ وَقَالَتْ « نُكْتَتَانِ »	وَسَكَتُ فِي حَذَرِ الْجَبَانِ

• • •

أ

هِيَ النَّدَامَةُ أَخْشَاهَا عَلَى « أَمَلٍ »
 وَمَا نَدِمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى ثِقَةٍ
 تَبَلَّغْتُ فِي مَفَاهِيمِ الْهَوَى فَبَدَتْ
 وَفَاتَهَا أَنَّنِي فِي حُبِّهَا قَبَسُ
 وَفَاتَهَا أَنَّنِي كَالشَّمْعِ مُحْتَرِقِ
 وَأَنَّ لِي أَمَلًا فِيهَا أُرْغِرُهُ
 وَأَنَّنِي غَيْرُ مَا أُبْدِيهِ مِنْ صُورٍ
 إِنْ غَابَ عَنْكَ فَأَيَّامُ الْمُنَى دَوْلُ
 إِنِّي أُعِيدُكَ مِنْ آلامِ نَادِمَةٍ
 يَسُوؤُنِي ظَنُّكَ الْعَاتِي وَيُحْزِنُنِي
 لَسْتُ الْمُخَادِعَ عُمْرِي وَقَدْ جَعَلْتُ هَوَى
 فَلَا أَقُولُ وَدَاعًا بَلْ وَدَادَ رِضَا
 فَلَبَعْدُ أَهْوُونُ مِنْ لُقْيَا مُرْوَعَةٍ
 أَبَاحَنِي الْحُبُّ فِيهِ كُلُّ مَنْشُوعٍ
 لَكِنْ نَدِمْتُ « وَقَدْ » جَفْتُ يَنَابِيعِي
 تَقِيسُ مَصْنُوعَهُ الْبَالِي بِمَطْبُوعِ
 شُعَاعُهُ طُولَ عُمْرِي غَيْرُ مَقْطُوعِ
 لَكِي يُضَيُّ وَأَنَّنِي غَيْرُ مَدْفُوعِ
 بَيْنَ الْحَنَايَا بِتَنْهِيْدِي وَتَلْوِيْعِي
 سِرٌّ مِنَ الْغَيْبِ يَمْشِي فِي التَّلَافِيْعِ
 كَمْ بَانَ عَقْدَ بَكَا فِي إِثْرِ مَبْيُوعِ
 مَضَى بِهَا الْوَهْمُ فِي أَحْلَامِ مَفْزُوعِ
 رُؤْيَا فُؤَادِكَ فِي أَثْوَابِ مَخْدُوعِ
 النَّفْسِ مِنِّي تَابِعًا فِي ظِلِّ مَتْبُوعِ
 إِنْ فَاتَنِي حَظُّ تَشْيِيْعٍ وَتَوَدِيْعِ
 وَمِنْ لِقَاءِ وَدَاعٍ بَعْدَ أُسْبُوعِ

...

أَعْلِمْتُ ؟

أَعْلِمْتُ كَيْفَ دَنَوْتُ مِنْكَ وَمِنْ سَمَاكَ وَمِنْ رِحَابِكَ ؟
وَمِنْ الْبَشَاشَةِ فِي طِبَاعِكَ وَالْحَلَاوَةِ فِي دُعَابِكَ ؟
وَمِنْ الصَّفَاءِ الْعَبْقَرِيِّ لَقَدْ تَلَأَّا فِي شَبَابِكَ ؟
وَمِنْ الْأَرِيحِ الْعَذْبِ أَحْسَبُهُ تَقَطَّرَ مِنْ رَضَائِكَ ؟
شَيْءٌ خَفِيَ لَا يُبَيِّنُ لَقَدْ دَنَا بِي نَحْوَ بَابِكَ
شَيْءٌ تَلَعَّمْتُ فِي سُؤَالِي إِذْ تَلَعَّمْتُ فِي جَوَابِكَ
شَيْءٌ أَطَّلَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَيْسَ ظِلًّا مِنْ رَغَائِكَ
حَدَّثْتُ وَاحْلِفْ أَنَّهُ مَا كَانَ يَوْمًا فِي حِسَابِكَ
شَيْءٌ تَسَامَى عَنْ هَوَى الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ فِي إِهَابِكَ
ذِكْرِي مُعْطَرَةً سَتَقْرَأُ يَا وَفِيَّةُ فِي كِتَابِكَ
قُولِي لِأَهْلِكَ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَعِزَّةِ مِنْ صَحَابِكَ
هَذِي الْحَيَاةُ مَشَاهِدُ غَيْرَ الْقَنَا . غَيْرَ السَّنَائِكَ
غَيْرَ الْوُجُودِ بِكُلِّ مَا فِيهِ وَغَيْرَ سَنَا الْمَلَائِكِ

أَعْطَاهُ الْوَرْدُ الْمُصَفَّى رَغَمَ أَنَّ اللَّمَسَ شَانِكَ
وَبَسَاطَهُ رَوْحُ بِلَا وَقْدِ أَلْدُ مِنْ الْأَرَائِكَ
ذَهَبِيَّةٌ لِحَظَاتِهِ مِنْ دُونِهَا أَغْلَى السَّبَائِكَ
لَوْ ذُقْتَ يَا أُمَّاهُ لاسْتَحْلَيْتِ مَاءَ غَيْرِ مَائِكَ
وَلَقَالَ لِي كُلُّ الصَّوَّاحِبِ زَوْدِينَا مِنْ سَمَائِكَ
لَكِنْ أَضِنُ لِيَهْتَفُوا يَا مِيُّ هَذَا بَعْضُ دَائِكَ

...

الحب الشاعر

أَحِبُّكَ يَا حُبَّهَا الشَّاعِرَا وَأَغْلِيكَ يَا قَلْبَهَا الطَّاهِرَا
وَأَصْدَحُ يَا غُصْنَهَا الزَّاهِرَا لِتَرْحَمَ فِي خَافِقِي طَائِرَا
وَتُؤْوِي مُرْتَعِشًا صَابِرَا وَتُنْهَضَ حَظًّا لَهُ عَائِرَا
نَصَبْتَ لَهُ الْفَلَكَ الدَّائِرَا فَعَبَّ الضِّيَاءَ هَوَى سَاحِرَا
فِيَا لَيْتَ آخِرُهُ أَوَّلَا وَيَا لَيْتَ أَوَّلُهُ آخِرَا
لَقَدْ كُنْتُ أَرْصُدُ سَيْرَ النُّجُومِ وَاجْعَلْ بَاطِنَهَا ظَاهِرَا
وَهَا أَنَا يَرْصُدُنِي آسِرُ وَكُنْتُ لَأَمْثَالِهِ آسِرَا
فِيَا مَنْ أَسْرَتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَتَى حَاسِبًا مَا هِرَا
فَدَعْنِي أَصْنَعْ لَكَ الطَّالِعَا فَرِيدًا كَمَا تَشْتَهِي نَادِرَا
وَشَرِطِي أَنْ لَا تَفُكَّ الْأَسَارَ وَتَبْقَى عَلَى مُهْجَتِي آمِرَا
وَإِنْ لَاحَ فِي الْبُرْجِ نَجْمٌ سِوَايَ فَكُنْ لِي وَلَوْ خُفْيَةً ذَاكِرَا

* * *

لا تلمني

لا تَلْمَنِي حِينَ يَنْحُو الْعَقْلُ عِنْدِي غَيْرَ نَحْوِكَ
لا تَلْمَنِي

لا تَقُلْ فَرَطُ دَلَالٍ لَا تَقُلْ زَهُوُ جَمَالٍ
وَتَرْفُقُ

لا تَلْمَنِي

لِي رُؤْيَا غَيْرُ رُؤْيَاكَ وَعِلْمٌ غَيْرُ عِلْمِكَ
فَتَمَهَّلْ

لا تَلْمَنِي

لَسْتُ بِالْجَاهِلِ قَدْرَكَ مِثْلَ مَا أَجْهَلُ سِرَّكَ
وَرَجَائِي

لا تَلْمَنِي

فَرَحَتِي فَرَحَةٌ إِحْسَاسٍ وَقَلْبٍ يَتَضَرَّمُ

فَتَأْمَلِي

لَا تُلْمَنِي

أَنْتَ مَعْنَى غَيْرَ مَيَسُورٍ عَلَى الْعَقْلِ قَبُولُهُ

لَا تَسْلَنِي

لَا تُلْمَنِي

وَبِذَوْقِي وَأَحَاسِيْسِي هَضْمُهُ

دُونَ عَقْلِي

لَا تُلْمَنِي

فَمَعَانِي الْحُبِّ قَدْ تَعْرِفُ لَكِنْ لَا تُطَاقُ

فَأَجِرْنِي

لَا تُلْمَنِي

فَوْقَ سُوءِ الظَّنِّ فَوْقَ الشَّكِّ تَعْلُو لِلثَّرِيَّا

لِلثَّرِيَّا

لَا تُلْمَنِي

قُلْتُ لِي إِنِّي فِي اللَّحْظَةِ وَالْخَطَرَةِ جُنْبِكَ

فَصَعِغْتُ

لَا تُلْمَنِي

أَنْتَ شَيْءٌ غَيْرُ حُبٍّ غَيْرُ وَدٍّ غَيْرُ قُرْبٍ

لَا تَسَلِّئَنِي

لَا تُلْمَنِي

قَالَ لِي حُسْكَ فِي صَمْتٍ عَجِيبٍ

وَعَرِيبٍ

لَا تُلْمَنِي

لَأَنِّي أَكْثَرُ مِنْ بِنْتٍ وَأَخْتٍ وَحَلِيلَةٍ

وَصَمْتُ

لَا تُلْمَنِي

لَأَنِّي عِنْدَكَ فِي النَّوْمِ وَفِي الصُّحُورِ سَوَاءٌ

بِسَوَاءٍ

لَا تُلْمَنِي

إِنِّي رَاخُتُكَ الْكُبْرَى عَلَى رَغْمِ انْبِهَارِي

وَاعْتِزَارِي

لَا تَلْمَنِي

إِنِّي دُونَ رُضُوحٍ وَجُمُوحٍ فِي جَوَارِكِ

وَدِثَارِكِ

لَا تَلْمَنِي

فَتَمَلَمَلْتُ وَأَصْبَحْتُ كَمَا تَهْوَى وَأَكْثَرُ

ثُمَّ أَكْثَرُ

لَا تَلْمَنِي

وَتَمَلُّينِي فِي نَفْسِي وَرَاقِبَتِ زِيَارَةِ

لَا إِشَارَةِ

لَا تَلْمَنِي

وَتَقَمَّصْتُ الَّذِي فِيكَ « تَحَابِيْشُ » وَرَجَوِيْ

بَعْدَ نَجْوِيْ

لَا تَلْمَنِيْ

عِنْدَمَا أُنْزِعُ فُتَّانِيْ وَأَخْتَارُ شَعَارِيْ

وَسَوَاهِ

لَا تَلْمَنِيْ

عِنْدَ حَمَامِيْ وَهِنْدَامِيْ وَكَوَاْفِيْرِيْ وَشُعْرِيْ

أَيُّ شَعْرٍ

لَا تَلْمَنِيْ

رَبِّمَا أَخْرَجُ مِنْ عِنْدِكَ غَضَبِيْ أَيْ غَضَبِيْ

دُونِ قَصْدٍ

لَا تَلْمَنِيْ

ثُمَّ أَرْضَى فِي شُعُورٍ يَتَجَلَّى بِابْنِ سَامٍ

وَالْتِنَامِ

لَا تُلْمَنِي

كُنْتُ أَخْشَاكَ وَأَصْبَحْتُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَخْشَى

فَقَرَيْتُ

لَا تُلْمَنِي

إِنَّ صَحَا عَقْلِي لَا أَرْغَبُ فِي حِسَى صَخْوَةٍ

مِثْلَ سَهْوَةٍ

لَا تُلْمَنِي

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ مِثْلِي عَيْبٌ أَنْتَ تَعْلَمُ

فَوْقَ عِلْمِي

لَا تُلْمَنِي

غَيْرَ أَنِّي دُونَ مَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ الظُّنُونَ

وَالْحِسَابَ

لَا تَلْمَنِي

كُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْ قَلْبِكَ فِي قَلْبِي وَرُوحِي

أَنْ تَبُوحَ

لَا تَلْمَنِي

وَتُرِينِي مَا تَرَاهُ لِأَرَى رُؤْيَا الْيَقِينِ

فِي جَلَاءِ

لَا تَلْمَنِي

وَأَرَى تَدْبِيرَ صُنْعِ اللَّهِ فِي حَالِي وَحَالِكَ

لِلنَّهَائَةِ

لَا تَلْمَنِي

هُوَ شَهْرٌ فِي حِسَابِ النَّاسِ لَكِنْ فِي حِسَابِنَا

سِنِينَ

لَا تَلْمَنِي

فَأَجِبْنِي كَيْفَ نَحْيَا كَيْفَ نَبْقَى فِي سَلَامٍ

وَأَمَانٍ

لَا تُلْمَنِي

مَا مَصِيرُ الْبُعْدِ بَعْدَ الْقُرْبِ قُلْ لِي

هَلْ يَذُوبُ

لَا تُلْمَنِي

قُلْتُ حُبٌّ فَوْقَ حُبٍّ النَّاسِ مَا شَكَلَ الْحَصَانَةَ

لَسْتُ أَدْرِي

لَا تُلْمَنِي

فَأَجِبْنِي لَا تَدْعِنِي وَأَعِنِّي أَيَّ عَوْنٍ

لَا تَدْعِنِي

لَا تُلْمَنِي

الجواب المنشور

أَجَبْتُكَ فِي نَثْرِ عَمِيقٍ كَأَنَّهُ فَتَاوَيِ إِمَامٍ يَسْتَرِيحُ لِمَأْمُومٍ
وَصَوَّرْتُ مَجْهُولَ الْحَقِيقَةِ غَامِضًا بِإِيْمَاءٍ مَفْهُومٍ وَإِشْرَاقٍ مَعْلُومٍ
وَلَكِنَّ نَفْسًا بَيْنَ جَنْبَيْكَ حُرَّةً تَأْتُمُ حَتَّى مِنْ هُبُوبِ نَسِيمٍ
تَحَيَّرْتُ فِي نَصِّ تَحَرُّبٍ صِدْقَهُ وَإِنْ بَانَ فِي مَعْنَاكَ غَيْرَ هَضِيمٍ
وَهَا أَنَا قَدْ حَرَّمْتُ كُلَّ مُحَلَّلٍ « لَدَيَّ » لِأَخِيَا فِي لَظَى وَجْهِمِ
وَهَا أَنَا ذَا يَا آمِنَ آخِرِ طَاعَةٍ بَاخْسَاسٍ تَلْمِيزٍ وَطِنَعٍ حَلِيمِ
وَلَا تَحْمِلِي إِلَّا عَصَا الْعُنْفِ دَائِمًا فَكَمْ مُخْلِصٍ يَا آمِنَ غَيْرَ رَحِيمِ
وَكُلُّ الَّذِي أَرْجُوهُ غُفْرَانٌ قَادِرٍ وَتَأْدِيبَ إِنْسَانٍ وَهَجَرَ حَكِيمِ
وَكَمْ رَحْمَةٍ جَاءَتْ بِأَثْوَابِ نِقْمَةٍ وَكَمْ مِنْ وَلُودٍ أَخْصَبَتْ بِعَقِيمِ

...

سامحني

« يَا رَبِّ سَامِحْنِي » تَقُولُ وَذَنْبُهَا وَهُمْ الْبَرِيثَةُ فِي حَنَانِ الْمُحْسِنِ
وَتَظُنُّ رِقَّتَهَا رَغِيبَةً نَفْسِهَا مِنْ طِيبِ غُنْصَرِهَا وَفَرَطِ تَحَنُّنِ
وَسَمِعْتُهَا وَلَمَحْتُ بَيْنَ جُفُونِهَا أَلَقَ الرَّجَاءِ الْوَائِقِ الْمُتَمَكِّنِ
وَهَتَفْتُ يَا رَبِّي أَبُوءُ بِإِثْمِهَا وَخُذِي وَخُذْنِي أَخَذَ رَاضٍ مُذْنِعِ
وَأَمَلْتُ جَوَانِحَهَا بِمَا تَرْضَى لَهَا وَأَمُنُّ بِحِسِّ مَنْ «لَدُنْكَ» مُطْمَئِنِّ
يَا رَبِّ إِنَّ أَغْضَتُ فَكُلَّ عِيُوبِهَا إِسْرَاعُ مُؤْمِنَةٍ لِنَجْدَةِ مُؤْمِنِ
يَا رَبِّ بِاسْمِكَ قَدْ شَفَعْتُ لِحُبِّهَا وَبِكُلِّ مَا أَعْطَيْتَنِي وَمَنْحَتَنِي
يَا رَبِّ فَاْمَنْحْ لِي بِفَضْلِكَ حُلَّةً كَالْخُلْدِ لَمْ تَذْبُلْ وَلَمْ تَتَغَضَّنْ
وَمِنَ السَّعَادَةِ مَا تُرِيدُ وَعَزْمَةً كَالنَّضْلِ لَمْ تَخْدَعْ وَلَمَّا تَغْبُنْ
فِي فِطْنَةٍ لِمَا حَةِ طَّمَّاحَةٍ تُودِي بِكُلِّ مُجَازِفٍ لَمْ يَفْطِنْ
لَكِنَّ رَجَايَ الْحَبِيبَةِ أَنْ أَرَى قَلْبِي بِغَيْرِ وَفَائِهَا لَمْ يَفْتَنْ

الشراب الجديد

ولمَّا أَرْتَنِي « الشُّرَابَ الْجَدِيدَ تَسَاءَلْتُ هَلَّا أَرَاهُ عَلَيْكَ
فَلَعَنَمَهَا خَفَرٌ ذَائِبٌ وَلَعْنَمِنِي مِثْلُهُ فَاسْتَحَيْتُ

....

وَلَاذَتْ بِصَمْتٍ وَمِنْ بَعْدِهِ تَنَفَّسَ فِيهَا الْحَنَانُ اللَّذِيذُ
وَقَالَتْ إِذْنٌ فَأَغْمِضْ نَاطِرِيكَ وَأَغْمِضْتُ حَتَّى كَانَنِي سَكِرْتُ

....

وَلَمْ أَذِرْ إِلَّا وَكُفًّا رَشِيقًا عَلَى الْعَيْنِ تَفْتَحُهَا كَالنَّسِيمِ
وَلَاخُ الشُّرَابِ وَمِنْ لَوْنِهَا يَعْبُ النَّبِيدُ كَأَنِّي عَبَبْتُ

....

فَيَا لَيْتَ كُلِّ جَدِيدٍ أَرَاهُ كَمَا قَدْ رَأَيْتُ الشُّرَابَ الْجَمِيلَ
فَفِي هَذِهِ الْوَمَضَاتِ الْقِصَارِ لَذَائِدُ وَخَدِي بِهَا قَدْ دَرَيْتُ

....

خَلُّوا مَثَلًا « نَأَاتِ الْحَدِيثِ » عَلَى فُسْتَقِي فِي يَدَيْهَا تَقَشَّرُ
أَتَتْنِي بِهِ وَهُوَ فِي الشَّنْطَةِ تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُه فَاخْتَبَأْتُ

....

تُجَنِّمُهُ فِي الثَّنَائَا الوَضَاءِ وَلَوْلُوهَا الْأَبْيَضُ الْأَفْلَجُ

لَتَكْسِرَهُ وَفُؤَادِي يَخَافُ عَلَيْهَا وَلَكِنِّي أَسْكُتُ

وَتَأْكُلْنِي غَيْرَةً حُرَّةً لَهَا أَوَّلُ مَا لَهَا آخِرُ

وَلَيْسَتْ بِدَارِيَةٍ لَيْتَهَا تَحُسُّ بَأْنِي أَمْرُؤُ مَيِّتُ

من مشاعها ؟

مَنْ مِثْلُهَا فِي رِقَّةٍ ؟ مَنْ مِثْلُهَا
 دَعَّ عَنْكَ حُسْنَ شِيَاتِهَا وَسِمَاتِهَا
 وَالزَّهْرُ وَالضُّوْءُ الْمُقَطَّرُ وَالصَّبَا
 قَالُوا نُحِبُّ جَمَالَهَا فَأَجَبْتُهُمْ
 هِيَ كَالْكُرُومِ حَلَاوَةٌ وَنَشَاوَةٌ
 لَهَا الْجَبَاءُ يُزِينُهَا إِيمَاوُهَا
 وَيُلْدِنِي فِيهَا حَنَانٌ ضَاكِحٌ
 ضَنَّتْ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا ضَنَّتْ عَلَى
 أَنَا مَنْ أَرَا حَ هَوًى وَطُمْنِينَ قَلْبُهُ
 فَإِذَا وَهَبْتُ لَهَا الْحَيَاةَ فَإِنَّهَا
 قُولُوا لَهَا إِنِّي الْوَفِيُّ لِعَهْدِهَا
 وَهِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِ قُرَّةِ عَيْنِهَا
 مِصْرُ «بِهَا» وَطَنِي وَفِي أَنْسَامِهَا
 وَهَوَا «قُبَاء» وَمَاوَاهَا وَثِمَارُهَا
 قُولُوا لِأُمَّتِنَا الْمُتَمَرِّقِ شَمْلُهَا
 فِي عِفَّةٍ ؟ سَلِمَتْ وَزَانَتْ كُلُّهَا
 فَالرَّوْضُ وَالكَرْمُ الْمُهْدَلُ ظِلُّهَا
 رَوْضُ سَقَاهُ مِنَ الْمَلِيحَةِ طَلُّهَا
 بَهْرًا وَجَعَفَرَهَا الظَّرِيفُ وَأَهْلُهَا
 عَذَبُ تَجَنِّيَهَا ، حَبِيبُ دَلُّهَا
 وَعَلَى الْحَيَاءِ أُحِبُّهَا وَأُجِلُّهَا
 فَكَأَنَّ سُؤْلِي فِي حَيَاتِي سُؤْلُهَا
 صَبُّ يُنَازِعُهُ عَلَيْهَا بُخْلُهَا
 وَمَضَى لِعَقْدَةٍ أَصْغَرِيهِ يَحِلُّهَا
 أَذْنِي أَمَانِي مُهَجَّتِي وَأَقْلُهَا
 فَهِيَ الْعَزِيزَةُ فَوْقَ رَأْسِي نَعْلُهَا
 قَدْ يَسْتَوِي صَعْبُ الْحَيَاةِ وَسَهْلُهَا
 دَارُ الْهُدَى وَرُبِّي الْعَقِيقِ وَنَحْلُهَا
 «فَارِيسُ» طَيِّبَةٌ فِي الْكِنَانَةِ نَبْلُهَا
 بِالْحُبِّ لَيْسَ سِوَاهُ يُجْمَعُ شَمْلُهَا

اعتذار

سَهَوْتُ فَنَسِيتُ نَاسًا عُرِفْتُ بِهِمْ هَلْ يَجُوزُ
شَغِلْتُ بِهَا فَلَمْ تَسْأَلْ عَلَيْنَا وَوَقْتُ الشُّغْلِ مَعْلُومٌ وَجِيزُ
فَقُلْتُ ظَلَمْتُموها وهى مِنْكُمْ فَإِنَّ الْحَبَّ مَعْنَى عَزِيزُ
وَلَوْلَاكُمْ لَمَا صَبَرْتُ عَلَيْنَا وَإِلَّا فَكَيْفَ يَنْهَضُمُ الْعَجُوزُ
يُضَايِقُهَا بِتَخْرِيفٍ سَخِيفٍ وَأَوْرَاقٍ لَهَا أَبَدًا أَزِيزُ
تَأَبَّتْ فَهِيَ تَرْفُضُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَا أَنَا مُسْتَغْلٌ أَوْ نَهِيْزُ
وَمِنْ أَخْلَاقِهَا الْغَرَاءُ تَبْدُو تَمَائِمُهَا الْحَصِينَةُ وَالْحُرُوزُ

* * *

قصة العمر الضائع

مهدة إلى الشباب اللامع

يا حُلماً مرَّ على خاطري وكنتُ في واقعِهِ أحلم
تَدوبُ فيَّ أطيافُهُ حَسرةً محمومةً تكظُمُ : ما تكظُمُ
تذكرتُ عهداً شديَّ الرؤي تحرسُهُ الأَقمارُ والأَنجمُ
كأنما شَقَشَقَ أُنْداءُهُ... من المُنَى النَسمةُ والبرعمُ
واستعبرتُ فيه النهيَ فرحةً وشئى بها في الوجنةِ العندمُ
وأشرفتُ دنيا الهوى غصةً تحتارُ : هل تنهلُ : أو تلثمُ
آمالها أرحبُ مِنْ رَحِبِهَا وكأسُها مِنْ « دَنِّها » أفعمُ
العينُ ما أبصر إنسانها « دنيا » على غرةِ تبسمُ
وحالياتِ سَمحةِ المجتنى مذاقُها حلوٌ : ويدري الفمُ
ومرتِ الذكري أسيَّ طاوياً على الشجا من دونهِ العلقمُ
سوانحا نَضَّتْ غلالَاتها عنه فلا جيدٌ ولا معصمُ
مِنْ كُلِّ حوراءٍ على وصلها أراقَ خيرَ العمرِ لو يعلمُ

فإن بكى الأيام في حسرة فقد أدارت وجهها تلطم

أيام ناداه ضمير الهدي أن : قدك : فالأيام لا ترحم

وما ونى عن عتبه والنهى غاف : ألا تصحو : ألا تندم

لكنه الغارق في لجة ألقى بها في مده العيلم

لكنه السادر ما يرعوي وقد أفاق النوم والنوم

واليوم إذ جالت بآفاقه دموعه والعود مستعجم

أنحى على الذروة والغارب غيب تصاريفه تزحم

فصاحت العين وقد صوحت أهدابها : هل في ما يلهم

قد يجذب القلب ويدوي النهى والروح لا تبلى ولا تهرم

فخذ من الماضي وأبعاده عبرة والمنتأى أسلم

كم عبرة هزت كيان الذرى تنقض في الأهوال ما يبرم

فإن تكنها عظة للألى تلوك : فالذكرى هى المغنم

فكلهم والعمر فى صحوه يحين بالعمر كما يرسم

فالخطه المثلى هى الملتقى وأنها المنهج والمعلم

بختارها يعرف أمداءها كما يراها الفارس المعلم

يجولُ بالرأيِ الصَّراحِ الذي يبرحُ لا يخفى ولا يكتُم
ويملاً النفسَ فلا منفذ إلا على أهدافه يقحمُ
يوقتُ الرميَ بميقاته وكيف ينبو : هادفٌ : محكمُ
فلا تُبيحُ النفسُ أمواءها إلا هوى عن غيره يَبْكُمُ
وفي ضلالِ السعيِ في جهله بضيعُ هذا العمرُ أو يعدمُ
وإنه الجهلُ دليلُ الردى ومعوُّ الهدمِ الذي يحطمُ
وثائرُ العزمةِ موارها يسعى له المجلُّ والمبهمُ
فقد تخطى الهولَ لا راغما فما يروض الهولَ من يرغمُ
وعالج الناسَ على ما بهم لأنه بالمبتغى أعلمُ

* * *

إليها

إليها حُنُوءاً من أحاديث نفسها تصيدته منها بوحى خواطري
حديث معان زاحم الجد سرها ورب صراع من وراء الضمائر
وفى ومض عينيها تألق خافق يداري جراحاً هجعاً فى السرائر
تهدهده بالأمنيات حبيسة لتنطق لكن فى جوانح شاعر
فيا أنت يا نَفْحَاء كلِّ هنيهة كآمال حب فى مواكب هاجر
تحرّيت فيه الفجر أرقب ضَوْءَهُ وأخشاه والأقدار رهن المصائر

أَتَحْلَاكُ

أَتَحْلَاكُ فِي الْأَهْلَةِ تَنْسَابُ ضِيَاءِ بِنُورِ عَيْنِكَ يَرْنُو
أَتَحْلَاكُ فِي الْخَمِيلِ وَفِي الرَّوْضِ عَلَى نَفْسِهِ يَرِقُّ وَيَحْنُو
أَتَحْلَاكُ فِي الْأَصِيلِ الَّذِي وَدَّعَ شَمْسَ الضُّحَى حَزِينًا يَيْئُسُ
أَتَحْلَاكُ فِي الْمَآقِي الَّتِي يَزُحَمُ إِشْرَاقُهَا حَيَاءً وَفَن
أَتَحْلَاكُ فِي النَّسَائِمِ أَنْدَاءَ لِبَاطِنٍ رَفِيفُهَا مِنْكَ لَحْنُ
أَتَحْلَاكُ فِي الْمَعَانِي الَّتِي تَنْبِضُ بِالْحُبِّ سَخَاءَ حَنَانِهِ لَا يَضِنُ
أَتَحْلَاكُ فِي الْمُنَى بِاسِمَاتٍ فِي ثُغُورِ الْأَقَاحِ وَالْغُصْنِ لَدُنْ
أَتَحْلَاكُ فِي الرَّبَى تُسَكِّرُ النَّشْوَةَ فِيهَا وَيَبْهَجُ الْعَيْنُ حَسَنُ
أَتَحْلَاكُ فِي الْكُؤُوسِ الَّتِي شَعْشَعُ أَقْدَاحِهَا هَوَى مُسْتَكِينِ
نَوَّرَتْ بِالْحُبَابِ كَالْعَسَجِدِ الصَّافِي عَلَى وَقْدِهَا يُغْمِغِمُ دَنْ
أَتَحْلَاكُ فِي الدُّجَى لَفَّهُ الصَّمْتُ وَقَدْ حَرَّكَ الْمَوَاجِعَ بَيْنُ
أَتَحْلَاكُ تَصَدَّحِينَ كَمَا يَصْدَحُ فِي الْفَجْرِ هَزَارٌ إِلَى الْأَلِيفِ يَحْنُ
أَتَحْلَاكُ تَخْطُرِينَ عَلَى الشَّطِّ وَقَدْ أَثْقَلَ الْخَطَى مِنْكَ وَهْنُ
رَجَفَتْ بِالْخِيَالِ أَطْيَافُكَ الْبَيْضُ وَحُسْنُ الْخِيَالِ وَهْمٌ وَظَنُ
وَالْهَوَى ثَائِرٌ يَعِيشُ عَلَى الشَّكِّ وَلَا يَخْلُدُ الْهَوَى الْمُطْمَئِنُّ

أَنْتِ يَا جَوْهَرَ الْحَيَاةِ صَفَاءَ سَكِرَتٍ مِنْ لَمَاهِ عَيْنٍ وَأُذُنٍ
 وَرَحِيقُ الْجَمَالِ فِيكَ « حُمِيًّا » أَشْعَلَتْ خَمْرَهَا الْمُعْتَقَ عَيْنٍ
 مِنْ مَعَانٍ كَرِيمَةٍ وَسِمَاتٍ: كُلُّهَا فَرَحَةٌ وَبِشْرٌ وَيُمْنٌ—
 وَجَمَالٌ فِي النَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ أَصِيلٌ سَقَاهُ بِالْحُبِّ مُزْنٌ
 فَسَلِّينِي عَنِ النَّوَى وَسَلِّينِي عَنْكَ فِي ظِلِّهِ يُحَدِّثُكَ جَفْنٌ
 قَرَّحَتْ لَيْلَهُ الْهُمُومُ وَشَابَتْ أَدْمَعُ فِيهِ ... مَا تَأَلَّقَ سِرُّ
 هِزَّةٍ بَعْدَ هِزَّةٍ وَعِرَاكُ وَطُيُوفُ تَنَائِي حِينًا وَآخِرُ تَذْنُوبِ
 وَأَنَا الْحَائِرُ الْمُعَذَّبُ لَا يَشْكُو ، وَصَمْتُ الْهَوَى أَسَارٌ وَسِجْنٌ
 كُنْتُ فِي أَرْبَعِ الْحِجَازِ غَرِيبًا فَالْهَوَى مَوْطِنٌ وَعِشٌّ وَكِـ
 وَالْهَوَى إِنْ تَغَيَّبَ بِالنَّفْسِ وَالْحِسِّ حَيَاةٌ فَالْقَلْبُ دِفْءٌ وَرُكْنٌ
 وَالْهَوَى مِعْزِفٌ يُغَرِّدُ لِلْكُؤُنِ فَيَزْهُو بِالْحُبِّ عَيْشٌ وَكُؤُنٌ
 وَأَنَا الْيَوْمَ بَعْدَ أَنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِلُقْيَاكَ مَا أَزَالَ أَحْسَنَ
 فَاشْهَدِي يَا سَمَاءُ أَنَّ حَيَاتِي فِي يَدِ كُلِّهَا سَلَامٌ وَأَمْنٌ
 أَنْتِ عَلَّمْتَنِي الْوَفَاءَ الَّذِي طَرَزَ أَرْدَانَهُ عَفَافٌ وَصَوْنٌ
 فَلْتَقُولِي إِذَا دَعَوْنِي إِلَيْهِمْ مَا لَهُ عِنْدَنَا سَمَاحٌ وَإِذْنٌ
 إِنَّنَا هَا هُنَا نَعِيشُ عَلَى الْغُرْبَةِ زَادًا ... فَكَيْفَ يُطْلَبُ ظَفْنُ

...

واختلفنا

قُلْتُ هِيَ قَدْ احْتَوَانَا الْأَصِيلُ إِنَّهُ الذِّكْرِيَّاتُ وَالتَّامِيلُ
إِنَّ مَعْنَى الْوَجُودِ بُقْيَا مِنْ الْحُسْنِ وَهَذِي الْحَيَاةُ لَفْظُ جَمِيلٍ
كَمْ مَغَانٍ مَشَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِي فَاضْمَحَلَّتْ وَالْبَاقِيَّاتُ الطُّلُولُ
وَجَمَالٍ حَسْبَتْهُ أَلْقَى الْفَجْرُ مَحَاهَ لَيْلٍ عَرِيضٍ طَوِيلٍ
وَتَبَقَّى خِيَالُهُ فِي مَعَانٍ ذَابِلَاتٍ كَأَنَّهُنَّ الْفَتِيلُ
وَالضُّحَى غَالَهُ مِنَ الصَّمْتِ مَا غَالَ ضَحَايَاهُ : قَاتِلٌ وَقَتِيلُ
رَقَدُوا فِي الثَّرَى وَمَا رَقَدَتْ ذِكْرِي عَلَى مِثْلِهَا يَلُوبُ الْأَصِيلُ

* * *

أَنَا مَنْ يَعِشُقُ الْأَصِيلَ : فَضُولٌ رَاسِخٌ فِي هَوَاهُ يَخْلُو الْفُضُولُ
أَنَا مَنْ يَعِشُقُ الْخُلُودَ وَيَسْتَرْوِحُ أَمْجَادَهُ الَّتِي لَا تَدُولُ
كَمْ عَشِقْنَا الْغَنَاءَ لَا يَرْمُزُ إِلَّا لِبَقَاءٍ وَالذِّكْرِيَّاتُ الرَّسُولُ

انظري الحسن في الاصيل نضاراً بهرته شفاف وحميل

وانظريه على الشفاف أكاليل سناها ماضٍ عريق أثيل

وانظُرِيه على الورودِ النَّدِيَّاتِ عَيْرًا يَمُوج فيه الخَبِيل
 وانظُرِيه مع النَّسَائِمِ أَلْحَانًا عَذَابًا كَأَنَّهَا التَّقْيِيل
 والمَحِيه على الصُّفَافِ طُيُوفًا حَائِرَاتٍ أَنْفَاسُهُنَّ الهَدِيل
 والصَّبَايَا تَدَافَعَتْ تَسْبِقُ المَوْجَ وَقَدْ شَفَّهَا جَوِيٌّ وَنُحُول
 لَا تُرَاعَى مِنَ الْأَصِيلِ فَمَا يَلْقَفُ هَمْسُ الجِيَادِ إِلَّا الْأَصِيل
 وَهُنَا لَفَّهَا الضُّبَابُ الَّذِي أَثْقَلَ أَجْوَاءَهُ أَسَى وَعَوِيل
 وَتَمَطَّى الدُّجَى الغُدَافِيُّ لَا يَلْمَعُ فِي جَوْهٍ الحُسَامُ الصَّقِيل
 وَاسْتَدَارَ الحَدِيثُ تَحْسَبُهُ النَّعْيَ وَقَالَتْ هَذَا الْأَصِيلُ : أَقُولُ
 تَذَلِّفُ الشَّمْسُ للغُرُوبِ كَمَا تَذَلِّفُ هَذِي الحَيَاةُ حِينَ تَزُولُ
 خَيْرُ جَلُودَاهِ لَوَعَةٌ وَاصْفِرَارٌ وَبَعَادٌ يَطُولُ فِيهِ الرَّحِيلُ
 أَنَا أَهْوَى الشُّرُوقَ تَسْطَعُ دُنْيَاهُ وَيَسْتَقْبِلُ النَّزِيلَ النَّزِيلُ
 أَنَا أَهْوَى فِي دِفْئِهِ الْأَمَلَ الرَّحْبَ ، قُلُوبٌ « تَهْفُو لَهُ وَعُقُولُ »
 إِنَّهُ الصَّخْوُ للطَّيْبَةِ وَالْحُبُّ عَلَى ظِلِّهِ يَطِيبُ المَقِيلُ
 لَا تَلْمَنِي فَإِنَّ نَبْعَ حَيَاتِي فِي شُرُوقٍ كَأَنَّهُ السَّلْسِيلُ

وَقَدَّةٌ فِي الْحَيَاةِ أَنْفَاسُهَا الْحَرَّى عَلَى سِرِّهَا يَخْفُ الثَّقِيلُ
 وَجَنَاهَا الْمَوَارُ فِي الْحَبِّ الْوَاقِدِ تُرْقَى بِهِ وَيُشْفَى الْعَلِيلُ
 كَيْفَ تَسْتَبْدِلُ الْمَوَلَّى بِالْوَافِدِ تَزْهَوُ فُرُوعُهُ وَالْأَصُولُ
 كَيْفَ تَسْتَبْدِلُ الرَّجَاءَ بِيَأْسٍ غَارِقٍ فِي ظَلَامِهِ الْمَأْمُولُ
 وَاخْتَلَفْنَا وَمَا اخْتَلَفْنَا وَلَكِنْ فِي اضْطِرَابِ الْمُنَى تَرَوُّعُ الشُّكُولُ
 فَالْحُمَّى عَلَى الْكُؤُوسِ شُرُوقٌ وَغُرُوبٌ عَلَى الثُّغُورِ يَسِيرُ
 إِنَّهَا غُرْبَةٌ عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبَى وَزَادَ الْحَيَاةِ فِيهَا قَلِيلُ
 فَالْغُرُوبُ الَّذِي يَرُوعُ شُرُوقٌ وَالشُّرُوقُ الَّذِي يَرُوقُ أَفُولُ
 جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ وَعِرَاكٌ سَوْفَ يَطْوِيهِ عَالَمٌ مَجْهُوْلُ
 نَفْثَةٌ ضَلَّ سَعْيُهَا وَحُرُوفٌ تَتَلَوَّى أَقُولُهَا : وَتَقُولُ
 وَانْتَحَيْنَا نُلْمِلُمُ الْأَمَلَ الشَّارِدَ مَسْحُوبَةً عَلَيْهِ الذُّيُوبُ
 وَبَكَيْنًا عَلَى الضِّيَاعِ عَلَى الْمَعْقُولِ يَطْفَى عَلَيْهِ : لَا مَعْقُولُ
 وَاسْتَرْخْنَا إِلَى الْغَدِيرِ نُعَانِي مَا تُعَانِيهِ « شِمَالٌ » وَ « قَبُولُ »
 وَشَرِبْنَا هُمُومَنَا مِثْلَ مَا يَشْرَبُ صَبَّ دُمُوعُهُ فَيَعُولُ
 وَسَكَبْنَا الْحَيَاةَ أَغْلَى صَبَابَاتِ نُهَانَا : هَلْ كَفَّ قَالَ وَقِيلَ

وَرَجَعْنَا إِلَى الْوَرَآءِ وَقَدْ يُحَمَّدُ عِنْدَ السُّرِيِّ الْمُمِضُ قُفُولُ
وَأَدْرَنَا أَبْصَارَنَا فِي الَّذِي كَانَ فَرَاعَ الْأَبْصَارِ هَذَا الْمُحُولُ
وَالْتَفَتْنَا لِثَائِرِ طَالَمَا خَضَخَضَ أَحْشَاءَهُ دَمٌ مَطْلُـوْلُ
وَعَبَبْنَا مِنَ السُّلَافِ الَّذِي أَشْعَلَ جَمَرَ الْغَضَى فَضَاقَ السَّبِيلُ
وَانْتَشَيْنَا لَعَلَّهَا صَحْوَةُ الْعُمَرِ فَخَلْنَا الرُّؤُوسَ مِنَّا تَمِيلُ
وَلَجَانَا لِلْسَّلَامِ نَسْتَلِهِمُ الْعَوْنَ فَهُنَا وَعَزٌّ فِينَا الدَّخِيلُ
وَأَخِيرًا لَقَدْ تَسَاوَى لَدَيْنَا فِي الْأَمَانِي شُرُوقُهَا وَالْأَصِيلُ

* * *

الهوى الأول

فى سن الرابعة عشر

قَلَدْتُ جِيدَكَ يَا بَدُورُ لَأَلَّا
قَالُوا إِذْنُ ذَابَتْ بُدُورُ حَشَاشَةً
هَذَا النَّحُولُ كَمَا تَرِينَ رَضِيَّتُهُ
هَمْنَا وَهَامُوا وَالْغَرَامُ مَذَاهِبُ
أَبْدُورُ إِنْ جُزَتْ الْفَضَاءُ وَسَحَتْ فِي
أَوْ جُلْتُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ فَذَكَّرِي
وَصِفِي لَهُ مُضْنَى الْغَرَامِ وَرَدِّدِي
مَنْ نَظَمِيَ الْغَالِي رَجَاءَ رِضَاكَ
لَمَّا رَأَوْا فِيهَا لَهَيْبَ فَتَاكَ
وَأَلْفَتُهُ لِيَكُونَ رَمَزَ هَوَاكَ
وَلِمَذْهَبِي فِي الْحُبِّ طِيبُ لِقَاكَ
أَوْجِ السَّعَادَةِ فَادْكُرِي مُضْنَاكَ
قَمَرًا هُنَاكَ بِحُسْنِهِ حَاكَكَ
رُحْمَاكَ عَاطِفَةَ الْهَوَى رُحْمَاكَ

• • •

دَنَا الرَّحِيلُ فَهَاجَ الْقَلْبُ وَاضْطَرَّمَا
وَأَرْقَ الْبَيْنَ حَبَا كُنْتُ آلْفُهُ
قَضَيْتُ بِضَعِ شُهُورٍ فِي الْوِصَالِ وَمَا
مَلَكَتْهُ النَّفْسُ فَانْقَادَتْ وَأَنْسَاهَا
يَوْمُ سُوءٍ وَلَيْلَةُ نَكْرَاءِ
وَصِيبُ الدَّمْعِ مِنْ جَفْنِي الْقَرِيحِ هَمِي
وَكَانَ يَأْلُفُنِي إِلْفُ الَّذِي غَرِمَا
غَيْرَ الْهَنَاءِ وَمُحْيَا دَائِمًا بَسَمَا
طَبَعَ رَقِيقٍ وَحُبِّ فِي الْفُؤَادِ نَمَا
آلَمَانِي وَكُلُّ خَطْبٍ بَلَاءِ

• • •

عَتَبَ

قَالَتْ وَقَدْ غَضِبْتَ مِنْ قَوْلِهِ بَدَرْتُ مِنْنِي سَاقَطُ عَنْكَ الرَّدُّ إِنْ تَعُدَّ
 وَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ ضَرَبْتُ فَيُسْعِدَنِي أَوْ عَضَّةٌ فِي لِسَانِي مِنْكَ بِالْبَرْدِ
 إِذَنْ لَكَرَّرْتُ هَذَا الذَّنْبَ مُلْتَمِسًا حُلُوَ الْعِقَابِ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْكَمَدِ
 يَأْمَنُ بَعَثْتُ بِإِنْدَارٍ حَكِي سَلَفًا انْذَارَ (رُوسِيَا) إِلَى الْمُسْتَعْمِرِ الْحَرِدِ
 وَمَا احْتَلَلْتُ رَبِّي لِبَنَانٍ فِي سَفَهٍ وَلَا اعْتَدَيْتُ عَلَى (الْأُرْدُنِّ) فِي لَدَدِ
 وَمَا غَضِبْتَ مِنَ الشَّعْبِ الَّذِي انْتَفَضَتْ غُرُوقُهُ ثَوْرَةٌ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ شَعْبُ الْعِرَاقِ الَّذِي اعْتَزَّتْ بِهِ مُضَرُّ
 شَعْبُ الْعِرَاقِ الَّذِي اعْتَزَّتْ بِهِ مُضَرُّ فَانْقَذَ الْحَقُّ قَسْرًا مِنْ فَمِ الْأَسَدِ
 أَمْضُوهُ عَنْ مَوَكِبِ الدُّنْيَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا دُؤْلٌ وَالْيَوْمُ غَيْرُ غَدِ
 وَأَنَّ لِلشَّعْبِ حَقًّا سَوْفَ يُذَرِّكُهُ عَمَّا قَرِيبٍ بِمَا فِي الطُّوقِ مِنْ جَلَدِ
 هُمْ حَارِبُوا اللَّهَ وَالْأَخْلَاقَ فِي بِلَدِ وَحَارِبُوا الْفَضْلَ عَنْ حَقِّهِ وَعَنْ حَسَدِ
 وَحَالَفُوا الطُّغْمَةَ الْأَشْرَارَ فَانْحَدَرُوا إِلَى مَخَاطِرِ أَضْحَتْ عَقْدَةُ الْعُقَدِ
 فَيَا أَعَزَّ الْمَنَى رَفَقًا بِعَاطِفَةٍ شَدَّتْ بِحَبْلِكَ شَدْوَ الطَّائِرِ الْغَرْدِ

سلى الدُّجى' عن تباريح يشاطرنى فى حملها وجدي كالجمرٍ متقد
سلى النجوم فكم ناجيتها فرنت تحنو على كوكب فى الأرض منفرد
بَثَّتْ شكواي من جور الزمان لها وليس من طبعي الشكوي إلى أحد
وهاك أنفاسَ حبٍ خانه جلدٌ فلاطفى مهجنى واستعطى خلدي
ما عدتُ اهتفُ فى الدنيا وبهجتها إلا باسمك يا روحى ويا كبدي

- ٢ -

وباسمِ بلادِ العُربِ ترعى زمانها إذا اخلولكتُ دُكنُ اللَّيالى وسودها
ويومَ البريمى أيَّ يومَ تَجَمَّعت له العُربُ مذ ريعت حُدودها
ودوى احتِجاجٌ دونه السُّمر والقنا حُقوقُ العُلا مضمونةٌ أو لحودها
وما بحثَ العادون إلا لِحَتْفِهِم بنارٍ هم رغمُ العوادي وقودها
لَقَدْ عَبَثُوا بِالْحَقِّ وَالْعُرْفِ وَالْحِجَى فَبَاءُوا بِهَا نَكَرَاءَ نَتْنَا صَدِيدُهَا
ولَكِنَّهَا الْبَتْرَاءُ تَفْتِكُ فِيهِم هِى الْبِكْرُ وَالْعَادُونَ حَتْمًا حَصِيدُهَا
وفى طيِّها تطوي يهودَ وعونها وما داءُ قَلْبِ العُربِ إلَّا يَهُودُهَا

...

رسالة

حَمَلَ الْبَرِيدُ رِسَالَةَ الْأَمَلِ الْحَيِّبِ
أَلَقَ الضُّحَى الْمُنْسَابِ فِي الْأَفْقِ الرَّحِيبِ
وَنَسَائِمُ الْفَجْرِ الْعَلِيلِ نَوَاضِحًا بِشَدَا وَطِيبِ
تَسْرِي إِلَى الْأَعْمَاقِ مَسْرَى الرُّوحِ فِي اللَّحْنِ الطَّرُوبِ
بِالْفِتْنَةِ الْكُبْرَى تَضِجُ مِنَ الشُّرُوقِ إِلَى الْغُرُوبِ
لَيْلَى لَمَحْتُكَ فِي الرَّسَا لَةَ لِمَحَّةِ الطَّيْفِ الْوُثُوبِ
تَتَخَطَّرِينَ وَتَنْتَنِينَ تَخْطُرُ الرِّشَالُ اللَّعُوبِ
وَتُجَرِّحِينَ الْعُودَ تَجْرِي يَحَا عَلَى وَتَرِ الْقُلُوبِ
عَزْفًا يُثِيرُ الشَّدُو آهَاتٍ بِلَحْنِ الْعَنْدَلِيبِ
لَيْلَى وَأَنْتِ الذِّكْرِيَّاتُ يَثْرُنُ فِي وَهَجِ اللَّهْيَبِ
أَمَلٌ تَأَلَّقَ فِي الْحَيَاةِ وَكَانَ سِرًّا فِي الْغُيُوبِ
وَهَوَى تَرَقَّرَقَ مِنْ هَوَاكِ وَعَظْفِكَ الْحَسَانِي الرَّتِيبِ

لَيْلَى دَعَوْتُكَ وَالْهَوَى الدَّعَاءُ يَعُذُّبُ بِالْمُجِيبِ
 قَدْ كُنْتُ سَارِقَةَ الْقُلُوبِ بِ وَلَسْتُ سَارِقَةَ الْجُيُوبِ
 أَسْعَدْتُ بِالرُّحْمَى فَتَا كِ بِأَمْسِهِ الْحُلُو الْقَرِيبِ
 أَرَوَيْتِهِ أَوْزَيْتِهِ أَنْعَشْتُ بِالْأَمَلِ الرِّغِيبِ
 شُهْدًا يُذِيبُ وَلَا يَذُوبُ بِثَغْرِكَ الْعَذْبُ الشَّنِيبِ
 وَلَكُمْ أَعَدْتُ لَهُ الْحَيَاةَ وَكَانَ كَالرُّوْضِ الْجَدِيبِ
 وَمَحَوْتُ آيَةَ لَيْلَى فِي الشَّامِ بِالْفَجْرِ الرَّطِيبِ
 قَدْ كَانَ ذَا الرَّأْيِ الصَّلِيبِ فَعَادَ يَهْتَفُ لِلصَّلِيبِ^(١)
 هَذَا النَّوَى الْقَاسِيِ اسْتَطَالَ فَهَلْ سَيَجْنَحُ لِلْمَغِيبِ
 هَذِي تَحِيَّاتُ الْقَرِيبِ وَإِلَيْهِ الصَّبُّ الْقَرِيبِ
 شَطُّ الْمَزَارُ بِهِ وَبِي فَضْوَى النَّسِيبِ إِلَى النَّسِيبِ
 لَيْلَى تَكْرِيمًا وَتَقْدِيرًا كَحُبِّكَ لِلْحَبِيبِ
 حُبُّ يَطِيبُ بِمِثْلِهِ أَمَلُ النَّجِيبَةِ لِلنَّجِيبِ

• • •

(١) الشديد •

في القطار

تَجَلَّبَبَتْ إِشْعَاعاً مِنَ السَّحَرِ جَائِلًا مَجَالِ مَرَامِي الطَّرْفِ يَنْفُذُهَا نَفْذًا
تَحَكَّمْتُ فِيْنَا تَفْتِيْنَيْنِ فَلَا نَهْيَ تَغْرِ وَلَا قَلْبٌ بِمَا أَخَذُوا أَخْذًا
سَحَرَتْ وَكَانَ السَّحَرُ إِدْمَانُ سَاحِرٍ يَرَى فِي هَوَاهُ أَنْ يَلْذَّ وَيَلْتَذَا
وَأَحْلَى الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَهَا نَشَاوَى بِأَكْبَادِ يَفْلِذْنَهَا فَلَذَا
يَلُكِّنَ لُبَانَاتِ الْهَوَى وَهِيَ أَنْفُسُ يَدُرْنَ بِهَا شُهْدًا وَيَنْبِذْنَهَا نَبْذَا
عَجِبْتُ لَهَا بِنْتُ الرُّصَافَةِ حُحِحَّتْ خُطَاهَا إِلَى مَصْرِ تَغْدُ الْهَوَى غَدَا
تَنُورُهَا بَيْنَ الْقِطَارِ فَرَقَرَقَتْ قِطَارِ السُّرَى قَطْرًا يَرُدُّ بِنَا رَدَا
وَزَادَتْ فَجَالِ الْكَفِّ رَخْصًا مُعْنَمًا يُعَابِثُ بَدْرًا قَدْ مَحَا الْبَدْرَ أَوْيَدَا
وَلَمَّا تَشَنَّتْ بِالْقِوَامِ وَزَحَزَحَتْ عَبَاءَةً حُسْنٍ لَمْ يَزَلْ حُسْنُهَا فَذَا
ذَكَّرْنَا رَعَائِبَ الْحِمَى وَجَمَالَهَا وَعُفْنَ الْقَدَى الْمُضْنُوعُ فِي الصُّورِ الْأَقْدَى
فَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَشْتَهِي طُولَ رِحْلَةٍ بِأَفْيَائِهَا نُروى ، بِنِعْمَائِهَا نَغْدَى

صباح

أَلْقُ تَنْفَسَ بِالشَّدَى وَتَنَهَّدَتْ آهَاتُهُ فَإِذَا الْقُلُوبُ جِرَاحُ
وَعَلَى الطَّبِيعَةِ مِنْ طَبِيعَةِ حُسْنِهَا دُرٌّ تَوَهَّجَ فَوْقَهُنَّ وَشَاحُ
شَفَقَ تُعَانِقُهُ الْخَمَائِلُ وَالذَّرَى فَعَلَى الْحَوَاشِي الْخُضْرُ مِنْهُ بِطَاحُ
وَمِنْ الْمَشَارِفِ أَشْرَفَتْ تَلْعَاتُهُ وَمَهَا تُسَارِقُ رَاحَتَهُ الرِّيحُ
سَبَقَ النَّسَائِمِ عِطْرُهُنَّ فَصَفَّقَتْ أَنْفَاسُهَا وَتَلَاَقَتْ الْأَرْوَاحُ
وَتَنَسَّمَ الْأَفُقَ الطُّرُوبُ كَأَنَّهُ مَجْدُ السَّمَاءِ وَلَحْنُهَا الصَّدَّاحُ
وَتَهَا مَسَتْ حُورُ الْجَنَانِ فَمَا وَشَى إِلَّا السَّنَا وَعَبِيرُهَا الْفَوَاحُ
وَتَرَاقَصَتْ عَبْرَ الْهَزِيجِ يُوُودُهَا طُولَ الْحَنِينِ كَمَا يَرِفُ جَنَاحُ
وَأَنَسَابَ فِي الظُّلْلِ الْفِسَاحُ كَأَنَّهُ دِفْءُ الْحَيَاةِ تَشِيعُهُ الْأَفْرَاحُ
وَتَلَأَلَّتْ « لَاءُ أَتَاهَا » وَتَشَدَّدَتْ فَتَرَنَّجَ النَّدْمَانُ وَالْأَقْدَاحُ
هَذَا الْهَدِيلُ أَهَاجَ وَرُقَاءَ الْحِمَى فَإِذَا بِأَسْرَارِ الْغَرَامِ تُبَاحُ
وَالْوَرْدُ غَيْرُهُ الشَّدَى فَسَخَى بِهِ وَعَلَى الْغُصُونِ تَحْيِيرُ التَّفَاحُ
وَلَقَدْ صَحَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ وَعُرسِهَا وَسَأَلْتُ مَا الدُّنْيَا فَقِيلَ « صَبَاحُ »

* * *

وقالت

تَحَدَّثُ عَنِ الْآمَالِ سَكْرَى حَوَالِمَا يَفِيضُ بِهَا حُبٌّ مُعْنَى إِلَى صَب
وَقُلُّهَا كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ طَلِيقَةً فَإِنَّ حَدِيثَ الْحُبِّ أَحْلَى مِنَ الْحُبِّ
أَجَلَ قُلْتُهَا يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ حُرَّةً تَنَاقَلَهَا هُدْبٌ ظَلِيلٌ إِلَى هُدْب
تَبَيَّنَتْ فِيهَا حَيْرَةٌ مَا عَهْدَتْهَا وَرَعِشَةُ قَلْبٍ لَا تَبِينُ وَلَا «تَبِي»
تَمَثَّلْتُ يَوْمًا مَا تَمَثَّلْتُ غَيْرَهُ غَدَاةَ التَّقِينَا مَوْعِدِ الْغَيْبِ فِي الْغَيْبِ

إليها.. على صورتها

إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي أَعْرِفُهَا وَالَّتِي يَعْرِفُ قَلْبِي رَسْمَهَا
 فِي الْحَنَائِيَا مِنْ ضُلُوعِي هَجَعْتُ صَخُوهَا . . يُشْبِهْ عِنْدِي نَوْمَهَا
 خَاطَبْتُهَا الْعَيْنُ فِي صُورَتِهَا ثُمَّ حَيَّتَهَا . . وَسَمَّتْ بِاسْمِهَا
 وَتَنَبَّهْتُ لِنَفْسِي « نَبْهَةً » فَإِذَا الصُّورَةُ تَجَلُّو غَيْمَهَا
 وَتُنَادِينِي عَلَى عَادَتِهَا هَاكِهَا (خُذْهَا) تَذَوِّقُ طَعْمَهَا
 هَذِهِ الْقَهْوَةُ مِنْ هِيَأَهَا هَذِهِ الرَّشْفَةُ مِنْ قَدَمِهَا
 آه يَا قَلْبِي فَمَا أَقْسَى النَّوَى لَسْتُ أَعْنِيهَا . . فَمَا أَرْحَمُهَا
 قُلْتُ وَالرَّسْمُ أَمَامِي مَائِلٌ عَيْنُهَا . . بَلْ سِنُهَا . . بَلْ فَمُهَا
 وَعَلَيْهَا الشَّالُ قَدْ ظَلَّلَهَا مِثْلُ ظِلِّ الضُّوءِ مِنْ تَحْتِ الْمَهَا
 سَامَرْتَنِي بَيْنَ أَخْضَانِ الدُّجَى وَنُجُومِ اللَّيْلِ تَرَعَى نَجْمَهَا
 رَفَعَ الرَّسْمُ يَدًا تُزَجِّجِي بِهَا مِنْ تَحَايَاهَا . . وَأُخْرَى ضَمَّهَا
 سَلِمَتْ تِلْكَ وَهَذِي فِي الْهَنَا وَرَعَاهَا وَلَنَا سَلَمَهَا

وتمثلتُ كَأَنِّي عِنْدَهَا وَقَفَّةَ الْبَابِ وَمَا أَنْعَمَهَا
جَمَعَ اللَّهُ بِشَمْلَى شَمْلَهَا وَاهِبًا مِنْ بِلْسَمِي بِلْسَمَهَا
وَحَبَانَا مَنِيَّةً أَغْلَى الْغَى فِي حَيَاتَيْنَا أَجَلَ أَكْرَمَهَا
وَرَعَى اللَّهُ أَبَاهَا وَأَبِي وَرَعَاهَا صَنُوءَ أُمِّي أُمَهَا
وَابْتَسَامُ الْفَجْرِ مَا زَالَ لَنَا فَرَحَةَ الْأَيَّامِ بِلْ مِبْسَمَهَا

* * *

أنا والشيخة

إِنِّي اشْتَعَلْتُ . . . وَشَيْشَتِي يَا حُلُونِي . . . لَمْ تَشْتَعِلْ
غَارَتْ فَفَرَّقَ صَوْتُهَا مَذْ رَاعَهَا رَجْعُ الْقُبُلِ
قَالَتْ نَعِمْتُ بِاشْتِعَا لَكُمْو فَمْتُ عَلَى مَهَلٍ
يَا لَيْتَ لِي ثَغْرًا وَلَيْتَ اللّٰهُ أَوْجَدَ لِي مُقَلَّ
فَأَغِيظُ ضَرَّاتِي الْحِسَانَ وَلَا أُبَالِي . . . بِالْخَجَلِ

* * *

حـب وأشواق

أَنَا بِالْجِسْمِ فِيكَ يَا مِصْرُ حَيْرًا نُ . . وَقَلْبِي مُعَلَّقٌ بِدِمَشْقِ
 لَا جَفَاءَ . . وَلَا قَلِيَّ لَكَ يَا مِصْرَ ر . . فَأَنْتِ الدُّنْيَا رَحَابَةٌ أَفْقُ
 الْمُنَى كُلُّهَا كَمَا تَشْتَهِي النَّفْسُ س . عَلَى رُحْبِهَا مَجَالَاتُ سَبْقِ
 وَالْحَيَاةَ . . الْحَيَاةَ . . خَضَخَضَهَا النَّيْ ل . رُؤَاءً لِلْحَفِّ مِنْ كُلِّ ذَوْقِ
 غَيْرِ أَنْ الشَّامَ مِيلَادُ أَحْلَا مِ . حَبِيبٌ فِيهَا أَسَارِي وَرَقِي
 ذِكْرِيَاتِي بِهَا حَنِينٌ . . وَأَمَّا لِي . عَلَى بُعْدِهَا ضِرَامٌ لِشَوْقِي
 بَرَدِي . . نَبْعُهَا سَقَانِي وَرَوَّا نِي . وَمَا زَالَ بِي يُرَوِّي وَيَسْقِي
 حَالِي النَّبْتَ زَاهِي الْحُسَّ ن . سَخِيًّا بِالْحُبِّ يَهْنِي وَيُشْقِي
 أَنَا مِنْ طَيِّبَةٍ وَحَسْبُكَ مِنِّي لَذَّةً نَزَعَةُ الْهَوَى لِدِمَشْقِ
 الْمُنَى النَّاصِرِ الْمُشْعِشِ وَالْمُشْ بُّ . صَغِيرِي وَالْعِرْقُ أَطْيَبُ عِرْقِ
 وَالْإِفْؤَادِي مُصْحَبَاتِ الْفَرَادَى وَامِضَاتُ وَمُضْ السَّنَا خَلْفَ بَرْقِ
 بِأَسِمَاتٍ كَالْفَجْرِ فِي صَحْوَةِ الْفَجْرِ ر . عَلَى لَحْنٍ عِنْدَلَيْبٍ وَوُزْقِ

وَالْمَعَانِي ذَوْبُ الْمُبَانِي تُعَاظِي كِ سُلَافًا مِنْ دَافِقِ السُّخْرِ طَلَقِ
أَنَا مِنْ سِحْرِهَا عَلَى سَحَرِ الْمَجْ لِدِ عَلَى صَدْرِهِ شَمَخْتُ بِرَوْقِي
صَمَخْتُ أَرْضَهَا طُيُوبُ النَّبَوَا تِ فَأَنَّى حَلَلْتُ أَشْدَاءَ عَبَقِ
عَرَبِدَ الْمَجْدُ فِي مَرَابِعِهَا الْخُضْ رِ عَلَى صَهْوَتَيْنِ بُلُقِي وَزُرُقِ
ثُمَّ أَبْرَتْ اخْلَافَهَا الْبَيْضُ سَخَا ءِ فَلَا بَارِقَ عَلَى غَيْرِ وَدَقِ
وَحَلَّتْ صَفْحَةً عَلَى الْكَوْنِ غَرَا ءِ فِدَاءً بِكِرًا وَصَوْلَةً حَقَّ
قَدْ أَخَذَتْ الْحَيَاةَ وَالْأَفَقُ مُرَبِّ دُ قُتَامٌ مَا بَيْنَ رَعْدٍ وَبَرْقِ
لَا بِمَالٍ نَشْرَتْهُ . . إِنَّهُ طَا غِ رَخِيسٌ مَا لَمْ يُدْعَمْ بِخُلُقِ

• • •

فَلْتَقُولِي لِلنَّاسِ . . بَلْ فَلْتَعُودِي ثَوْرَةَ الْعُرْبِ أَنْتِ أُخْرَى بِسَبْقِ
لَقْنِيهِمْ سِرَّ النَّجَاحِ . . فَمَا زَا لُوا لِعَمْرِي عَلَى مَفَارِقِ طُرُقِ
فَالْتِيَامِ الْجِرَاحِ فِي نَسَقِ الْحُكْمِ عَلَى وَحْدَةِ النِّظَامِ الْأَدَقِ

• • •

يَا صَبَا جِلَّتْ قَدَيْتُكَ رِفْقًا بِخَفَايَا لَظْيٍ وَلَاهِبِ خَفَقِ
عُجْ عَلَى « النَّيِّرَيْنِ » مُنْعَطِفِ الدِّ وَادِي وَسَلَّمْ عَلَى الْحَبِيبِ الْأَرْقِ

إيها أيضا

إِذَا أَنْسَتْ نَفْسِي إِلَيْهَا وَسَرَّنِي حَدِيثُ هَوَى الْأَفَاظِ تَتَلَعَّمُ
 تَلَمَّسْتُ قَلْبِي وَهُوَ مِلْكُ يَمِينِهَا فَأَبْصَرْتُهُ فِي قَلْبِهَا .. يَتَكَلَّمُ
 وَحَدَّثَنِي قَبْلَ الْحَدِيثِ مُعَبَّرٌ مِنَ اللَّحْظِ وَالْدُّنْيَا حَوَالِيهِ تَبْسُمُ
 وَمِنْ دُونِهِ طَلَقَ الْمُحْيَا مُشْعَشِعُ تُحِيطُ بِهِ فِي دَارَةِ الشُّهْبِ أَنْجُمُ
 فَأَسْبَحُ فِي نُورٍ مِنَ النُّورِ سَاطِعُ يُطَرِّزُهُ وَشْيٌ بِهَيْجٍ مُنْمَنُ
 فَحَسَبَ الْمُنَى وَالْفَنَ طَلْعَةَ جُودِرٍ وَحَسَبَ الْهَوَى وَالْحُسْنَ جِيدُومِعْصَمُ
 يَقُولُونَ لِي .. قَدْ عُدْتَ لِلشَّعْرِ ثَانِيَا كَمَا عَادَ لِلرَّوْضِ الْهَزَارُ الْمُرْتَمُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ قَدْ اخْضَبَ الْقَلْبُ بِالْمُنَى وَغَرَّدَ فِي أَحْشَائِهِ الْيَوْمَ مُلْهِمُ
 وَلَا تَنْكَرُوا سِرَّ الْغَرَامِ وَسَحَرِهِ وَلَا تَهْزِلُوا فَالْحَبَّ وَالشَّعْرَ تَوَامُ
 وَقَلْبِي إِنْ عَزَّ الدَّاءُ لِدَائِهِ يَظْلِلُهُ أَحْنَى عَطُوفٍ وَارْحَمُ

* * *

شائيات

إِنَّهَا تِلْكَ . . . وما أَجْمَلُهَا ذَوْبُ أَلْطَافِكَ أَوْ شَيْتِ فَذَوْبِي
 فِي فَمِي يَلْحَظُهَا إِحْسَاسُهُ حُلُوةُ الذِّكْرِى عَلَى بُعْدٍ وَقُرْبٍ
 إِنَّهَا إِحْسَاسُكَ الْغَالِي . . . وما أَجْمَلُ الْإِحْسَاسِ فِي مَنْحٍ وَسَلْبٍ
 عَطَّرَتْ رُوحِي . . . أَحْيَيْتِ أَمَلِي أَسْكَرْتَنِي بِاللَّيْلِ . . . بِالضَّرَبِ
 أَيْنَ مِنْهَا الرَّاحُ دَارَتْ سَحَرًا مِنْ يَدِ السَّاقِي بِلَوْنِ الذَّهَبِ

* * *

إِنْ فِي الْقُبْلَةِ لِلْحُبِّ غِذَاءٌ وَحَيَاةً وَانْتِعَاشًا . . . وَبَقَاءً
 (أَيْ حَيٍّ عَاشٍ أَهْلُوهُ ظِمَاءٌ) أَيْ غَرَسٍ لَيْسَ يَسْتَجِدِّي السَّمَاءَ

* * *

تعالى

تعالى إلى جنبي : أحدثك ساعةً حديثَ معنًى بالمجاز كئيب
تورقنى الذكرى إلى غير ذا كرى بلوعةً مُشتاقٍ وحُزنٍ غريب
وما ذلَّ قبلَ اليومَ دمعى ولم تَلنِ قناتى لِخُطبٍ فى الزَّمانِ عَصيب
تعالى : أصارحك الهوى إن جهلته تطالعك عيني بالأسى ونحيبى
أعدُّ الليالى والليالى بطيئةً وما ذنبها والذنبُ ذنبُ حبيبى
ولاحظَ أصحابى سقامى فها لهم وقالوا طيبٌ .. قلتُ أيُّ طيب
وقالوا : إذن شوق الشَّامِ ومنَ بها فقلتُ أجَلٌ .. والظنُّ ظنُّ مُصيب
فمنَ لى بوادي النَّيرينِ وروضه ومنَ لى بِسرٍّ فى الشَّامِ عَجيب
سأغدوا إليها بالفؤادِ وسره وأطفيئُ بالظلمِ البرودَ لهيبى
إذا حظيَّ السرُّ الدفينُ بِسره ووئجىَ أمّا كانَ غيرُ مُجيب

• • •

(١) الريق

الفتنة الراقصة

مِنْ قَبْلِ عَشْرِ خَلْتُ قَدْ كَانَ يَأْسِرُنِي فِيهَا جَمَالٌ غَرِيبٌ لَسْتُ أَذْرِيهِ
قَدْ مَثَلَتْهُ رُسُومٌ بَضَّةٌ نَطَقَتْ دَعَاءَةً تَتَنَنَّى فِي مَجَالِيهِ
تَأَلَّقَتْ وَبِشَاشَاتُ الْمُنَى رُسُلُ إِلَى الْقُلُوبِ تُعَانِي مَا تُعَانِيهِ
حَبِيسَةُ اللَّهْوِ لَكِنْ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَهُمْ يُعْرِبِدُ خَافِيهِ وَبَادِيهِ
وَقُلْتُ تِلْكَ ظِلَالٌ رُبَّمَا زَحَفَتْ بِهَا خَيَالَاتُ رَسَامٍ تُنَاجِيهِ
حَتَّى التَقَى اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى عَلَى أَمَلٍ تَحَقَّقَتْ فِي مَجَالِيهِ مَرَامِيهِ
رَأَيْتُهَا هِيَ لَا رَسْمًا وَلَا شَبَحًا وَلَا خِدَاعَ تَصَاوِيرٍ وَتَمْوِيهِ
رَأَيْتُهَا هِيَ جِسْمًا صَاغَهُ أَلْقُ وَالشَّمْسُ تَسْبِحُ رُوحًا فِي حَوَاشِيهِ
مَشَتْ عَلَى الْمَسْرَحِ الْمَشْبُوبِ دَانِيَةً سَكْرَى مِنَ الْحُسْنِ أَوْ نَشْوَى مِنَ التَّيِّبَةِ
النُّورِ يَسْبِحُ فِي أَضْوَائِهَا غَرْدًا كَأَنَّمَا الصُّبْحُ مِنْ بَعْضِ الْحُلَى فِيهِ
تَحَرَّكَ الصَّدْرُ تَحْرِيكَ السَّنَاوِمِضَتِ مِنْ فَوْقِهِ لَمَسَاتُ مِنْ مَعَانِيهِ
وَرَأَقَصَتْ بِسَمَاتِ الثَّغْرِ مَا سَمَحَتْ بِهِ الْبَرَاعِمُ فِي مَجْرَى غَوَالِيهِ

وَجَالَتِ الْعَيْنُ مِنْهَا جَوْلَةً سَكَبَتْ
 رَوْضُ تَرْنَحُهُ أَحْلَامُ مُبْتَهَجٍ
 فَاعْجَبَ لِغَصَنِ أَعَالِيهِ مُعْرَدَةً
 الطَّرْفُ يَأْنَعُمُ حَيْرَانُ قَضَى أَسْفَا
 الشَّعْرُ مِنْكَ عَلَى الْإِنْعَامِ مُنْطَلَقُ
 وَالْكَفُّ إِذْ تَتَشَنَّى فِي مُهَادَنَةٍ
 وَالْمِعْصَمُ الْبِضُّ أَوْ مَا فَوْقَهُ أَلَقُ
 الْجُزْءُ وَاللَّهُ كُلُّ فَيْكِ فَاسْتَبْقَى
 خَمْرًا وَحَامِي الْحِمَى يَأْنَعُمُ حَامِيهِ
 تَغْفُو دَوَانِيهِ إِذْ تَصْحُو عَوَالِيهِ
 خَفِيفَةً سَحَرَتْ أَعْجَازَ نَالِيهِ
 كَسَابِحُ فِي بَحَارِ النُّورِ تُعْيِيهِ
 وَالسُّحْرُ فِي النَّفْسِ الْمَسْحُورِ تُزْجِيهِ
 تَمْوِجُ فِي الْخِصْرِ تُبْدِيهِ وَتُخْفِيهِ
 كَالسَّاقِ مَنُغَمَّةٍ رَفَّتْ مَثَانِيهِ
 صَفْوَ الزَّمَانِ تَزِدُ حُسْنًا مَغَانِيهِ

* * *

ضمي إليك

ضُمِّيْ إِلَيْكَ هَوَى تَطْلُعُ لِلذَّرَى
 آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتِ قِمَّةُ شَامِخِ
 ضُمِّيْ هَوَاهُ فَمَا صَفَتْ أَيَّامُهُ
 عَامٌ مَضَى وَهَوَاكَ فِي أَحْلَامِهِ
 عَامٌ مَضَى وَالْحِسُّ فِي آمَاقِهِ
 عَامٌ مَضَى وَالكَرْبُ فِي آهَاتِهِ
 نَاشِذَتْ رَسْمُكَ فِي الْحِشَا أَنْ لَا يَرَى
 وَتَوَسَّلَتْ عَيْنِي لَدَى إِنْسَانِهَا
 لَكِنْ أَضْلَعَى الَّتِي حَمَلَتْهَا

صُونِيهِ فَهُوَ مِنَ السُّيُوفِ بَقِيَّةُ
 وَمِنَ الْعَوَاطِفِ طَالَمَا حَمَلَتْهُ
 صُونِي حَيَاةً فِي يَدَيْكَ رَخِيصَةً
 بِأَيْبِكَ بِالْعَيْنِ الْكَحِيلَةِ بِاللَّمَى
 بَعْلَاكَ بِالسَّرِّ الْخَفِيِّ لِمَحْتُهُ
 وَمِنَ الْجِرَاحِ النَّازِفَاتِ تَرَعْرُعَا
 عِبَاءِ السُّنَيْنِ فَمَا وَهَى وَتَضَعُّعَا
 تَأَبَّى لِغَيْرِكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا
 بِالْفَجْرِ لَوْ لَمْ تَأْذِنِي لَنْ يَسْطَعَا
 فِي نَظَرِيكَ مَشَى إِلَيَّ وَأَسْرَعَا

هذا الضياءُ كما تَرين مَلامِحُ
 قولي فَنِي شَفَتَيْكَ أَنْتِ نَعِيمُهُ
 حَبَسَ الحياءُ بَيَّانَهُ واستَنْطَقَتْ
 ورَأَى السُّلَافَ البِكْرَ مِنْهَلٍ ظَامِيءٍ
 الغرسُ يَسْتَجِدِّي السَّمَاءَ فَهَلْ تَرِي
 أَرْوِي بِهِ ظَمًا الْفُؤَادِ وَلَيْتَنِي
 إِنْ صُنْتُ بِأَمَلِ الْحَيَاةِ لَكَ الْمُنَى
 فَلَقَدْ وَهَبْتُ لِي الْحَيَاةَ جَدِيدَةً
 أَنَا مَنْ عَرَفْتُ وَمَنْ جَهِلْتُ فَسَائِلِي
 أَنَا مَنْ عَرَفْتُ وَمَا عَرَفْتُ سِوَى امْرِئِي
 عَوِذْتُ بِاسْمِ الْحُبِّ حُبِّكَ إِنَّهُ

• • •

لَا أَنْتِ صَانِعَةُ الْوِدَادِ وَلَا أَنَا
 مَنْ جَاءَ بِالصَّبِّ الْغَرِيبِ لِيَلْتَقِي
 وَلَقَدْ بَعَثْتُ الْقَلْبَ عِنْدَكَ شَافِعًا
 فَاللَّهُ أَوَدَعَ بَيْنَنَا مَا أَوَدَعَا
 بِعَرَامِهِ يَا أَنْتِ كَيْفَ تَجْمَعَا
 هَلْ تَقْبَلِينَ هَوَى الْفُؤَادِ مُشْفَعًا

• • •

صورة

حِجَازِيَّةُ الطَّبَعِ وَالْمَحِيدِ عِرَاقِيَّةُ النَّبْتِ وَالْمَوْلِدِ
كَأَنَّ « زُرُودًا » يَغْزِلَانِهِ جَرَى فِي الرِّصَافَةِ كَالْعَسْجَدِ
وَمَازَجَ بَيْنَ عُيُونِ الْمَهَا وَكَحَلَّهَا بَعْدُ بِالْإِثْمَدِ
وَعَارَ الْعَقِيقُ مِنَ الدُّجَلَتَيْنِ فَصَفَّقَ لِلنَّبْعِ وَالْمُورِدِ
فَيَا مَا أَحْيَلِي ظِبَا « وَجَرَةً » تَرُوحُ عَلَى الْجِسْرِ أَوْ تَقْتَدِي
وَيَأْتِلِقُ الْوَمَضُ بَيْنَ الْعُيُونِ كَمَا تُومِضُ السُّحُبُ لِلْفَرْقَدِ
وَتَبْسُمُ لِلنَّبَرَاتِ الْكُرُومُ عَنَاقِيدُ فِي غُضْنِهَا الْأَمْلَدِ
فَمِنْ عَنَبٍ رَقَرَقَتْهُ الشَّفَاهُ سُلَاقًا تُدَارُ عَلَى مَوْعِدِ
وَرْمَانَةٍ فَوْقَ مَجْرِي الْعَبِيرِ بِعَيْنَيْكَ تُقْطِفُ لَا بِالْيَدِ
تَخَيَّلْتُهَا مَوْجَةً مِنْ سَنَا تَقُولُ لِبَدْرِ الدُّجَى عَرَبِدِ
تَرْنَحُ فِيهَا الْجَمَالُ السَّخِيُّ عَلَى نَخْبِ أَنْجُمِهِ الْخُرْدِ
وَأَنْتِ يَا مُهْجَتِي صُورَةٌ مِنَ الْأَمَلِ الْحَالِمِ الْمُفْرَدِ

وَنَامَ الدُّجَىٰ وَاسْتَرَاخَ النُّهَىٰ وَهَوَّمَ فِي أَفْقِهِ السَّرْمَدِي
وَحَتَّى الْكَوَاكِبَ لَمَّا تَغَيَّ وَأَنْتِ الْوَحِيدَةُ لَمْ تَهْجُدِي
كَأَنَّكَ فِي اللَّيْلِ سِرُّ الْوُجُودِ وَحَارِسَةُ الْأَعْيُنِ السُّهْدِ
وَلَكِنَّهُ قَدَرٌ رَاصِدٌ تَوَحَّدَ مَرْمَاهُ فِي الْمَرْصَدِ
تَفَرَّعَ مِنْ أَصْلِهِ الْأَوَّلِ وَقَارَبَ فِي الْحِسِّ لَمْ يَبْعُدِ
لَاخِئِمَ مَعْنَى الْهَوَىٰ فِي الْحَيَاةِ بِمَا كُنْتُ فِي أَمْرِهِ أَبْتَدِي
وَلَكِنْ وَيَا حَسْرَتِي فِي الْمُنَى أَهَابُ زَمَانِي وَأَخْشَى غَدِي

...

اللقاء والباكي

بَعْدَ لَأَيِّ وَبَعْدَ ضَنْ وَمُطْلٍ أَقْبَلْتُ كَالشَّدَى كَبَسَمَةِ طَلٍ
تَتَهَادِي حُورِيَّةً فِي وَشَا حَيْنَ جَمَالٍ بَكْرٍ وَخِفَّةٍ ظِلٍ
وَأَغْنٍ يَنْسَابُ فِي هَذَاةِ اللَّيْلِ مُدِلُّ عَلَى الْهَزَارِ الْمُسْدِلِ
رَاقِصَتُهُ التَّجُومُ فِي فَلَكِ الْحُسْنِ وَسَاقِيْنَهُ بَعْلٌ وَنَهْلٌ
فَوْصَلْنِ السَّمَاءَ بِالْأَرْضِ أَمَجَا دَا تَغْنَى فَكَانَ أَغْذَبَ وَضَلِ
ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ دَنْتُ فَتَدَلَّتْ وَقُطُوفُ الْمُنَى بَوَاسِمُ حَوْلِي
وَاسْتَرَاخَتْ عَلَى وَثِيرٍ مِنَ الْحُبِّ أَثِيرٍ غَذَاهُ قَلْبِي وَعَقْلِي
وَتَطَفَّلْتُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الشَّوِّ قِ وَسِرِّ الْغَرَامِ بَعْدِي وَقَبْلِي
وَفِي نَشْوَى أَوْ مِثْلَمَا خَيْلَ السَّوْمِ لِقَلْبِي وَمَا فَطِنْتُ لِجَهْلِي
وَالْغَوَانِي سِرٌّ يُغْمِغِمُ بِالْبَوِّ حِ وَوَيْلِي مِنَ النَّقِيصَيْنِ وَيْلِي
مَنْ تَرَاهُ يَطْنُهَا وَهِيَ فِي الْقَمَّةِ مِنْ لُطْفِهَا تَشُورُ وَتَغْلِي
وَالْعِيُونَ الَّتِي يُظَلِّلُهَا الْجَفْنُ دُمُوعٌ حَكَيْنِ أَدْمَعُ طِفْلِ

وَالسَّائِلُ الْحَالِمُ الْمُشْغَعُ أَغْفَى بَعْدَ أَنْ لَاحَ كَالِهَلَالِ الْمُطْلِ
وَابْتِسَامَاتُهَا اللَّطَافُ تَوَارَيْنِ وَوَارَيْنِ غَضَابًا فِي فَرَحَةِ الْعُمْرِ سُؤْلِي^(١)
قُلْتُ وَالْقَلْبُ لَهْفَةٌ وَضُرَامٌ وَالسُّكُونُ الرَّهِيْبُ بَعَثَ شَمْلِي !!
يَا ضِيَاءَ الْحَيَاةِ يَا تَوَامَ الْبَدَنِ رِ أَقُولِي أَسَاءَ أَمْ سَاءَ فِعْلِي !!
هَلْ عَرَنْكَ الشُّكُوكُ فِيمَنْ يُرَجِّيكِ هِنَاءَ وَالْحُبُّ يَصْفُو بِمِثْلِي
فَاسْتَعَارَتْ مِنَ الدُّجَى صَمْتَهُ الْخُلُوفُ وَجَاءَ الصَّبَاحُ يَزْحَمُ لَيْلِي
بَيْنَ آهِ مُعْبِرٍ وَلِحَاطٍ رَاعِشَاتٍ تَرَوِي الْحَدِيثَ وَتُمْلِي
قَالَ مِنْهَا الصَّدَى الْمُجَابِبُ فِي النَّفْسِ حَرَامُ أَبْقَى خَلِيلَةً خَلِيَّ
وَبَكَتُ وَالْدُمُوعُ تَسْبِيحَةُ الْقَلْبِ وَقَالَتْ أَرَبُّ لَيْتِي وَعَلِيَّ؟
قُلْتُ يَا رَبُّ عَلَيْهَا سَاعَةٌ الْيُسْنُ فَتَغْلُو فِينَا خَلِيلَةً بَغْلُ
وَيَزُفُ الصَّفَاءُ لِلْحُسْنِ مَجْلُوءًا عَرُوسًا تَزْهُو بِأَبْنَهَجِ خَضَلُ
وَالضُّيَاءُ الضُّيَاءُ يَقْطُرُ بِالْفَرِّ حَةً هَلْ لِي أَرَاهُ يَا رَبُّ هَلْ لِي

(١) أسأل فلانا سؤاله قضى حاجته

من یہ؟؟

تَسْأَلَنِي عَنْ صَائِدِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا أَمِنْ ظَبِيَّاتِ الشَّامِ أَوْ غِيدِ لِبْنَانِ
فَدَيْتُ هَوَاهَا زَهْرَةً صَانَهَا الْهَوَى وَبَيْضَةً خِذِرٍ لَمْ تَطْلُهَا يَسْدَانِ
تَعَهَّدَهَا الْمَزْنُ الصُّبُوحَ فَأَوْرَقَتْ وَبَاكَرَهَا حَبُّ الْغَمَامِ بِنَيْسَانَ
وَمِنْ بَرْدِي قُلْتُ وَمِنْ بَرْدِهِ اِزْتَوْتُ فَلَا بَذْعَ أَنْ جَادَتْ بِرِيٍّ لِظَمَانِ
فَمَا كُلُّ ظَامٍ نَاهِلٌ مِنْ رِضَابِهَا وَمَا كُلُّ بَرَقٍ لَاحَ وَهُوَ يَمَانِي

...

عَدْتُهَا الْعَوَادِي فَهِيَ قَلْبِي بِحُبِّهِ بِمَعْنَاهُ بَلْ أَبْهَى مِنَ الْخُلْدِ فِي الْخُلْدِ
تَخَيَّرَهَا قَلْبِي فَكَانَتْ لِسِرِّهِ وَكَانَ لَهَا سِيَّانٍ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
وَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْبِشْرَ وَالسُّخْرَ وَالْمُنَى وَمَاهِمْتُ عَمْرِي فِي رَبَّابٍ وَلَا هِنْدِ
وَكَانَ هَوَاهَا مَبْعَثَ الصَّفْوِ مُشْرِقًا وَمُغْرِبَ آلَامِي وَمُنْبَقَ السَّعْدِ
تَخَيَّرَهَا قَلْبِي فَلَا الْحُبُّ حُبُّكُمْ وَلَا وَضْفُكُمْ وَضْفِي وَلَا جُهْدُكُمْ جُهْدِي
غَرَامٌ سَمَاوِيٌّ الْمَعَانِي مُجَنِّحٌ وَالْأَطَافَةُ شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ وَخُذِي

أَفَاضْتُ عَلَيَّ السَّحَرَ سَحْرَيْنِ حُبُّهَا وَهَذَا الرِّضَابُ الْحُلُو أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ
وَعَطْفَةُ قَلْبٍ ضَمَّ فِي الْحُبِّ مِثْلَهُ وَرَحْمَةُ إِنْسَانٍ وَضَمَّةُ ذِي وَدٍّ
وَتَطْوِيقَةُ بَيْنِ الذَّرَاعَيْنِ غَضَّةُ وَمَاعِدَتِ أَدْرِي زَنْدَهَا الْغَضُّ مِنْ زَنْدِي
فَمَا مَلَكَتْ قَلْبِي سِوَاهَا وَلَمْ تَلْنِ لَغَيْرِي لَعَلَّ اللَّهَ عَنْ سِرِّهَا يُبْدِي
وَلَيْلَايَ دَعَاءُ الْمَحَاجِرِ جَوْذَرِ وَلَيْسَ لَكَ زَرْقَاءُ مَطْهَمَةُ الْخَدِ
وَلَيْسَ لَكَ شَقَرَاءُ وَلَيْلَايَ شَعْرُهَا كَجَنَحِ اللَّيَالِي فَارِعِ الْحَسَنِ مَسُودِ
وَلَيْسَ لَكَ أَعْطَنُكَ الْوُعُودَ سَخِيَّةُ وَفِي مَسْبَحِ الْأَحْلَامِ لَمْ تَفِ بِالْوَعْدِ
وَلَيْلَايَ عَهْدِي عَهْدَهَا لَمْ تَبُحْ بِهِ نَعِيشَ عَلَيْهِ مَا حَيِينَا بِلَا قَيْدِ

* * *

عن دمشق وإليها

عزيزي : سررتُ بالمقطوعة التي هي قبسٌ من قبسك وقطعةٌ من
نفسك فأوحتُ إليَّ بهذه القطعة الشعرية التي أقدمها للذكرى مثل
ذكرى شعرك فيمن أوحتُ به إليك ولها منا الشكرُ سلفاً على الغيب .

مَنْ تَرَاهَا لَيْلَاكَ قُلْ لِي حَقًّا بَابِلِي^(١) أَوْ أَتْلَعُ غَيْدَانِ^(٢)
أَوْ يَغُضْنَ كَالْبَانِ أَوْ هُوَ أَحَلَى أَوْ يَشْغِرِ مُنْضِدٍ بِالْجُمَانِ
ثُمَّ قُلْ لِي هَلْ أَسْعَدْتِكَ بِعَطْفٍ عِبْقَرِيٌّ فِي رِقَةٍ وَخَنَانِ
هَلْ تَلَقَّيْتِكَ بِالْشَذَا مِنْ شَذَاهَا مِثْلَ مَا التَفَّ بِالْهَوَى طَائِرَانِ
هَلْ رَشَفْتَ اللَّمَى الْمُعْتَقَ اشْهَى مِنْ مُدَامٍ دَارَتْ عَلَى النَّدْمَانِ
ثُمَّ قُلْ لِي وَلَا أَخَاكَ تُبْـدِي ذَلِكَ السَّرُّ فَهُوَ سِرُّ الْغَوَانِي
كَمْ صَرِيحٍ مِثْلِي وَمِثْلِكَ لِلْحُبِّ قُبْحٌ لِي فَإِنَّنَا تَوَامَانِ
وَهَنِئًا لَهَا بِشَاعِرٍ سَلَعٍ وَالْأَدِيبِ الْأَرِيبِ فَخْرِ الْبَيَانِ
هِيَ صَادَتْ بِسَحْرَهَا سَاحِرَ اللَّفْظِ رَقِيقَ الْإِحْسَاسِ وَالْوُجْدَانِ

(١) خمر بابلي

(٢) غيدان الشباب أوله - التلع التطلع بالمعنى الى الشيء

نَجْوَى

يَا ابْنَةَ الْغُوطَةِ وَالنَّهْرِ الْمُحَلَّى بِرِضَايِكَ
 يَا ابْنَةَ الْفَجْرِ تَمَنَّى الْبَدْرُ تَقْبِيلَ إِهَابِكَ
 وَالنُّجُومُ الزُّهْرُ لَوْ تَنَثَّرَ زَهْرًا فِي رِحَابِكَ
 وَالْمَعَانِي بِأَسْمَاءِ غَايَاتٍ فِي رِكَابِكَ
 يَتَعَالَيْنَ عَلَى الدُّنْيَا وَيَسْجُدْنَ بِبَابِكَ
 آه لَوْ تَدْرِينَ مَا بِي مِثْلَ مَا أَعْلَمُ مَا بِي
 يَا ابْنَةَ الْكَرَمَةِ مِنْ كَرَمِ شَبَابِي وَشَبَابِكَ
 وَالْأَمَانِي عَذَابُ مِثْلِ مَعْسُولِ عَذَابِكَ
 إِنْ تَمَثَّلَتْ رِغَابِي فَاقْرَيْيَهَا فِي رِغَابِكَ
 فَالِرِّدَاذُ الْحُلُوفُ لَا يَقْطُرُ إِلَّا مِنْ سَحَابِكَ
 وَالْمُنَى الْبَيْضَاءُ فِي الْحُبِّ مَعَانٍ مِنْ كِتَابِكَ
 فَاطْلُبِي لِي رَحْمَةَ اللَّهِ أَجِدْهَا فِي طِلَابِكَ

هَمْسَةً تَسْرِي عَلَى الْبَرْقِ بِنَجْوِي فِي خِطَابِكَ
فَأَرَى الْحُظُوءَ فِي لُقْيَاكَ مِنْ بَعْدِ غِيَابِكَ
وَإِذَا الْبُعْدُ حِكَا يَأْتُ عَذَابِي وَعَذَابِكَ
وَتَسَالِينَا أَحَادِ يَثُ اغْتِرَابِي وَاغْتِرَابِكَ
وَارْتَوَانِي مِنْكَ يَا حَبِي شَرَابًا مِنْ شَرَابِكَ

* * *

ليلة العيد

ذكرتك في الليلة الحالية من العيد أبكى على حالية
أرى فرحة الناس في عيدهم وفرحة نفسي هي الباقية
وينعم حب بمحبوبه وأشكو من الوحدة القاسية
أقول لنفسي هل من جنا ح أطير إلى الشام في ثانية
وألقي العزيزة في حيا وتلمسني كفها الحانية
أقبل منها يدًا طالما رعتني بألطفها السامية
أشم من الروض ورد الحياة وأقطف أزهاره الزاهية
سألقى بك العيد يوم اللق اء فما العيد إلا المني الغالية

...

على صورتها

يا صُورَةَ أَبْصَرْتَ عَيْنِي بِهَا أَمَلِي وَقَرَّبْتَنَا فَعُدْنَا قَابَ قَوْسَيْنِ
ضَمَمْتُهَا فَإِذَا الْقَلْبَانِ قَدْ جُمِعَا وَفِي الْبَعَادِ غَرِيبٌ ضَمُّ قَلْبَيْنِ
لَمَحْتُ فِي صَمْتِهَا شَبَحًا مُمَثَّلَةً فِيهِ النَّوَى فَرَّقَتْ بِالرَّغْمِ إِلْفَيْنِ
كَأَنَّهَا تَسْأَلُ الْأَقْدَارَ كَيْفَ قَسَتْ تَقُولُ رِفْقًا بِهِذَيْنِ الْحَبِيبَيْنِ
وَقُلْتُ يَا اللَّهَ كَيْفَ الْحَالُ فَايْتَسَمَتْ حَالِي كَحَالِكَ لَيْسَ الْحَالُ حَالَيْنِ
صَدَقْتَ يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحَتَهَا لَنْ يُصْقِلَ الْحُبَّ إِلَّا لَوْعَةُ الْبَيْنِ
يَا رَبُّ رُحْمَاكَ فِي قَلْبَيْنِ مَضْمُومَا عُسْرُ النَّوَى فَأَزِخْ عُسْرًا بِبُسْرَيْنِ

* * *

ثلاثيات

لَقَدْ تَحَدَّثْنَا وَلَمْ نَسْتَرْحِ حَتَّى رَأَتْ أَكْبَادَنَا تَنْزِفُ
وَبِالْبَنَانِ الْغَضُّ لَمْ تَسْتَبِحْ غَيْرَ السُّوَيْدَاءِ وَمَا تَنْطَفُ
قَالَتْ لِبَدْرِ التَّمِّ هَيَّا اضْطَبِحْ نَفْحَ عَيْبِرِ دُونَهُ الْقَرْقَفِ

* * *

وَابْتَسَمَ الْبَدْرُ عَلَى مِحْنَةٍ ضَاحِكَةٍ فِي غَسَقِ الْفِتْنَةِ
وَبَسْمَةُ الْبَدْرِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَجَنَةٍ تَسْرِي إِلَى وَجَنَةٍ
وَقَالَ لَا دِينِي وَلَا سُنِّي تَشْرَبُ كَأْسًا صَبِغَ مِنْ أَنَّةِ

* * *

الأمَل الحائر

وَعَاطَيْتَنِي الْأَمَلَ الْحَائِرَا تَمَنِّيْتِه : الْأَلَمَ السَّافِرَا
 تَمَنِّيْتِه صَعَقَاتِ الرَّدْيِ تُرِيحُ وَلَا تَكْسِرُ : الْخَاطِرَا
 فَإِنَّ الْأَسَى قَدْ يُمِيتُ النَّفْسَ وَلَكِنَّهُ يَحْرِقُ : الشَّاعِرَا
 وَتِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي صَوَّرْتَهَا تُحَاذِرُ حَتَّى الشَّدَى : النَّافِرَا
 إِذَا صَارَحْتَهُ الْمُنَى الْحَالِمَا ت رَعَى ظِلَّهَا : طَبْعَا : صَابِرَا
 وَغَرَّدَ فَوْقَ أَقَانِينِهَا يُسَاجِلُ : بُلْبُلُهَا : الطَّائِرَا
 وَيَسْكُبُ لَحْنَ الْجَنَانِ الشَّفِيفِ خَجُولًا : رَوَى غُصْنَهَا : النَّاصِرَا
 وَحِينَ تَشِفُّ الْأَغَارِيدُ تَسْتَرْفِدُ مِنَ الرُّوحِ عَالَمَهَا : الزَّاخِرَا
 وَتَسْبَحُ فِي صَحُوبِهَا الْهَادِرِ تُصَفِّقُ الْهَامَهَا : الْهَادِرَا
 وَتَلْفِظُ وَهْمَ الْحَيَاةِ الشَّحِيقِ إِذَا سَلَبَ الْمُقْبِلُ : الْحَاضِرَا
 وَتَهْوِي الدُّجَى الْمُقْفِلَ الصَّائِمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ خَادِعًا : غَادِرَا
 فَكَمْ عَانَقَ اللَّيْلُ أَشْبَاحَهُ كَمَا عَانَقَ الْكَافِرُ : الْكَافِرَا

...

فَيَأْمَنُ رَجَوْتُكَ رَغْمَ النَّفَارِ هَوَى صَاحِبًا يَانِعًا : ثَامِرَا

تَضْمِينَ أَحْلَامِهِ الصَّافِنَاتِ وَنَحْمِينَ وَجْدَانَهُ الْعَامِرَا

تَخِذْتُ هَوَاكَ الْمَنَارَ الْوَرِضَ يءٌ وَإِشْعَاعَةَ الْفَلَكَ : الدَّائِرَا

فَمَا دُرْتُ فِي غَيْرِهِ هَادِبَا وَلَا رُمْتُ فِي غَيْرِهِ : نَاصِرَا

وَأَلْقَيْتُ فِيكَ الرَّجَاءَ الْعَظِيمَ مَ كَمَا وَجَدَ الْعَاجِزُ : الْقَادِرَا

تَحِيرْتُ فِيمَا أَرَى يَا تَرَى بَلَاءٌ كَحَجِيرَتِهَا : حَائِرَا

أَمْ الْهَمْسُ مِنْ حَوْلِنَا رَاعَهَا فَصَاغَ الْأَسَى لَحْنَهَا : الْفَاتِرَا

أَمْ الشَّامِخَ الصَّاعِدَ الْمُعْتَلَى رَمَانِي وَلَمْ يُقِلْ : الْعَائِرَا

• • •

وَلَا عَجَبُ ذَاكَ شَأْنُ الزَّمْ— إِنْ حَدَوْنَا بِهِ الْمَثَلَ السَّائِرَا

إِذَا شَقَّ دَرْبَ الْعُ— لَا «لَا حَبَا» فَيَا طَالَمَا قَدْ هَدَى السَّائِرَا

سَوَاءٌ عَلَيْهِ اِزْدِحَامُ الْمَوَارِ د لَا يَفْضُلُ الْأَوَّلُ الْآخِرَا

فَكَمْ صَادِرٍ غَالَهُ وَارِدٌ وَكَمْ وَارِدٍ قَدْ رَوَى : الصَّادِرَا

تَسَاوَى رَخِيسُ الْمُنَى وَالْعَزِيدِ زُ لَدَيْهِ فَمَا كَانَ فِي عُمْرِهِ ذَاكِرَا

وَمَنْ يَنْسَ تَارِيخَهُ ذَاتَهُ مَحَا : طَبْعُهُ : الْفِكْرُ : وَالْفَاكِرَا

هُوَ الصَّانِعُ الْمَاهِرُ الْمَاكِرُ وَمِنْ سِرِّهِ : كَوْنُهُ : مَاكِرَا

أَيْدَهُشْ لِلتَّبَرِ قَدْ صَاغَهُ نَفِيسًا بِهِجَجِ الرُّؤْي : نَادِرَا
أَيْعِجْزُهُ بَعْدَ رَجَعِ النَّفِيسِ رَخِصًا كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ : بَاهِرَا

...

حَنَانِيكَ وَلْتَعْلَمِي أَنِّي أَرْجِيهِ مُصْطَفَقًا : ثَائِرَا
فَذَلِكَ أَكْرَمُ مَا أَسْتَطِيعُ تَقْبَلَهُ رَاضِيًا شَاكِرَا
لَآنَ يَلِدُ الْحُبُّ كُرْهًا أَعَزُّ مِنَ الْحُبِّ تَحْمِلُهُ صَاغِرَا
وَأَحْقَرُ مِنْهُ هُوَ الْاِغْتِصَابُ تُعَاقِرُهُ كَارِهًا حَاقِرَا
بِجُرْحِ الْهَوَى فَلَتَمْتُ لَا نَعِشْ بِجُرْحِ الْقَلَى أَبَدًا فَاغِرَا
وَوَشْوَشَنِي الْقَلْبُ مُسْتَنْكَرَا حَرُونَا فَلَيْسَ الْأَذَى : آسِرَا
وَقَالُوا قَدِيمًا يَلُومُ الْوِدَادُ سَلِيمًا وَيَفْنَى الْهَوَى : عَاقِرَا
هَوَى النَّفْسِ آرَابُهَا الْمُسْتَقَّ أُهُ تُمَزَّقُهُ : كَابِرَا : كَابِرَا
فَكَيْفَ وَقَدْ بَاتَ حُبُّ الشَّرِيفِ لَعَمْرِي قَصِيرَ الْمَدَى قَاصِرَا
وَأَنْبَتُ مِنْهُ الْهَوَى اللَّوَلِيُّ يُبَادِلُهُ : فَاجِرُ : فَاجِرَا
مُنَاطَرَةً بَيْنَهُمْ لَمْ تَزَلْ يُحَاوِرُ مَنْظُورَهَا : النَّاطِرَا
لَنَا أَجَلٌ حَدَدَتْ عُمُرَهُ مَنَاصِبُ تَحْتَضُنُ : الظَّافِرَا

وَتَلْوِي بِمَنْ أَبْطَأَتْ رِجْلُهُ وَتَلَفِظُهُ بَاطِنًا : ظَاهِرًا
 وَيَغْزُوهُ فِي خِلْسَةِ شَاطِرٍ وَمَا كَانَ فِي أَمْسِهِ : شَاطِرًا
 وَقُلْتُ لِقَلْبِي لَا حَيْرَةَ وَلَا لُبْسَ فَلْتَكُنْ : الْحَاذِرَا
 فَلْيَسُوا نُفُوسًا كَمَا قَدْ زَعَمْتَ وَمَا عَرَفُوا الْهَدَفَ : الْبَاصِرَا
 فَمَا بَيْنَهُمْ مُهْجَةٌ حُرَّةٌ تُمَثِّلُ قَلْبًا : سَمًا : طَاهِرَا
 لَقَدْ جَهِلُوا سِرَّ هَذِي الْحَيَاةِ فَكُلُّهُمْو عَاشَهَا : سَادِرَا

يَعِيشُ الْوَفَى لِأَخْلَاقِهِ كَمَا شَاءَهَا : صَاعِدًا : حَادِرَا
 وَيَغْنَى الْحَصِيفُ بِآدَابِهِ فَقَدْ كَانَ ظِلٌّ : ضَحَى : عَابِرَا
 فَعِشْ هَانِمًا فِي غِمَارِ الْحَيَاةِ وَلَا تَرْضَ عِشَّتَهَا : مَادِرَا
 وَمَا ضَاعَ خَيْرٌ وَلَكِنَّهُ تَجَاوَزْنَا غَاضِبًا : هَاجِرَا
 قَوَانِينُهُ حَقَّةٌ كَالْحَيَاةِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ : نَاشِرَا
 أَلَا إِنَّنَا دَاوُّهَا وَالِدَوَاءِ وَلَا يُصْلِحُ الْعَاهِرُ : الْعَاهِرَا

اللؤلؤة .. الحمراء

لَمَحْتُهَا وَكَأَنَّ الْعَيْدَ فِي فَلَكٍ وَقَلْبُهَا سَابِحَ كَالنَّجْمِ فِي فَلَكٍ
وَتَرَقَّبُ النَّهْرَ مُنْسَابًا أَشَعَّتْهُ كَشَعْلَةَ اللَّيْلِ «تَرْمِي» سُذْفَةَ الْحَلَكِ
يَرِفُ كَالنَّسَمَةِ الْعَذْرَاءُ تَحْسِبُهَا عَرْشًا تَرْفَعُ عَنْ تَاجٍ وَعَنْ مَلِكٍ
الْعَيْدُ يَضْدَحُ فِي أَعْطَافِ فَرْحَتِهِ كَالرَّيْمِ يَجْفُلُ مِنْ رَامٍ وَمِنْ شَرَكٍ
وَرَبَّةُ الْحُسْنِ فِي الْأَصْدَاءِ هَائِمَةٌ كَأَنَّهَا رَاهِبٌ قَدْ ذَابَ فِي النَّسْكِ
تَعَبُ مَنْ أَلْقَى صَادٍ وَتَسْمَعُهُ وَالْوَجْدُ فِي صَخَبٍ وَاللَّحْنُ فِي دَرَكٍ
وَصِرْتُ فِي الْمَشْهَدِ الْمَسْحُورِ طَرَّزَهُ وَرُدُّ تَلَفَّعَ فِي طَوْقٍ مِنَ الْحَسِكِ

* * *

دَنُوتُ صَوْبَ الْحَيَا الْغَافِي عَلَى حَذَرٍ وَفِي الْحَيَاءِ صِرَاعِ الْفَارِسِ الْفَتِكِ
فَمَسَّنِي الْهَوْلُ إِذْ أَبْصَرْتُ لَوْلُؤَةً حَمْرَاءَ تَرْقُصُ رَقْصَ الصَّيْدِ فِي الشَّبَكِ
وَقُلْتُ يَا أَنْتِ هَلْ فِي الْعَيْدِ سَائِحَةٌ تَجْرِي بِدَمْعٍ عَلَى الْخَدَيْنِ مُشْتَبِكٌ
قَالَتْ نَفَحْتُ حُشَاشَاتِي وَمَا سَمَحْتُ عَيْنِي بِغَيْرِ دَمٍ كَاللَّمْعِ مُنْسَفِكِ

أَذِيبُ فِيهِ الْأَسَى الْجَافِي وَأَحْرِقُهُ
الْحُبُّ تَحْمِيهِ أَجْفَانُ مُقَرَّحَةٌ
بَكَيْتُ أَحْرُسُ نَشَوَاتٍ مُعْرَدَةٌ
فَبَهْجَةِ الْعِيدِ أَسْمَى حَقَائِقُهَا
وَرَجَعُهَا كَصَفِيرِ الرِّيحِ مُنْطَلِقُ
هَتَّا كَةُ السِّتْرِ عَنْ عَفِّ الْخُطَى حَذِرُ
لَذَعُ الْحَنِينِ وَوَقْدُ الشُّوقِ إِنْ تَرَكََا
وَالْحُبُّ فِي الشَّامِ فِي أَفْيَاءِ غُوطَتِهِ
سِرُّ الْبَقَاءِ لَهُ زَادٌ مُؤَجَّجَةٌ
نَادَيْتُهَا وَالْمَعَانِي الْبَيْضُ غَاضِبَةٌ
زَيْدِي بُكَاءِكَ هَذَا الدَّمْعُ لِي وَلَكَ

أول لقاء

وقابلتها والليلُ حُلُوٌّ مُشَعِّعٌ له من عبير الصدم لحن مَوْعٌ
عليها الإِشَابُ^(١) الحلو يقطر لذة يضيءُ به في الرأس تاج مُرْصَعٌ
فما هي إلا نظرة لم أَشْنَهَا إذ القلبُ من فرطِ المسرة يدمع
وكانت كَأَحْلَى ما تمناه شَيْقٌ رفيقُ الأمانى شاعر الحس مبدع
فضم عليها القلبُ كل مرامه فما لسواها بين جنبيّ موضع
وسلمتُ للحس الرفيع مقادتي ولي كبرياء لا تليق وتخضع
وقال رفيقُ كان في الدرب بيننا أَمِنْ نظرةٍ أُولَى تَذُوبٍ وتخضع
تمهل ولا تعجل فللحس خدعة فقلت ولكن مهجتي كيف تخدع
فللحب عين لا تطيق سهامها وللقلب إحساس من البرق أسرع
لمحت بها سرّاً دفيناً تصونه وجرحاً كجرحي لم يُقَدْ فيه مبضع
لها رقةٌ كالنور تحلو بطبعها ولا يغلبُ الطبعَ الكريمَ التطبع
وواعدتها في ليلة القدر ثانياً وفوح مرامي عطره يتضوع
فكان هلال السعد واليمن موعداً وأصبح بدرأ ضوءه العذب يسطع
رحيبُ المعاني لا يحولُ صفاؤه فإن الوفاء الحرّ لا يتزعزع

(١) الإِشَاب ما يوضع على الرأس من غطاء

عيناك

عيناك بالإشعاعِ يا قوتُهُ تسطعُ في جَفَنِ الدجى الداكنِ
تحركت في ومضها مثلما تحرك الخافقُ في الساكنِ
وأسبلت هُذْباً كَانَ الذي في ظلّه تنهيدةُ الظّاعنِ

* * *

والله والله ولا أحضتُ رأيتُ في الليل ضحيّ ينفثُ
رأيت ومضاً عَنبريّ السنا وَالْعَيْنُ لا تكذبُ لا تعبثُ
لولا سوادُ خِلْتِه سُكَّراً قلتُ نهاراً بالدجى يرفثُ

* * *

كف

يوماً بليته أهْيِيءُ للقاءِ لما أقول وما أُعيد
وأنسَقَ الجُمَلَ الحسانَ يضمُّها العقدُ النضيد
وأهدُّ آونةً وأبني فالوصالُ الحلو عيد
ودلِفْتُ للميعادِ أعتصر الفؤادَ كما يريد
وهوأي ذبَّاك المُجنَّحَ ليس ينقصُ بل يزيد
وفرحتُ بالأملِ الطريفِ يحثُّه الأملُ التَّليد
فوجدتها قمرأً يعبُّ من النجومِ ويستزيد
في حلةٍ حمراءَ تعشُّقُ حسنَ منظرها القدود
تحنو لِتَلْتُمُها الورودُ فلا تفارقها الورود
وبكيتُ من فرح اللقاءِ وانني الحُبُّ الوحيد
وسألتها الرُّحْمِي فقالت مَنْ تكونُ وما تريد
قلتُ المَوَلَّهْ كُلُّ نومي فيكِ أحلامُ شهود

وإذابها في غَضَبَةٍ شُمُ الجبالِ لها تُميد
رفعت حجابَ العينِ سخريةً يذوبُ لها الحديد
وتمر فوق الصدرِ كفيها وتأتلقُ الخلود
تخشى اضطراباً ربّما فَرَّتْ تحاذره النهود
وسمعتُ فقههً صداها اننى القدمُ البليد
قالتْ لَأَنْتَ الخائبُ الكسلانُ هل يغفو العميد
يا خيبةً عَبَثَتْ بصاحبها كما عَبَثَ الوليد

...

اعتما

وَتَضَحَّكَ بِسَمْتِهَا حُرَّةٌ كَمَا يَبْسُمُ الْأَمَلُ النَّاجِحُ
وَتَبْسُمُ فِي عَيْنِهَا فَرْحَةً كَمَا يَفْرَحُ الْآيِبُ النَّازِحُ
وَيَرْتَسِمُ الصَّخْوُ فِي ثَغْرِهَا يُدَاعِبُهُ الْأَلْقُ الصَّابِحُ
وَيَنْهَزِجُ مِغْزُفُهَا الرَّائِعُ فَيَشْجَى لَهُ الْبُلْبُلُ الصَّادِحُ
وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَهَمْسُ الرَّبِيعِ يُفَاغِمُهُ عِطْرُهَا الْفَائِحُ

...

وَأَبْصَرْتُ فِي كَفِّهَا سَاعَةً وَرَقَّاصُهَا رَاكِضُ جَامِحِ
يُتَابِعُ فِي جَفْنِهَا رَعْشَةً تُحَاذِرُهَا وَالْهَوَى فَاضِحِ
وَيَوْمِضُ فِيهَا رَفِيفُ السَّنَا يُجَاذِبُهَا سِرُّهَا الْبَائِحِ
فَلِلرُّوحِ مَا يَهْتَفُ الْهَاتِفِ وَلِلْقَلْبِ مَا يَمْنَحُ الْمَانِحِ
وَلِلْأُنْفِ الرَّاqِصِ الْحَالِمِ مُنَى زَفِّهَا السَّائِحِ الْبَارِحِ
فَسَاءَلْتُهَا وَالْمُنَى غَضَّةً يُصَفِّقُهَا بِشْرُهَا النَّاصِحِ

لِمَاذَا نَحُدُّ مَجَالِي السُّرُورِ وَلِلْعُمْرِ مِيقَاتُهُ الْجَائِحِ
وَنَحْبِسُ أَنْفَاسَنَا وَالرَّدَى عَلَى الدَّرْبِ غَادِيهِ وَالرَّائِحِ
وَأَنْتِ الْحَيَاةُ بِلَا مَوْعِدٍ فَمَوْعِدُهَا نَافِرٌ سَارِحِ
وَهَذِي الْحَيَاةُ كَمَا تَعْلَمِينَ أَطَابِيئُهَا الْأَمَلُ السَّابِحِ
تُمَثِّلُهَا الْأَنْجُمُ الْخَائِرَاتِ يَهِيمُ بِهَا الْهَدَفُ الطَّامِحِ
فَيَالَيْتَهَا حِلْيَةً كَالسُّوَارِ يُشْعِشِعُهَا الْمِعْصَمُ اللَّامِحِ
فَلَا الْأُنْسُ يُعْجِلُنَا وَقْتُهِ فَيَعْتَكِرُ الْأَلْقُ الْفَاتِحِ
وَلَا الْعَيْنُ مِنْكَ لَهَا شَاغِلُ كَمَا يَشْغُلُ الْعَاذِلُ الْجَارِحِ
لِتُرْعَجَنَا نَظَرَاتُ إِلَيْهَا كَمَا يَنْزِحُ الْمُقْلَةُ النَّازِحِ
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنَّا يَطِيبُ لَنَا الْفَرَحُ الْفَارِحِ
إِذَا مَا قَدَرْنَا لَهُ قَدْرَهُ وَطَارَدَهُ شَوْقُنَا الْجَامِحِ
فَهَلْ يَسْتَوِي بِأَذِلُّ شَدْوَهُ وَصَادٍ . عَلَى أَبِيكَ صَادِحُ
هُوَ الْقَصْدُ مِيزَانُ هَذِي الْحَيَاةِ وَرُبَّانُهَا الْقَائِدُ السَّاجِحِ
فَإِنْ ضَاعَ فِي أُمَّةٍ وَقْتُهَا فَذَلِكُمُ خَطْبُهَا الْفَادِحِ

...

الحسناء والموحة

وَسَأَلْتُ عَنْكَ فَقِيلَ مَرَّتْ فِي يَدَيْهَا « مَرُوحَه »
وَالطَّقْسُ « قَمَرٌ » وَالنَّخِيلُ مِنَ الصَّقِيعِ مُطْلَحَةٌ
وَالزَّمْهَرِيرُ مَشَى عَلَى أَنْصَائِهِ الْمُتَرَنُّحَةَ
مِنْ كُلِّ فَارِغَةِ الْقَوَامِ كَشَاهِدٍ فِي « الْمِسْبَحَةِ »
الرَّوْضُ يَأْمَلُ إِلَّا تُدَاعِبَ زَهْرُهُ أَوْ تَنْفَحَهُ
وَالنَّرْجِسُ الْفَضَّاحُ يَحْذَرُ لَحْظَهَا أَنْ يَفْضَحَهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ أَضْفَنَهَا خَفَقَاتِ هَذِي الْأَجْنِحَةِ
حَتَّى الْجَحِيمُ يَخَافُ مِنْ أَنْفَاسِهَا أَنْ تَلْفَحَهُ
يَا شَاعِرِي أَيْنَ الْمَشَاعِرُ إِذْ تَحُومُ مُجَنِّحَهُ
أَيْنَ الْخَيَالُ مُغَرَّدًا فِي الرَّوْضِ يُلْهِمُ « صَيْدَحَهُ »
أَظَنَنْتِ مَرُوحَةَ الشِّتَاءِ طَرَاوَةً « أَوْ » قَنَزَحَهُ
لُغْزًا وَحَقِّكَ قَدْ عَجَزْتَ عَلَى الْمَدَى أَنْ تَفْتَحَهُ

يَا صَاحِرَ مِرْوَحَةِ الْهَوَى رَهَقُ الْجَوَى : لَنْ أَبْرَحَهُ
لَهَبُ الْجَوَانِحِ فِي دَمِي دَمْعُ أَبِي أَنْ أَسْفَحَهُ
لَهَبُ كَمَا شَاءَ الْهَوَى مَسَى الْحَيْنِ : وَصَبَحَهُ
لَهَبُ كَأَنْفَاسِ الْجَحِيمِ تَلَوُّرُ فِيهِ الْمِرْوَحَةِ
هُوَ مُهْجَتِي هُوَ لَوْعَتِي وَسَوَاهُمَا لَنْ يَلْمَحَهُ
فَالْحُبُّ يَضْمِدُهُ الَّذِي أَضْمَى حَشَاهُ وَجَرَّحَهُ
وَصَلَّاحُهُ فِي دَائِهِ وَفَسَادُهُ مَا أَصْلَحَهُ
هَذَا جَوَابُ مَلِيحَتِي أَسْمَعْتَهُ ؟ مَا أَمْلَحَهُ

...

ذِكْرُكَ

ذَكَرْتُكَ فِي مَعْنَاكِ يَامِي طَالَمَا
 وَكُنْتُ أُجِيلُ الطَّرْفَ فِيكَ تَعْجِبًا
 وَفِي لَحَظَاتِ نَفْحُهَا ظِلٌّ سَارِيَا
 وَكَمْ دَمْعَةٍ دَارَيْتِ عَنِّي بِبِسْمَةِ
 فَلَمْ أَذِرْ سِرَّ الدَّمْعِ قَبْلَ افْتِرَاقِنَا
 فَيَا الْقُلُوبَ الْغَيْدِ خَلْفَ عُيُونِهَا
 لَقَدْ شَفَكَ السَّقَمُ الْخَفِيُّ فَنَوَّرَتْ
 لِي اللَّهُ لَيْتِي قَدْ رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا
 إِذَا لَتَحَدَّثْتَ النَّوَى بِالَّذِي رَأَتْ
 فَكَمْ رَاحِلٍ نَعْمَاوُهُ فِي مَقَامِهِ
 وَكَمْ حَالَةٍ يَرْجُو سِوَاهَا لِغَايَةٍ
 عَلَى بَطْرِ يَجْرِي الزَّمَانُ بِضِدِّهِ
 تَحَسَّنْتَ هَذَا الْبَيْنَ قَبْلَ اخْتِمَالِهِ
 مِنْ الْوَهْمِ خَطَّارًا بِغَيْرِ مَجَالِهِ
 مَسَارِ النَّسِيمِ الْعَذْبِ بَيْنَ ظِلَالِهِ
 تُضِيءُ كَبْدَرِ التَّمِّ عِنْدَ اكْتِمَالِهِ
 وَلَمْ أَذِرْ سِرَّ الْوَصْلِ قَبْلَ زَوَالِهِ
 عُيُونٌ وَيَا لِلْمُسْتَهَامِ وَحَالِهِ
 مَعَانِيكَ عَنْ حَالِ الْهَوَى وَمَالِهِ
 مَصِيرًا رَمَى أَخْشَاءَنَا بِنَصَالِهِ
 مِنْ الصَّبْرِ يَغْتَالُ النَّوَى بِنِبَالِهِ
 وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عِزُّهُ فِي ارْتِحَالِهِ
 يَشُدُّ لَهَا فِي سَبْحِهِ وَخِيَالِهِ
 وَيَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ رَغْمَ اغْتِلَالِهِ

وَعَاتَبَنِي الْعَتَبَ الرَّقِيقَ فَلَيْتَهُ
وَأَخْلَفُ لَمْ أَلْمَحْ سِوَى الدَّلِّ حَانِيَا
وَأَغْضَبَ اسْتَجْدِي الدَّلَالَ وَكَمْ جَنَى
فِيَامِي هَلَّا نَفْحَةٌ مِنْكَ غَضَّةُ
تَعَالَيْتِ عَنْ عَسْفِ الْحَيَاةِ قَصِيَّةُ
وَعَانَدْتُ فِيكَ الْقَلْبَ مِنْ أَجْلِ رَامَةٍ
وَأَنْكَرَنِي فِيهَا الْغَنَى لِأَنَّيَ
وَيَمَّمْتُ رَبَّ الدَّارِ أَبْغَى شُوَيْهَتِي
فَعَانَيْتُ مِنْ تَسْوِيفِهِ وَمَطَالِهِ
وَحَمَلَنِي مِنْ عَمِّهِ بَعْدَ خَالِهِ
فِيَامِي هَلْ بُشْرَى لَدَيْكَ مُطْلَعُ
فَإِنَّ مِلَاحَ الْكَوْنِ أَهْلُ سَمَاحَةِ
تَعَنَّفَ بِي فِي شَدِّهِ وَمِحَالِهِ
تَعُدْتُ لُقْيَا فَرَحَتِي مِنْ خِلَالِهِ
عَلَى عُنْفُوَانِ الْحُبِّ فَرَطُ دَلَالِهِ
لِمُعْتَرِبٍ فِي دَارِهِ بَيْنَ آلِهِ
لِمُرْتَبِعٍ ذُقْتَ الضَّنَى مِنْ حِيَالِهِ
وَسَلَعُ وَمَا بَيْنَ الْعُذِيبِ وَضَالِهِ
أَبِيَّ عَلَى عُجْبِ الْغَنَى وَمَالِهِ
أُعَالَجُ ضَرْعًا طَالَ فَوْقَ مَطَالِهِ
مَهَانَا وَمُسْتَجِدِّ كَرِيمِ نَوَالِهِ
مَذَلَّةَ عَمِّ حَاقِدٍ حَقْدَ خَالِهِ
فَأَحْلَى أَمَانِي الْحُبُّ فِي يُمْنِ قَالِهِ
وَإِنَّ جَمَالَ الْكَوْنِ أَضْلُ جَلَالِهِ

...

تقول

الإهداء إلى تلك التي سما بها الحب عهداً وترقرق وُداً وتبلور
دعاءً وتحقق وعداً أهدي هذه القصيدة إلى « مي »

تَقُولُ أَمَا شَاقَتَكَ مَنَى بَقِيَّةُ هِيَ النَّفْسُ وَالْقَلْبُ وَالْحُبُّ
هِيَ الْعَهْدُ أَبْقَى مَا يَلْدُ إِذَا لِنَطَوْتُ صَبَابَتُهُ وَاسْتَذَكَّرَ النَّشْوَةَ الصَّبُّ
فَائِزُ أَيَّامِ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَدَى مَسَاحِبِ أَذْيَالِ مَحَا رَسَمَهَا الدُّرْبُ
لَنَا فِي الْهُوَى الْغَالِي الْأُصُولِيَّ وَشَجُّهُ كَلُونَ الْأَصِيلِ الْحُلُو تَلْثُمُهُ السُّحْبُ
وَتَحْضِنُهُ الْأَضْوَاءُ غَرَقَى يَرُدُّهَا إِلَى اللَّيْلِ شَرْقُ فِي حَقِيقَتِهِ : غَرْبُ
فَقَلْتُ لَهَا « يَامِي » هَلْ يَذْبُلُ الْهُوَى وَهَلْ تَخْصِبُ الدُّنْيَا إِذَا عَافَاهَا الْجَذْبُ
وَعُمُرُ الْهُوَى فَوْقَ السِّنِينَ وَعَدُّهَا وَحَسْبُكَ رَمْزاً هَذِهِ الْأَنْجُمُ الشُّهُبُ
فَلَيْسَتْ سِنِينَ الْعُمُرِ غَيْرَ عَوَازِلِ تُنَافِسُنِي لَكِنَّ قَلْبِي هُوَ الْقَلْبُ
لَعَمْرُكَ أَنْتِ الرَّاحُ عَتَقَ رُوحَهَا زَمَانٌ قُصَّارَاهُ النَّيْمَةُ وَالشُّغْبُ
فَدَيْتُكَ لَوْلَا الْأُمْسِيَّاتُ لَمَّا حَلَا مَعَ الْفَجْرِ ذِيَاكَ الصَّبَا النَّاعِمِ الرُّطْبُ
وَأَعْنَفَ مَا قَدْ سَاءَ يَا « مِي » أَنْ أَرَى ظُنُونَكَ لَوْلَا أَنَّهَا الْبَارِقُ الْعَذْبُ
فَلَمْ أُنْسَ أَيَّامَ اللَّقَا بَيْنَ غَيْرَةٍ تَهْبُّ وَإِعْصَارٍ يُرْجِعُهُ الرِّيبُ
حَنَانِيكَ هَلَّا تَذْكُرِينَ سَوَانِحَا طَلَاتِئُهَا وَثُبُّ حَوَادِثِهَا وَكَبُّ

ليالي عاشَ البدرُ بينَ ظلالِها كان له مِنْ حَوْلِ وارقه صحب
 تُداعِبُنَا فيه ابتسامَةٌ ضارعٍ فيملؤنا من فرطِ بهجتِنَا الرعب
 ونسبح في اللَّآلِي أَمَا رحيقُها فشهد وأما العطر من حولها سكب
 نقول معاً يَا رَبُّ جاوزنا المدى إِلَى الشَّيْبِ حَتَّى لَا يطارِدَنَا الشَّيْب
 وَحَتَّى نَرَى الْأَحْوَالَ خَلْفَ ظُهُورِنَا فَأَخْشَى الَّذِي نَخْشَاهُ أَنْ يُزَحِمَ الصَّبُّ
 وَلَمْ نَقْضِ مِنْ صَفْوِ الْهُوَى وَنَعِيمِهِ لِبَانَةً سَرَبَ حَائِثٍ حَوْلَهُ الذُّئْبُ
 نَخَالِسُهُ الصَّفْوِ الْمُتَّاحِ كَأَنَّهُ مِنَ الْغَيْبِ أَقْدَارُ رَمَانَا بِهَا الْغَيْبُ
 تَطْوَحُنَا أَنْضَاءُ ذُلٍّ وَلَوْعَةٍ بَيْنَ مُشْتَدِّ دُونِهِ الْمَرْكَبُ الصَّعْبُ
 فَقَالَتْ أَنَحْنُ الْيَوْمَ نَحِيًّا مَعَانِيًّا سَوَالِفَ عَاشَتْ بَيْنَ أَعْطَافِنَا تَحْبُو
 أَجَلَ كُلَّنَا يَا مَيِّ ذَنْبٌ وَلَمْ نَزَلْ نَقُولُ بِسْرِ الْحُبِّ يَا رَبُّ يَا رَبُّ

• • •

ساعة

قَدِّمْتُهَا سَاعَةً حُبٌّ عَسَى أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْحَةَ مِيعَادَهَا
وَأَنْ أَعِيشَ الْعُمْرَ فِي عُمْرِهَا وَأَنْ تَرَى الْأَفْرَاحَ أَعْيَادَهَا
وَمَا أَرَى الْوَقْتَ مَهْمَا يَطُلُ مَا أَنْقَصَ الْأَقْمَارَ بَلْ زَادَهَا
وَأَنْنِي أَعْرِفُ مِيلَادَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْرِفَ مِيلَادَهَا
فَالرُّوحُ قَبْلَ الْجِسْمِ سَبَّاقَةٌ وَالشَّمْسُ لَا تَجْهَلُ عُبَادَهَا

صورة

وَتَزْهَوُ زُهُوَّ الصَّافِنَاتِ تَمَرَّدَتْ

عَلَى لُجْمٍ مَغْلُوكَةٍ فِي رِبَاطِهَا

تَشُدُّ إِلَى أَعْلَى السَّمَائِينَ أَتْلَعَا

وَتَسْحَبُ فِي الْجَوَازِ فَضْلَ رِبَاطِهَا

وَتَصْهَلُ لَوْلَا بُحَّةُ رَقٍّ عَزَمَهَا

خَشِبَتْ عَلَيْهَا حَشْرَجَاتٍ نِيَّاطِهَا

* * *

التفاحة

مَدَّتْ إِلَى الصَّدْرِ كَفًّا رِخْصَةً فَبَدَتْ تَفَاحَةً، عِطْرُهَا يَحْكِي تَرَائِبَهَا
 تَقُولُ قَدْ أَطْلَعَ الرُّمَانُ مَزْدَهْرًا تَفَاحَةً جَاوَرَتْ عِنْدِي حَبَائِبَهَا
 فَقُلْتُ حَسْبِي تَفَاحُ الْخُدُودِ جَنَى حُلُوءًا يَزُفُ مِنَ الدُّنْيَا أَطَائِبَهَا
 أَهْكَذَا صَنَعْتَ حَوَاءُ حِينَ غَزَتْ أَبَا الْخَلِيقَةِ تَسْتَعْدِي مَوَاهِبَهَا
 هَلْ دَاعَبْتَهُ عَلَى حُبٍّ وَمَوْجِدَةٍ أَمْ أَنَّهُ ذَاقَهَا قَبْلًا فَدَاعَبَهَا
 شُكْرًا لَأَدَمَ لِلتَّفَاحَةِ انْبَثَقَتْ رُمَانَةً لَمْ نَزَلْ نَحْيَا عَجَائِبَهَا
 كِلْتَاهُمَا أَنْتِ يَا حَوَاءُ فَاسْتَبَقِي غَرَائِبًا طَالَمَا عِشْنَا رَغَائِبَهَا
 وَلِلْمَى مِنْ سَمَاءِ الْكَوْنِ أَنْجَمَهُ فَأَنْتِ دُنْيَا تَخَيَّرْنَا كَوَاكِبَهَا
 فَمِنْ أَعَارِبِهَا نُغْلِي أَعَاجِمَهَا وَفِي أَعَاجِمِهَا نَهْوِي أَعَارِبَهَا
 تَكَامَلْتُ وَحْدَةً فِي الْحُسْنِ مُرْهِصَةً بِالْخُلْدِ تَطْمَعُ أَنْ تَلْقَى كَوَاعِبَهَا

هوى الجحيم

قَالَتْ إِلَيْكَ هَوَى الْجَحِيمِ فَطَالَمَا نَسَجَ الظَّلَالِ وَأَنْضَجَ الْإِلْهَامَا
 عَذَبُ اللَّهِيبِ كَانَ أَجَّ ضِرَامِهِ شُعْلُ صَنْعَنِ مِنَ اللَّطَى أَنْغَامَا
 وَمِنَ الْغِنَاءِ عَلَى شَجِيٍّ لُحُونِهِ أَسْمَى بَقَاءُ كَانَ قَبْلُ حُطَامَا
 عِزُّ الْحَيَاةِ مَشَاعِلُ فَإِذَا خَبَتْ أَبْقَتْ رَمَادًا تَرْجُمُوهُ . سَلَامَا
 وَهَنْ تَلَفَعَ فِي غَلَائِلِ سُنْدُسٍ شَفَافِهِ تَتَقَمَّصُ الْأَحْلَامَا
 يَا مَنْ هَوَى وَتَرَعَرَ فِي الْفَضَا بَادِي الضَّنَا يُدْكِ الْأَوَارَ . سَقَامَا
 حَتَّى كَانَتْكَ فِي الْجَوَانِحِ خَافِقُ أَلِفِ الْحَيَاةِ ضِرَاوَةٌ وَخِصَامَا
 قَدْ عِشْتَ تَعْتَقِدُ الظَّلَامَ إِذَا بَدَا صُبْحًا وَكَمْ نَسَجَ الضِّيَاءُ ظَلَامَا

يَا مَنْ وَهَبَ نَعِيمَهُ لِجَحِيمِهِ حُرْقًا مُعْتَقَةً تَفُوحُ ضِرَامًا
 بِهَوَاكِ أَعْلَيْتِ الْجَحِيمَ مَنَازِلًا وَنَثَرْتِ عِطْرًا حَوْلَهُ وَخُزَامِي
 وَحَبَبْتَ أَعْمَاقَ الْجَحِيمِ فَرَادِسًا طَابَتْ عَلَى صَحْوِ الْخُلُودِ مَقَامَا
 وَنَزَعْتَ عَنِ رَهَجِ الْحَرَامِ حَلَالَهُ وَعَنِ الْحَلَالِ الْمُسْتَرِيبِ حَرَامَا
 لَوْلَا اللَّطْفُ الْمَشْبُوبُ فِي وَهَجِ الضُّحَى مَا فَاقَ مَنْ قَطَعُوا الْحَيَاةَ نِيَامَا
 لَوْلَا الشُّعَاعُ الْعَبْقَرِيُّ وَوَمُضُهُ مَا رَفَّ بَرْقٌ وَاسْتَهْلَّ غَمَامَا
 وَلَمَّا شَدَى فَوْقَ الْأَرَاكِ مُرَوِّعٌ نَهَلَ الشَّدَى وَاسْتَوْقَفَ الْآرَامَا
 وَلَمَّا تَنَفَّسَتِ الْكُرُوبُ وَسَبَّلَتْ دَمْعًا أَحَالَ دَوَاءَهُنَّ أَوَامَا

* * *

يَا لِلْحَنِينِ إِذَا اسْتَطَالَ وَرَجَعَتْ أَصْدَاءُهُ مُهْجٌ نَضَجْنَ عُرَامَا
 يَا لِلشَّقَاءِ تَضَيَّقُ فِي لَهَوَاتِهِ نَفْسٌ تُمَزَّقُ لَوْعَةً وَهِيَامَا
 يَا لِلْجَفَاءِ رَحِيقُهُ شَفَةُ الدُّجَى يَرعى السُّهَى وَيُعَانِقُ الْأَوْهَامَا
 وَيَطُوفُ حَوْلَ الرُّوضِ يَنْشُقُ عِطْرَهُ لَا يَسْتَبِيحُ الزَّهَرَ وَالْأَكْمَامَا
 الْوَصْلُ فِي حِرْمَانِهِ وَالْقُرْبُ فِي أَشْجَانِهِ : أَفْقُ نَائٍ وَتَرَامِي
 يَامِي : زَلْزَلَنِي النَّهْيُ وَتَرَأَشَقْتُ نَظْرَاتِهِ صَوْبَ الْجَحِيمِ : لِمَامَا

فِي الدَّائِقِينَ لَظَىٰ جَهَنَّمَ فِي غَدٍ مِنْ كَافِرِينَ وَنَاكِثِينَ . ذِمَامَا

وَجَهَنَّمُ يَا « مِثْ » نَازَعَةُ الشَّوَى وَعَذَابُهَا كَانَ الْغَدَاةَ : غَرَامَا

فَعَلَامَ ؟ نَهْتَفُ لِلسَّعِيرِ وَنَحْتَفِي بِحَيَاةٍ مَنْ رَأَمُوا السَّعِيرَ : عَلَامَا

هَلْ كَانَ مَنْ حَلُّوا الْجَحِيمَ وَكُبِّكِبُوا فِيهِ جُفَاةً خَالَفُوا الْإِجْرَامَا

وَرَثُوا عَنِ الْحَجَرِ الْأَصَمِّ طِبَاعَهُ وَرَعَوْا ظَلَامَا . يَعِشُ الظُّلَامَا

فَعَدُّوا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي إِنْسَانِهِمْ وَتَجَاهَلُوا الْآمَالَ وَالْآلَامَا

أَمْ أَنَّهُمْ فَقَدُوا الْحَنَانَ وَسِرَّهُ وَالْحُبَّ فَارْتَكَسُوا : وَرَاءَ . أَمَامَا

فَسَعَتْ إِلَيْهِمْ فِي جَهَنَّمَ نَارُهَا لِتُهْدَبَ الْأَرْوَاحَ وَالْأَجْسَامَا

فَالْحُبُّ فِي عُمُقِ الْجَحِيمِ حَلَاوَةٌ تَحْكِي النَّعِيمَ الدَّافِيءَ الْبَسَامَا

مَا أَخْطَأَ الْفَانُونَ حِينَ تَلَمَّسُوا نَارًا تُبَاعَدُ عَنْهُمْ الْإِجْرَامَا

فَالرُّوحُ طَارَ بِهَا الْهَيْامُ فَحَلَّقَتْ كَالرَّيْحِ سَوْرَتُهَا . تَعَافُ لِحَامَا

وَالْحُبُّ بَيْنَ مَدَارِهِ وَمَسَارِهِ فَوْقَ الْحَيَاةِ جَلَالُهُ يَتَسَامَى

الْحُبُّ خَمْرُ الدَّائِقِينَ شُعَاعُهُ يَحْمِي النُّفُوسَ وَيُوصِلُ الْأَرْحَامَا

الْحُبُّ هَذِي الْعَالَمِينَ إِذَا اسْتَوَى أَلْغَى الْجَحِيمَ وَعَطَّلَ الْآثَامَا

الْحُبُّ إِيْمَانُ الْمَشَاعِرِ لَمْ تَكُنْ أَبَدًا نِيَالًا تُتَقَى وَسِهَامَا
أَعْلَى الْفِدَاءِ فَلَنْ تَجْفَ دِمَاوُهُ إِلَّا لِتَضْحِيَةٍ أَعَزُّ مَقَامَا
صُورٌ تَمَثَّلُهَا الْخَيَالُ مَشَاهِدَا وَهِيَ الْوُجُودُ أَصَالَةٌ وَتَمَامَا
الْكُونُ أَجْمَعُهُ رَضِيعُ لِبَانِهَا وَعَلَى الْمَدَى لَا يَسْتَطِيعُ فِطَامَا
فَهِيَ الْحَقَائِقُ جَوْهَرًا وَلَطَافَةٌ وَهِيَ الْحَيَاةُ بِدَايَةٌ وَخِتَامَا

...

طعنتان

طَعَنْتُ بِنَهْدَيْهَا الْعُبَابَ : فَخِلْتُهُ نِصْفًا وَنِصْفًا
وَتَكَسَّرَ الْمَوْجُ . . الْمُعْرِبُ ذَائِبًا أَمَلًا وَعَظْفًا
وَتَنَدَّتِ الْأَزْهَارُ مِنْ حَجَلٍ تَمُدُّ يَدًا وَكَفًّا
وَتَأَلَّقَتْ فِي الضَّفَّتَيْنِ فَأَخْدَتِ فِي الْيَمِّ رَجْفًا
وَتَبَسَّمَتْ فَانْهَلَّ مِنْهُ غَمَامَةٌ سَحَاءٌ وَطَفَا
وَبَدَا الْهِلَالُ التَّمُّ يَسْأَلُ أَيْنَ أَلْقَاهَا وَكَيْفَا
وَتَنَهَّدَتْ لَهْفَى تُعَانِقُ أَنْجَمًا رَعْنَاءَ لَهْفَى
يَا لَلْمَهَالُوْ أَنَّهُمَا كَالْحُورِ عَاشَتْ حُسْنَهَا فِي الْخُلْدِ عَفَا
مَشْبُوبَةَ الْجَمْرَاتِ ضَمَّتْ أَهْيَفًا عَجَبًا وَهَيْفًا
وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَ الْخَمَائِلِ عَابِقًا نَشْرًا وَلَفَا
بَيْضَاءَ تَهْتِفُ لِلْمُنَى الْمَسْكُوبِ عَسَجْدُهُ الْمُصَفَّى
أَعْطَاهَا الدِّيْبَاجُ تَقَطَّرُ بِهِجَةً وَتَسِيلُ لُطْفًا

فِي رَفْرِفٍ خَضِرٍ حِسَانٍ تَقْطِفُ الْأَمَالَ قَطْفًا
سَكْرَى بِأَنْغَامِ الرَّبِيعِ كَأَنَّمَا أَغْفَتَ وَأَغْفَى ...
رَبًّا : مِنَ الْبَسَمَاتِ تَعْتَصِرُ الْغَمَامَ هَوًى وَعَظْفًا
وَتَجُولُ فِي وَرْدِيَّةٍ حَمْرَاءَ تَحْسِبُهَا مَعَ الْأَحْلَامِ طَيْفًا
لَيْتَ الْغَوَانِي فِي السَّدِيفِ هَتْفَنَ لِلْفَرْدَوْسِ هَتْفًا
وَحَطَرْنَ كَاللَّمَحَاتِ كَالنَّعَمِ الشَّجِيِّ صَدْيٍ وَعَزْفًا
وَسَبَّخْنَ كَالْإِلَهَامِ يَخْتَضِنُ الرُّؤْيَى صَفًّا فَصْفًا ...
وَمَشَى بِهِنَّ الْهَيْدَبَى عُمُرٌ وَقَاهُ اللَّهُ حَتْفًا
لَا رَنْقَ : لَا سَأْمًا يُمِلُّ وَلَا مُحَاذَرَةً وَخَرْفًا
تِلْكَ الْأَمَانِي الصَّافِنَاتِ جَلَوْتُهَا لِلْغَيْدِ وَصَفَّا

* * *

أوبرا رائعة

مقدمة :

هذه القصة من واقع الحياة فى تاريخ أدبنا العربى الصميم يسرنى أن أهديها لوزارة الأعلام تحية للتلفزيون العربى السعودى متمنياً أن ينهض مسرحه الناشئ بأمثال هذه التمثيليات النابضة العتيقة من تراثنا العربى العتيق ومجدنا الأدبى الشامخ المجيد فليس فى التمثيليات الغربية المترجمة ما يستطيع أن يقف فى السفح من هذه القمم الخالدة وليس لى من فضل إلا نظم هذه القصة كما قرأتها مروية عن كتاب مصارع العشاق صفحة ٢٤٩ وهكذا النظم منسوخا مُتصرفاً فيه بعض الشيء .

الناظم

هذا الجَجِيمُ العبقريُّ سَطَا كما يَسْطُو القَدْر
ومَشَى على رَجْعِ الزَّفِيرِ يَسُوقُهُ لِلْمُنْحَدَرِ
مُتَحَدِّياً بِهَوَاهِ عَادَاتِ الْبَدَاوَةِ فِي الْحَذَرِ
والْحُبُّ غَلَابٌ يَدُوسُ الصَّعْبَ يَهْزَأُ بِالْخَطَرِ
يَلْقَى الْأَسِنَّةَ وَالْحِرَابَ كَأَنَّمَا يَلْقَى الْمَطَرِ

* * *

هُوَ : لَمْ يَلْقَ بُدًّا مِنْ تَلْمَسٍ قُرْبَهَا عِنْدَ السَّحَرِ

فِي خِجْدِهَا فِي نَوْمِهَا مَا بَيْنَ أَخَوَتِهَا الْآخَرِ

هِيَ : فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْعَيْنَ فَاِنْهَلَعَتْ وَصَاحَتْ فِي خَفَرِ

وَيْكَ : انصَرِفْ أَوْ رُحْتُ أَوْقِظْهُمْ فَتَمْسِي فِي الْحُفَرِ

هُوَ : فَيَقُولُ أَقْسِمُ لِلْمَحَاتِّ أَحَبُّ مِنْ وَخْزِ الْإِبَرِ

فَلْتُعْطِنِي الْكَفَّ الْهَنِيَّ أَضْمُهَا ضَمَّ الثَّمَرِ

هِيَ : وَيَجُرُّ ثَانِيَهُ هَوَاهُ إِلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ

هُوَ : لَيَقُولُ هَلْ مِنْ لَحْظَةٍ أَحْيَا بِهَا أَحْلَى الْعُمَرِ

أَدِرِ الرَّحِيقَ وَلَنْ تَرِي لِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَثَرِ

هِيَ : وَإِذَا بِهِ قَدْ حَلَّ نَارًا فِي حَشَاهَا تَسْتَعِرِ

الْحَي : وَإِذَا بِأَهْلِ الْحَيِّ قَدْ رَامُوهُ شَرًّا مُسْتَطَرِ

وَتَوَعَّدُوهُ فَلَمْ تُطِقْ صَبْرًا وَأَعْطَتْهُ الْخَبَرَ

وَتَأَهَّبُوا لِلْفِتْكَ فِي لَبْلَاءِ تَقْذِفُ بِالْشَرِّ

هُوَ : وَتَأَهَّبَ الصَّبُّ الْمُغَامِرُ وَهُوَ ذُو كَرٍّ وَقَرِ

مُتَوَشِّحًا قَوْسًا وَأَسْهُمَهُ ظِمَاءً تَنْتَظِرُ

فِي مَكْمَنٍ مِنْ حَيْثُهَا وَالْحَيُّ يَقْدَحُ بِالشَّرِّ

منظر : لَكِنَّ أَمْرًا مِنْ وَرَاءِ الْعَقْلِ دَبَّرَهُ الْقَدَرُ

بَرَقَ وَسَارِيَةً تَبَّتْ بِمَاءِ مُزْنٍ مِنْهُمْ

طَرَبَتْ رُبُوعُ الْحَيِّ فَرَحَى بِالرَّبِيعِ الْمُزْدَهَرِ

فَلَهُوا عَنِ اللَّيْلِ الْمَحْرَمِ فِي الظَّلَامِ الْمُعْتَكِرِ

وَنَسُوا ، وَعِيدًا أَرْسَلُوهُ فَفَاتَهُمْ دَرَكُ الْوَطْرِ

وَمَضَى الدَّجَى إِلَّا الْأَقْلَ فَوْصُوصَتْ تِلْكَ الدَّرَرِ

وَتَقَشَّعَتْ قِطْعُ السَّحَابِ عَنِ الضُّبَاءِ الْمُنْتَشِرِ

مى : فَتَنَّهُدَتْ تِلْكَ الْحِصَانُ تَشَوْقُهَا نَجْوَى السَّمَرِ

وَتَذَكَّرَتْ مَنْ حَامٍ أَلَا تَدْرِيه أَوْرَدَ أَوْ صَدَرَ

وَتَخَطَّرَتْ تَمْشِي الْهُوَيْنَا لِلِّقَاءِ الْمُتَنْظَرِ

نَشَرَتْ غَدَائِرَهَا فَصَاحَ الْعِطْرُ وَانْتَفَضَ الزَّهَرُ

هو : وَيَطِيرُ لُبُّ الرَّاصِدِ الْوَلَهَانِ يَحْسِبُهَا « الْغَيْرِ »

وَيُسَدُّ السَّهْمَ الْعُقُورَ لِمُهْجَةِ الصُّبْحِ الْأَغَرِ

لِهَوَاهِ لِلْأَمَلِ الْحَبِيبِ لِخَافِقٍ لَمْ يَسْتَقِرْ

هـ : وَتَخِرُّ صَرْعَى لِلْيَدِينِ يَلْفُهَا أَلَقُ سَفَرِ

وَتَضَرَّجَتْ بِدَمٍ فَنَاحَ الشُّدُوْ وَانْتَحَبَ الْوَتَرُ

وَجَرَى الْعَقِيْقُ إِلَى الْعَقِيْقِ وَجَفَّ فِي الْعَيْنِ الْحَوْرُ

فَتَكَسَّرَ الدَّمْعُ الْحَزِينُ وَنُورُ مُهْجَتِهِ انْكَسَرَ

وَعَوَى الصَّدَى وَسَرَى الدُّجَى بِحَنِينِ قَلْبٍ مَنْفَطِرِ

هو « ١ » : نَعَبَ الْغُرَابُ بِمَا كَرِهْتُ وَلَا أَزَلُّهُ الْقَدَرُ

تَبْكِي وَأَنْتَ قَتَلْتَهَا فَاصْبِرْ وَإِلَّا فَاثْتَحِرْ

وَأَجَالَ فِيهِ نَصَالَهُ مِثْلَ الْمَدْيِ تَبْرَى الظَّهْرُ

الحى : وَأَتَى الْعُدَاةُ فَأَبْصَرُوا الْإِعْجَازَ فِي لَمَحِ الْبَصْرِ

شَمْسٌ أَفَاضَتْ لِلْغُرُوبِ وَحَوْلَهَا أَغْفَى الْقَمَرُ

لَفُوهُمَا فِي هَالَةٍ سَطَعَتْ لِأَمْرٍ قَدْ قُدِرَ

العاشقان : فَاقَا عَلَى عُمُقِ الْحَيَاةِ تَضِجُ فِي بَطْنِ الْحُفْرِ

الحى : وَدَرَى الْجَفَاةُ بِأَنَّ سِرَّ الْحُبِّ مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ

...

هِيَ قِصَّةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ غَابِرٍ لَمْ يَنْدِرِ
مِنْ وَاقِعٍ جَمَّ الرُّوَاعِ قَدْ شَأَتْ أَعْلَى الصُّورِ
لَوْ مُثِّلَتْ لَسَمَتْ عَلَى كُلِّ التَّرَاجُمِ وَالسُّيَرِ
«أَوْبَرًا» تَفُوقُ مُتَرَجِمَاتِ الْغَرْبِ إِلَّا مَا نَدَرَ
يَا لَيْتَهَا لِلْمَسْرُوحِ الْعَرَبِيِّ فَاتِحَةُ السُّورِ

• • •

(١) البيتان من نظم العاشق صاحب القصة

قطوف والوان

ورشفة من لهيب الوجد تُشبهه كأنها الوجد أخذًا وعطاء
 فإن جهنم حاكته لظى وجوى فقد أخذنا عليه : سرًا أو ساء
 قالوا هي الداء أعيا الطب لا حذر يقي الهيامي ولو كانوا أطباء
 وإنها السحر لا تبدي بواطنه إلا ملايح تحكي الومض إيماء
 فقلت كم من دواء قد طوى عللاً والداء إن رضىته : لم تُلغ داء

* * *

جامعى يتوسل

وجاء يُثقله عبء ينوء به من صحن جامعة غناء لغاء
 وفيه ما فيه همس لا يكفكه إلا أسى لف في عطفه أشياء
 تلقفته رؤوم في جوانحها أمال راجية كالطيف « حناء »
 فقال يا أم هيا أسرعى قدماً صوب التي حذقت أسرار حواء

واستعبرت : أهوى ما زلت تعلقه
 ونحن خلفك فى عشواء لخباء
 نغص بالماء نستحلى غصاصته
 وكم أسفنا على رجواك : لأواء
 فكيف نعتاض عن علياء باسمه
 ببارق اللهو فى أعطاف غيداء
 أهكذا أنت تقضى العمر فى عبث
 أهكذا أنت رواحاً وغداء
 وهب يصرخ يا أماه ما دريت
 بالحُب نفسى فىمن راح أو جاء
 ولم يداعب جفونى قط فى حلم
 فالحُب كالموت يعتام الأعزاء
 لكن تلك التى قد رحت أسبقها
 فإنها حرم «الدكتور» فى يدها
 يا أم لو أنت قد أبصرت موقفه
 فى المدرج الرخب مثل اللبث عداء
 وكالخصم على أمواجه ثبج
 يغري بجوهره المكنون إغراء
 لكنه مثل أهل الله تنقله
 فإن تبسم قلنا الله شاء لنا
 حال : لحال وضراء : لسراء
 والسرى فى اللحظة الأولى لمقدمه
 خيراً وإلا فإن الله ما شاء
 فىخمي دارها ليلاً فإن غداً
 فإن مطرنا : بنوء : كان جوزاء
 تلطفى معها فى القول وابتدري
 ميعادنا معه لورق أنداء
 لها الرجاء فما قارفت نكراء

ما نَبْتَغِي أَبَدًا مِنْهَا وَسَاطَتَهَا ولا شَفَاعَتَهَا حَتَّى وَلَوْ رَأَى
 وَكُلُّ مَا نَرْتَجِيهِ أَنْ تَكُونَ بِهِ رَفِيقَةً لِيَرَى الْأَشْيَاءَ أَشْيَاءَ
 وَأَنْ يُغَادِرَ بَيْتَ الْعِزِّ مُؤْتَلِفًا فِي طَلْعَةِ الرُّضَا وَالْأَنْسِ قَمَرَاءَ
 فَأَيُّ عَكْنَةٍ فِي الْبَيْتِ تُزْعِجُهُ تَذِيقُنَا لَيْلَةً تَعَسَاءَ غَمَاءَ
 وَيَا لَهَا سَاعَةً لِلْبَخْسِ لَوْ صَحِبَتْ تَمْزِيقَ أَرْوَاحِنَا: أَشْلَاءَ : أَشْلَاءَ
 وَإِنَّ أَرْوَاحَنَا الْأَوْرَاقَ فِي يَدِهَا وَإِنَّ تَصْصِحِحَهَا: تَجْرِيْعُنَا: الدَّاءَ
 وَاسْتَضْحَكْتَ أُمَّهُ وَاسْتَذَكَّرْتَ نِقْمًا جَرَى بِهَا الشُّؤْمُ أَخْبَارًا وَأَنْبَاءَ
 وَلَفَعَتْ نَفْسَهَا تَلْفِيعَةً عَجَبًا وَاسْتَجْمَعَتْ وَهْنَهَا: تَنْجَرُ: إِعْيَاءَ

قاضية

شَاهَدْتُهَا فَوْقَ كُرْسِيِّ الْحُكْمِ وَاجِمَةً فَأَلْمَحُ الْقُرْطَ كَالْغِيرَانِ شَكَاءَ
 قُولِي: أَذْنِي كَمْ: حَمَلْتُهَا رَهَقًا كَانَتْ لَهُمْسِ الْهَوَى يَنْسَابُ: دَعَاءَ
 قُولِي لَهُ يَنْسَحِبُ عَنْ مَوْطِنٍ فَلِقَ إِلَّا عَلَى الْقُرْطِ إِشْرَاقًا وَلَا لَاءَ
 وَاسْتَضْحَكَ الْقَلْبُ مِنْ أَعْمَاقِهِ وَبَكَى عَلَى النَّهْيِ خَافِقٌ مَا زَالَ بَكَاءَ
 فَشِمْتُ «أَنْثَى» اسْتَرَاخَتْ فِي أَنْوْثَتِهَا تُطَارِدُ الْوَهْمَ هَدَامًا وَبَنَاءَ
 وَلَوْحَتْ بِالْيَرَاعِ الْحُلُوِّ مُنْسَرِحًا عَلَى الْمَشَاعِرِ إِرْوَاءً وَإِظْمَاءَ
 نَقُولُ حَسْبِيَ آفَاقًا أَصُولُ بِهَا عَلَى الْعَوَاطِفِ إِقْصَاءَ وَإِدْنَاءَ
 وَحَسْبِيَ الْمَجْدُ فِي حُسْنِ أَدِيرُ بِهِ أَعْتَى الرُّؤُوسِ وَأُمْلِي الْحُكْمَ أَمْلَاءَ

العائدة

قَالَتْ إِلَيْكَ فَإِنِّي ظَنَّمَايَ لِأَيَّامِي لَدَيْكَ
أَيَّامَ تَبَسُّمٍ لِي الْحَيَاةُ فَأَسْتَرِيحُ رِضًا إِلَيْكَ
وَأَعْبُدُ مِنْ أَلْقَى تَهَلَّلَ بِاسْمَا فِي نَظِيرِكَ
أَنْسَى الْعَذَابَ بِلَحْظَةٍ فِيهَا أَوْسَدُ سَاعِدَيْكَ
وَمَوَى الْحَنَانَ أَحْسَهُ أَمَلًا تَرَفَّقَ فِي يَدَيْكَ
وَأَلَذَّهُ وَهُمْ الدَّلَالِ بَأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكَ

* * *

وَأَحِبُّ أَمْرَكَ إِذْ أَثُورُ وَأَنْتَ تَحْلُمُ رَاضِيَا
فَتَهَزُّ فِي بِمَا تُكِنُّ مِنَ الْوِدَادِ وَدَادِيَا
لِتَقُولَ إِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ وَمَا خُلِقْتَ مَأْسِيَا
وَتَغْضُ طَرْفَكَ حَانِيَا وَتَرُدُّ دَمْعَكَ بَاكِيًا
وَالْيَوْمَ شَطَطٌ بِكَ الْمَزَارُ فَضَاقَ بَعْدَكَ حَالِيَا

عَلِمْتُ أَنِّي لَنْ أَرَى فِي الْأُفُقِ نَجْمًا صَاحِبًا
أَقُولُ عُنْدَ بِي لِلْحَيَاةِ فَمَا عَهْدُكَ قَاسِيَا
حَتَّى جَفَاكَ فَإِنَّهُ أَضْحَى لَدَيَّ أَمَانِيَا

* * *

فَأَجَبْتُهَا كَالْأَمْسِ وَاهِمَةً ؟ فُعُودِي ثَانِيَا
بِأَيْبِكَ بِالْحُبِّ الْعَظِيمِ تَرْفَّقِي بِحَيَاتِيَا

...

المتشائمة

قَالَتْ غَرِيبٌ أَنْ أَرَاكَ الْيَوْمَ تَسْبِقُ مَوْعِدَكَ
مُتَحَفِّفًا مِنْ كُلِّ قَيْدٍ « بِالْمَوَاجِبِ » قِيَّيدَكَ
مَاذَا ؟ أَمْسَكَ مِنْ دَيِّبِ الشَّكِّ سَهْمٌ أَقْصَدَكَ
أَمْ طَافَ حَوْلَكَ طَائِفٌ لِلْبَيْنِ هَاجَ تَوَجُّدَكَ
إِنْ غَالَ يَوْمَكَ طَارِقٌ فَاسْتَبَقِ لِلنُّعْمَى غَدَكَ
هِيَ زَوْرَةٌ غَاظَتْ عِدَايَ وَلَمْ تُوفِّرْ : حُسَّادَكَ

* * *

وَمَضَتْ لِحُجْرَتِهَا وَغَابَتْ فَاسْتَظَلَعَتْ غِيَابَهَا
وَعَجِبْتُ هَلْ لِلْعِطْرِ رَاحَةٌ . كَيْفَ أَطْرُقُ بَابَهَا
قَدْ كُنْتُ إِنْ مَرَّتْ دَقَائِقُ اسْتَحِثُّ إِيَابَهَا
فَتَعَوَّدُ بِالْأَرْجِ الَّذِي فَاقَتْ بِهِ أَتْرَابَهَا

عِطْرُ تَدِلْ بِهِ إِذَا خَطَرْتُ تُغَيِّرُ صَحَابَهَا
نَضَحَتْ بِهِ أَلَقَ الشَّبَابِ مَلَامِحًا وَمَشَابَهَا
لَمْ تَذَرِ أَنْ شَذَى الرَّبِيعِ عَلَى الْخَمِيلِ وَشَى بِهَا

* * *

وَسَمِعْتُ عَنْ كُتُبِ أَنْيْنَا شَفَّ عَنْهُ نَحِيبُهَا
وَدَلِفْتُ أَسْتَوْحِي النَّحِيبَ طَغَى عَلَيْهِ وَجِيبُهَا
فَلَمَحْتُهَا سَكْرَى تَوَرَّدَ فِي الْخُدُودِ لَهَيْبُهَا
وَعِمَامَةٌ وَطَفَاءُ نَضَرَ حُسْنَهَا : شُؤْبُوبُهَا

* * *

وَسَهَرْتُ أَسْتَجِدِّي الْمَلِيحَةَ سِرًّا وَسِرَّارَهَا
وَسَأَلْتُ لَيْتِي مَا سَأَلْتُ وَمَا ابْتَدَرْتُ بِدَارَهَا
فَكَأَنَّيَ بِيَدِي أَمَطْتُ لِثَامَهَا وَخِمَارَهَا
وَأَخَذْتُ أُلْحَفُ بِالسُّوَالِ فَهَيَّجَ اسْتِعْبَارَهَا
وَتَصَبَّبَتْ عَرْقًا فَرَقَرَقَ كَالْأَصِيلِ نُضَارَهَا
وَتَمَاوَجَّتْ فِي الشَّعْرِ خَصَلَاتُ تَحُلُّ ضِفَارَهَا

وَتَرَجَعْتُ حَيْرِي تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَخْبَارَهَا

* * *

وَتَصِيحُ عِطْرِي قُلْتُ مَا لِلْعِطْرِ أَنْتِ عَيْبِرُهُ
وَنَاوَهْتُ أَنَّى . . . فَقَدْتُ الْعِطْرَ : عَزَّ نَظِيرُهُ
كُنْتُ الضَّيْنِ بِهِ فَلَسْتُ لِمَنْ يَكُونُ أُعِيرُهُ
وَرَكُضْتُ أَغْبِقُ كَيْ يَطِيبَ شَذِي اللَّقَاءِ وَنَوْرُهُ
(١) وَقَارُورَتِي الْخَضْرَاءُ سِرُّ وَدَادِنَا وَصَمِيرُهُ
وَقَعْتُ فَطَارَ . . . الْعِطْرُ طَارَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ
هِيَ مِثْلُ نَفْسِي إِنَّهَا ذِكْرِي الْهَوَى وَشُعُورُهُ
هِيَ أَنْتَ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ : خَفِيَّةٌ وَأَثِيرُهُ
أَصْفَى مِنَ الرَّاحِ الْمُصَفَّى عَذْبُهُ وَنَمِيرُهُ
خَمْرٌ يَمُوجُ بِعِطْرِهِ كَأْسٌ عَلَيْكَ أَدِيرُهُ
أَفَلَا أَخَافُ ؟ أَلَا يَحِقُّ لِي الْأَسَى وَزَفِيرُهُ
وَالْوَهْمُ مِنْ شِيمِ الْمُحِبِّ إِذَا جَفَاهُ سُرُورُهُ

* * *

(١) الواو هنا زائدة تكسر وزن البيت : فالواجب كما أرى حذفها (المحقق)

فَأَجَبْتُ أَنْتِ الْعِطْرُ أَنْتِ شَذَاهِ بَلْ إِكْسِيرُهُ
أَنْتِ الْوَفَاءُ جَمَالُهُ وَسَنَاوُهُ وَحُبُّورُهُ
أَنْتِ الرَّجَاءُ تَشَعُّعْتُ آفَاقُهُ وَبُذُورُهُ
بِهَوَاكِ مَا أَهْرَقْتُ مِنْ عِطْرِ فَدَنَّاكَ بُحُورُهُ
قَدْ جِئْتُ بِالْمَثَلِ الْكَرِيمِ يَرُوعُنَا تَصْوِيرُهُ
وَجَلَوْتُ حَوَاءً الزَّمَانُ يُجِيرُهَا وَتُجِيرُهُ
وَبَدَوْتُ عُتْوَانَ الْكِتَابِ جَنَّتْ عَلَيْهِ سَطُورُهُ
وَطَلَعْتُ كَالْأَمَلِ النَّضِيرِ فَمَا يَجِفُ نَضِيرُهُ
وَشَدَّتْ بِحُسْنِكَ إِذْ تُغَرَّدُ فِي الْخَيْلِ طُيُورُهُ
وَحَكَكَكَ فِي الْأَلْقِ النَّدِيِّ دِمَقْسُهُ وَحَرِيرُهُ

* * *

فَدَعَى التَّشَاوُمَ جَانِبًا فَالْيُمْنُ أَنْتِ بَشِيرُهُ
حَوَاءُ إِنَّ عَبَقْتَ بِعِطْرِكَ : فَالْخُلُودُ مَصِيرُهُ
فَالْحُسْنُ أَنْتِ كِبَانُهُ وَلِيَاذُهُ وَمَصِيرُهُ

قَالُوا الْغُرُورُ الْأَنْثَوِيُّ أَجَبْتُ بَلْ وَغُرُورُهُ
لَوْ كَانَ يُعْطِيهَا الَّذِي تَرْجُوهُ دَامَ حُبُّورُهُ
وَلَطَابَ فِي كَنْفٍ . . . الْحَيَاةِ رَوَاحُهُ وَبُكُورُهُ
وَالْحُبُّ يُعْطَى الْقَلْبَ خَفَقًا : مَا أَذْبَعَ كُفُورُهُ
يَجْفُو الْحَيَاةَ عَلَى الْمَدَى مَنْ لَمْ يُطِقْهُ : عَشِيرُهُ

...

صورة

يا أَجْمَلَ الْغَيْدِ حُلَّةُ وَأَحْسَنَ الْبَيْضِ « لِمَهُ »
 كَالْفَيْءِ حَرَّكَ ظِلُّهُ فِي الْأَثَلِ نَجْمٍ وَنَجْمِهِ
 قَدْ حَامَ يُطْفِئُ غُلُّهُ مِنْ الشُّعَاعِ بَلْثَمِهِ
 فَهَابَهُ وَأَجَلَّهُ وَبِالذَّرَاعَيْنِ ضَمُّهُ

مَنْ الشِّفَا ؟ قَالَ « يَا لَهُ » فِي بُحَّةٍ ذَاتِ نَعْمَةٍ
 مَا شُفْتُ : فِي الْحَيِّ مِثْلَهُ كَطَبِيبَةٍ عِنْدَ قِمَّةِ
 كَالزَّمَرِ يَرْشُفُ طَلَّهُ كَالْبَدْرِ شَارِفِ تَمِّهِ

سَاءَلْتُ مَنْ رَامَ وَضَلَّهُ قَالُوا نَصِيبُ وَقِسْمَةٍ
 مَا ضَرَّ لَوْ حَامَ حَوْلَهُ رَاعِي وَفَاءٍ وَذِمَّةِ
 فَخَفَّ يُسْنِدُ رِجْلَهُ شَيْخُ لَهُ نِصْفُ عِمَّةِ

وَجَرُّ سَيْفًا وَسَلُّهُ فَكِدْتُ أَشْرَبُ دَمَهُ ..
 وَالرَّيْمُ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ يَرْعَى الْخُزَامَى وَأُمَهُ
 وَصَاحَ ابْنُ الشَّيْخِ خَلَهُ « فَتَى » حَوَايَا « وَنَجْمَهُ »^(١)
 وَسَلُّ أَهْلِي وَأَهْلَهُ فَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ حُرْمَةٌ
 أَتَى مِنَ الْأَمْرِ حِلَّهُ عَمَّى تَلَاقَى وَعَمَّهُ
 وَالْمَثَلُ يَخْطُبُ مِثْلَهُ وَنَوَّرَتْ مِنْهُ بَسْمَهُ
 فَصَحْتُ ذَا الْحَيْنِ : أَحَلَّى قَالَتْ مِنَ الْغَدِ . ثَمَّةُ

(١) أسماء أمكنة بالطائف وضواحيها

كفكف دموعك

هَبْنِي الحَيَاةَ وَخُذْهَا أَحْسُ فِيهَا حَيَاتَكَ
وَتَلَمَسُ الرُّوحَ مَعْنَى يَغِيظُ مِنْكَ عُذَاتَكَ
فَطَالَمَا لَوْعُونِي بِأَنَّ حُبَّكَ وَهُمْ
وَلَيْسَ رَوْحًا لِرَوْح

...

فَاهْزُزْ عَلَيْهِمْ قَنَاتَكَ وَكُنْ صَلِيبًا عَنِيدًا
وَلَا تَبُثْ شَكَاتَكَ لِمَنْ يَرَى الْخُلْفَ عِيدًا
هَبِ الْأَعَادِي رَوَانِكَ فَالْحُبُّ عَذْلٌ وَلَوْمْ
فَلَدَتْكَ نَفْسِي وَرُوحِي

...

دَعُهُمْ وَكَفِّفِ دُمُوعَكَ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَحِجِّي
فَأَنْتَ أَغْلَى حَيِّبٍ وَأَنْتَ تَوَامُ نَفْسِي ...

...

سَعَادَتِي فِي هَنَائِكَ وَالظُّلْمُ شَهْدٌ وَظُلْمٌ
يَا بَلَسْمًا لِحُجْرِي

...

الْحُبُّ أَغْلَى الْفِدَاءِ وَالْحُبُّ أَسْمَى الْعَطَاءِ
فِي نَظَرَةٍ كَالرَّجَاءِ فِي فَرْحَةٍ بِاللِّقَاءِ
السُّقْمُ فِيهِ دَوَاءٌ
وَالْبُرَّةُ عِنْدِي سُقْمٌ
صَحِيحَةٌ كَالْجَرِيحِ

وَكَمْ سَعِدْتُ بِبُعْدٍ وَكَمْ شَقِيتُ بِقُرْبٍ
إِنِّي كَظَّلِكَ وَهُمْ فَالْصَّخُورُ فِي الْحُبِّ غَيْمٌ

...

رَشَحِ العَنَاقِيدَ

نُورُكَ الْعَذْبُ كَالْهُدَى الْمُطْمَئِنِّ سِحْرِيَّ الْأَنْدَاءِ حُلُوِّ أَغْنُ
تَنْحَرَاهُ فِي السَّحَابِ آهَاتُ حَيَارِي فَتَسْتَهْل بِمُزْنٍ
وَيَرْشُ الضُّحَى عَلَى الْأَلْقِ الصَّاحِي عَقِيقًا مُطَرِّزًا بِلُجَيْنِ
فِي التَّسَابِيحِ فِي الْأَمَانِ . . . السَّخِيَّاتِ دَوَانِي الْقُطُوفِ لِلْمُتَمَنَّى
يَا بِلَادِي وَانْتِ رَشَحُ ... الْعَنَاقِيدِ وَنَفْحُ الشَّدَى وَقُرَّةُ عَيْنِ
شَعَشَعِ الْخُلْدُ فِي صَبَاحِ التَّرَانِيمِ فَعَادَتْ رَبَاكِ جَنَّاتِ عَدْنٍ
فَالصَّحَارِي الْبَيْضَاءُ فِيكَ ابْتِهَالِ . . سُنْدُسِيَّ كَأَنَّهُ نَسْجُ لَحْنِ
وَالْيَوَاقِيتُ فِي فَمِ الْفَجْرِ تَنْسَابُ أَنْسَامُهَا كَأَنَّهَا ظِلُّ جِفْنِ
وَالْمَعَانِي بِرُقْصَةِ الْأَمَلِ الْبَاسِمِ فِي مَوْكِبِ الْحَيَاةِ تُغْنِي
يَا سَقَا اللَّهَ فِي رِحَابِ الْقَدَاسَاتِ طُيُوفًا مِنَ الْهَوَى الْمُسْتَكِنِ
يَا رَعَى اللَّهَ فِي الدَّمُوعِ الْكَرِيمَاتِ مَصَابِيحَ مِنْ جَمَالٍ وَفَنَّ
وَادِيًا أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ النُّبُوتُ فَكَانَتْ أَبْهَى غَلَائِلِ حُسْنِ
فَإِذَا لَاحَ فِي الرُّؤْيِ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ فَقَدْ عَاشَ فِي ظِلَالٍ وَأَمْنٍ
وَطَنِي إِنَّهَا الْقُلُوبُ حَوَالِيكَ فَدَعْنِي أَقْبِلِ الْأَرْضَ دَعْنِي
إِنَّ فِي هَالَةِ الْجَلَالِ جَمَالًا أَنَا أَخْشَى عَلَيْهِ وَهْمِي وَظَنِّي

...

قلب الحبيب

جاءته يُثقلها همُّ تنوءٍ به
 العيُّ يُلجمها والرعبُ يُفزعها
 قالت لك العذُرُ آثامى لقد سبقت
 ولستُ تلك التي قد كنت تحسبها
 فأرسل القلبُ فى لآلئ أدمعه
 كأنَّ إشفاقها تغويذة حصبت
 قلت أنتِ التى أسعى لرويتها
 ظننتُ سواً بنفسينا وما اعتلجت
 فوق المساجب معنى لا تمثله
 والوهمُ مذ كان قتالاً وأيسره
 والحبُّ أضونه أشقاه ششنة
 والحسنُ لم يجن لكنَّ الجناة على
 حيرى تُمزقها أطياؤها السود
 والصومُ يبرقُ فى أحشائه العيد
 إليك طارت بها الآفاق والبيد
 من الملائك ترعى ظلها الغيد
 وفى شكاة الهوى بالحبِّ تضميد
 بها العواذل لا عادوا ولا عودوا
 وأنتِ فى نسماتِ الفجرِ تغريد
 فيك الخواطرُ إلا وهى تنهيد
 إلا سجاياك تحكيها العناقيد
 وهن تحرّاه شيطانٌ وعريبد
 قبلى وقبلك عاناها المعاميد
 طولِ الطريق هُموا أطياؤه السود

قَدْ يَجِبُنُ الْحُسْنَ يَا لَيْلَى عَلَى ثِقَةٍ إِذَا تَرَنَّحَ فِي الْمِضْمَارِ رَغِيدُ
 وَذَلِكَ شَأْنُكَ مَا أَسْمَاهُ فَاصْطَبِرِي الذَّنْبُ يُطْرَدُ لَكِنْ يُكْرَمُ الصَّيْدُ
 وَالْحَبُّ يَغْتَقِلُ الْآثَامَ طَائِعَةً إِذَا تَأَلَّقَ فِي مَغْنَاهُ صَنِيدُ
 وَكُلُّ جَارِحَةٍ فِيهِ وَجَانِحَةٌ رَجَعَ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَتَرْدِيدُ
 الرُّوحُ تَخَفِقُ فِي أَعْلَى ذَوَابِتِهِ وَالْقَلْبُ أَلْحَانُهُ تِلْكَ الْأَغَارِيدُ
 اللَّهُ فِي الْقَلْبِ يَا لَيْلَى فَمَا اضْطَفَقَتْ إِلَّا عَلَى مَوْجِهِ الْحُلُوفُ الْأَنَاشِيدُ
 خُذِي بِهِ أَوْ دَعِي فَالْكُونُ آيَتُهُ وَالْحَبُّ غَايَتُهُ وَالشَّعْرُ غَرِيدُ
 مَا فِي الْهُيُولَى وَإِنْ جَلَّتْ سَوَى شَبَحٍ وَلَوْ تَأَوَّدَ غَصَنٌ وَازْدَهَى جِيدُ

الفلة البيضاء

وَإِشْعَاعَةٍ خَلَّتْهَا فُلَّةٌ تَخَلَّتِ الْمَفْرِقَ الزَّاهِيَا
فَإِنْ بِسَمِ الثَّغْرِ عَنْ مَاسَةٍ أَطَلَّتْ تَقُولُ ابْتَسِمِ ثَانِيَا
فَإِنِّي مِنَ الْفَجْرِ لَمَّا بَدَى هَرَبْتُ أَلْمِمْ أَدْيَالِيَا
فَأَصْبَحْتَ طُرَّةَ هَذَا الْجَبِينِ وَأَلْبَسْتُهُ تَاجِي الْغَالِيَا
فِيَا مَا زَجًّا بِالسَّنَاءِ السَّنَا وَهَبْتَ الشَّدَى غَالِيَا عَالِيَا

صدق

صَدَقْتَ وَمَنْ يَجْرُو عَلَى غَيْرِ نَفْسِهِ تَضِقُ بِمُنَاهُ نَفْسُهَا وَهِيَ نَفْسُهُ
رَجَوْتُكَ كَالرَّاجِي نَدَاكَ وَإِنِّي ثَرِيٌّ بِمَعْنَى فَيْكِ كُنْتُ أَحْسَهُ
وَمَا زِلْتُ لَوْلَا أَنَّ لِلَّوْهَمِ خَطَرَةً يَدُورُ لَهَا قَلْبُ الْمُحِبِّ وَرَأْسُهُ
وَتَشَارُّ لِلْحِسِّ الْخَفِيِّ جَوَانِحُ يَضِجُّ لَهَا يَوْمُ الْوِدَادِ وَأَمْسُهُ
فَمَا كُلُّ غَرَسٍ فِي الْمَوَارِدِ نَاضِرٌ وَلَا كُلُّ ظَامٍ جَفَّ فِي الرُّوْضِ غَرَسُهُ

جان سارتر والجائزة العالمية

يَقُولُونَ عَنْ « سَارْتِر » إِنَّهُ تَأَبَّى عَفَافًا عَنِ الْجَائِزَةِ
لِئَلَّا يُقَيَّدَ لَحْنُ الْعَطَاءِ مَقَاطِعَ أُوتَارِهِ الْبَارِزَةِ
فِيُحْرَمَ شَمَخَتُهُ الرَّائِزَةِ وَيَفْقِدَ هَيْبَتَهُ الْحَافِزَةِ
وَمَا النِّقْصُ إِلَّا ادِّعَاءُ الْكَمَالِ وَنَشْوَ خَمْرِ مِنَ الرَّاهِزَةِ
وَمَنْ تَوَجَّهَ بِتَاجِ التَّمَامِ تَغْلَفَ بِالقُدْرَةِ الْعَاجِزَةِ

...

لمن تغنين ؟

مهداة إلى كوكب الشرق - السيدة أم كلثوم

لِمَنْ تُغَنِّينَ ؟ لِلوَرَقَاءِ قَدْ خَفَضْتُ	إِلَيْكَ أَجْنَحَةً - لَمْ تَنْخَفِضْ أَبَدًا
مَدَّتْ إِلَيْكَ «لَهَاة» عَسْجَدًا عَزَفَتْ	لَهَا الطَّبِيعَةُ : لَكِنْ لَمْ تَمُدَّ : يَدَا
وَاللَّحْنُ يَسْتَلْهُمْ الْأَلْحَانُ شَنْشَنَةً	بِهَا عَرَفْنَاكَ : إِلَهَامًا : وَنَفْحَ نَدَى
أَلْهَبْتَ فَوْقَ الْمَدَى كَفًّا وَحَنْجَرَةً	وَهَجَّتْ فَوْقَ الْمَدَى صَدَاحُهُ : غَرْدَا
فَمَا غَفَا فَوْقَ أَقْطَارِ السَّمَاءِ هَوًى	عَاطِيَتِهِ : مِنْكَ مَا لَمْ تُغْطِهِ : أَحَدًا
رُوحًا : مَقْطَرَةً فِي الْخُلْدِ مَاحِيَةً	شَرَّ النَفُوسِ : الَّذِي مَا كَلَّ مَا هَمَدَا
جَاءَتْ لِيَغْسِلَ جِرَاحَ بَاتٍ يَلْعَقُهَا	مُرْزَأُ الْقَلْبِ ضَاعَ الْعُمُرُ مِنْهُ سُدًى
جَارَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالَى فِي ضَرَاوَتِهَا	مَا بَيْنَ ذَنْبٍ عَوَى أَوْ حَاقِدٍ حَقَّدَا
قَدْ صُنْتُ إِيمَانَهُ لَوْلَاكَ مَا بَقِيَتْ	مَدَامِعُ فِيهِ تَنْعَى هَوْلَ مَا فَقَدَا

لِمَنْ تُغْنِيْنَ ؟ لِلْأَفْلَاقِ جَاذِبِهَا
سِرٌّ عَلَى شَفَتَيْكَ الْحُلُوتَيْنِ بَدَا
وَمَا اسْتَحَتْ مِنْكَ أَنْ الْحَبُّ مُنْطَلَقُ
مَا حَدَّهْ أَفُقُ مَا صَاقَ فِيهِ مَدَى
لَقَدْ عَجِبْتُ لَهَا حَتَّى كَوَا كِبِهَا
تَنَافَسَتْ فِي الْهَوَى لَمْ تَسْتَرْحِ أَبَدَا
كَأَنَّهَا مِثْلُنَا فِي الْأَرْضِ مَا سَلِمَتْ
مِنْ لَوْعَةٍ مِنْ شِكَاةٍ تَبْعَتْ الْحَرْدَا
وَعَاذِلْ بَيْنَهَا يَنْدُسُ : يَخْطِفُهُ
بَرْقٌ وَيَنْقِمُ مِنْهُ رَاصِدٌ رَصَدَا
مَاذَا نَقُولُ إِذَنْ نَحْنُ الَّذِينَ هُنَا
عَلَى الْأَدِيمِ نُعَانِي الْغَدَرَ وَالْحَسَدَا
وَالْحَبُّ وَاللَّيْلُ فِي أَهْلِ الْهَوَى عُقْدُ
سِحْرِيَّةٌ وَالْجَوَى قَدْ أَحْكَمَ الْعُقْدَا
مَعَارِكُ مِنْ خِيَالٍ نَسْجُهَا حُرْقُ
وَحَرْبُهَا السَّلْمُ وَالنُّعْمَى شَجَى وَرَدَى
غِذَاوُهَا لَهَبٌ لَا يَنْطَفِئُ وَرَوَى
مَحْمُومَةٌ وَمَعَانٍ كُلُّهُنَّ : فَدَى
نَفْسَتْ فِي عُقْدٍ مِنْهَا وَفَى كُرْبِ
مَوْصُولَةٌ لَمْ تَزَلْ آيَاتُهَا جُدَا
تَأَرَّقَتْ أَغْنَى سَكْرَى وَأَفْسُدَةٌ
وَطَيْفُهَا هَلْ دَرَى هَلْ ذَاقَ هَلْ سَهْدَا
لِمَنْ تُغْنِيْنَ : لِلْجَافَى . وَصَوْلَتُهُ
تَشُدُّ فِي عُنُقٍ مَلُوبِيَّةٍ : مَسَدَا
وَيَسْتَفِيقُ عَلَى الْأَنْفَاسِ أَحْرَقَهَا
مَا أَحْرَقَ الْقَلْبَ : أَوْ مَا فَتَتَ الْكِيدَا
وَيَنْتَشِي وَهَزِيمُ الرَّعْدِ مُنْصَعِقُ
كَأَنَّ رَجْعَ هَزَارٍ : فِي الْخَيْلِ : شَدَا
وَالْمُدْنُفُونَ حَيَارَى فِيكَ آهَتُهُمْ
وَمِنْكَ أَنْتَهُمْ لَا يَأْمَلُونَ : غَدَا

صَحَوْتُ فِي صَحْوِهِمِ وَالنَّاعِمُونَ غَفَوَا
 مَلَأَ الْجُفُونُ : وَحَتَّى لَيْلَهُمْ : رَقَدُوا
 تَمَثَّلُوا فِيكَ أَطْيَافًا مُجَنِّحَةً
 تَمَثَّلُوا فِيكَ رُوحًا تَكَرَّهُ الْجَسَدَا
 وَهَزَّ لَحْنُكَ مِنْهُمْ كُلَّ جَارِحَةٍ
 فَمَا تَرَى عَيْنُهَا : أُمَّا وَلَا وَلَدَا
 لَوْلَاكِ مَا حَثَّ السَّارِي مَطِيئَتَهُ
 إِلَى الْحَبِيبِ : وَعَافَ الْأَهْلَ وَالْبَلَدَا
 وَالْحَبُّ : يَتَّبَعُهُ الدَّافِي وَمَشْرَعُهُ
 صَفَوْ الْحَيَاةَ : وَهَلْ غَيْرُ الصَّفَاءِ هُدَى

* * *

لِمَنْ تُغْنِيَنَّ ؟ لِلذَّكْرِي مُعْطَرَّةً
 لِلْأُمْسِيَّاتِ : لِحَادٍ فِي السَّمَاءِ : حَدَى
 لِيُظَاعِنِ مَا رَأَى فِي الْكَوْنِ أُمْنِيَّةً
 أَحْلَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّقْيَا : لِمَنْ بَعْدَا
 لِفَاقِدٍ : وَجَدَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا
 إِلَّا هَوَاهُ - أَيَحْكِي : فَاقْدَا : وَجَدَا

* * *

لِمَنْ تُغْنِيَنَّ ؟ هَلْ لِلشَّمْسِ عَانَقَهَا
 ضِيَاؤُهَا - فَوْقَ بَحْرِ خَضْخَضِ الزَّبَدَا
 أَمْ لِلْهَزِيعِ وَقَدْ خَفَّتْ كَوَاكِبُهُ
 مُنِيرَةً - لَمْ تَطِقْ صَبْرًا - وَلَا جَلَدَا
 تَلَفَّتْ لِتَرَى فِي الْأَفْقِ مَبْتَهَلَا
 لِحُسْنِهَا - عَابِدَا - مَا غَيْرَهَا : عَبَدَا
 آلَيْتُ مَا أَنْتَ إِلَّا لِحَنٍ وَافِدَةٍ
 مِنَ السَّمَاءِ : تُغْنِي : الْوَاحِدَ : الْأَحَدَا
 مَا الْكَوْنُ مَا سِرُّهُ مَا طِيبُ بَهْجَتِهِ
 إِنْ لَمْ يَذُبْ حُرْقًا : إِنْ لَمْ يَمُتْ كَمَدَا

لَوْ لَمْ تَكُونِي لَهُ دُنْيَا مُوَحَّدَةً أَقْسَمْتُ مَا عَاشَ دُنْيَاهُ : وَلَا : اتَّحَدَا

* * *

لَقَدْ شَهِدْتُكَ فِي الْمِحْرَابِ مَائِلَةً فِيكَ الْبَتُولُ وَمَا رَأَى : كَمَنْ شَهِدَا
وَحَوْلَكَ الْأَكْبَدُ اللَّهْفَى مُرْنَحَةً تَسْتَنْزِلُ الْغَيْثَ : أَوْ تَسْتَقْبِلُ الْمَدَدَا
وَفِي الْمَاقَى وَمِیْضُ طَالَمَا احْتَبَسَتْ فِيهِ اللَّالَى - مَا أَغْفَى وَلَا ابْتَرَدَا
وَمَا بَخِلَتْ عَلَيْهَا أُمَّةٌ هَرَعَتْ إِلَيْكَ تَسْقِينَهَا نَخْبَ الضُّحَى : رَأَدَا
وَتَسْكِبِينَ الْهَوَى سَكْبًا مُعْتَقَةً فِيهِ : الشُّمُولُ فَلَا غَوْلًا : وَلَا صَرَدَا
أَشْرَقَتْ كَالْبَدْرِ فِيهِمْ بَيْنَمَا لَمْحُوا فِي هَالَةِ الْحُسْنِ : بَدْرًا : يُرْهِبُ الْأَسَدَا
وَمِیْلَةً فِي اعْتِدَالٍ - مَا تُزَحْزِحُهَا عَنْ مَوْقِفِ الْعَزْلَا دَلًّا : وَلَا : أَوَدَا
تُثْنِينَ فِي خَفَرٍ غَالٍ عَلَى حَذَرٍ جِيدًا نَثَرَتْ عَلَى لَبَّاتِهِ : غِيدَا
يَا مَنْ : قَسَوْتَ عَلَى الْمِنْدِيلِ فَاشْتَعَلَتْ أَطْيَابَهُ مِنْ شَدَى : مَا مَلَّ مِنْكَ يَدَا
إِنِّي لَا أَحْسِبُ فِي الْمِنْدِيلِ مُعْجَزَةً مِنْ السَّمَاءِ . فَلَوْ أَطْلَقْتِهِ : لَشَدَى

* * *

لَقَدْ أَعَدْتُ لَنَا مَجْدَ الْعَقِيقِ عَلَى أَيَّامِهِ حِينَ طَابَتْ بِالْمُنَى : رَغْدَا
و «لَلْقَرِيضِ» عَلَى أَجْوَانِهِ أَلْقَى و «مَعْبُدٌ» قَدْ تَخَطَّى الْكُونَ: رَجَعَ صَدَى
صِنُونٍ - مَا طَوْتُ الْأَحْقَابُ مَجْدَهُمَا فِي يَثْرِبٍ: مِنْ بِلَادِ الْمُصْطَفَى: أَبَدَا
كَانَتْ لَهُمْ فِي الْعَقِيقِ الْجُلُوءُ الْوَيْةُ مَعْقُودَةٌ حَمَلَتْ مَجْدَ الْهَوَى : أَمَدَا
وَأُطْلِعَتْ فِي سَمَاءِ الْفَنِّ خَالِدَةً مِنْ الْكَوَاكِبِ: مَنْ يُحْصَى لَهَا: عَدَدَا
تَأَلَّقْتُ فِي ضِفافِ النَّيْلِ وَازْدَهَرَتْ عَلَى «الْفَرَاتَيْنِ» حَتَّى جَاوَزَتْ (بَرْدَى)
وَمَا أَمْنٌ عَلَى مِصْرَ - فَمَا جَحَدْتُ فَضْلَ الْحِجَازِ . وَلَكِنْ غَيْرَهَا جَحَدَا
وَمَا أَمْنٌ فَقَدْ رَدَّتْ جَمَائِلُهُ بِالْأَطْيَبَيْنِ : ثِمَارَ الْوَعْيِ وَالرَّشْدَا
فَمَرْحَبًا بِالْهَوَى بِالْفَنِّ يَنْقُلُنَا لِلْمَشْرِعِ الْعَذْبِ لَمْ يَنْضُبْ وَمَا نَفَدَا
وَأَنْتِ يَا كَوْكَبَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتِهَا دُومَى نَدْمٌ كَوْكَبًا فِي الْأَرْضِ مُنْفَرِدَا -
وَوَاصِلِي بَيْنَ أَبْعَادِ الْحَيَاةِ فَمَنْ سَوَالِكُ: يُدْنِي الَّذِي قَدْ شَطَّ وَابْتَعَدَا

• • •

إليها

وَأَبْطَأَ بِي مَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لَيْتَهُ
 تَحْرِيتُهُ مَعْنَى يُهْدِدُ مُهْجَتِي
 تَعَرَّضَ لِي فِي الْحُسْنِ مَا لَا أَوْدُهُ
 وَلِي فِي مَعَانِي الْحُسْنِ لَوْنٌ مُحِبَّبٌ
 وَيَحْرُسُهُ إِنْسَانٌ عَيْنِي وَكَاذِبٌ
 أَجَلُ أَبْطَأْتُ تِلْكَ الَّتِي لَاحَ مَا مَلَى
 وَتَحْجُبُ عَنِّي بِالْبَنَانِ شُعَاعَهُ
 أَقْدَسُ حَبَاتِ اللَّالِيءِ أَبْدَعَتْ
 وَقُلْتُ لَهَا إِنِّي وَجَدْتُ لِبَانَتِي
 وَبُحُّ سِرِّكَ الْخَافِي فَإِنِّي أَمِينَةٌ
 تَعْجَلُ مِنْ قَبْلِ الرَّحِيلِ وَأَسْرَعَا
 وَيُنْقِذُ إِحْسَاسًا غَرِيبًا مُضِيعَا
 فَصَابِرْتُ حِرْمَانِي وَحِيدًا مُلَوَّعَا
 أَصُونُ بِهِ سِرًّا عَزِيزًا مُنْعَا
 هَوَى لَا يَصُونُ الْحُسْنَ تَاجًا مُرْصَعَا
 بَغْرٌ ثَنَائِيهَا الْوَضَاءُ مُشْعَشَعَا
 فَيَسْطَعُ مِنْ خَلْفِ الْأَنَامِلِ أَرْوَعَا
 مِنْ الْفَلَجِ الْمُفْتَرِّ حُسْنًا مُوشَعَا
 فَقَالَتْ إِذْنُ صِفْهَا وَقُلْهَا لَأَسْمَعَا
 وَمَنْ صَانَ عَهْدَ الْحُبِّ أَغْلَاهُ مَوْضَعَا

...

یای

یا مئی اِنْتَظِرِی اللِّقَاءَ کَأَنَّمَا
رُوحِی تَحِنُّ لِجِسْمِهَا وَتَوُوبُ
وَيَلِدُ لِي أَمَلٍ اِنْتَظَارِكَ وَالْمُنَى
تَحْلُو الْحَيَاةُ بِظِلِّهَا وَتَطِيبُ
فَإِذَا قَدَمْتِ مَعَ الْمَسَاءِ فَإِنَّهُ
صُبْحٌ يَطُلُ وَقَدْ أَهْلٌ حَبِيبُ
لَكِنْ أَخَافُ مَعَ الشُّرُوقِ وَأُنْسِهِ
لِحَظَاتٍ بَيْنَ زَحْفُهُنَّ غُرُوبُ

- ۲ -

وَمَدَّ إِلَيَّ الْبَيْنُ كَفًّا رَحِيمَةً
تَقُولُ وَمَاذَا ؟ لَوْ يَطُولُ مَغِيبُ
فَقُلْتُ لِي اللَّهُ الَّذِي صَنَعَ الْحَشَا
فَيَوْمَ النَّوَى فِي الْغُرُبَتَيْنِ عَصِيبُ
وَكَمْ مِنْ جِرَاحٍ شَافِعَاتٍ مُضِيئَةٍ
تَبِينُ بِهَا رَغَمُ الظَّلَامِ دُرُوبُ
وَكَمْ شَفَعَتْ فِي الْحُبِّ زَفْرَةٌ وَاجِدِ
وَدَمْعٌ سَخِيٌّ لَا يَكْفُ صَبِيبُ

* * *

كيف ؟

كَيْفَ يَا نَفْسُ أَسْتَبِيحُ حِمَاها شَامِخَاتٍ تَرْنَحَتْ فِي ذُرَاها
 رَامَهَا الطَّامِعُونَ قَبْلِي فَأَوْدَى مَنْ تَحَدَّى أَجْوَاءَهَا وَمَدَاها
 أَطْمَعْتَهُمْ فِي نَيْلِهَا فَتَبَارَوْا ثُمَّ عَادُوا وَكُلُّهُمْ صَرَعَاها
 وَصَفُّوا لِي عِمْلَاقَهَا وَهُوَ فِي السَّفْحِ قَعِيدٌ يَزْهُو بِرَجْعِ صَدَاها
 فَتَلَمَمْتُ لَاهِنًا أَسْأَلُ الْعِمْلَاقَ كَيْفَ احْتَمَى بِظِلِّ حِمَاها
 كَيْفَ أَدْنَتْهُ كَيْفَ حَازَ رِضَاها كَيْفَ لَاقَى هَوَاهُ عِزَّ هَوَاها
 وَلِمَ إِذَا ارْتَمَى عَلَى السَّفْحِ ؟ هَلْ ذَلِكَ مَجْدُ الْحَيَاةِ أَوْ مُنْتَهَاها ؟
 وَتَلَوَّى كَأَنَّهُ أَفْعُوَانُ صَرَعَتْهُ أَفْعَى اسْتَحَبَّ لِقَاها
 ثُمَّ قَالَ ابْتَعدَ فَمَا كُنْتُ لِلدُّنْيَا أَلُوفًا وَلَنْ تَكُونَ هَوَاها
 نَحْنُ أَحْلَاسُ مَكْرِهَا نَحْنُ مَنْ ذُلُّوا وَهَانُوا عَلَى دُرُوبِ أَذَاها
 قَدْ أَبْحَنَّا ضَمِيرَنَا لِلَّذِي تَهْوَى فَدَاسَتْ رُؤُوسُنَا قَدَمَاها
 وَظَلَمْنَا وَالشَّرُّ يَصْطَنِعُ الشَّرَّ كَأَنَّ الزَّمَانَ رَهْنُ خُطَاها

وَسَرَفْنَا عِزَّ الْكَرِيمِ وَعِشْنَا فَوْقَ انْقَاضِ عِزِّهِ نَتْلَاهِي
 فَدَعِ الزَّيْفَ أَنَّهُ مَجْدُ هَذَا الْكَوْنِ مَهْمَا عَلَا وَمَهْمَا تَنَاهِي
 أَنَا مَنْ صَوَّرُوهُ عِنْدَكَ عِمْلَاقًا أَدَارِي عَارًا وَأَكْتُمُ آهًا
 وَالْعَمَالِيقُ كُلُّهُمْ سَوْفَ يَهُوُونَ إِلَى جَوْفِ أَرْضِهِمْ أَشْبَاهَا
 مِثْلَمَا لَوُّتُوا الْحَيَاةَ بِأَوْبَاءِ إِذَاهُمْ سِيلَعُقُونَ وَبَاهَا
 أَنْتَ جَرَّبْتَ قَبْلَنَا مَجْدَهَا الْحُرَّ فَعَاثَتْكَ فَارِسًا لَا يُضَاهِي
 أَنْتَ حَارَبْتَهَا وَحَطَّمْتَ أَصْنَامَ عَلَاهَا مَجْدًا وَمَالًا وَجَاهًا
 وَارْتَضَيْتُ الْيَرَاعَ خِذْنِ مَعَانِ وَحَيَاةَ كَرِيمَةٍ تَهْوَاهَا
 وَتَرَعَرَعْتَ فِي رُبِّي الْحَبَّ تَسْقِيهِ وَيَسْقِيكَ مِنْ رَحِيقِ شَذَاهَا
 تَتَمَلَّى الْجَمَالَ وَالْحُسْنَ لَا تَنْشُدُ فِي مُنِيَةِ الْفُؤَادِ سِوَاهَا
 حَسْبُكَ النَّشْوَةُ الْبَهِيجَةِ وَالْخَمْرُ كَأْسًا تَدِيرُهَا عَيْنَاهَا
 حَسْبُكَ الدَّفْءُ فَاعِغًا فِي حَدِيثِ مَا أَطَاقَتْ اخْفَاءَهُ شَفَتَاهَا
 قَدْ كَفَرْنَا بِالْحُبِّ لَكِنْ أَنْتَ فِي حُبِّهَا عَبَدْتَ اللَّهَ

التذكار

وَيُسْعِدُنِي لَوْ تَقْبَلِينَ عَلَى رِضَا هَدِيَّةَ رَمَزٍ تَذْكُرِينَ بِهَا عَهْدَا
وَأِنْ كُنْتُ أَغْلِي بِالْمَعَانِي وَهَبْتُهَا فَقَدْ صَاغَهَا الْوُجْدَانُ يَامُرِّي لِي وَجْدَا
وَأَحْلَى مِنْ التَّذْكَارِ رَجْعُ مُحِبِّبٍ يُسَائِلُ هَلْ مِنْ دُونِهِ نُحْرَمُ الْوَدَا
أَلَا يَبْنَعُ الذِّكْرَى سِوَاهُ وَإِنِّي لِأَحْسَبُ حَتَّى الصَّمْتُ مِنْ مِثْلِنَا أَجْدَى
أَجَلُ رُبِّ صَمْتُ دُونَهُ فِي بِلَاغَةٍ بَيَانٌ جَدِيبٌ يَنْسِجُ اللَّفْظَ لَا الْقَصْدَا
وَأَجْمَلُ ذِكْرَى لِلْمُحِبِّينَ حَالَةً تَرِفُ رَفِيفَ الطَّلِّ بَلْ إِنَّهَا أَنْدَى
تُلَمِّمُ أَشْتَاتَ الْحَيَاةِ كَأَنَّهَا مَوَاقِبُ تُرَعَى الْخُلْدُ أَوْ تَصِفُ الْخُلْدَا
مُحَلِّقَةً فِي سَبْحِهَا تَنْطِقُ الرُّؤَى مُنْعَمَةٌ لَحْنًا مُصَفَّقَةً شَهْدَا
تُرَدُّ جَمَالَ الْكَوْنِ أَصْلًا وَصُورَةً لِقَلْبَيْنِ شَدَّ الْحُبُّ بَيْنَهُمَا شَدَا
حَيَاتُهُمَا فَوْقَ الْأَهْلَةِ سَيْرُهَا فَمَا عَرَفْتُ قَبْلًا وَلَا عَرَفْتُ بَعْدَا
يَعِيشَانِ فِي الْقُرْبَى وَفِي الْبُعْدِ مِثْلَمَا تَعِيشُ الْمَعَانِي تَأْنِفُ الْأَسْرَ وَالْقَيْدَا
وَكَمْ مِنْ نَوَى أَدْنَى مِنَ الْقُرْبِ بَاهِتَا شَحِيحَ الْأَمَانِي يَجْهَلُ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَا
فَإِذَا قَبِلْتَ الْيَوْمَ ذِكْرَايَ فَاعْلَمِي بَأَنَّ زَمَانِي أَنْتِ أَجْمَلُ مَا أَهْدَايَ

...

تصوري

تَصَوَّرِي مَوْثِقًا صَلْبَ الْخُطَى اضْطَرَعَتْ عَلَيْهِ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا مَوَاضِيهَا
وَمَزَقَتْ يَدُهُ الْأَغْلَالَ مَا قَنَعَتْ حَتَّى تَبْدَى خِيَالًا سَابِحًا فِيهَا
وَأَثَقَلْتُ حُجُبَ مَنْ فَوْقَهَا حُجُبٌ ضِيَاءَ عَيْنَيْهِ فَانْهَلَتْ مَآقِيهَا
لَكِنَّا اِذْمُجَّ شَعْتُ لَآلِئُهَا فَنَوَّرَتْ مُهْجَةً لَا شَيْءَ يُعْشِيهَا
وَابْصَرْتِكَ فَمَا غَامَتْ بِصَائِرُهَا وَخَاطَبْتِكَ فَمَا ضَاقَتْ مَعَانِيهَا
لَقَدْ تَهَاوَتْ فَلَا أُنْدَاءَ عَاطِفَةً كَأَنَّمَا أَجْدَبْتَ فِيهِمْ مَعَانِيهَا
مَاحَارِبَتُهُ النَّوَى بَلْ حَارِبَتْ مُثُلًا دَانَتْ لَهُ مِنْ مَعَانِيهِ صَيَاصِيهَا
وَمَا رَأَى الْأَسْرَ إِلَّا مَجْدَ سَارِيَةٍ رَفَّتْ عَلَيْهِ وَمَا ضَنَّتْ غَوَادِيهَا
وَفِي الظَّلَالِ الْوَرِيفَاتِ الْجَنَى «أَمَلٌ» حَنَّتْ عَلَيْهِ طُيُوفٌ مِنْ «عَوَالِيهَا»
كَمْ ضَافَ مِنْ دَوْحِهَا أَطْيَابَ سَامِقَةٍ مِنَ الْمَعَالَى تَبَنَّتْهُ أَعَالِيهَا
وَفِي الْمَرَاعِيعِ مِنْ أَعْطَافِهَا نَهَلَتْ آمَالُهُ وَسَقَتَهُ مِنْ سَوَاقِيهَا

مَنَابِ لِقَدَاسَاتٍ وَأَلْوِيَةٍ مُشْعَةً تَحْرُسُ الدُّنْيَا وَتَحْمِيهَا
تَنْزِلُ الْوَحْيَ فِي أَرْجَائِهَا أَلْقَا تَطَوَّقَتْ بِمَرَامِيهِ مَرَامِيهَا
سَقَى الْبَرِيَّةَ مِنْ كَأْسٍ مُشْعِشَةٍ بِالْيَمْنِ مُتْرَعَةً فِيهِ أَمَانِيهَا
فَلَمْ تَزَلْ مِنْهُ نَشْوَى عَبْرَ فِطْرَتِهَا تَمُدُّ آفَاقَهَا الْكُبْرَى مَبَادِيهَا
إِنْ أَقْعَدْتَهَا عَلَى وَهْمٍ قَوَادِمِهَا قَضَتْ عَلَى وَهْمِهَا الْعَادِي خَوَافِيهَا
فَيَا مَجَالِي الْهَدْيِ وَالشَّمْسِ سَاطِعَةِ عَلَى النَّخِيلِ نُضَارًا فِي حَوَاشِيهَا
تَوَقَّدَ الشَّفَقُ الْمُخْمَرُ مُنْسَرِبًا فِي «زَهْوِهَا» تَتَحَلَّاهُ مَجَانِيهَا
مُشَاهِدَ عَاشِهَا قَلْبِي مَجْنَحَةٍ بِهَا تَنْقَلَّتُ فِي الدُّنْيَا أُغْنِيهَا
وَأَخْشَدَ الطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهِ مَرَحًا يَخْتَالُ كَالْحُسْنِ فِي أَحْلَى رَوَابِيهَا

الحارس

وحارسٌ نُورٌ عَيْنٍ خِلْتُهُ أَمَلًا جَرَى عَلَى قَلْبٍ مِنْ عَاشُوا بِلاَ أَمَلٍ
يَصُدُّ بِالرَّوْعَةِ الْمُثْلَى وَفِتْنَتِهَا مَا لَا تَصُدُّ بِهِ الْعَسَالَةَ الذُّبْلَ
وَمِثْلُهُ حَوْلُ ثَغْرِ زَادِهِ أَلْقَا حَتَّى اسْتَحَتْ مِنْ سَنَاهِ عَرَاكَةِ الْقُبْلِ
وَالْحُسْنُ لَا يُتَّقَى عَنْ رَهْبَةٍ أَبَدًا لَكِنَّ هَيْبَتَهُ تُغْنِي عَنْ الْأَسْلِ
وَالْحُسْنُ مَا اجْتَذَبَ الْأَلْبَابَ فَانْجَذَبَتْ نَشْوَى تُعْبِرُ عَنْهَا فَرَحَةُ الْمُقْلِ
وَفِي عُيُونِ الْمَعَانِي سِرٌّ بِهِجَتِهَا تَحْكِي مَعَانِيَ الْعُيُونِ الذُّبْلِ النُّجْلِ
غَامَرْتُ يُقَدِّمُ بِي ضَوْؤُ فَحِيرَنِي فِي نَقْطَةٍ مِنْ سَوَادِ مَوْكِبِ الشُّعْلِ

• • •

مولد الطائفة

جَاءَتْ إِلَيْهِ عَلَى الْغَدَاةِ تَزُورُهُ وَتُودِّعُهُ
وَتَقُولُ ظَرْفُ طَارِيءٍ قَدْ كُنْتُ لَا أَتَوَقَّعُهُ
بَهْتُوا أَبِي عِنْدَ الصَّبَاحِ بِدَعْوَةِ مُسْتَعْجَلِهِ
إِنَّ الزَّفَافَ غَدَا يَكُونُ بِمَكَّةَ بِالْمُسْفَلِهِ
لِشَقِيقَتِي الْكُبْرَى حَلِيمَةَ فِي اللَّيَالِي الْمُقْبِلِهِ
وَتَرَفَّقْتُ لِتُصَافِحِ الْبَطْلَ الَّذِي أَعْيَاهُ فَهَمُّ الْمَسْأَلِهِ
كَانَتْ تَوْمَلُهُ وَلَا تَدْرِي فَفَارَقَ فِي ثَوَانٍ مَأْمَلَهُ
فَتَغَيَّرَتْ قَسَمَاتُهُ وَبَكَتْ عَلَيْهِ أَدْمُعُهُ
وَتَرَفَّقْتُ بِحِشَاهُ حَانِيَةً عَلَيْهِ أَضْلَعُهُ

• • •

لَكِنَّهُ اسْتَقْوَى عَلَى هَذَا الْوُجُومِ بِعِزْمَةٍ مِنْ صَبْرِهِ
وَتَمَرَّدَتْ فِي نَفْسِهِ آهَاتُهُ الْحَرِّي تَضِجُ بِصَدْرِهِ
مُتَجَلِّدًا ثَبَّتَ الْجَنَانَ مَغَالِيًا فِي سِرِّهِ

وَاسْتَنْطَقَتْ عَيْنَاهُ عَيْنَيْهَا لِيَعْرِفَ رَأْيَهَا فِي أَمْرِهِ

فَبَدَى لَهُ أَنْ يُرْجَى الْإِفْضَاءُ فِي سِرِّ الْوَدَاعِ وَجَهْرِهِ

* * * *

وَهُوَ الَّذِي مَضَى الْجَدِيدَةَ فِي ذُرَاهَا أَرْبُوعَهُ

وَهَلَّهَا الْوَضَاءُ مَطْلَعُهَا الْحَبِيبِ وَمَطْلَعُهُ

* * * *

وَتَثَاقَلَتْ لِتَقُولَ: عِنْدَ الْعَاشِرَةِ قَالَ الْمَطَارُ لَهَا: تَقُومِ الطَّائِرَةُ

وَأَعَادَ: بِالتَّحْدِيدِ؟ فَابْتَسَمَتْ نَعَمْ تَأْكِيدُ جِدَّةَ هَذَا لِلْقَاهِرَةِ

وَجَرَى إِلَى الْمِيعَادِ يَسْبِقُ خَطْوَهُ مُتَنْبِّهًا لِلْوَعْدِ عَيْنِ سَاهِرَةِ

فَتَلَاقِيَا وَسَرَى الْحَدِيثُ مُنْمَنًا وَكَأَنَّهُ أَلَقَى النُّجُومَ السَّائِرَةَ

وَتَقَضَّتْ السَّاعَاتُ حَتَّى السَّابِعَةِ لَيْلًا وَعِنْدَهُمَا ثَوَانٌ عَابِرَةٌ

وَالرُّكْبُ حَوْلَ الْمَائَتَيْنِ عَجِيجُهُ وَضَجِيجُهُ وَكَأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

فَتَعَطَّلَ الْجَمْعُ الْمَغِيرُ وَأَيُّ أُذُنٍ تَسْمَعُهُ

وَدُمُوعٌ مَنْ يَبْكِي التَّعَوُّقُ سَاخِنَاتٌ تَلْدَعُهُ

★ ★ ★

إِلَّا هُمَا فَهُمَا اللَّذَانِ تَرَاقَصَا فَوْقَ الْبَشَرِ

لَا يَذَرِيَانِ عَنِ الْبَلَاءِ كَأَنَّهُ صَخُّ الْقَدَرِ

كَمْ مِنْ مَرِيضٍ أَنَّ لَمَّا مَسَّهُ وَقَعَ الْخَطَرُ
وَمَخْذِرَاتٍ ضِيقُنَ بِالْوَعَثَاءِ مِنْ قَبْلِ السَّفَرِ
تِلْكَ الْمَصَائِبُ فِي سَوَاهُمِ عِنْدَهُمْ أَحْلَى السَّمرِ
لَيْتَ الَّذِي آذَى وَأَهْمَلَ وَاجِدًا مَنْ يَرُدُّعُهُ
فَعِقَابٍ فَرَدٍ فِي سَبِيلِ الْكَلِّ ذِكْرِي تَنْفَعُهُ

...

أشتياق

وَأَشْتَاقُ تَقْطِيرَ النَّدَى فِي رَوَائِعِ
 مُعْتَقَةٍ ظَمَأَى إِلَى كُلِّ ظَامِيٍّ
 سُكُوبٌ بِإِلْأَاءِ النَّهْيِ رَوْنَقَ الضُّحَى
 وَتُطْفِئُ فِي الْأَخْلَادِ كُلِّ نَوَازِعِ
 وَتَجْمَعُ أَشْتَاتَ الْمَعَانِي كَأَنَّمَا
 لَهَا أَلَقٌ بَيْنَ الشَّدَى وَرَفِيفِهِ
 تَلَاقَى عَلَى أَنْفَاسِهِ كُلُّ مُشْتَهَى
 وَتَنْسِجُ أَنْسَامَ الْخَمِيلِ غَدَائِرَا
 تَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهَا فَرَحُهُ النَّهْيِ
 تَرُوقُ مَجَانِيهَا وَتَحُلُو قُطُوفَهَا
 تَحُومُ عَلَيْهَا كُلُّ وَرَقَاءِ هَمْسُهَا
 مُوَحِّدَةُ الْمَرْمَى مُهَذَّبَةُ الْمُنَى
 أَقَامَتْ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ شَوَامِخَا
 وَحَلَّى بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ فَرَائِدَا
 تَسَاقُطَ عِنْدَ السَّفْحِ مِنْهَا زَعَانِفُ
 أُدِيرُ بِهِنَ الرَّاحَ مَشْمُولَةً صَرَفَا
 وَرُبَّ أَوَامٍ فَاضَ بِالْمُزْنَةِ الْوُطْفَا
 تُصَفِّقُ أَخْلَافَ الْمَنَى أَدْبَاءَ عَفَا
 مُؤَجِّجُهَا مَا بَانَ مِنْهَا وَمَا اسْتَخْفَى
 تُرْصِعُ عِقْدًا مِنْ جُفَانٍ قَدْ اصْطَفَا
 كَصَحْوِ الْهَوَى مَارِقًا عَزْمًا وَلَا أَعْفَى
 تُعَانِقُهُ مَعْنَى وَتَلْمِسُهُ طَيْفَا
 مُدْهَبَةٌ حُسْنًا مُشْعَشَعَةٌ لُطْفَا
 بِأَفَاقِهِ أَضْفَى عَلَيْهَا بِمَا أَضْفَى
 مُهْدَلَةٌ تَسْعَى لِمَنْ رَامَهَا قُطْفَا
 حَنِينٌ شَجِيٌّ عَنْ سَرَائِرِهَا شَفَا
 شَأْيَ طَرْفُهَا الْمُتَمَدِّدِ فِي الْحَلْبَةِ الطَّرْفَا
 هِيَ الْمَجْدُ قَدْ صَفَّى اللَّبَابَ وَمَا أَضْفَى
 مُخْلَدَةٌ ضَاقَ الْبَيَانُ بِهَا وَضَفَا
 لَقَدْ حَسِبُوا الْأَمْجَادَ مَخْطُوفَةً خَطْفَا

وَجَاءُوا بِمِصْخٍ سَاءٍ حَالاً وَمَشْهَدَا
 وَقَالُوا قَرِيبُضٌ يَقْرَضُ الْقَيْدَ مِلْؤُهُ
 وَمَا فَرَعْتَ إِلَّا عُقُولُ عَوَائِمِ
 وَكَانَ الَّذِي شَاءَتْ فَعَاظَتْ قَرَائِحِ
 وَسَارَ مَسِيرَ الْعَجْزِ ضَحْلٌ مُهَرَّأٌ
 وَأَيُّ سَمَوْقٍ زَاخِرِ الْفَيْضِ تَلْتَقَى
 وَأَيُّ هَوِيٍّ كَالْمُزْنِ عَفٌّ مُصَفَّقِ
 وَأَيُّ مَعَالٍ كَالذَّرَى مَشْمَخِرَةٍ
 وَأَيُّ هُتَافٍ لِلْمُرُوءَاتِ وَالنَّدَى
 وَأَيُّ عِرَاكَ فِي الْمِيَادِينِ صَاخِبِ
 هُوَالِ الشُّعْرَمَانَادَى الْبَطُولَاتِ إِذْ وَفَّتِ
 يُمَجِّدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْطِيمِ شَامِخِ
 تَسَامَى فَلَمْ يَرْخُصْ وَعَزَّ فَلَمْ يَهُنْ
 عَصَى عَلَى غَيْرِ الْعُلَا وَطَلَابِهَا
 أَوْلَتْكَ عُقْبَانِ الْجَوَاءِ فَمَا لَهَا
 لَقَدْ فَاتَهَا لَهُوَ الصُّغَارِ فَأَرْقَلَتْ
 وَأَبَوْا بِنُكْرٍ جَانِفِ الذُّوقِ وَالْعُرْفَا
 فَرَاغٌ عَمِيقٌ يَحْذِقُ النَّشْرَ وَاللَّفَا
 عَلَى السَّطْحِ تَهْوِي أَنْ تَخْفَ كَمَا خَفَا
 وَفَاضَ هُرَاءُ زَادَهُ جَهْلُهُمْ سُخْفَا
 تَلَكَّا زَحَافًا عَلَى بَطْنِهِ زَحَفَا
 عَوَاطِفُهُ الْحَرِّي إِذَا فَقَدَ الْعُفَا
 يَجُولُ بِهِ هَذَا الْهَلَامُ الَّذِي جَفَا
 يُعَالِجُهَا مَنْ يَمْلِكُ الْقَضْبَ وَالْعُلْفَا
 يَصُولُ بِهِ غَثٌّ عَلَى الْمَوْتِ قَدْ أَشْفَى
 إِذَا لَمْ يَصِفْهُ فِي الْوَعَى رَاعِفٌ رَعْفَا
 بِأَمْجَادِهَا الْكُبْرَى رَأَتْ بَطْلًا أَوْفَى
 فَإِنْ ضَلَّ مَرَمَاهُ أَدَارَ لَهُ كِتْفَا
 صَبُورٌ عَلَى الْجَلَى وَإِنْ شَارَفَ الْحَتْفَا
 خَفِيَُّ بِمَا يَهْوِي وَفِي لِمَنْ وَفَى
 وَمَا لِبُعَاثٍ لَمْ تَزَلْ تَعْبِجُ الْحَرْفَا
 إِلَيْهِ بِخَزَرُوفِ الْوَلِيدِ الَّذِي رَفَا

ضاربة الودع

جاءت ملثمةً وتنتزع اللد سامَ البسملة العجب
والنظرة النجلاء قائلة شيئاً يخالسا فينسرب
والصوت لمح فيه ادمعها فى نبرة من عمقها تثب
معنى تغالبه فيأسرها ويظل يكربها فتتكرب
كذبا تحايله محايلة وهى العليمة أنه كذب
للعيش يا للعيش مركبه صعب يزولها فتضطرب
علل وأسباب إذا بطلت جمد النهى وتعطل السبب
لولا النقائص فى عوالمنا ما قيل ذا رأسٌ وذا ذنب
كم من شعوص جد عارية لولا الثياب الحلوة القشب
قالوا اتقى أصل الأصول وما غير النجاح الحق يطلب
قلت الحياة طرائق « قدد » ووسائل فى حبكها دأبوا
ليست مبادي مثل ما رسموا ليست مناهج مثل ما حسبوا
لكن أساليب منوعة تعلو وتهبط والمنى غلب
فالنأب الأعلى له الرتب والنأب الأدنى له الحرب
والعبقريه للفتى يده تلك الصنائع كأنها الحسب

هذا الحرام حلاله أبداً
 حتى الدم القاني مُضَرَّجَةٌ
 والسارق المِصْبَاح يُنْفِذه
 جاءت ملثمة وفي يدها
 نشرته فوق الرَّمْل قائله
 سرُّ الصَّبَايا لا أبوح به
 وسرائر الفتيان أَلْمَحُها
 فتقاطر الحُضَار واستَبَقُوا
 أَسْمَاعَهُمْ لَهْفَى وَأَعْيُنُهُمْ
 فتساقط الدر الذي نطقت
 حتى ولو عُجِنَتْ به الرِّيب
 منه اليَدَان الشَّهْد والضَّرْب
 من ظلمة هو وحده الجرب
 ودَعْ تَوْشُوشه فينجذب
 زيناً « أُبَيِّنُ » بعض ما يجب
 إلَّا لهن فدونه الحُجُب
 والعلم عند الله مُحْتَجِب
 و « بياضهم » يجري وينسرب
 عطشى تحاذرُها وترتقب
 بجُمانه الحسناء ينسكب

قالت لِهِنْد وهى واجمة
 مرّت به فى عُمره مَحَنٌ
 ووراءه أننى لها ولدٌ
 وشُموع عُرْسٍ وسطَ منزلكم
 هى « نُقْطَة » أو « نُقْطَتَان » إذا
 لكِ غائب أحواله عَجَب
 وله عَدُوٌّ « رُبْعَةٌ » ذَرِبُ
 إن تنأ عنه فَمِنْكَ يَقْتَرِبُ
 ستُضَاءُ دُون سَنَائِها الشُّهْبُ
 ذَهَبَتْ سيذهب عنكم التَّعَبُ

وتَحَفَّزْتُ لُبْنَى وَسِخْنَتَهَا
فَتَلَفَّتْ ذَاتُ اللَّثَامِ إِلَى
لِتَقُولَ يَا أَخْتَاهِ أَنْتِ عَلَى
تِلْكَ الطَّوِيلَةِ فَوْقَ وَجْنَتِهَا
حَسَدْتُكِ مِنْ يَوْمِ الزَّفَافِ عَلَى
« عَمَلًا » خَطَوْتَ عَلَيْهِ جَمْرَتَهُ
فَتَصْبِرِي فَلَأَنْتِ طَيِّبَةٌ
تُوحِي بِهِمْ فِيهِ تَضْطَخِبُ
تِلْكَ الْفَنِيصَةَ وَهِيَ تَنْتَجِبُ
كَرْبُ تَضَاعَلْ دُونَهُ الْكَرْبُ
« خَالٌ » وَبِالْمَنْدِيلِ تَعْتَصِبُ
سُوءٌ يُحَرِّكُ ضِغْنَهُ الْأَرْبُ
حَرَّاقَةٌ يَا أُخْتَ تَلْتَهِبُ
وَعَلَى الْحُسُودِ « الْعَكْسُ » يَنْقَلِبُ

* * *

قَدْ كُنْتُ عَنْ كُتْبِ أَرَاقِبِهِمْ
أَسْرَعْتُ نَحْوَ رَفِيقَةِ الْوَدَعِ
وَزَحْمَتُهَا مِنْ أَنْتِ ؟ مَا هَوَسُ
فَتَنَهَّدَتْ وَكَأَنَّ مُهْجَتَهَا
قَالَتْ ذِكَاؤُ الْبَدْوِ فِطْنَتُهُمْ
فَالْعُتْبُ لَيْسَ عَلَيَّ يَا رَجُلُ
وَإِذَا أَرَدْتَ الْحَقَّ لَا عَتْبُ
لَا تَعْتَرِضْ إِنْ الدُّنَا خُدَعُ
كَمْ قِيلَ لِلْأَصْدَافِ ذِي دُرِّ
مَتَحَمَّسًا حَتَّى إِذَا ذَهَبُوا
وَالشَّرُّ فِي عَيْنِي وَالْغَضَبُ
هُوَ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ لَعِبُ
قَدْرٌ يَفُورُ وَخَافِقٌ يَجِبُ
فَمِنْ الْعُيُونِ أَخَذْتُ مَا أَهَبُ
لَكِنْ عَلَى مَنْ رَامَنِ الْعَتْبُ
حَتَّى عَلَيْهِمْ « كُلُّنَا » عَرَبُ
لَا تَنْزِعْ فَالْدَّهْرُ يَنْقَلِبُ
وَالدُّرُّ قَالُوا عَنْهُ مُخْتَلِبُ

* * *

تلك النخيل

في كلِّ ما ازدهرت به الغبراء زهتِ الحضارة يَبْسُهَا والماء
 وتألَّفت فيه الحياة يؤزُّها أزا هديرٌ . . كُله أضواء
 ومرايع جدد كأن أديمها سُحبت عليه رفارفُ خضراء
 ما غاب عن عَيْنِ الوفاء وظلُّها تلك المصاربُ نجعهن صفاء
 ممدودة عبر الفضاء بُنائتها أرسو مراسيها كما قد شاءوا
 الكونُ مُنتجع لهم ما حدّه حدٌّ ولا ضاقت به أمداء
 القبة الزرقاء سقَّفُ بنائهم والكهرباء الأنجم الزهراء
 في كلِّ يوم منزلٌ صوب الحيا خفر يُنمنم وشيه وحياء
 وهوى كصافي المزن يقطر حاليا ومها يُباكر فجرها الأنداء
 والعشب بين مُفوّفٍ ومُهفِّف ترعى مراعيه مها وظباء
 شعر تُصفّقه الطبيعة أنّها للشاعر المتعمق الهداء
 صدق الحقيقة كم لا يروع خيالها وخيالها لجمالها أصداء

يَبْسُ الْحَصَاةُ شَعْرَهَا كِظْلَالَهَا مَخْبُوءَةٌ فِيهِ الرَّعْيُ شَوْهَاءُ
تَتَقَلَّصُ الْأَظْلَالُ فِيهِ كَأَنَّهَا قُبِحَ الْجَنِينُ تَعَاثُ الْأَحْشَاءُ
لَا يَدْعُ إِنْ ذَهَبَ الْقَرِيضُ وَأَقْفَرَتْ أَحْيَاؤُهُ وَتَفَزَّعَ الْأَحْيَاءُ
فَلَقَدْ فَقَدْنَا الصَّخَوَ يَوْمَ تَلَبَّدَتْ بِقَتَامِهِ وَظَلَامِهِ الْأَجْوَاءُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ الصَّفْوَ يَوْمَ تَكَدَّرَتْ بِدُخَانِهِمْ مِنْ حَوْلِهَا الصَّحْرَاءُ
الْوَاحَةُ الْبَيْضَاءُ فِي أَعْرَاقِهَا أَرَجَّ رَعْتَهُ الدَّيْمَةُ الْوُطْءَاءُ
وَمِنَ النَّبَاتِ الْحَلْوُ فِي أَعْطَافِهَا نَسَجَ حَكَّتَهُ الْحُلَّةُ السَّيْرَاءُ
وَالْجَدُولُ الثَّرَارُ فِي أَعْمَاقِهَا فَجَزُّ كَأَنَّ خُيُوطَهُ الدَّامَاءُ
يَهَبُ الْقُلُوبَ حَيَاتَهَا وَسِمَاتَهَا فَإِذَا الْهَوَى رِيَّ لَهَا وَرُوءَاءُ
خِضْبُ عَلَى خِضْبٍ وَفَضْلُ سَمَاحَةٍ تَشْدُو بِهَا وَتُغَرِّدُ اللَّأْلَاءُ
مَا عَابَهَا بَطْءٌ وَطُولُ رَوِيَّةٍ إِنْ الْوِصَالُ يَزِينُهُ الْإِبْطَاءُ
أَمْلَأَ الدَّلَاءُ بِطَاوُهَا وَلَرُبَّمَا فَرَحَتْ بِرَيْثِ سَحَابِهَا الْأَنْوَاءُ
رَعِيًا لِأَيَّامِ الْخِيَامِ وَعَهْدَهَا الْحَاءُ رَعَرَ حُسْنُهَا وَالْبَاءُ
فَلَكُمْ شَدَى وَادِي الْعَقِيقِ بِمَعْبَدٍ وَعَلَى الْمَشَارِفِ «عِزَّةُ» الْحَسَنَاءُ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُ النَّابِغِيَّ وَلَيْلَهُ وَعُكَاظُ حَوْلَ خِيَامِهِ النَّبَغَاءُ

وَلَمَحْتَ عَنْ كَتَبِ خِباءِ سَكِينَةٍ
وَلَقَدْ نَظَرْتَ الْبَحْرَ بَيْنَ مَدَارِهِ
خَطَرَتْ جَوَارِيهِ الْحِسَانَ حَمَلْنَهَا
فَكَأَنَّ إِشْعَاعَ الْهَوَادِجِ هَالَةٌ
وَبَدَتْ بُدُورُ النَّمِّ يَلْتَمِ ضَوْعُوهَا
وَعَلَى الرَّوَابِي الْخُضْرُ عَسَجَدَ مُزْنَةٌ
فِي كُلِّ مُرتَبَعٍ هَوَى وَخَمِيلَةٌ
الْحُسْنُ يَسْطَعُ مِنْ مَعِينِ صَفَائِهَا
حَاشَا الْقَرِيضَ يَصُولُ فِي حَلَبَاتِهِ
قَلِقَ الْإِهَابُ تَرُوعَ فِي لَمَسَاتِهِ
خُدَعٌ كَمَعْسُولِ الْوُعُودِ كِذَابُهَا
صَانُوا خِضَابَ الْغَيْدِ فَهُوَ مَقْدَسٌ
يَا لَيْتَ سَكْرَةَ زَعْفِهِمْ وَمُجُونِهِمْ
لَكِنْ خُمَارُ الْفَرْدِ دَارَتْ رَأْسُهُ
مَنْ لِي بِأَيَّامِ الْخِيَامِ فَإِنَّهَا
الْوُدُّ كَانَ أَلْفَهُ وَحَلِيفَهُ
وَالْيَوْمَ يَوْمُ الْمُخْلَفِينَ عَهْدَهُمْ
وَسَكِينَةٍ مِنْ قَبْلِهَا الْخَنْسَاءُ
وَمَسَارِهِ وَكَأَنَّهُ الصَّحْرَاءُ
عَيْسُ تَمَاجُجُ تَحْتَهَا الْبَيْدَاءُ
ضَفَرَتْ ذَوَائِبُ حُسْنِهَا الْقَمَرَاءُ
أَلِقُ الثُّغُورَ فَتَرْقُصُ الْأَلَلَاءُ
أَسْكُوبُهَا الْأَنْدَاءُ وَالْأَشْدَاءُ ؟
وَبِكُلِّ مُنْتَجِعٍ يَرْفُ لِيَوَاءُ
يَجْلُو سَنَاهُ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ
خَاوِي الْوِفَاضِ مُنَمَّقٌ وَشَاءُ
صُورَ مَعَثَرَةِ الْخُطَى شَلَاءُ
رَقِصَتْ عَلَى أَصْبَاعِهَا شَمْطَاءُ
وَعَلَى هَوَاهِمِ تُسْتَبَاحِ دِمَاءُ
إِنْ سَانَةٌ يُغْرَى بِهَا التُّدْمَاءُ
فَتَكْشِفُ نَزَوَاتِهِ الْحَمَقَاءُ
أَمَلْ لَقَدْ طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ
وَحُمَاةُ مَوْتِقِهِ هُمُو « الْحَلَفَاءُ »
أَرَأَيْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ خُلَفَاءُ

...

نجاة ونجوى

بِلَحْنِكَ يَا نَجْوَى مُنَى وَابْتِسَامَةٍ أَضَاعَ الْهَوَى أَيَّامَهَا وَأَعَادَهَا
 طَوَّاهَا وَمَا تُطْوَى وَلَكِنَّ عَارِضًا مِنْ السُّقْمِ يَا نَجْوَى أَصَمَّ فُؤَادَهَا
 تَحِيرُ فِيهَا الْحِسُّ حَيْرَةً وَاهِنٍ ثَقِيلِ الْخُطَى لَا يَسْتَخِفُّ وَدَادَهَا
 جَفَّتْهُ فَجَافَاهَا وَقَدْ مَرَّ حُلُوهَا فَمَا كَانَ مِنْهَا لَوْ أَلَانَتْ قِيَادَهَا
 مَعَانٍ تُدِيرُ الشُّعْرَ صَبْهَاءَ حُرَّةٍ مَثَانِي تَسْتَسْقَى الْكُرُومَ جِيَادَهَا
 صِنَاعٍ لَقَدْ رَامَتْ مِنَ اللَّفْظِ لَحْنَهَا وَمِنْ هَمَسَاتِ الْحِسِّ صَاغَتْ مُرَادَهَا
 وَمَا اللَّحْنُ إِلَّا الشُّعْرُ جَرَسًا مَوْقِعًا وَغَمْغَمَةً قَدْ حَاوَرَتْهُ فَصَادَهَا
 أَلَا يَا رَعَاكَ اللَّهُ سَوْفًا كَأَنَّمَا يُنَازِعُ صَبْهَاءَ الدُّنَانِ عِنَادَهَا
 وَيَسْكُبُ فِي اللَّحْنِ الطُّرُوبَ مَرَّاشِفًا تُلَامِسُ أَوْتَارًا أَضَلَّتْ رَشَادَهَا
 يَقُولُونَ عَزَّ اللَّحْنُ فِي الشُّعْرِ فَايْتَعْنِي نَضَاوِي هَزِيلَاتٍ تُدَارِي كَسَادَهَا
 أَشَاحُوا عَنِ الْحَيِّ النَّطُوقِ وَجَاوَرُوا مِنَ الْعِيِّ صَمَاءَ النُّهْيِ وَجَمَادَهَا
 وَأَيَّ «مَهَا» تَأْوِي لِغَيْرِ كُنَاسِهَا وَأَيَّ عَرُوسٍ لَا تَطِيقُ مِهَادَهَا

أَلَا شَعَّعِيهَا يَا نَجَاةً لَتَبْعَنِي
فَرُبَّ حَنَانٍ يَغْمِرُ اللَّحْنَ دِفْئُهُ
وَرُبَّةٌ مَبْغُومٌ اللَّهُ عَسْجَدِيهَا
وَدَاوَرَهَا حَتَّى اسْتَحَالَتْ نَدِيَّةً
أَلَا إِنَّهُ سِرُّ الْحَيَاةِ فَصْفَقْنِي
فَكَمْ صَوَّحَتْ مُذْ صَوَّحَ الشُّعْرَ أَرْبَعُ
وَكُونِي لَهَا فِي دَوْحَةِ الشَّعْرِ نَعْمَةً
وَمَا نَادَمَ الْقِيثَارُ إِلَّا أَنِينُهُ
وَمَا هَاجَتْ الْوَرْقَاءُ إِلَّا شُجُونُهَا
وَلَمْ تُرَدْ هَلَمَّ الْمُبْرَحُ إِنَّمَا
بَيَاضُ اللَّيَالِي فِي خِدَاعِ سَرَابِهَا
تَحِنُّ إِلَى اللَّقْيَا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
وَتَنْشُدُ مِيعَادَ الْهَوَى وَمَعَادَهَا

• • •

لا تَكُونِي

يا فتاة الجزيرة العربية لا تكوني للعابثين ضحية
إن مجد الفتاة أكبر مما صوّروه في بهرج المدينة
في السّياج الخفيّ تحميه أحداثُ فإما أُمّية أو منية
شرفٌ باذخ تُتوجّه الدهر من الصّون هالة عسجدية
فالخُدور التي تضم على الحُسن عُروشا هي الحصون القويّة
كاللّاليّ المحجّبات بِجوف اليمّ مكنونة الجمال نقيّة
وتحوم الشُّموس تنهل نهلاً من شعاع الحقيقة الأزليّة
وسهامُ النّصال تبرق كالحسن المدجّ بالفتنة السّمهرية
ذاك مجدُ الفتاة في عالم الحُسن وفي مشرق الحياة الأبيّة
في الحياء الشهيّ ينبض بالعِزة قعساء لا تطيق الدنيّة

* * *

في الحنان الأبيّ يبذله القلب لأحلى ثماره الشاعريّة
فلذاتُ الحشا وأفلاذه الرُّغب ومرعى الأمومة العاطفيّة
لا تغرنك بالخِداع العناوين كَلَمع السراب في سوء نية

إِنَّهَا إِنَّهَا مَصَانِدُ لِلْعِفَّةِ تَرْمِي شِرَاكَهَا بِالْبَلِيَّةِ
إِنَّ مَجْدَ الْفَتَاةِ فِي غَرْسَةِ النَّبْلِ سَقَتَهَا الشَّمَائِلُ النَّبَوِيَّةُ
فِي الْهُدَى تَسْتَرِيحُ فِي ظِلِّهِ النَّفْسُ وَتَنَائِي عَنْ الشُّرُورِ الْخَفِيَّةِ
فِي بِنَاءِ الْحَيَاةِ تُشْرِقُ بِالْأَسْرَةِ فِيهَا الْأَوَاصِرُ الْعَائِلِيَّةُ
كُلُّ مَنْ يَتَبَنَّى حَضَارَةَ بَيْتِ مُسْنَدِهِمْ فِي الْحَضَارَةِ الْعَالَمِيَّةِ
عِنْدَنَا مِنْ خَدِيجَةِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى وَمَجْلَى الْمَقَاخِرِ الْأَبَدِيَّةِ
آزَرَتْ بِالْحَنَانِ وَالْحُبِّ وَالْخَيْرِ فِدَاءً مِنْ أَنْقَذَ الْبَشَرِيَّةَ
مَلَائِكَتُهَا ثِقَافَةَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ بِأَسْمَى ثِقَافَةِ عِبْقَرِيَّةِ
وَقَفَا إِثْرَهَا صَوَاحِبُ كَالْأَقْمَارِ ضَحِيَّينَ لِلْمَعَانِي الثَّرِيَّةِ
فَأَضَاءُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِيمَانًا وَحَلَقْنَ فِي الْجَوَاءِ الْقَصِيَّةِ
هَلْ تَنَاسَيْتَ خَوْلَةً وَعُلاَهَا فِي مَجَالِ الْوَعَى وَمَجْلَى الْحَمِيَّةِ
دَنَدَنُوا بِالْخِدَاعِ كَيْمَا تَخُوضِينَ مَعَ الْعَابِثِينَ بِالْوَطَنِيَّةِ
كُلُّهُ كُلُّهُ هُرَاءُ فَفِي دِينِكَ لَوْ تَعْلَمِينَ أَسْمَى قَضِيَّةِ
لَيْسَ بَعْدَ النَّبِيِّ أَحْمَدُ يَا أَخْتُ نَبِيٍّ مُؤْمَلٌ أَوْ نَبِيَّةِ

...

يا حبيبي

يا حبيبي الذي محضت له الودَّ شعورًا كأنه إحساسه
وتصوّرت ذات نفسي في ذات هواه كأنها أنفاسه
قد جرت في مزاجه فهو خمّرٌ بابليٌ وعسجد الحر كاسه
لم أحاوره لم أداوره لم أبغ مجازًا حقيقتي نبراسه
حين أهواه ما هويت حياة أحكمت نسج عمرها أمрасه
لم يكن غالبًا بما في يديه أو يتاج فاق الجواهر ماسه
إنه الحب ليس غير: وقلبي لسوي الحب لا يلين شماسه

* * *

ومشى الناس في مواكبه الغراء شعثًا كأنهم حراسه
هتفوا والهتاف للصّولجان الحلو يدوي ولا يكف حماسه
فتلقّى ذلك الضّجيج بتصفيق المثنائي كأنها أجراسه
واهبًا نفسه وما تملك النفس وفيها أمجاده وغراسه
نغمات قد أسكرته وزهو المجد تُرضى غروره أعراسه

وَهَجَّ فِي طِبَاعِهِ لَسْتُ أَنْسَاهُ وَلَكِنْ تَلَوْنَتْ أَجْنَاسُهُ
حِينَمَا شَابَهُ الطَّلَاءُ وَغَذَّاهُ الطَّلِيَّ شَبًّا وَقَدَّاهُ جَلَّاسُهُ
وَسَمَّا الْوَصْلَ عِنْدَهُ فَوُجُوهَ الْقَوْمِ أَحْرِي وَالْكَوْنُ أَغْنَاهُ نَاسُهُ
خَيْرُ أَكْفَاءِ حُسْنِهِ الْمُتَصَدُّونَ وَمَنْ فِي رِحَابِهِ أَحْلَاسُهُ
فَهَمُّوْ عِنْدَهُ النُّجُومَ الدَّرَارِي تَزْدَهِي بِاجْتِلَالِهَا آمَاسُهُ
حُبْنًا فِي الْكُؤُوسِ أَبْيَضَ كَالْعِهْنِ يُوَارِي شُعَاعَهُ دِيْمَاسُهُ
وَتَعَرَّضْتُ فِي الزُّحَامِ وَهَمِّي أَنْ أَرَى هَلْ يَشْدُ عَنِّي قِيَاسُهُ
فَإِذَا بِي أَرَاهُ أَصْدَقَ مَنْ وَفَى وَقَدْ شَابَ فِي التَّجَارِيبِ رَاسُهُ
إِنَّهُ الْوَهْمُ طَالَمَا ضَحِكَ الْوَهْمُ وَغَشَى صَحْوَ الْمَآقِي نُعَاسُهُ
إِنَّهَا إِنَّهَا حَقَائِقُهُ الْأُولَى فَمَا نَاقِضَ الْبِنَاءِ أَسَاسُهُ
ثُمَّ قَالَ الْحَسُودُ مِيعَادُهُ الْخَيْرُ إِذَا طَالَ بِالْبَلَاءِ احْتِبَاسُهُ
قُلْتُ مَا شَاقَهُ الْخِصْبُ وَلَا عَافَ جَدِيدًا انْحَى عَلَيْهِ ارْتِكَاسُهُ
إِنَّمَا الْخِصْبُ مُذْ رَآهُ تَهْدَاهُ أَلِيْفًا يُرْوِقُهُ إِيْنَاسُهُ
وَالْجَدِيبُ الْجَدِيبُ أَخْصَبُ فِي كَفِّهِ يَدْعُو لَا عَادُهُ إِغْلَاسُهُ
ثُمَّ تَابَ النَّهْيُ إِلَى الرُّشْدِ وَاسْتَذَكَّرَ أَنَّ الْبَلَاءَ فِي الْكَوْنِ نَاسُهُ

بالمعانى الكبارِ صَمَّخَهَا الإيمانُ فى مِثْلِ ضوئِهِ وانعِكَاسِهِ
فى الذى صَاوَلَ الزمانَ فلم يَقْهَرْهُ إِذْ طَالَ بالحياةِ مِرَاسُهُ
والكریم الكَرِیم تَأْسِرُهُ الرِّقَّةُ مِنْ قَوْمِهِ مَتَى عَزَّ بِأَسِهِ
هُوَ كالماءِ إِذْ يَسِيلُ وكالْقَنْ الذى قَادَ خَطْوَهُ نَحَّاسَهُ
قَوْمُهُ عِزُّهُ وفيهِمْ هَوَاهُ ذَابَ فِيهِ اتِّقَاؤُهُ واحْتِرَاسُهُ
فَهُمُ الْغَابُ يَحْضِنُ اللَّيْثُ إِعْزَازًا كما يَحْضِنُ الْغَزَالُ كَنَاسَهُ
حِينَ يَغْزُو الْيَقِينُ أَفْئِدَةَ الْأَحْجَابِ يَغْزُو قُلُوبَهُمُ التَّبَاسَهُ
لَا تُلُومُوا الْمُحِبَّ فى النِّهْبِ وَالسَّلْبِ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَحْلُو اخْتِلَاسَهُ
إِنَّ مِنْ يَرْشِفِ الضِّيَاءِ كَمَنْ يَقْبِسُ مَعْنَى يَلُوحُ فِيهِ اقْتِبَاسُهُ
أَحْرَامَ إِذَا تَفَجَّرَ بِالسَّلْسَالِ نَبْعٌ يُحْيِي النُّفُوسَ انْبِجَاسُهُ
أَنَا أَسْتَغْفِرُ الْإِلَهَ مِنَ الذَّنْبِ الذى كَادَ أَنْ يَغُولَ اقْتِرَاسُهُ

السادسة

قالتُ جَهِلْتُ عناصرَ الزمنِ وعِراكَها في الرُّوحِ والبدنِ
 وحَسِبْتُ أَنَّ الحُسْنَ مُتَّصِلٌ أَقْوَى من الأهوالِ والفِتَنِ
 ورَعَيْتُهُ لِأَعِيشَ نُضْرَتَهُ جُهْدِي أُخَلِّدُهُ وَيُخَلِّدُنِي
 لا إِلْفَ يَعْصِرُ كَرَمَهُ فَإِذَا أَصْفَى تَنْقَلُ فِي ذُرَى القُنَنِ
 إِلْفٌ يُخَلِّفُنِي عَلَى ضَعْفٍ فِي حَوْمَةِ الأَطْلَالِ والدَّمَنِ
 إِلْفٌ يَقُولُ بغيرِ ما خَجَلَ إِنِّي قَبَضْتُ أَطَايِبَ الثَّمَنِ
 دَانَتْ لُبَانَتُهُ فَهَوَّنَهَا لِتَظَلَّ بَعْدَ رَهِينَةِ السَّكَنِ
 لِيَقُولَ نَفْحُ الزَّهْرِ يُسْكِرُنِي وَزَفِيرُ لَحْنِ الطَّيْرِ يَجْذِبُنِي
 وَيَقُولُ مَاذَا لَوْ أُمَائِلُهُ فَأَمِيلَ مِنْ غُصْنٍ إِلَى غُصْنٍ
 مِنْ أَجْلِ هَذَا عِفتُ كُلَّ هَوًى إِلَّا هَوَايَ الحُرِّ يَحْرُسُنِي
 لَا زَوْجَ، عَيْنَاهُ تُحَاصِرُنِي كَمُعْلَبٍ زَخَرُوهُ لِلزَّمَنِ
 لَا نَسْلَ لَا وَلَدٌ رِضَاعَتُهُ فَتَاكَةٌ كَالْجَمْرِ تَحْرِقُنِي

واليومَ قد أَوَّبْتُ من سَفَرٍ في رحلةٍ كالطَّيْفِ في الوَسَنِ
 وإذا الإِهَابُ الغَضُّ مُبْتَسِرٍ لُمَحْنَطٍ دَرَجُوهُ في الكَفَنِ
 والرُّوحُ حَتَّى الرُّوحِ جَارَ عَلَى إِشْعَاعِهَا جَدْبُ مِنَ الوَهَنِ
 فَأَرَقْتُ مِنْ كَدَرٍ وَمِنْ ضَجَرٍ وَسِئْمْتُ مِنْ سَهَرٍ وَمِنْ حَزَنِ
 وَبَكَيْتُ عُمراً كُنْتُ أَحْبِسُهُ عَنِّي فَعَادَ اليَوْمَ يَحْبِسُنِي
 ونظرتُ في المِرَاةِ فَاخْتَلَفْتُ حَتَّى هِيَ الأُخْرَى تُضَايِقُنِي
 وَكَأَنَّيَ مِنْ قَبْلُ لَمْ أَرَهَا وَكَأَنَّهَا مِنْ قَبْلُ لَمْ تَرَنِي
 وَأَسِفْتُ لَيْتِي مَا حَفِلْتُ بِهِ وَهَمًّا أَصَارِعُهُ وَيَصْرَعُنِي
 يَا لَيْتَ لِي ظِلًّا أَفِيءُ لَهُ فِي غَمْرَةِ الأَحْدَاثِ وَالْمِحَنِ
 يَا لَيْتَ لِلْمَاضِي الَّذِي انْصَرَمَتْ أَيَّامُهُ رَمْزاً يُذَكِّرُنِي
 رَمْزاً أَرَى فِي عِطْرِ زَهْرَتِهِ عُمْرِي يُجَدِّدُهُ . . . يَجْدُدُنِي
 ذَهَبَ الشَّبَابُ بِكُلِّ زَحْمَتِهِ وَالْحُسْنُ غَيْرَ بَقِيَّةِ الشَّجَنِ

عبرها

وَلَقَدْ شَمَنْتُ عِبِيرَهَا وَاللَّيْلُ حَتَّى اللَّيْلِ نَائِمٌ
 إِلَّا أَنَا وَأَنْبِيَنُ مَظْلُومٍ وَأَنْفَاسُ مُصْعَدَةٍ لِّظَالِمٍ
 وَلَمَحْتُ طَيْفًا كَالسَّنَا كَالْبَدْرِ مَا بَيْنَ الْعَمَائِمِ
 قَالَ اتَّبِدْ إِنَّ السَّيَّ تَهْوَى تَحْفُ بِهَا النَّسَائِمِ
 نَشَوَى بِفِتْنَتِهَا وَأَنْتَ بِسِرِّهَا لَا شَكَّ عَالِمِ
 فَرَجَوْتُهُ أَنْ لَا تَوَرَّقَهَا الظُّنُونُ وَأَنْ أَعِيشَ الدَّهْرَ حَالِمِ
 وَأَظْلُ بَيْنَ خِيَالِهَا رَجَعَ الصَّدَى أَوْ وَهَمَ وَاهِمِ
 أَنْتَ الْمَلَاكُ الْعَذْبُ أَوْ هِيَ أَنْتَ فَارْفُقْ بِالتَّوَائِمِ
 وَابْسُطْ لَهَا الظِّلَّ الظَّلِي لَ فَإِنَّهُ الْأَمَلُ الْمُلَائِمِ
 يَا طَيْفُ تَحْسُدُهَا الْقَطَا يَا طَيْفُ تَنْفُسُهَا الْحَمَائِمِ
 أَمَا هَوَايَ فَإِنَّ أَكُ وَنَ وَفِيهَا خَلْفَ الْعَوَالِمِ
 وَأَصُونُهَا فِي جَفْنِ صَاحِ ي الْقَلْبِ أَوْ أَحْلَامِ نَائِمِ
 فَهِيَ الْأَثِيرَةُ بِالْهَوَى الْغَا لِي وَلَوْ لَامَ اللَّوَائِمِ

أَيَّامُ خَالِدَةَ

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ مَعَزَةٌ عَامٍ فَسَلِيَ الْجُمُعَتَيْنِ عَنْ إِلَهَامِي
كَيْفَ فَاقَ السُّنِينَ تَرَكُ ضُ بِالْعُمْرِ سِرَاعًا أَعْدَى مِنَ الْآرَامِ
كَيْفَ حَلَّ الْوَثَاقَ مِنْ زَحَمِهِ إِلَهُ الْأَسْرِ وَكَمْ عِشْتُ فِي عِرَاكِ الزَّحَامِ

* * *

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ مَعَزَةٌ عَامٍ أَنْتِ يَا كَرَمَتِي وَكَأْسِي وَجَامِي
وَحَيَاتِي الَّتِي وَجَدْتُ بِهَا الرُّو ضُ نَدِيًّا مُفْتَحَ الْأَكْثَامِ
بَدَّدَ الْوَحْشَةَ الْكَثِيبَةَ فَانْزَا تَ لَعْمَرِي سَحَابُ الْآلَامِ
إِنَّهَا جُمُعَتَانِ بَلْ لِحَظَّاتٍ مُشْرِقَاتُ مَرَّتْ كَطَيْفِ الْمَنَامِ
وَالْتَقَيْنَا خَلِيَّةً بِشَجِي هُمَهَا فِي رِيَشَةِ الرَّسَامِ
وَلَهَا عُذْرُهَا فَكَمْ مَوْرِدٍ عَذْ بِ جَهُولٍ بِلَاهِثٍ أَوْ ظَامِي
وَأَنَا الْيَوْمَ قَدْ حَمِدْتُ لَطَى الْحِرَّةِ انِ فِي بُطْئِهَا وَفِي الْإِحْجَامِ
عِنْدَمَا أَشْرَقَتْ عَلَى كَفَجَرٍ عَبْقَرِيَّ يَقُلُّ جَيْشُ الظَّلَامِ
عِنْدَمَا أَقْبَلَتْ عَلَى رَبِيعَا صَاحِي الزَّهْرِ ، صَافِي الْأَنْغَامِ
وَرَوَى النَّرْجِسُ الْمُشْعَشُعُ عَنْهَا مَا رَوَاهُ سَاقِي الطَّلَا وَالْمُدَامِ

وانتشت مُهَجَّتِي بِسُكْرَيْنِ سِحْرٍ رِ الْفَنِّ فِي لَفْظِهَا وَسِحْرِ الْقَوَامِ
 حَائِرٌ بَيْنَ لَهْفَتَيَّ وَهَيَامِي وَرَحِيلِي مِنْ بَعْدِ طِيبِ مَقَامِي
 وَرِيَا حُ الزَّمَانِ تَهْزَأُ بِالصَّفِّ وَتَجْرِي جَرِي اللَّظَى فِي الْحُطَامِ
 فَصَفَى لِي يَا أَمْنُ كَيْفَ أَلَا فِي عُسْفَ دَهْرِي وَقِسْوَةَ الْأَيَّامِ
 سَوْفَ أَرْضَى مِنْ أَجْلِ عَيْنَيْكَ يَا أَمْنُ وَأَطْوِي عَلَى هَوَاكِ عِظَامِي
 فَمَنْنِي مُهَجَّتِي رِضَاكَ وَحَسْبِي أَنْ تَدُومِي فِي بَهْجَةِ وَابْتِسَامِ
 وَحَمَاكِ الزَّمَانُ مَا لَا تَوَدِّينَ وَسُهِدَ النَّوَى وَلَذَعُ الْغَرَامِ
 وَرَعَاكِ الْإِلَهَ يَا أَمْنُ بِالْحُبِّ نَقِيَا عَذْبَا كَحَبِّ الْغَمَامِ
 وَإِذَا مَا سَمِعْتَ صَدْحَ كَنَارٍ فَهُوَ مِنِّي تَحِيَّاتِي . وَسَلَامِي
 وَاذْكُرْنِي فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّينَ شِفَاءٌ مِنَ الضَّنَا وَالسَّقَامِ

...

سبحات

يارب

ياظلام الذنوب ضاقت بك النفس وضاعت بذاتها الآثام
وحُرمت المني وكنّ نهايات رجاء نبي وفي الرجاء مقام
أين تلك الآمال يكرّبني اليوم صداها كأنها آلام
طالما قد حملن في قلبي الواهي قلوباً أضحو لها وتنام
أحسنّت بي ظنونها وبِحسن الظن يا رب كم تداني مرام
أطمعني إفضاله فتدللت وزاد الإحسان والإنعام
قلت يا رب لم تُضمّ برجائي النفس إذا رجوت أضام
وتغالبت في الرجاء وما زلت فهل ذلك الغلو حرام
رب : لو ضاق باللحم كريم أي معنى له يعيش الكرام

...

حنين لبيت الله

فؤادٌ يعجُّ بأشجانِه لِدَرْكِ الحَجِيجِ ورُكبانِه
 وذِكْرِي تُثُورُ فَيَطْفِئُ الشُّعُورُ وَيَزْهُو فَخُورًا بِوُجْدانِه
 ولِلذِّكْرِيَّاتِ الصَّدَى العَبْرُ يُّ يُّ يُّثِيرُ الشُّجُونِ بِأَلحانِه
 وبِالذِّكْرِيَّاتِ يُعِيدُ الفَتَى حَنِينًا تَقْضَى بِأَزْمَانِه
 وبِالذِّكْرِيَّاتِ يَجِدُّ السُّرُورَ وَيَطْوي زَمَانًا بِأَشجانِه
 فؤادِي أَقْصِرُ فَإِنِّي أَرَاكَ مُعْنَى يَذُوبُ بِتَحَنُّانِه
 وَقَدْ جَاوَزَ الرُّكْبَ وَاذِي النَّقَا وَجَاوَزَ العَقِيقَ بِوُدِّيَانِه
 وَمَا إِنْ عَهْدَتِكَ نَضُو السَّقَا مِ تَرَامِي الغَرَامَ بِأَحْضَانِه
 وَجَاذَبَهُ الشُّوقُ نَحْوَ الحِمَى وَوَادِي (زَرْوَدِ) بِغِزْلَانِه
 هَلِ الشُّوقُ مِنْكَ لِتِلْكَ المَوَا قِفْ بَيْنَ الحَظِيمِ وَأَرْكَانِه
 مَوَاقِفَ يَحْيَا لَدَيْهَا الشُّعُورُ ر وَيَضَعُدُ فِيهَا بِإِيْمَانِه

ويسطع فيها ضياءُ الرجا ء كَعَقْدُ يَضْيُ بِمُرْجَانِهِ
 تُجَلْجَلُ فِيهَا وَعُودُ الصِّفَا ء وَيَهْمَى السُّرُورُ بِهَتَّانِهِ
 وَتُحْطَى قُلُوبٌ بِصَفْوِ الْوِدا د وَيَسْعُدُ شَعْبٌ بِجِجِرَانِهِ
 صَعِيدٌ تَوَحَّدَ فِيهِ الشُّعُورُ ر فَضَمَّ الْحَجِيجُ بِأَوْطَانِهِ
 صَعِيدٌ تَوَحَّدَ فِيهِ الْمَرَا مُ فَأَذَكَّى الْقُلُوبَ بِنِيرَانِهِ
 لَتَمَثَّيْلُ دِينِ رَفِيعِ الْعَمَا د يُظَلُّ الشُّعُوبَ بِأَغْصَانِهِ
 سَدَاهُ اتِّحَادٌ لِشَدِّ الْأَوَاصِرِ بَيْنَ الْحَجِيجِ وَبُلْدَانِهِ
 وَدُسْتُورُهُ الْحَقُّ هَدْيُ الرِّسْوِ ل وَنَهْجُ الْكِتَابِ وَفُرْقَانِهِ
 وَهَذَا الْفَوَارِقُ أَمَّا الْحُنُوءُ وَأَسْوُ الْجِرَاحِ فَمِنْ شَانِهِ
 مَبَادِي خَرَّتْ لَدَيْهَا الْجِبَا هُ وَمُلْكُ تَدَلُّ بِتَيْجَانِهِ
 وَذَاكَ لَعَمْرِي عَصْرَ الْحَيَا ةِ تُبَاهِي الْحَيَاةَ بِأَزْمَانِهِ
 وَبَعْدَ فَإِنِّي أَزْجِي الْهِنَا ء لَرَمَزُ الْجِهَادِ وَعَنْوَانِهِ
 أَوْلَاكَ قَوْمِي أَشْدُّ بِهِمْ كَمَا الطَّيْرُ يَشْدُو بِأَلْحَانِهِ
 لَقَدْ نَارَ شَجْوِي وَخَفَّ الْحَنِينُ وَدَقَّ الْفَوَادُ بِشِرْيَانِهِ
 وَإِنَّا لَنَرْجُو دَوَامَ اتِّصَا لِ وَلَاءِ الْحَجِيجِ بِإِخْوَانِهِ

ونرجو التَّضامن في مبدئ
يتمُّ النجاح بإعلانه
فحَتَّام خُلْفٌ يُذِيبُ القلوب
ب ويضلي النفوس بنيرانه
وحَتَّام لَوَعَةُ هذا الفِرا
ق تَقْدُ الفؤاد بِصَوَّانه
أَجَلٌ أَزِفُ الوقتُ في وَحْدَةٍ
وهذا البشير بِتَبَيَّانه
فهلاً نَثُور لِحَقِظِ الدِّمَا
ر وردُّ العدوُّ بِعُدُونانه
وهلاً سبيل لدَرْكِ الفخا
ر وفي العُربِ أبناء تَبِجانه
وهلاً سبيل لِيَخُوضِ الغِمَار
ر وسحَنِ الدَّخِيلِ بِأَعوانه
وللغرب مِنْ حَوْلِنَا ضَجَّةٌ
يجوس الدِّيار بِطُغْيانه
وللشرق نَوُحٌ كَنُوحِ الحمام
وللوهن رَجْعٌ بِآذانه
ضعيف القيادة رَهْنُ الأَسَارِ فَأَنَّى يَثُور لِسُلْطانه
رقيق الحَواشي وما أَنَّ يَصُور
ل بغير الصَّرَامَةِ في شأنه
عجيب أَتَخَطُّوا الشعوب وتَسْمُو
وذا الشرق يلهو بِغِزْلانه
أَمَّا ثار فيه حَمَاسُ الجُودِ
د وأذكي الدِّماء بِشَرِيانه
وذا العَهْدُ أَبْلَجُ عَهْدِ المَلِكِ
يفيُضُ علينا بِإِحْسانه
ينير لدينا سبيل الرجاء
ويلوي الزمان بِجِدْثانه

في رحاب المدينة

جاهذت شوقي وكابدتُ المنى لهبًا ما عالجتُها دِرَاكا أوسعُ الحِيلِ
معروقة بأمانيتها مُرَقَرَقَةً كأنها في المآقي جَيْرَةُ الأملِ
وَجُدْتُ بالقربِ من مَغْنَاكِ فَاتَلَقْتُ نفسُ ترومِ المنى في فُسْحَةِ الأجلِ
فما أَطَافَتْ من القربى بشاشتها ولا اسْتَطَابَتْ وِصَالاً فيكَ لم يَصِلِ
فَمَا وَهَتْ بِمَعَانِيهَا مَجْنَحُوهَ ولا استعارتِ حُسامُ الفارسِ البطلِ
ولا تَلَمَّسَ فيها السرَّ مُطْلِبٌ نأتُ به وَمَضَاتُ البارِقِ العجلِ
ولا تَهَرَّبَ منها الحُسنُ في ترفٍ من البيانِ طُروبٍ راقصٍ ثَمَلِ
ولا استطارَ النُهيَ إِلَّا هوىً كَلَفُ بِحُسْنِكَ الفُذْلُ لا بِالْأَعْيُنِ النُّجُلِ

...

تَلَمَّسَ الحِيسُ في أشجانٍ مُغْتَرِبٍ أَضْفَى: فلا دَمَعَ مَكْرُوبٍ ولا جَدِلِ
وصاح بالحبِ يَسْتَجِدِّي روافِدَه فما أَصَاخَتْ لآلامِي ولا عِلِي
وَعُدْتُ باليأسِ تطويني مواجِعُه أَكْذَبَ النفسِ في ماضٍ ومَقْتَبِلِ
أناشِدَ الرحمةَ الكبرى سرائِرَها فكم تَفِيَّاتُ منها وَاِرِفَ الظُّلْلِ
وما رَضِيْتُ لنفْسٍ أَنْتَ بارؤُها من الغَنِيمةِ يا مولاي بِالْقَفَلِ

...

أَجَلٌ لَقَدْ عُدْتُ لَمْ أَنْبَسْ بِبَادِرَةِ مُكْبَلًا حَصْرًا لَمْ نَنْطَفِئْ غُلِّي
سَبَّخْتُ بِالنَّفْسِ تُضْنِيهَا مُوَاجِدُهَا سَبَّحَ امْرِئٌ لَا أَخَا وَهَنٍ وَلَا مَلَل
وَجَمَّعْتُ بِالْمَعَانِي لَا تُدِرُّ لَهَا أَخْلَافُهَا إِنْ تَحَامَتُ زَحْمَةُ السُّبُلِ
حَتَّى تَيْمَمْتُ أَرْضًا فِي مَرَابِيعِهَا رُبُّهُ يَحُومُ عَلَيْهِ قَلْبُ مُبْتَهِلِ
وَأَعْيُنٌ كَرَفِيفِ النُّورِ يَلْثَمُهَا ضِيَائُهَا - لَمْ يُرْمِ عَنْهَا وَلَمْ يَحُلْ
عَقْتُ الْمَرَابِعَ لَمْ تَكْلِفْ بِهَا مِقَّةً وَالطَّرْفُ فِي غَيْرِهَا أَقْسَمْتُ لَمْ يَجُلْ
حَسَّ أَهْيَمَ بِهِ مَعْنَى أَعِيشَ لَهُ سِرٌّ تَلَمَّسْتُ فِيهِ مُنْتَهَى أَمَلِي
وَشَيْءَ الرَّبِيعِ الضَّحُوكِ الْحُلُوسُنَّتُهُ كَأَنَّهُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهُ فِي حُلَلِ
هُوًى تَلُتْ عَلَيْهِ كُلُّ سَارِيَةٍ وَظَفَاءَ رَاوِيَةٍ فِي الْعَلِّ وَالنَّهْلِ
مَوْصُولَةٌ بِيَدِ الرَّحْمَنِ وَاصِلَةٌ جَبَاءُهَا: فَوْقَ سَهْلِ الْأَرْضِ وَالْجَبَلِ
وَصَلْتُ رُوحِي هُنَا بِالْخَضْبِ فَاتَّصَلَتْ

وَرُبُّ مَنْفَصِلٍ يَذْنُو بِمُتَّصِلِ
وَأَدْرَكْتُ نَفْسِي الْحَيْرِي حَقِيقَتَهَا بِحِكْمَةٍ حِينُهَا الْمَخْبُوءُ لَمْ يَطُلْ
فَقَدْ أَهَلَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ بَدَا هَلَالِ مَوْلِيدِهِ فِي حُسْنِ مُكْتَمَلِ
وَشَمْتُ فِي الْأَفْقِ الْمَجْلُوعِ عَيْلُمُهُ مَوَاقِبَ النُّورِ فِي أَعْيَادِ مُحْتَفَلِ

مكة المحب الكبير

هَبْنِي أُنَى وَاهِبٌ لَكَ رَوْحَهُ
أَمَّا تَسْتَوِي فِي الْمُرْدِ الْحُلُو أَنْفُسُ
وَكُلُّ لَهُ فِي ذُرْوَةِ الْحُبِّ مَنْزِلُ
فَمَاذَا تُسَمِّنُ الْهَوَى وَبِلَاءَهُ
أَمَّا يَتَجَلَّى الْحُبُّ بِالْحُبِّ لَيْتَهُ
إِذْنٌ لَدَرِيَّتِ السَّرِّ لَا ذَقْتُ كَرْبَهُ
خُذِيهِ مِنَ الْأَنْفَاسِ حَسْبُكَ عِطْرُهُ
خُذِيهِ مِنَ الْوَرَقَاءِ فِي الْفَجْرِ آدَهَا
تَذُوبُ الْحَوَاشِي فِي حَوَاشِيهِ وَالْمَدَى
وَنَفْحُ الْخُرَامِي مِنْكَ يَنْضَحُ لَا النَّدَى
فَرُدِّي لِبُقْيَا « كَالْثَمَالَةِ » رَوْحَهَا
حَنَانِيكَ يَا ذَاتَ الْوِشَاحَيْنِ إِنَّهَا
وَتِلْكَ الْحَنَايَا لَوْ مَسَسَتْ شِعَاعَهَا
وَكَالنَّاسِ آمَالُ النُّفُوسِ فَتَارَةٌ
أَمَّا تَلْتَقِي عِنْدَ الْفِدَاءِ الْجَوَانِحُ
ظِمَاءٌ وَأُخْرَى فِي النَّعِيمِ سَوَابِحُ
تَنَافَسَ فِي مَغْنَاهِ غَادٍ وَرَائِحُ
أَكُلُ شَجَرٍ يَامِيٌّ عِنْدَكَ صَادِحُ
تَجَلَّى لَغْنَتُكَ الرَّبِّي وَالْأَبَاطِحُ
فَمَا لَذَّةُ الْأَسْرَارِ وَهِيَ بَوَائِحُ
وَحَسْبُ الْهَيَامِي مَا طَوَّتَهُ الْجَوَارِحُ
ثَقِيلُ الْخُطَى وَاللَّيْلُ لِلَّهِمْ فَاضِحُ
بَعِيدٌ وَاسْرَابُ الْمُنَى تَتَلَامِحُ
وَلَا الطَّلُّ ، إِلَّا أَكْبَدُ تَنْصَايِحُ
تَطَالِعُكَ حَبَّاتُ الدَّمُوعِ السَّحَائِحُ
وَشَائِجُ فِي اللَّبَّاتِ مِنْكَ وَشَائِحُ
تَهْلُلُ مَلْهُوفٌ وَأَوْبُ نَازِحُ
دَوَانٍ وَحِينًا قَاصِيَاتُ نَوَازِحُ

وكالزهر أعمارُ المحبين تلتقي
 وحسبُ الهوى في بؤسه ونعيمه
 وحسبُ المعاني الراقصات طيوفُها
 ذكرتُك والدنيا بكفِّيك رخصة
 وللعز أكنافُ موطاة الحِمَى
 تقولين هلاً طاف بالبيت طائفُ
 أجلُ والذي سوى الحطيمِ وزمماً
 فمكة من فوق العرائنِ هالة
 هي المجد مجد الله ضحيان ساطعُ
 وما عَشيت إلا قلوب كثيفةُ
 وهذي الصَّحاري المخصباتُ بجديها
 همُّو الناس أهلُها مقاما ومحتداً
 سيأوي إليها المسلمون وإنَّها
 ألا فابعثوها من حمى البيت صيحة
 هنا البيعة الكبرى. هنا سرُّ أصلها
 هنا تشمخُ الرايات زخفاً مقدساً
 هنا تشرِّبُ العاديات الضوايح

إلى الحبيب الأعظم

رحمة الله هاكها تنشد الرحمة نفسٌ شفيعُها أنت ذاتك
إنها رحمةٌ مُجسّدة السر بنورٍ مشكاتهٌ مشكاتك
إنها نفحةٌ تجلّى بها الله وفاضت من فيضها نفحاتك
وصفاتٌ من باري الكون في الكون على كُنْهِهِ تدلّ صفاتك
سيدي سيد الأنام ولا فخر نداء به يلطّ عُفاتك
من قلوب توجّهت بك لله وحنماً مرضاته مرضاتك
مالها مالها سوى حُسنِ ظنٍّ وشَفِيعٍ يا سيدي أنت ذاتك
والرُحَابُ المعطّراتُ التي سِرّت عليها فأشْرَقَتْ خطواتك
والذي ضمّ موطنَ السرِّ في السر حياةٌ دلّت عليها حياتك
والثرى نافسته فيك الثرى حينما طيّب الثرى سجّداً
سيدي ضِيقْتُ بالذي أنت تذرّيه فقلها تُشرقُ بها بسماتك
وقليلٌ من عفوه يسع الكلَّ وحسبي شفاعةٌ نظراتك
وصلاةُ الإله ما دُكِرَ الله وما أشرقت علينا هباتك

برعمة الزهراء

برعمة الزهراء والأزهر وفرحة النير والأنور
 رقرقك النور بأمجاده سلسلها الأكبر للأصغر
 ثم انجلت تسطع في وحدة وامتزج الأصغر بالأكبر
 أبصرها المبصر فيما يرى يسقيه منها شذى العنبر
 عقيلة الأغلاق في معقل حصنه سيف الأب القسور
 وحاطه الجد الذي في السما من جدك المتد في الأعصر
 فعظمى ما شئت من شنته ومجدي العنصر بالعنصر
 وقربى المخروم من مورد من دونه الكوثر في الكوثر
 إن الذي أعطى حظوظ الورى قد خصكم في الحظ بالجواهر
 ليسأل المحبوب محبوبه ويعلق المنسر بالموسر
 قالوا حرمت زائلا فانيا وخضتموا الأبحر بالأبحر
 شربتم الكأس على قسوة وأكذت الضمر بالضمر

فَاعْتَضَتْهُمُ الْخُلْدُ مَقَامَ الْعُلَا وَصُنْتُكُمْ التَّارِيخَ فِي الْأَدْهَرِ
وَقَالَ مَنْ تَدْرِينِ عِرْفَانَهُ بِاللَّهِ فِي الْمَظْهَرِ وَالْمَخْبَرِ
الْقَادِرِ الْعَتَرَةَ أَقْدَارَهَا بِسِرِّهِ مِنْ سِرِّهَا الْأَظْهَرِ
وَلَا يَرَى الْفَضْلَ سِوَى أَهْلِهِ وَلَا يَرَى النُّورَ سِوَى الْأَنْوَرِ
وَلَنْ تَرَوْا مِنْهُ ذِي مَنْةٍ فَإِنَّهَا قَاصِمَةُ الْأَظْهَرِ
فَخَبَّأَ الْمَكْنُونِ مِنْ عِزِّهِ لِعِزَّةِ الْمَوْقِفِ لِلْمَحْشَرِ
لِلْعَالَمِ الْمَوْصُولِ فِي عَالَمٍ نَائِي الْمَدَى عَنْ عَالَمٍ أَحْقَرِ
تَعْرِفُهُ الْأَرْوَاحُ فِي كِنِّهَا مَرْبُوطَةَ الْأَوَّلِ بِالْآخِرِ

...

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

سَيِّدَ الكائناتِ فَخَرَ النَّبِيِّينَ سلاماً من مُسْتَهَامٍ شَجِيٍّ
لَمْ أَشَأْهَا نَوَى طَوْتُنى عَلَى البَعْدِ قَصِيًّا وَلَمْ أَكُنْ بِالْقَصِيِّ
هِيَ سِرُّ الإِلهِ وَاللُّطْفِ وَالْخَيْرِ فَأَعْظِمَ بِلُطْفِهِ الْمَخْفِيَّ
هَآكِنَهَا وَالْحَنِينُ يَضُرِّمُهُ الشَّوْقُ حَنِينًا إِلَى الْمَقَامِ السَّنِيِّ
هِيَ مِنِّي تَحِيَّةُ الْأَمَلِ الظَّامِيءِ يَهْفُؤُ إِلَى الشَّدَى النَّبَوِيِّ

• • •

دار الهدي

لي في رُبَاكِ الْخُضِرِ أَحْلَامٌ وَمِثَاقٌ وَعَهْدٌ
 ذِكْرِي تُقَرِّبُهَا السَّنُو نَ فَيَسْتَوِي قُرْبٌ وَبُعْدٌ
 الذِّكْرِيَّاتُ مَثَارُهَا فِي النَّفْسِ آمَالٌ وَوَجْدٌ
 شَوْقٌ تَهْدِيهِهُ الْمُنَى وَيُثِيرُهُ بَرْقٌ وَرَعْدٌ
 وَهَوًى إِذَا هَتَفْتَ بِهِ وَرَقُ الْحِمَى لَهَبٌ وَوَقْدٌ
 يَا مَهْدَ أَحْلَامِي وَأَحْلَامِي لَدَيْكَ مُنَى وَسَعْدٌ
 وَمَجَالٌ آمَالِ الشَّبَابِ بَ وَمَالُهَا فِي الْقَلْبِ حَدٌ
 لَمْ أَنْسَ وَالذِّكْرَى الْحَبِيبَةُ فِي الْجَوَانِحِ تَسْتَبِيدُ
 أَيَّامٌ اسْتَبَقُ الْحَيَاةَ وَرَوْضُهَا عِطْرٌ وَنَدٌ
 أَقْضَى لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ وَهَزْلُهَا فِي الْقَلْبِ جَدٌ
 الشَّعْرُ يَخْطُرُ وَالْهَوَى وَالْمُلْتَقَى جَزْرٌ وَمَدٌ
 وَرِحَابُكَ الْفِيحُ الْحَسَا نٌ عَلَى رُبَاهَا الطَّيْرُ تَشْدُو
 وَطِبَاؤُكَ الْعُفْرُ الْمَلَا حُ تَرُوحُ لَاهِيَةً وَتَغْدُو

نَضَوْا عَلَى عَهْدِ الْهَوَىٰ يُضْنِيهِ تَخْنَانٌ وَسُهُدٌ
 يَهْفُو بِهِ أَمَلٌ وَيَقَعُ لَهُ عَنِ الْآمَالِ جَهْدٌ
 لِلْمُسْلِمِينَ الْأَكْرَمِينَ هَوَىٰ بَرُوضِكَ يَسْتَجِدُّ
 طَهَ ذَخِيرَتُهُ وَمَمْبَعُهُ هُوَ وَوَرْدُ الْحَبِّ وَرَدٌ
 مَجْدٌ إِرَادَتُهُ الْمَشِيَّةُ دُونَهُ فِي الْخُلْدِ مَجْدٌ
 مَا إِنَّ تَعَبْتُ بِهِ السَّيَّئُونَ وَلَنْ يَصُولَ عَلَيْهِ حَدٌ

...

منزل الوي

جَادَكَ الْغَيْثُ أَمَانًا وَسَلَامًا وَرِضًا سَمْحًا وَيُمْنًا وَابْتِسَامًا
 يَا دِيَارًا حَلِمَ الْغَيْثُ بِهَا يَتَحَرَّاهَا سَحَابًا وَغَمَامًا
 فَإِذَا مَا انْطَلَقَتْ أَضْوَاؤُهُ ذَابَ حَبًّا فِي مَغَانِيهَا وَهَامَا
 شَامَهَا بَارِقَةً مَمْطُورَةً شَمَهَا جَبْرِيلُ مِنْ قَبْلُ وَشَامَا
 الشَّدَى يَالِقُ مِنَ الْأَلَانْهَا وَالسَّنَا يَنْضَحُ عِطْرًا وَخُزَامِي
 وَاللُّدْنَا تَسْبِحُ فِي أَفْلَاكِهَا تَعْبُرُ النُّورَ الَّذِي يُنْسِي الظَّلَامَا
 إِنَّهَا الْأَضْوَاءُ فِي دَارِ الْهُدَى بَهَرَتْهُ فَرَأَى السَّبْرُ جِهَامَا
 وَرَأَى الْقَطْرَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فِي الرَّحَابِ الْبَيْضِ فِي السَّفْحِ ثُمَامَا
 عَادَ مَطْوِيًّا عَلَى أَعْجَازِهِ لَمْ يَطِقْ فِي زَحْمَةِ السَّرِّ مَقَامَا
 لَكَفَانَا أَنْ نَرَى أَطْيَافَهَا وَنَرَى فِيهَا لِبَازًا وَاعْتِصَامَا
 وَنَرَاهَا لِمَحَّةٍ مِنْ قَبَسٍ يَغْمُرُ الْكَوْنَ جُنُوبًا وَشَامَا
 وَنَرَى الْآثَارَ مِنْ آثَارِهِ مِنْهَجًا حَرًّا وَحِبَا وَوِثَامَا
 وَدَعَاءَ وَابْتِهَالًا وَرِضَا وَاصْطِبَارًا وَصَلَاةً وَصِيَامَا

إِنَّهُ الْحُبُّ إِذَا أُورِيَتْهُ بِاللَّطَى خَاضَ عِرَاكًا وَزَحَامَا
 فَإِذَا الْأَبْعَادُ مِنْ آمَادِهِ قَدْ طَوَاهَا الْقُرْبُ وَضَلَا وَانْسَجَامَا
 وَالْهَوَى الظَّامِي رِيٌّ وَمُنَى يُبْرِدُ اللَّهْفَةَ حَرَى وَالْأَوَامَا
 رَبُّ قَوْمٍ هُجِّرُوا وَاسْتَعْبِرُوا وَأَغْدُوا السَّيْرَ وَقَدْ وَاضَطِرَامَا
 سَلَكُوا الدَّرَبَ طَوِيلًا وَالضَّنَى يُنْهِكُ الْجِسْمَ نُحُولًا وَسَقَامَا
 وَضِعَافٌ وَصِلُوا بِالْمَصْطَفَى حَيْثُ كَانَ الْوَصْلُ بِالْحُبِّ إِمَامَا
 الْمَعَانِي الْبَيْضُ مِنْ إِشْرَاقِهِ وَالسَّمَا حَاتُ أَمَانِي عِظَامَا
 وَالْبُطُولَاتُ الَّتِي قَدْ رَكَّزَتْ فِي السَّمَائِينَ مِنَ الْفَوْزِ حُسَامَا
 حَزَمُوا الْأَمْجَادَ حَتَّى اسْتَوْثَقَتْ حِينَ شَدُّوا فِي الْمِيَادِينَ الْحِزَامَا
 إِنَّهُمْ أَسَدُ الشَّرَى مَذَّأَقَدَمُوا رَفَعُوا بِالنَّصْرِ تَبِجَانَا وَهَامَا
 الزُّحُوفُ الْحُمُسُ فِي سَاحِ الْوَعَى دَعَمَتْ جَيْشًا مِنَ الصَّدَقِ لُهُامَا
 مَثَلَتْ قَائِدَهَا فَاسْتَمَثَلَتْ وَانْقِيَادُ الْحَبِّ يَا بِي أَنْ يُضَامَا
 كَيْفَ لَا تَأْمَنُ فِي أَعْطَافِهِ مِنْ عَوَادِي الدَّهْرِ غَدْرًا وَانْتِقَامَا
 كَيْفَ لَا تَفْرُجُ فِي سُلْطَانِهِ أَعْيُنٌ نَامَتْ بِقَلْبٍ لَنْ يَنَامَا
 دَوْلَةُ سُلْطَانِهَا الْحُبِّ وَمَا غَيْرُهُ يَضْمَنُ خُلْدًا وَدَوَامَا

لا تَرَوْعُ الْفَضْلَ لَا تُنْقِصِهِ لا ، وَلَا تُبْصِرُ فِي النِّقْصِ التَّمَامَا
 لا تُخِيفُ الْحُرَّ فِي مَأْمَنِهِ لا تَرَى الْحِلَّ عَلَى الشَّعْبِ حَرَامَا
 يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ يَا خَيْرَ الْوَرَى نَفْحَةً تَوْقِظُ فِي الْكُونِ النَّيَامَا
 يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ لَنْ أُسْطِيعَهَا زَفْرَةً فَحَّتْ لَهِيْبًا وَضِرَامَا
 قُصُرَتْ أَنْفَاسٌ مِنْ تَرْضَاهُمُو مِنْ كِرَامٍ وَسَعُوا مِثْلِي اللَّثَامَا
 قَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجَوَاهُمْ طَيِّبًا سَمَحًا وَقَدَمْتُ أَثَامَا
 وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي وَجْدِهِمْ وَوَجَدْتُ النَّفْسَ نُقْصَانًا وَذَامَا
 رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي فَجَّرَهَا مِنْ مَعَانِيكَ أَجَاوِيدَ كِرَامَا
 مَثَلُوا الْخَيْرَ الَّذِي تَرْضَى بِهِ مِثْلَ مَا أَنْتَ ثِمَالٌ لِلْيَتَامَى
 وَزَعَوْا حَقًّا وَأَحْيَوْا أَنْفُسًا مِنْ ضِعَافٍ وَشُيُوخٍ وَأَيَامَى
 جَبَرُوا الْكَسْرَ وَحَدُّوا مِنْ أَذَى زَحْمَةَ الْفَقْرِ قُعُودًا وَقِيَامَا
 لَمْ يَجُودُوا رَغْبًا أَوْ رَهْبًا بَلْ رَعَوْا فِي اللَّهِ إِلَّا وَذَمَامَا
 كَمْ أَيَْادٍ فِي النَّدَى مُرْدُودَةٍ وَكَلَامٍ لَيْتَهُ كَانَ كِلَامَا
 وَمَتَانًا أَنْ نَرَى فِي حُبِّهِمْ حُبَّكَ الصَّاحِي بَرْدًا وَسَلَامًا
 فَابْسُطِ الظِّلَّ عَلَيْهِمْ وَارِفَا لِيَكُونُوا بِكَ رَكْنًا وَدِعَامَا

وَهَبِ الرَّاجِينَ مَا يَرْجُونَهُ رَحْمَةً مِنْكَ وَحِظًا وَمَرَامًا
سَيْدِي عَنِّي وَعَنْهُمْ مَعْشَرًا أَوْثَقْتُنَا عُرْوَةً تَأْبَى انْفِصَامًا
مَنْ تَحَايَا الْحَبَّ مِنْ أَغْرَاقِهِ لَهْفَةً حَرَّى وَأَشْوَاقًا جِسَامًا
لَمْصَلَاكَ إِلَى مِخْرَابِهِ لِرُبِّي سِلْعَ الَّذِي يَشْفِي السَّقَامَا
لِقُبَاكِ لِمَعَانِي أَحُودٍ سَفْحُهُ الْمُتَمْتِدُّ أَمْجَادًا عِظَامًا
لِلْعَقِيقِ الْحُلُوِّ مِنْ عَقِيَانِهِ رَقْرَقَ الْفَرَحَةَ شَهْدًا وَمَدَامَا
وَالْهَوَى الْعَذْرَى فِي أَرْجَائِهِ طَالَمَا أَطْرَبَ فِي الْإِيكِ الْحَمَامَا
وَالنَّدَامَى وَالْخَزَامَى وَاللُّجَى ضَعَجَةً تَمْزُجُ بِالنُّورِ الظَّلَامَا
جَحَدْتَ فَجْرًا وَعَافْتَ أَنْجُمَا تَرْقُبُ الْأَسْرَارَ نَجْوَى وَغَرَامَا
وَالْمَعَانِي ذَوْبَ الشُّعْرِ بِهَا سِحْرَهُ فَانْسَكَبْتَ جَامًا فَجَامَا
عَرَبَدْتَ بِالْفَنِّ نَهْبًا وَالِدَنَا تَنْطَوِي فِي نَفْسِهَا عَامًا فَعَامَا
مُعْبِدٌ فِي اللَّحْنِ مِنْ مَعْبِدِهَا وَغَرِيضٌ لَا تَسْلُ عَنْهُ الْخِيَامَا
إِنَّهَا صُورَةُ أَنْسٍ غَامِرٍ زُمَجَرَتْ بِالْحَبِّ غُنْفًا وَغُرَامَا
لَمْ تَكُنْ إِلَّا دَعَاءَ حَائِرَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا صَلَاةَ وَسَلَامَا

التوبة التائبة

أَتُوبُ مِنَ التَّوْبَةِ الْخَائِفَةِ وَأَرْجُوكَ تَوْبَتَكَ الْعَاطِفَةَ
لَأَنَّ مَتَابِي إِلَيْكَ مُرِيبٌ مَتَابُ الْحَذُورِ مِنَ الْعَاصِفَةِ
وَجَرَّبْتُهَا يَا إِلَهَ الْوَرَى زَوَاجِرَ لِلشَّهْوَةِ الزَّاحِفَةِ
فَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْكُرُوبِ الثَّقَالِ أَمِيلْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخَاطِفَةِ
فَدَعْنِي أَنْبُ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ مِنَ التَّوْبَةِ الْفَجَّةِ الْهَائِفَةِ

...

وَأَحْلَى الْمَتَابِ الَّذِي يُشْتَهَى مَتَابُ التَّعَبْدِ فِي الطَّاعَةِ
كَمْسْتَغْفِرُ فَرَحَ قَانِتٍ وَأَعْظَمُ بِهَا نَشْوَةَ الْقَانِتِ
دَعَاءُ هُوَ الذِّكْرُ تَجْرِي بِهِ قُلُوبٌ مِنَ الشَّوْقِ فِي زَحْمَةِ
وَبِي حَالَةً غَامِضٌ أَمْرُهَا أَحْسُ بِهَا أَعَمَّقَ الدَّلَّةَ
غَدَاةَ أَقَارِفُ مَا لَا تُحِبُّ أُحَازِرُ ذِكْرَكَ مِنْ كَسْفَتِي
وَيَنْعَقِدُ الْقَلْبُ حَتَّى اللِّسَانُ وَأَغْرَقُ فِي أَلَمٍ صَامِتِ
وَأَخْجَلُ مِنْ لَفْتَةٍ لِلْسَّمَاءِ لَأَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْ زَلَّتِي
وَتُثْقِلَنِي ظُلُمَاتُ الْمَعَاصِي عَنْ الْفَرَضِ فَضْلًا عَنِ السَّنَةِ
فَجَاوِزُ بِنَا الْعَدْلِ إِنَّا ضِعَافٌ وَسَعْنَا بِعَفْوِكَ وَالرَّحْمَةِ

أحلى ربيع

بِالَّذِي فِيكَ يَا سَمَاءُ أَطْلِي حُسْبُنَا يَوْمَ عِيدِهِ أَنْ تُطْلِي
 إِنَّهُ أَنْتَ يَا سَمَاءُ وَسِرُّ الْمَجْدِ بَاقٍ فِي كُلِّ جُزْءٍ وَكُلِّ
 فَأَهْلِي بِالْخَيْرِ نُورًا لِعَيْنِيهِ وَقُولِي لِكُلِّ وَطْفَاءٍ هَلِي
 وَابْسُئِي تَبَسُّمَ الْحَيَاةِ وَيَفْتُرْ دَجَاهَا عَنْ فَجْرِهِ الْمُخْضَلْ
 إِنَّهُ إِنَّهُ الرَّبِيعُ الْمَصْفَى نَاسِجَ النُّورِ مِنْ هُدًى وَتَجَلَّى
 بَاعِثَ الْحُبِّ قُوَّةً مِنْ قَوَى الْخَيْرِ تَلَاقَى فَرْعٌ عَلَيْهِ بِأَصْلِ
 نَتَرَجَّى رَبِيعَ مَوْلِدِهِ الْحُلُو وَمِيعَادَهُ بِفَرْحَةِ طِفْلِ
 نَتَحَرَّى ذَاكَ الضُّحَى الْأَبْيَضَ السَّمْحَ صَبَاحَ الْهَدَى السَّرِيِّ الْمُطْلِ
 الْعَيُونَ الظَّمَاىَ إِلَى وَرْدِهِ الْعَذْبِ تَرَانِيمُ حَالِمَاتٍ تُصَلِّي
 وَالصَّبَايَا عَلَى الصُّفَافِ الْمُطْلَاتِ ظِبَاءُ تَرِفُ رَفَّةً ظِلْ
 وَالْمَهَا الْعَيْنُ حَوْلَهُنَّ تَوَاتِبُنْ وَطُولُ السَّرِيِّ يُمِرُّ وَيُحْلِي
 وَالتَّيَامُ الْكُرُوبُ فِي هَجَّةِ اللَّيْلِ التَّيَامُ الْحَيَاةِ شَمْلًا بِشَمْلِ
 وَلِقَاءَ الْقُلُوبِ وَحَدَّهَا الْخَطْبُ صَدَى نُورَتْ مُجَاهِلَ سُبُلِ

قد وهنّا ولم نهنِ حُسْبُنَا الصَّخْوُ فما كَانَ ضَعْفُنَا ضَعْفَ ذُلِّ
 نَتَحَدَّى وَلَا يَطِيقُ التَّحَدَّى غيرُ مُسْتَعَصِمٍ بِأَوْتَقِ حَبْلِ
 نَتَحَدَّى عُنَاصِرَ الشَّرِّ زَحَافًا على أَرْضِنَا بِخَيْلٍ وَرَجُلِ
 نَتَحَدَّى قَذَائِفَ الْوَبْلِ تَنْصَبُ انصِبَابِ الشُّوَاطِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي
 إِنَّهُ الشُّوقُ يَا سَمَاءَ إِلَى الْغَيْثِ فوقَّيه وَاكِفًا غيرَ ضَخْلِ
 ابْتَعِيهِ هَدِيَّةَ الْمَوْلِدِ الْأَسْمَى فطه يُهْدِي الْجَمِيلَ وَيُوَلِّي
 وَابِلًا هَادِرَ الشُّعَاعِ كَمَا أَهْدَاهُ من قَبْلُ وَابِلًا غيرَ طَلِّ
 وَابْتَعِيهِ سَخِيَّةَ فَابُو الزَّهْرَاءِ خِصْبُ فِي كُلِّ حَزْنٍ وَسَهْلِ
 نَحْنُ أَهْلُوهُ وَهُوَ مِنْ قَبْلُ أَوْصَى خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِرَبِّعٍ وَأَهْلِ
 إِلَيْهِ رَبِّ السَّمَاءِ شَفَّعَهُ هَلْ غيرَ حَبِيبِ السَّمَاءِ أَرْضَى لِسُؤْلِ
 قَدَلَوْتَنَا الْحَيَاةُ مَذْ صَرَحَ الشَّرِّ فَعِشْنَا أَنْضَاءَ لِيٍّ وَمَطْلِ
 وَشَرِبْنَا عَلَى الْقَدَى وَشَرَابُ الْهِيمِ^(١) أَوْدَى^(٢) بِكُلِّ قَلْبٍ وَعَقْلِ
 وَرَكَّضْنَا إِلَى الْبَلَاءِ وَمَا زَالِ جَحِيمًا يَكْوِي النُّفُوسَ وَيُضْلِي
 وَاسْتَرْخْنَا بِلَادَةَ وَغَبَاءِ لِهَوَى النُّفْسِ وَالضَّلَالِ الْمُضِلِ
 وَانْتَشَيْنَا بِالرَّاحِ دَارَ بِهَا الْوَاعِلِ فِي عَرْضِنَا يَغْيٍ وَجَهْلِ

(١) الهيم : الابل العطاش .

(٢) أودى : أهلك .

ورقضنا على الأنين فعدنا
ونسينا تلك العراقة أخلينا
وشغلنا عن النضال عن الخير
ومشينا في ركب من جانف القصد
واستبحنا نفوسنا فاستراحت
أي حب في الكون ما شغسته
فإذا هام بالربيع أناس
وإذا أغفت الطبيعة نشوى
وجري في اللحاء من خالص
وتناجت حمامم الأيك تنساب
وتلاقي الأصيل بالشفق القاني
كرحيق الحنان كالدفء كالبرء
فهي إشراقة الربيع السماوي
في الجمال الصافي الكبير تهدها
المغاني بيانه والمثاني
كصغار تهفو لزمر وطبل
ذراها لكل أهوج نغل
وهنا في حب نعم « وجمل »
عتل يقول فينا ويمل
لهوي كاسر وعجب وبخل
شمس طه في صحوها المشتعل
ثم عبوا عيب نهل وعل
بين أحضان ياسمين وقل
المزن رواء كالعسجد المنحل
حيناً في عنقوان ودل
شعاع يمج في غصن نخل
كخضب الحياة من بعد محل
تجلت في سر بعد وقبل
جلال باد المحجة رسل
عطرات ألا لنفحه المنهل

لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ بِالرُّوحِ نَفْحًا فَذُو الْفَضْلِ لَا يَضِنُّ بِفَضْلٍ
 لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ إِنَّا إِذَا غَبْتُ حَيَارَى مَا بَيْنَ فَضْلٍ وَوَصْلٍ
 لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ إِنَّا إِذَا غَبْتُ يَتَامَى كَأَنَّا صَمْتُ لَيْلٍ
 مَزَقْنَا الْأَحْدَاثُ تَمْزِيقَ أَشْلَاءِ تَهَاوَتْ مَا بَيْنَ عُدْمٍ وَثُكُلٍ
 كُنْ رَبِّيعَ الْقُلُوبِ يَا مَوْلِدَ الْخَيْرِ وَبَارِكْ صِدْقَ الْحَدِيثِ بِفِعْلٍ
 كَمْ تَمَنِّيْتُ أَنْ أَكُونَ كَمَا أَهْوَى بِرُوحِي غَزِيدَ أَعْظَمِ حَفْلٍ
 غَيْرَ أَنْ الْمَقَامَ أَسْمَى لَعَمْرُ الْحَقِّ مِنْ فَاقْبَلْهُ جُهْدَ مِقْلٍ
 لَمْ أُرِدْهَا تَهَانِثًا بَلْ صَلَاةَ وَسَلَامًا فَذَاكَ أَحْرَى بِمِثْلِي
 فَاقْدِ الرُّشْدَ طَالَعَ الْخَطُوءُ آثَامِي كِبَارُ فِي كُلِّ مَوْطِئٍ رِجْلٍ
 قَعَدْتُ بِي الدُّنُوبَ حَتَّى إِذَا مَا صِرْتُ ظِلًّا لِهَيْكَلِ مُضْمَحِلٍ
 نَازَعْتَنِي إِلَى الرَّحَابِ الْكَرِيمَاتِ رَجَاوِي شَيْخٍ وَلَوْثَةُ كَهْلٍ
 غَيْرَ أَنِّي وَقَدْ تَوَلَّى زَمَانِي حَائِثُ حَيْرَةِ الزَّمَانِ الْمُوَلَّى
 فَأَنَا الْيَوْمَ عِنْدَ بَابِكَ يَا رَبِّ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَطَوَّلٍ
 سَابِحًا فِي الْعُبَابِ أَجَارُ مَنْ لِي . يَا إِلَهَ السَّمَاءِ غَيْرَكَ مَنْ لِي

...

ها هنا الملتقى

ها هنا المُلْتَقَى وَثَمَّ الْمآبُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الرَّحَابِ اغْتِرَابُ
هَـا هَـنَا الْوَحْدَةُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ وَمِثَاقُهَا الْهُدَى وَالْكِتَابُ
هَدَفٌ وَاحِدٌ وَظِلٌّ ظَلِيلٌ لَا افْتِرَاقٌ لَا ضِدَّةٌ لَا كِذَابُ
لَا طُقُوسٌ وَلَا مَرَاسِيمٌ رَعْنَاءٌ وَلَا جَوْقَةٌ وَلَا أَرْبَابُ
فَدَعُوا لِلنَّفُوسِ فِطْرَتَهَا الْأُولَى فَقَدْ فُتِّحَتْ لَهَا الْأَبْوَابُ
فِي السَّمَاءِ السَّمَاءِ حَارِسُهَا الْأَعْظَمُ لَا تَسْتَرِيبُ . لَا تُسْتَرَابُ
صَانَهَا الْمَنْطِقُ الْحَضَارِيُّ بِالْإِيمَانِ لَا رَاهِبٌ وَلَا إِرْهَابُ
أُطْلِقُوا هَذِهِ الرَّحَابَ فَمَا فَوْقَ عُلَاهَا عَلَى الْأَدِيمِ رِحَابُ
نَبْعِهَا يَلْفِظُ الْقَدَى وَسَنَاهَا عِبْقَرِيَّ النَّهَارِ . غَضُّ شَبَابُ
وَالسَّحَابُ السَّحَابُ رِيُّ هَوَاهَا وَحُدَاهَا وَهُوَ فِي سِوَاهَا خِلَابُ
وَالْهُدَى اشْتَاقَهَا فَاسْكُنْهُ اللَّهُ رَبَّاهَا وَلِلطَّلَابِ طِلَابُ
شُعْلَةٌ سَهْلَةٌ الرِّوَاغُ لَا تَنْفَكُ مَشْدُودَةٌ إِلَيْهَا الرِّغَابُ
وَالرِّيَادَاتُ وَالْقِيَادَاتُ فِي الْآفَاقِ مَوْصُولَةٌ بِهَا الْأَسْبَابُ
وَالْقَرَابِينُ وَالضَّحَايَا لِمَنْ ذَلَّتْ لَهُ وَحْدَهُ النُّهْيُ وَالرَّقَابُ
آمَنْتُ وَالْيَقِينُ أَبْلَجُ لَا تَسْطَعُ إِلَّا بِنُورِهِ الْأَلْبَابُ

...

مَوْكِبُ الرُّوحِ لَا تَحُدُّ مَرَامِيهِ حُدُودُ إِنِّ الْحُدُودَ سَرَابُ
 مَوْكِبُ الرُّوحِ شَأُوهُ فَوْقَ مَا تُلْمَحُ تِلْكَ الذُّرَى وَتِلْكَ الْقِبَابُ
 الرُّوْاسَى دِعَامُهُ وَالْأَوَاذِي مُلْتَقَاهُ وَالْأَصْرَاتُ عُبَابُ
 وَالْهَدِيرُ الْجَبَّارُ زَمْجَرَةُ الْإِيْمَانِ مَاجَتْ فِي دَفْقِهِ الْأَصْلَابُ
 وَالشَّدَى مِنْ كَيَانِهَا ضَمَخَ الْكُونُ فَمَا مِثْلُهُ شَدَى . أَوْ . مَلَابُ
 شَائِعُ النَّفْحِ لَا الْكُهُوفُ تَوَارَتْ عَنْ سَنَاهُ وَلَا تَنَاءَتْ . . شِعَابُ

• • •

هَا هَنَا هَا هَنَا تُؤَفَّى الْمَوَازِينُ كَمَا تَمُّ بِالْكَمَالِ نِصَابُ
 هَا هَنَا تَسْطَعُ الْحَقِيقَةُ لَا يَغْبُثُ فِي ضَوْئِهَا الْعَظِيمُ ضَبَابُ
 هَا هَنَا يَنْطِقُ الْوُجُودُ فَلَا يَحْجُبُ أَسْرَارَهُ الْكِبَارُ حَجَابُ
 إِنَّهَا إِنَّهَا تَعَالِيْمُهُ الْأَوَّلَى وَأَحْقَابُهَا هِيَ الْأَحْقَابُ
 لَمْ تَضِقْ بِالنَّفُوسِ لَكِنَّ نَفُوسَ النَّاسِ ضَاقَتْ فَمَسَّهَا الْإِجْدَابُ
 وَاخْضِرَّ الْقُلُوبُ كَالشَّمْسِ لَا يَغْبُثُ إِلَّا بِدِفْئِهَا الْإِخْصَابُ

• • •

خَابَ مَنْ يَرْبِطُ الْمَهَازِلَ بِالْدِينِ فَزَيْفٌ ظِلَاؤُهَا . وَخِصَابُ
 وَالصَّفَاءُ الصَّفَاءُ لَا يَلِدُ الرَّنَقَ وَلَا تَسْتَفِزُهُ الْأَوْشَابُ
 لَا يَضُرُّ الْآجَامُ فِي الْغَابِ إِذْ تَعْوِي ذِنَابُ أَوْ أَنْ تَهْرُ كِلَابُ
 هَا هَنَا الْمُلتَقَى صَعِيدُ طَهُورٍ تَتَلَقَّى فِي ظِلِّهِ الْآرَابُ

وقلوبُ كَأَنَّهَا أَلْقَى الْمُزْنَ تَسَاوَى شَهَوُهَا وَالْغِيَابُ
 وَحَدَّثَتْهَا جَوَامِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ بَارَى إِيجَازَهَا الْإِطْنَابُ
 فَالْتَّعَالِيمُ فِي مَهَابِطِ وَخِي اللَّهِ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ وَصَوَابُ
 وَالْهُدَاةُ الْهُدَاةُ آطَامُهُ الْكُبْرَى يُدَوِّي بِهَا الدُّعَاءُ الْمُجَابُ
 لَا دُعَاةٌ تَهْزُهُمْ عَنَعَنَاتٌ قِيلَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أَقْطَابُ
 إِنْ أَقْطَابُنَا الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ فَلَا طَامِعٌ وَلَا نَهَّابُ
 لَمْ يَدُمْ فِي رُبُوعِنَا الْفَيْحِ دَجَالٌ وَلَا خَادِعٌ وَلَا نَصَابُ
 قَدْ تَهَاوَتْ أَصْنَامُ مَكَّةَ لَمْ تَحْمِ حِمَاَهَا الْأَزْلَامُ وَالْأَنْصَابُ
 يَا ضَيْوَفَ الْبَيْتِ الَّذِي فِي مَغَانِيهِ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ وَمَثَابُ
 مِنْ هُنَا جَدَّدُوا الْعَهْدَ فَعَهْدُ الْحَبِّ طَبَعٌ لَا خَلْسَةٌ وَاعْتَصَابُ
 بَايَعُوا اللَّهَ مِنْ جَدِيدٍ كَمَا بَايَعَ فِي عَهْدِ أَحْمَدِ الْأَصْحَابُ
 وَاحْزَبُوا أَمْرَكُمْ وَثِيقًا فَحَزَبُ اللَّهِ تَفَنَّى مِنْ دُونِهِ الْأَحْزَابُ
 إِنَّا صَوَّبَ قِبْلَةً تَسَاوَى فِي حِمَاهَا الْأَعْجَامُ وَالْأَعْرَابُ
 وَطَنَ الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا لَيْسَ فِي مَوْطِنِ الْهُدَى أَغْرَابُ

يَا ضَيْوَفَ الْبَيْتِ الَّذِي فِي مَغَانِيهِ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ وَمَثَابُ
 إِنْ فَوْقَ الْإِحْسَاسِ بِالْحَبِّ إِحْسَاسًا عَمِيقًا هُوَ الْيَقِينُ الْعُجَابُ
 كَيْفَ لَا تَسْطَعُ الْقُلُوبُ وَفِي الْمَوْكِبِ طَهٌ وَلِلْأَجْبَاِ اصْطِخَابُ

والمُلبُّون في ذُرَي عِرفَاتٍ بارَكْنَهُمْ وِديَانُهَا والشَّعَاب
وَتَحَرَّتْهُمُوا المَلَايِكُ أَسرَابَا تَبَارَتْ فِي شَوْقِهَا أَسرَاب
يَا لَهَذَا الرُّكَّاب سَالَتْ بِهَا البَطْحَاءُ زَهْوَا هَل مِثْلُكُن رِكَّاب
لَمْ يُخَامِرْنِي ارْتِيَابُ بَأَنَّ اللهَ مَعَنَا والابْتِهَالُ مُجَاب
نَحْنُ فِي سَاحِ قَبْضَةٍ نَتَحَرَّى! كَيْفَ نُثْنِي أَعْطَاوَنَا وَنَهَاب
كَيْفَ لَا نَقْبِضُ الزُّمَامَ وَنَسْتَنْجِزُ وَعْدًا قَدْ طَالَ فِيهِ ارْتِقَاب
إِنْ مَضَى العَمْرُ دُونَ قَطْفِ جَنَاهِ سَوْفَ يَجْنِي ثِمَارَهُ الْأَعْقَاب
فَالظَّلَامُ الظَّلَام طَالَ دُجَاهُ وَتَوَالَتْ بَعْدَ الصَّعَابِ صِعَاب
وَعُدَاةُ الْإِسْلَام قَدْ وَسَّعُوا الْخَرْقَ وَغَرَّتْهُمُوا الْبُرُوقُ الْكَذَّاب
وَغَرَّتْهُمْ مِنَ الضَّلَالِ أَبَاطِيلُ فَسَارُوا كَمَا يَسِيرُ الْغَرَاب
إِنَّهَا رَايَةَ الضَّلَالِ تَغَشَّتْهُمْ ظَلَامًا وَطَعُمُوا الْأَلْمَاسَ
إِنَّهُمْ فِي الْبَلَاءِ أَعْدَى وَأَنْكَى إِنَّهُمْ لِلضَّرَارِ ظَفَرٌ وَنَاب

إِيهِ رَبِّ الْحَجِيجِ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ وَمَسَتْ شِغَاغَنَا الْأَوْصَابُ
كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمُسْلِمِينَ نَشَازُ رَجَعْتُ لِحْنِهِ السُّنُونُ الْغَضَابُ
وَجَرَّتْ فِي الدَّمَاءِ مِنْ دَمِ سَاقِيهِ زُعَافٌ يَفْرِي الْكِبُودَ وَصَابُ
فَهَبِ الْمُحْرِمِينَ شُعْنَا لِأَعْيَابِكَ رَحْمِي فَإِنَّكَ الْوَهَّابُ
مَا خَلَّتْ أُمَّةٌ النَّبِيَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا زَالَ فِيهِمُ الْإِنْجَابُ
عَلَّ فِي الْحَجِّ نُخْبَةً قَدْ تَقَبَّلَتْ دُعَاهُمْ فَيَشْفَعُ الْإِنْخَابُ

يَا إِلَهَ الْحَجِيجِ نَفَحًا فَإِنَّا فِي طَنِينٍ كَمَا يَطْنُ الذُّبَابُ
فَوْقَ هَذَا الثَّرَى مَشَى صَحْبُ طَهْ خَلْفَهُ وَالْهَدَى عَلَيْهِمْ قِبَابُ
فَأَضَاءُوا كَمَا أَضَاءَ الشَّهَابُ وَتَهَادَوْا كَمَا تَهَادَى السَّحَابُ
أَيُّ تَبَرٍّ هَذَا التَّرَابُ الَّذِي سَارُوا عَلَيْهِ إِذَا مَاتَ حدى التَّرَابِ
وَإِذَا فَاتَنَا أَدْكَارُ الْمَوَاضِي فِي وَغَاهُمْ فَالْقَوْسُ وَالنَّشَابُ
إِنَّهُ رَمَزُ قُوَّةٍ وَالْيَقِينُ الْحَقُّ فِي الْحَرْبِ زَادُهُمُ وَالشُّرَابُ
وَسِلَاحُ الْإِيمَانِ أَمْضَى فَمَا تَقْوَى عَلَى فَلَهُ الْقِنَا وَالْحِرَابُ

* * *

إِيهِ رَبِّ الْحَجِيجِ سَعْنَا بِرُحْمَاكَ وَمِنْ رَحْمَةِ الْكَرِيمِ الْحِمَابُ
يَا إِلَهَ الْحَجِيجِ صَالِ الْبُغَاثِ النَّذْلُ فِينَا لَمَّا جَفَّانَا الْعُقَابُ
وَرَضِينَا الْهَوَانَ وَالْمُؤْمِنُ الْحُرُّ عَيُوفٌ فَهَلْ دَهَانَا الْمُصَابُ
يَا إِلَهَ الْحَجِيجِ جَاءُوا : بِإِفْكِ لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْنَا كِتَابُ
أَدْعُوهَا حَضَارَةٌ وَعَمَارًا وَهِيَ فِي الْحَقِّ فِتْنَةٌ وَخَرَابُ
وَرَمُّوا بِالْجُمُودِ مَنْ لَمْ يُزَعِّزْهُ انْحِرَافٌ أَوْ يَعْتَرِيهِ اضْطِرَابُ
وَتَغَالَوْا فَأَنْكَرُوا جِهَارًا وَاسْتَبَاحُوا مَا تَسْتَبِيحُ الدُّوَابُ
إِنَّهُمْ بَاطِلٌ يَزُولُ وَيَبْقَى وَجْهُكَ الْحَقُّ وَالْهُدَى وَالصَّوَابُ

* * *

يا إله الحجيح عَوْنَا يُؤَلَّفْنَا بِمَا لَمْ تُؤَلَّفِ الْأَنْسَابُ
كُلٌّ مِنْ نَازَعَتِهِ لِلْحَكْمِ نَفْسٌ فَالْفَاتِيحُ ثَوْرَةٌ وَانْقِلَابُ
وَالضَّحَايَا غَنَائِمٌ وَالْقَرَابِينُ لَعْمَرِي هَاتِيكُمُوهَا الْأَسْلَابُ

يا إله الحجيح إِنَّ عَجَزَ الْقَوْلِ وَحِيدًا هَلْ يَعْجِزُ الْقَرَضَابُ
رُبَّ حَرْبٍ يُؤُوبُ بِالسَّلَامِ وَالْغَنَمِ وَسَلِمَ عَلَى الْخُنُوعِ عَذَابُ
يا إله الحجيح إِنَّا عَلَى الْبَابِ وَقُوفٌ وَلَنْ يَضِيقَ الْبَابُ
فَأَلِطِي يَا أُمَّةَ الْخَيْرِ بِالنَّجْوَى دَعَاءً وَلِيَضْرِعَ الْأَحْبَابُ
إِنْ أَسْلَفْنَا الْأَلَى رَفَعُوا الرَّأْيَةَ بِالْحُبِّ قَبْلُنَا مَا خَابُوا
وَالْمُلبِّسُونَ أَقْرَبَ النَّاسِ لِلرَّحْمَى وَمَا يُخْطِئُ الْقُلُوبَ الْجَوَابُ
لَا تَقُولُوا جَلَّ الْمُصَابُ فَلُطْفُ اللَّهِ أَرْجَاهُ إِذْ يَجِلُّ الْمَصَابُ

وَصَلَاةٌ عَلَى الْحَبِيبِ الَّذِي حَنَّتْ حَيْنُنَا لَهُ الْجُدُوعُ الرُّطَابُ
وَالَّذِي سَبَّحَ الْحَصَى وَالتُّرَابُ فِي يَدَيْهِ كَأَنَّهُ التَّرْحَابُ
ثُمَّ غَنَّتْ شَوْقًا إِلَيْهِ الرَّبَابُ فَشَجَاهُ حَنِينُهَا الْمُنْسَابُ
وَبَنَاتُ النَّجَارِ لَحْنٌ جَمِيلًا هَذِهِتَهُ أَرْوَاحُهُنَّ الْعِذَابُ
أُبَشِّرُوا إِنْكُمْ طَلَائِعُ نَفْعٍ طَابَ فِيهَا السَّرَى وَطَابَ الْإِيَابُ

من وحى الذكرى الخالدة

يا مَنْ رَأَى مَجْدَ السَّمَاءِ وَنُورَهُ
ورَأَى الكواكِبَ والبُدُورَ تَأَلَّفَتْ
فالرَّحمةَ الكبري تَغُرَّدُ في يد
وإذا العوالمُ غَايَةً ووسيلةً
فَرَوَى الخَلَائِقَ للخَلَائِقِ مَشْهَدًا
وتَطَاوَلَتْ أَفلاكُهَا وتَسَامَقَتْ
والحَالِمُونَ على السَّحَابِ تَنَدَّرُوا
وهَفَّتْ ملائكةُ السماءِ وشَاقَهَا . .
وسَرَّتْ على الأَكْوَانِ في غَسَقِ الدُّجَى
وتعانقت أرواحُهَا وتخاصرت
واستبشرت حتى الأَجِنَّةُ أَفْصَحَتْ
مُزْنَا تَضَاحَكُ في أُسْرَةِ أَحْمَدَ
بَجْبِينِهِ الْمُتَشَعِّشِ المَتَوَقِّدُ
وَنُبُوءَةُ الْأَمْجَادِ تَسْطَعُ في يَدِ
مَوْصُولَتَانِ بِمَجْدِهِ الْمُتَجَدِّدِ
عَجَبًا تَعْلُقُ يَوْمُهُ بِضُحَى الْغَدِ
واهْتَزَّ سَامِرُهَا لِئُشْرَى المَوْلَدِ
فَلَقَا يَشْعُ بِسُنْدُسٍ وَزَبَرْجَدِ
مَا شَاقَ كُلَّ مُسْبِحٍ وَمُغْرَدٍ . .
نَسَمَاتُ فَجْرِ عَيْقَرِيٍّ سَرْمَدِ
آمالُهَا في رَحْمَةِ وَتَوَدُّدِ
عنها وُجُوهُ الْغَانِيَاتِ الْخُرَدِ

* * *

يا مَنْ رَأَى سِرَّ الوجودِ كَأَنَّهُ
اللهُ في الرُّوحِ الْأَمِينِ مَشَى بِهَا
اللهُ في إِيْمَانِهِ وَأَمَانِهِ
شَمْسٌ تَرْنَحُ في غِلَالَةِ عَسَجَدِ
في ذَاتِهِ : لِتَكُونَ ذَاتُ مُحَمَّدٍ
اللهُ في إِبْدَاعِهِ الْمُتَفَرِّدِ

الله في أخلاقه مَنْفُوحَةٌ بِشَدَى من القرآن حُلُو المَوْرِدِ
 طَابَتْ بها في الخلد كل أرومة كَرَم النُّجَار على كريم المَحْنِدِ
 وترعرعت في المشرقين حَمَائِلُ رُوِيَتْ بمجد في الزَّمان مُخْلَدِ
 واستأثر الوجد المِلْحُ بآنفس لَهْفَى تحيط بِرُكْبِهِ المتوجِّدِ
 نضاجة القَسَمَات تهتِفُ بالمُنَى عَظُمَتْ ففَاضَ بِهَا هَوَى الْمُتَزَيِّدِ
 زُفْتُ إِلَيْهِ الحب مِلءَ جوانح مَوَارِدَ بِلُجَيْنِهَا المُتَوَرِّدِ
 سَكَبَتْ عليه الراح من نشواتها أَلِيقُ الضُّحَى في السَّمَهْرِى الْأَمَلَدِ
 وترفقت بالطيف في سُبُحاتِهَا فَإِذَا الْخَيَالُ حَقِيقَةٌ في المَوْعَدِ
 وإذا صَحَا أَمَلُ القلوب على النُّهى بَلَغَ المَدَى في أَوَجِّهِ المَتَمَرِّدِ
 وشأى السَّمَاءُ كَأَنَّ في آفاقِهِ هَدَفًا : تَمَثَّلُ في : أَوَابِدَ شُرْدِ
 هدفُ العِظائِمِ في العَظِيمِ رِسالَةٌ هَانَ الفِدَاءُ بِهَا وَعَزَّ المِفْتَدي
 ومضى بها نُورُ اليَقِينِ يَصُونُهَا هَادٍ أَمِينٌ لَا يَضِيقُ بِمُهْتَدِي
 بِالْحِكْمَةِ الْمُثَلَّى سِلَاحُ جِهادِهِ لَا بِاللَّجَاجِ وَلَا بِحَدِّ مُهَنَّدِ
 بالحب عَاطِفَ بَيْنَهُمْ في مَشْرِعِ صَفَوْ يروح على الْوِدَادِ وَيَغْتَدِي
 هَبَّ الحَيَاةَ عَزِيزَةً وَسَرَى بِهَا مَسْرَى الجَدَاوِلِ في الظَّلَالِ الْمَيِّدِ

تَصِلُ الْوَشَائِحُ بِالْوَشَائِحِ فِي هَوَى
وَعَلَى الْمَوَاقِبِ لِلْمَشَاعِلِ فَرَحَةٌ
لَا تَسْتَفِيْقُ مِنَ السُّلَافِ : حَلَالُهُ
كُلُّ الرِّوَايَعِ مِنْ مَنَاهِلِ كَفِّهِ
وِخْصَائِصِ وَسِعِ الزَّمَانُ حِبَاؤُهَا
وَمُنَى الْكَرِيمِ : كَرَامَةٌ يَسْمُو بِهَا
مَا كَانَ دَيْنُ مُحَمَّدٍ شَكْلًا وَلَا
لَكِنَّهُ الْإِنْسَانُ فِي أَبْعَادِهِ
فِي كَنْزِهِ الْمَذْخُورِ غَيْرَ مُهْدَرٍّ
فِيْمَا يَشْفُ لَهُ الْوَلَاءُ مُمَحَضًّا
فِي الْآصِرَاتِ تَجَمَّعَتْ وَتَأَلَّفَتْ
لِلْمَوْطِنِ الْأَسْنَى عَقِيدَةٌ وَامِقٍ
وَحْيِ الْعَقِيدَةِ فِي مَهَابِطٍ وَخِيَاهَا
مُتَنَفِّسًا لِهَوَى الشَّبَابِ وَعَهْدِهِ
لَيْسَتْ سِوَاهِ حَقِيقَةٍ فِي صُورَةٍ
لَيْسَتْ سِوَى الْحُبِّ الْأَصِيلِ مُجَرَّدًا
سَمَحٍ كَمَنْغُومٍ اللَّقَاءُ مُهْدِدٍ
تَجْلُو الْمِبَاهِجَ مَشْهَدًا فِي مَشْهَدٍ
أَبْهَى وَأَمْتَعُ مِنْ سُلَافِ مُعْرِيدٍ
دَفَقَ حَكَاهُ مَتَهُمَ عَنْ مُنْجِدٍ . .
حَطَمَتْ سُودُودُ مُقَيِّدٍ وَمُحَدِّدٍ
إِنْسَانَهَا عَنْ حَيْرَةِ الْمُسْتَرْفِدِ
رَسْمًا تَضَاءُ لَهُ شُمُوعُ الْمَعْبُدِ
فِي مَجْدٍ مَعْنَاهُ السَّرِيَّ الْأَبْعَدِ
فِي رُوحِهِ الرِّقَافِ غَيْرِ مُصَفَّدِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ مَسُودِهِ وَالسَّيِّدِ
فِي الْأُمْنِيَّاتِ عَلَى السُّرَى الْمُتَوَجِّدِ
فِي مَوْقِفِ جَمِّ الْفَخَارِ مُؤَيَّدٍ . .
مِنْ بَيْتِهِ الْمَعْمُورِ حَتَّى الْمَسْجِدِ
وَمَدَارِجِ الْإِحْلَامِ مَرَّتْ فِي «دَدِ»
مَشْدُودَةٍ لِكَيَانِهِ الْمُتَوَطَّدِ
لِلْمُصْطَفَى فِي الْمَوْقِفِ الْمُتَجَرَّدِ

حُبُّ اليقين تَدَافَعَتْ أَمْوَاجُهُ لَا حُبَّ مُضْطَرَبِ الْحَشَا مُتَرَدِّدُ
 نَدِيُّ الْبَرَاعِمِ وَالْأَزَاهِرِ وَالسَّنَا وَالظَّلُّ فِي صُبْحِ أَغْرٍ مَنْصُدُ
 وَسَقَى الْعُهُودِ الْوَالِيَّاتِ لِعَهْدِهِ عَذْبَا صَرَاخًا مِنْهُ غَيْرِ مُصْرَدُ
 فَصَحَّتْ عَلَى صَحْوِ الرَّبِيعِ حَدَائِقُ أَحْدَاقُهَا مِنْ حُرْقَةٍ وَتَنْهَدُ
 وَمَشَى بِهَا التَّارِيخُ يَغْسِلُ نُورُهُ بُقْيَا أَثَامٍ فِي ضَلَالَةٍ مَعْتَدُ
 وَيَجُولُ فِي الْأَعْمَاقِ يَزْرَعُ سِرَّهُ بَيْنَ الْقِفَارِ الْجَرْدِ : بَيْنَ الْفَدَقْدِ
 حَتَّى اسْتَرَاحَ الْخَافِقَانِ لِرَايَةِ بَيْضَاءَ : إِلَّا طُغْمَةً مِنْ حُسْدِ
 عَاشَتْ عَلَى الدَّاءِ الدَّفِينِ حِمَاةُ مَوْرُوثَةٍ فِي خَامِلٍ أَوْ : قُعْدِ
 بِالْمَكْرَتِنْفُثِ سُمُّهَا وَتُرِيشُهُ سَهْمَا يَلُوكُ ضَغِينَةَ الْمَتَلَدِّ
 حَتَّى تَكْسُرَتْ النُّصَالُ وَلَمْ تَزَلْ تَنْدُسُ فِي اللَّهَبِ الْقَمِيءِ الْأَسْوَدِ
 مَحْرُوقَةُ الْقَسَمَاتِ أَجْفَلُ «طَعْمُهَا» مِنْ صَيْدِهَا فِي خَيْبَةٍ وَتَبْلُدُ
 وَمَضَتْ تَنُوحُ عَلَى الرَّعَانِ هَزِيلَةَ كَالْبِسْمَةِ الصَّفَرَاءِ فِي الْمُتَجَلِّدِ
 وَاسْتَرْجَعَتْ مَقْرُورَةً : فِي رَأْسِهَا أَمَلٌ إِلَى الرَّجْعَى لِنَهْجِ مُحَمَّدِ
 لِرَحَابَةِ الْفِيحِ الْمَلَاءِ رَجَاحَةُ لِلشُّوْكَةِ الْعَظْمَى الَّتِي لَمْ تُخْضَدُ
 لِعَدَالَةٍ كَوْنِيَّةٍ شَفَافَةٍ . . إِبْدَاعُهَا فِي الْمَسْلُوكِ الْمَتَعَبِدِ
 لِحَضَارَةِ مَعْرُوقَةٍ مِنْهُ مَهْرُورَةٌ فَتَحَتْ مَغَالِقَ كُلِّ بَابٍ مُوَصَّدِ

بِالْفَتْحِ جَلَجَلَ فِي السَّمَاءِ دَوِيَّهُ	كَالرَّعْدِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ وَمُصْعَدٍ
لِلْأُمَمِ لِلتَّارِيخِ فِي أَجْيَالِهِ	لِغَدٍ لِعَهْدٍ قَادِمٍ لَمْ يَبْعُدِ
لِلْحَقِّ تَشْرُقُ مِنْ جَدِيدِ شَمْسِهِ	بِمُحَمَّدٍ فِي عِزِّ أَوْجٍ مُحَمَّدٍ
وَلِيَأْفَلَنَ : الْغَرْبَ بَعْدَ شُرُوقِهِ	وَيَعُودُنَ مَا لَيْسَ بِالْمُتَعَوِّدِ
« أَزَفَ التَّرَحُّلُ رَغَمَ أَنَّ رِكَابَهُمْ »	لَمَّا نَزَلَ بِرِحَالِهِمْ وَكَأَنَّ : قَدْ
فَمُحَمَّدٌ رَغَمَ الْجُحُودِ مُحَمَّدٌ	وَهَيَاتُهُ كَحَيَاتِهِ لَمْ تَنْفُذِ
وَيُؤُوبُ عِزُّ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّهُ	يَوْمٌ قَرِيبٌ لَيْسَ بِالْمُسْتَبْعَدِ
تَتَوَحَّدُ الدُّنْيَا عَلَى أَظْلَالِهِ	أَنْفَا وَتَزْهَقُ رُوحٌ غَيْرُ مُوَحَّدِ
وَسَيَنْتَهِي عَهْدُ الضَّلَالَةِ وَالْهَوَى	إِذْ يَطْلُعُ الْغَرْسُ النَّقَى وَيَبْتَدِي
وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَحِيَّةٌ	هِيَ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ : عِطْرُ الْمَوْلَدِ

رحلة في رسالة

يا قِبابَ الفيحاء يا بسمَةَ الرُّوحِ وبابَهَجَةَ الفُؤادِ الشَّجِيَّ
لَثَمَ الحُبِّ ذَاتَهُ وَتَغْنَى الشَّوْقُ فِي صَمْتِهِ الْجَلِي الخَفِيِّ
وَتَهَادَتْ عَلَى مِشارِفِ سَلْعٍ . . نَفَحَاتٌ مِنَ الشَّدَى النَّبَوِيِّ
وتبدت « قُبَاءٌ » وَالْأَلْقُ الضَّاحِي وَشَاحٌ مِنْ عَسَجِدٍ عَبْقَرِي
وَبَنَاتُ النَّجَّارِ يَضْرِبْنَ بِالْذُّفِ ابْتِهَاجًا بِمَقْدَمِ الهاشِمِيِّ
النَّبِيِّ المَبْعُوثِ فِي خَيْرِ أَرْضٍ . . صَانَهَا مِنْ مَنَافِقٍ وَدَعَى
دَعْوَةَ الحَقِّ لَمْ تَزَلْ مَطْلَعُ الشَّمْسِ إِلَى غَرْبِهَا هَوًى كُلِّ حَيٍّ
أَزَلَّ سَرْمَدٌ أَفَاضَ عَلَيْهَا النُّورَ أَعْظَمَ بِهِدِيهَا السَّرْمَدِي
يا لَطَهَ وَصَحْبِهِ الغُرُّ فِي طَيْبَةِ دَارِ الْأَمَانِ مَثْوَى النَّبِيِّ
مَسْجِدٌ زَادَهُ الْمَلِكُ اتِّسَاعًا زَانَ أَفَقَ اتِّسَاعِهِ الرُّوحِي
فَعَسَى نَفْحَةٌ تُطِلُّ عَلَى الدُّنْيَا فَتَقْضَى عَلَى الصَّديِ الوَثْنِي
فَإِذَا النَّبْتُ حَالٍ وَإِذَا الشَّمْلُ جَمِيعٌ عَلَى الصُّرَاطِ السَّوِيِّ
وَإِذَا الرَّايَةُ الَّتِي ظَلَّلَ الكَوْنَ سَنَاهَا فِي كَفِّ قَرَمٍ ذِكِّي
عَبْشَمِي السَّمَاتِ يَنْمِي إِلَى الصَّيْدِ فَخَارًا وَإِنْ نَأَى عَنْ نَمِي
وَالْجَدِيبُ الْجَدِيبُ مِنْ خَلْقِ المَجْدِ قَصِيٍّ وَإِنْ نَمَا فِي قُصَيٍّ
إِنَّا فِي هَوًى الحَبِيبِ سَمُونَا عَنْ هَوًى . عَزَّة . وَلِبْنِي وَمَيِّ

أيام التشریق

«أيها الراكب الميمم أرضي أفر بعرض السلام مني لبعضي»
«إن جسمي كما علمت بأرضي وفؤادي وساكنيه بأرض»

* * *

وإذا الليل قد شجا وغفا اليم وبرق الحمى أهل بومض
عاودتني الذكري إلى أرج الخيف فلن تفرح العيون بعرض
أنجلي الأطياف في وهج السهد وفي زحمة الأنين الميمض
وإذا أغضت النسائم عبر الفجر رقافة . على البعد أغضى
وإذا سالت البطاح بأغناق المطايا أكاد والله أفضى
وإذا الصب راح يفضي إلى الليل بنجوى فإنني لست أفضى
أنا والليل عاجزان فلا الصمت يواسي ولا التجميل يرضى
قطرات الرذاذ أشهى على الظمان من هاطل بذل وخفض

* * *

عرفات

الْأَغَارِيدُ فِي السَّمَاءِ نِدَاءُ وَالرُّحَابُ الْخَضِرَاءُ وَالْأَضْوَاءُ
وَالْحُشُودُ الَّتِي أَطَلَّتْ مَعَ الْفَجْرِ عَلَى الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ دُعَاءُ
وَالْحَيَارَى وَالرَّاقِصُونَ عَلَى السُّحْبِ أَظَلَّتْ أَفْيَاءَهُمْ . أَفْيَاءُ
وَالثَّرَاءِ الْعَرِيضُ وَالْجَاهُ وَالْمُلْكُ خُطَاهُ عَلَى الثَّرَى . مَشَاءُ
وَالْمَغْنَى الْفَيْحَاءُ نَاعِمَةُ الظِّلِّ وَآسَادُ غَابِهَا . وَالظُّبَاءُ
وَالْمَقَاصِيرُ وَالْخِيَامُ قُطْعَانِ حِمَاهَا مَعَ الرُّعَاةِ سَوَاءُ
يَا لَعَيْنِي يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ لَهُ الْحَيَاةُ فِدَاءُ
قَدَرٌ نَسَقْتُ يَدُ اللَّهِ مَغْزَاهُ فَلِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لِقَاءُ
وَالْأَنْبِيَاءِ الشَّجِيُّ وَالنَّعْمِ الْحُلُو وَرَجْعِ السَّمَاءِ وَالْأَصْدَاءِ
كُلُّهَا . كُلُّهَا إِلَى عَرَفَاتِ اللَّهِ هَمْسٌ مُعَبَّرٌ وَدُعَاءُ
فَاذْكُرِي اللَّهَ يَا بُنْيَةَ أَنَّى كُنْتُ فَالذِّكْرُ مُتْعَةٌ وَغِذَاءُ
وَصَلِيهِ . . . يَصِلُكَ فَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ مَنْ نُحِبُّ جَفَاءُ

...

السعي بين الصفا والمروة

وكَبُرْتُ بين المَرَوَتَيْنِ تَهْزُنِي مشاعِرُ ضاءت في الحِشَا وشعائِرُ
 أَحِنُّ إلى الأمواج دَفَاقَةَ السَّنا تَساوَى صِغارٌ عِنْدَها وَأَكابِرُ
 وَعَجٌّ وَفَجٌّ لِلحَجِيجِ كَأَنَّمَا تَجَاوَبَ صَيَّالٌ لَدِيها وَهَادِرُ
 وَذَابَتْ فُرُوقٌ كُنْتُ أَرعى سِمَاتِها فما ثَمَّ إِلَّا خاشِعُ القلبِ ذَا كَرِ
 فَلَا الحُسْنَ جَذَابًا وَلَا الطَّرْفُ زَائِغًا إِذا هِنْدُ نَضَّتْ جِيدَها أَوْ تُمَاضِرُ
 وَهَرَوَلْتُ يا نور الفؤادِ كَأَنَّنِي إلى حَوْمَةِ الهَيْجاءِ لَيْثٌ مُغامِرُ
 وَهَاجَتْ بِي الذِّكْرِي إلى عهدِ هَاجِرٍ وفي المَهْدِ إِسماعيلُ ظَمآنُ حائِرُ
 تَهْدِيهِدُهُ تَسْتَرْفِدُ الأَرْضُ مَاءَها فَأَشْرَقَ غَيْثٌ مِنْ ثَرَى الأَرْضِ هَادِرُ
 وَهَلَّتْ بِوادي الخَيْرِ في سَعْيِ هَاجِرٍ فَعَاشَتْ مَعَ الذِّكْرِي الحَبِيبَةِ هَاجِرُ

• • •

باب السلام

بابُ السلامِ وهذه شُرُفَاتُهُ وَرَتَا جُهُ . إِذَا . انْتَشَيْتُ أَلَامَ
ولقد مثلتُ فضايقَ بالأملِ النَّهْيِ فَإِذَا الرُّؤْيَى وَكَأَنَّهَا أَحْلَامَ
وتعلّقُ الإنْسَاءُ فِي إِضْبَاحِهِ وَتَعَانَقَ . الإِيْحَاءُ وَالْإِلْهَامِ
وسمِعْتُ من كَبَدِ السَّمَاءِ مَثَانِيًا فِي الْبَيْتِ فَاضَ بِشَدْوِهِنَّ حَمَامِ
وَالْبَيْتُ أَمْنٌ الْخَائِفِينَ وَإِنَّهُ بَرَدَ عَلَى أَكْبَادِهِمْ وَسَلَامِ
وَالطَّائِفُونَ الْحَائِمُونَ تَعَاقَبَتْ دَوْرَاتُهُمْ مَا صَدَّهْنُ زِحَامِ
سِرُّ الْحَيَاةِ وَرَمَزَ كُلُّ مَسِيرَةٍ فَالْكَوْنُ أَجْمَعَ دَوْرَةً وَنِظَامِ
وَالشُّهُبُ حَوْلَ الشَّمْسِ فِي أَفْلَاكِهَا دَوَّارَةٌ . مَا لِلْحَيَاةِ دَوَامُ
أَدَبُ تَشَعُّعِهِ الْقِدَاسَةُ صَافِيَا لَا السِّيفُ يُقْفِحُهُ وَلَا الضَّرْعَامِ
وَالطَّيْرُ آمِنَةٌ تَرُوحُ وَتَغْنَدِي كَطِبَاءِ مَكَّةَ . صِيدَهُنَّ حَرَامِ
يَا رَبِّ زِدْهُ مَجْدًا وَجَلَالَةً فَلَكَ الْجَلَالُ الْحَقُّ وَالْإِعْظَامِ

...

حراء

ولمّا تنوّزنا حراءَ واطَّلَعْتُ
 وقفنا وأوقفنا المِطْيَ مَهَابَةً
 طوالُهُ . ذَاكَ الجَلالَ المَعْتَقَا
 وَمِزْوَدَةٌ مطروحة و « رَكِيَّةٌ »^(١)
 ولناجى هَوَى عَذْباً وَعَهْدًا وَمَوْنًا
 وطيفَ تَبَدَّى كالرَّحِيقِ شُعَاعِهِ
 يُبَارِكُ حُلْمًا عَبْقَرِيًّا تَحَقَّقَا
 وفي الأفقِ جَبْرِيلُ الأَمِينُ كَأَنَّمَا
 فَقَدَ كانَ من نَفْحِ الفَراديسِ أَعْبَا
 وفاحَ عَيْبٍ لا الخُزَامَى ولا الشَّدَى
 لِيَجْمَعَ في الأَكْوَانِ شَمَلًا تَفَرَّقَا
 تُواكِبُهُ الرُّحْمَى وتُوقِظُهُ الرُّؤْيَى
 على مَجْدِهَا : عَافَ الكَرَى وتَأَرَّقَا
 وينسِجُ من أَهْدَابِهِ الوُطْفُ أُمَةً
 مصابيحَ حَيَاها . الحَيَا . مُتَأَلِّفَا
 فَهَدَّهَدَ إِعْصَارًا وشَقَّ من الدُّجَى
 وَلِلَّهِ أَرْوَاحٌ على الجَدْبِ أَخْصَبَتْ
 وَلِلَّهِ عَزْمٌ ما وَهَى أو تَمَزَّقَا

• • •

(١) اشارة الى أن ركوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي تمده بالماء مهما

طال تحننه كأنها ركوة أى بئر .

ذكرى عزيزة

إلى صاحبي الجريدة الجليلين أعتذر عن القصور الكبير إزاء
الواجب العظيم هذه (الكليمة) فى خجل مزيد معتقداً عدم تكافئها
مع العدد الممتاز آسفاً على حيولة الفرص الضيقة بينى وبين
إيفاء هذا الأمر حقه ، الناظم .

يا سارياً راح يطوي دارة الشهب	فى مَهْجَةٍ سَبَحَتْ فى عالم الحُجُب
جدتْ بهافى الهوى المُذْرى مُوجِدَةً	ولَجَّ منها هُتافُ جدِّ فى الطُّلُب
فجاذبتْ شَبَحاً ضنَّتْ به زَمناً	ثم انشنتْ جَدَلاً فى الوحدِ والخَبَبِ
كانما روحُ صَبٍّ شايَعَتْ أَمْلاً	بعد النوى فَبَدَتْ تَخْتالُ فى طَرَبِ
هذي الدُّنا صُورُ شَتَّى إذا ابتَسَمَتْ	يوماً ففى آخرِ وَقْدٍ من اللَّهَبِ
ما الذكرياتُ على أبهى غَضارِتها	والكأس قد نثرتْ مَنْظُومَةَ الحَبَبِ
وما الهوى وأمانيه وإن عُدَّتْ	موصولة الأُنس فى زَاهٍ من الحُقُبِ
والرَّوضُ قد بَسَمَتْ فيه أزاهرُهُ	كالطَّلِّ أو ضَرَبٍ فى طيِّبِ الشَّنبِ

ما بَيْنَ فاضِحَةٍ للشمس إن برزت
 أو غَادَةٍ بين سُرْبٍ جدفي الهرب
 والْحُبُّ مُوتَلَقٌ ضَافٍ مَخِيْمُهُ
 يرمي الحِبَالَةَ عن بُعْدٍ وعن كَسْبِ
 والقَوْمُ في نشوة يجتثهم أَمَلُ
 في هالة البدر أوفى دَارَةَ الشُّهْبِ
 أَسْمَى وَأَزْوَعُ من ذِكْرِي مؤثِّرة
 تغدو اللَّيالي وفي أطوائها أُمَمٌ
 وتلك حَافِزَةٌ للدهر عَابِقَةٌ
 في النفس باقية مَمْدُودَةِ الطُّنْبِ
 للمسلمين بها عيد يؤلِّفهم
 رمزُ الأُخُوَّةِ لا عُجْبُهُ ولا صَلَفُ
 حَقِيقَةٌ من يُرْدُ غَضًا لجوهرها
 رمزُ التَّكَاثُفِ بين العُجْمِ والعَرَبِ
 حفلٌ ومُؤْتَمَرٌ تزهو بطالِعه
 ينلُ مِنَ السَّوْءِ أَقْسَى مِنْتَهَى الغَضَبِ
 يستذكرون به ديناً مُعَزِّزَةً
 بنو الحنيفية الغراء في أَدَبِ
 وموقفاً لرسول الله تَمَّ به
 أركانُه بالقَنَا الخَطِيّ والقُضْبِ
 ما بين مبتهلٍ للحق في أَمَلٍ
 نصْرٌ تَأَيَّدَ في الأنْبَاءِ والْكَتُبِ
 هذا بِتَهْلِيلِهِ تَدْوِي الجبالُ وذا
 وضارِعٍ لِإِلَهِ العَرْشِ في رَهَبِ
 شَعَائِرُهُ تَجَلَّى مِنْهَا النفوسُ سَنَاءً
 يَرْنُ مِنْهُ صَدَى التَّكْبِيرِ في الهُضْبِ
 كالْبدر يُشْرِقُ في مَاسٍ وفي ذَهَبِ

فَكَانَ مُنْطَلَقَ الْأَشْجَانِ فِي فَرْحٍ وَكَانَ مَثْوَى الْهُدَى فِي صَالِحِ الْقُرْبِ
كَأَنَّمَا نَحْنُ (بِالْقَضَاءِ) مُمْنَعَةٌ تَنْحَطُّ سَارِيَةٌ فِي أَجْمَلِ الصَّبَبِ
وَالْمُصْطَفَى نَائِرٌ لِلدِّينِ أَنْجُمُهُ لِلْحَقِّ يَبْهَضُ فِي عِلْمٍ وَفِي غَلَبِ
لَكِنَّ أُمْنِيَّةً مِنْ بَعْدِ مَا عَبَرَتْ خَيْرَ الْقُرُونِ تَهَاوَتْ بَعْدُ فِي النُّوبِ
فَهَلْ نَرَاهَا وَقَدْ شِيدَتْ مَآثِرُهَا وَهَلْ نَرَاهَا سَمَتْ فِي ذِرْوَةِ الرُّتَبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا بَزَعَتْ شَمْسٌ وَمَا انْسَكَبَتْ وَطَفَاءُ السَّحُبِ

• • •

هذه النخلة

هذه النخلة مِنْ بَطْحَانَ فِي مُلْتَقَى وادي قُبَاءِ الْأَفْيَحِ
 مِنْ ثَلَاثِينَ خَلَّتْ مَائِلَةً فِي خِيَالِي .. سَرَحُهَا لَمْ يَطْلُحِ
 أَلْمَحُ الْأُظْلَالِ مِنْ أَفْيَائِهَا كَشُّ سَاعِ الشَّمْسِ وَسَطِ الْقَدَحِ
 وَالتَّحِيَّاتِ الَّتِي أَعَاهَدُهَا مِنْ قَدِيمٍ لَمْ تَحُلْ .. لَمْ تَبْرَحِ
 وَالصَّبَا ذَاكَ الَّذِي تَعْطِفُهُ صَدِّ وَبَهَا عَطْفَةَ رِيمٍ .. مُسْتَحِ
 إِنَّهُ نَسَجَ عَيْبِرَ سَجَسَجِ مِنْ رَحِيقِ الْفَجْرِ رَطْبٍ .. مَرِحِ
 رَفَّتِ الْأَمْلاكَ فِي أَعْطَافِهِ رَفَّةً شَادٍ صَيِّدِ
 تَتَلَقَّكَ بِوَمُضٍ كَاشِفِ بُحْتٍ بِالْأَسْرَارِ .. أَوْ .. لَمْ تُبْحِ
 وَإِذَا شِئْتَ فَرُوحٌ نَضْرَةٌ أَوْ تَسْهَيْتَ فِظْلٍ .. الشَّبَحِ
 وَسَأَلْتُ الطَّلَّ عَنْ آمَاقِهَا قَالَ لِي سَلَهَا .. وَإِنْ لَمْ تُفْصِحِ
 وَتَأَمَّلْتُ رُؤْيَ مَطْوِيَةٍ فِي خَفِيفِ كَنْهِيحِ الْمَطْلَحِ
 يَتَحَرَّانِي كَمَنْ يُسْمَعِي نَامَةَ الْوَجْدِ الْخَفِيِّ الْمُبْرَحِ

أَوْ جِرَاحَاتِ أَبِي مُشَخَّنَ
يُرْقَى الدَّمْعَةُ فِي مَحِيسِهَا
وَالْأَسَى يَصْرُخُ فِي أَحْشَانِهِ
كَمْ أَيْنِينَ فِي الدُّجَى مُنْبَعَثِ
رُبَّ شَدُوٍ نَابِعٍ مِنْ فَرْحِ
هَلْ سَوَاءٌ جَارِحُ عَهْدِ الْهَوَى
وَالَّذِي يَسْمَحُ بِالرُّوحِ عَلَى
فِي حُطَامِ كُلِّهِ مُبْتَسِرِ
ثُمَّ أَبْصَرْتُ دُمُوعًا ثَرَّةً
فَتَذَكَّرْتُ عَهْدًا سَلَفَتْ
نَخَطَفَ الْمُزْنَةُ لَا يَهْضُمُهَا
وَنُرَاعِي شَفَقًا مُضْطَرِّبًا
وَلِدَاتُ الْعُمُرِ حَوْلِي رَتَعَا
وَالَّذِي يَهْمِسُ لِلْبَدْرِ عَلَى
وَالَّذِي يَشِيرُ آفَاقَ الدُّجَى

رَابِطِ الْجَاشِ كَأَنَّ لَمْ يُجْرَحَ
لَمْ يَرِمَ عَنْ وَدِّهِ .. لَمْ يَبْرَحَ
كَيْفَ خَابَ السَّعْيُ .. سَعَى الْمُفْلَحِ
مِنْ حَنِينِ الْجِرْعِ فِي الْخَطْبِ الْوَحَى
كَهْدِيلِ نَابِعٍ مِنْ .. تَرَحٍ
وَالَّذِي يَأْسُو .. وَلَمَّا .. يَجْرَحُ
سِرُّهَا الْغَالِي ... وَمَنْ لَمْ يَسْمَحْ
مِنْ ضَعِيفِ النَّبْتِ .. فَجَّ .. دَخْدَحِ
مِثْلَ حَبِّ الطَّلَعِ . إِذْ لَمْ . يَنْفَتَحِ
يَوْمَ كُنَّا فِي جَوَارِ الْأَبْطَحِ
فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ .. غَيْرُ .. الْأَرِيحَى
مِثْلَ قَوْسِ هَارِبٍ .. مِنْ قُزَحِ
بَيْنَ حُلُوِّ « التَّكْوِ » أَوْ مُنْسَدِحِ
خِلْسَةٍ .. لَا يَرْعَوِي .. لِلنُّصَحِ
كَالثَّرِيَّا بِالْجُفُونِ .. الْقُرَحِ

إِيهِ يَا نَخْلَةَ بَطْحَانَ لَقَدْ
فَمُقِيمٌ نَازِح .. مُخْرَجٌ
مَزَقْنَا الرِّيحَ .. لَمْ نَسْتَرَحْ
وَبَعِيدٌ جِه .. لَمْ يَنْزَحْ

بالمنى البيضاء مَا زَالَتْ عَلَى وَقَدِهَا لَمَّا يَحِيدُهُ أَوْ تَجْنَحُ
 والذي قَدَّرَ أَقْدَارَ الْوَرَى سِرُّهُ فِي الْغَيْبِ .. لَمْ .. يَنْفَضِحْ
 كم صَدِيقَ خَانَ عَهْدِي وَانْتَحَى فَلَعَاً .. أَلْفَ .. لَعَاً .. لِلْمُنْتَحَى
 عَلَيْهَا الْحَطْوَةُ أَقْصَتْهُ وَمَنْ يَغْفِرُ الزَّلَّاتِ .. لَمْ يَنْتَزِحْ

أَنْتِ يَا نَخْلَةَ رَوْضِي كُلُّهُ بِالْهَوَى نَفْحٌ وَإِنْ لَمْ يَنْفَحْ
 مِنْ جَنَّا .. الْفِرْدَوْسِ لَوْلَا سِرُّهُ عِشْتُ فِي دُنْيَايَ عَيْشَ الْمَرْحِ
 قَدْ أَبْحَثَ النَّاسَ ظِلًّا وَارِفًا مَنْ يَجُذُّ جُودَكَ أَوْ مَنْ يُبَحْ
 الْعَثَاكِيلُ الَّتِي هَدَلَتْهَا فَرَحٌ مُنْسَكِبٌ فِي فَرَحِ
 كِبَنَانٍ حُلْوَةٍ مُحَمَّرَةٍ تَجْتَنِي « زَهْوُك » جَنَى .. الْمُسْتَحَى
 أَصْبَحَ « الزَّهْوُ » عَلَى إِضْبَعِهَا يَالْهَيْمَانُ ! ! بِهَا مُصْطَبِحُ
 وَأَبَادٍ قَدَفَتْهَا بِالْحَصَا كَانَ أَحْلَى الرَّدِّ دَفَقُ الْبَلَحِ
 إِلَيْهِ يَا نَخْلَةَ ذَاكَ الْمُنْحَى فِي قُبَاءٍ كَالْأَدِيمِ .. الصَّخْصَحِ
 عِنْدَ مَا زُرْتُ هُنَاكَ الْمَسْجِدَا طَرْتُ شَوْقًا لِلصَّبَا الْمُنْفَسِحِ
 وَتَمَثَّلْتُكَ أَيَّامَ السَّنَا فِي قُوَادِي لَاحِ أَوْ .. لَمْ يَلُحْ

قَلْبُكَ الْغَضُّ الْكَبِيرُ اثْتَلَفْتُ
 فَعَرَامُ جَامِحٍ مَصْطَفِقِ
 وَالْمَنَى الطَّافِحُ أَوْدِي حَرَقًا
 وَطَيُورُ غَشَّشَتْ حَائِمَةً
 صَدَحَتْ لَمْ تَذَرِ مَنْ جِيرَتُهَا
 وَالصَّلَالُ الْعُضْلُ فِي قَدَرِهَا
 لَا تَلُومِي نَازِحًا أَرْقَاهُ
 وَعُيُونُ جَفَّ مِنْهَا دَمْعُهَا
 قُلْتُ لَمَّا عَزَّنِي دَرْكُ الْمُسْنَى
 إِنْ مَنْ يَحْيَا عَلَى ضَنْكَ الْهُوَى
 وَالَّذِي خَاضَ تَبَارِيحَ اللَّظَى
 إِنَّهَا الْحُرْفَةُ أَوْرَتْ زِنْدَهَا
 وَالَّذِي أَشْرَقَ فِي صَخْرِ الْفُضَا
 فَهَبِي يَا نَخْلِي حُلُوَ الْجَنَى
 وَاقْبَلِي مِنِّي تَحِيَّاتِي إِلَى
 وَقَطِينِ بَيْنِ هَاتِيكَ الرَّبِّي
 وَلِيَالِي الْجِرْعِ حَيَّاهَا الْحَيَا
 كَمْ طَعِمْنَا الْبَزْلَ فِي أَكْنَافِهَا
 فِيهِ أَشْنَاتُ الْهُوَى الْمُتَطْلِحِ
 وَبَقَايَا هَيْكَلٍ . . مُنْطَرِحِ
 وَمَضَى بِالصَّفْوِ . . مَنْ لَمْ يَطْمَحِ
 وَصِلَالُ جَنْبِهَا . . لَمْ تَصَحِ
 لَيْتَهَا فِي الْعَشِّ لَمَّا . . تَصَدَحِ
 وَيَحَهَا قُدْرَةٌ . . مَنْ لَمْ يَضْفَحِ
 عَارِضٌ مِنْ بَرْقِكِ الْمُتَسَرِّحِ
 غَيْرَةٌ مِنْ دَمْعِكَ الْمُتَسَفِّحِ
 لَيْسَ غَمْرُ الْمَاءِ مِثْلُ الضَّخْضَحِ
 غَيْرُ مَنْ يَحْيَا . . بِعَيْشِ رَحْرَحِ
 لَيْسَ كَالْخَائِضِ لُجٍّ . . الْمَسْبَحِ
 حُرْقًا لَوْلَا النَّوَى لَمْ تُقْدَحِ
 غَيْرُ مَنْ يَهْضُبُ فَوْقَ السَّحْسَحِ
 مَنْ يَذُقُ مِنْهُ مَذَاقًا . . يُفْلَحِ
 رَبِّ رَبِّ الْغَيْدِ وَسِرْبِ الْمَسْرَحِ
 بَارِعِ النُّكْتَةِ عَذْبِ الْمُلْحِ
 كَمْ حَبَبْنَا بِجَزِيلٍ . . الْمِنْحِ
 آهَ لَوْ عَادَتْ . . بِكِبْشٍ . أَمْلَحِ

من أغاريد رمضان

يا هِلَلا مَبَارِكًا رَبُّكَ اللَّهُ رَبُّنَا
أَنْتَ وَاللَّهُ بِشَرُّنَا أَنْتَ وَاللَّهُ حِجْبُنَا

* * *

حِينَ أَقْبَلْتَ أَقْبَلْتَ نَفَحَاتُ تُظِلُّنَا
وَتَوَارَتْ غَمَائِمُ دَجْنُهَا الدَّجْنُ لَيْلُنَا
وَتَبَدَّتْ سَحَابُ لِلْأَمَانِي نُقِلُّنَا
يَا صَفَاءَ نُحِبُّهُ وَرَجَاءَ يُحِبُّنَا

* * *

أَلَفَّ أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِالَّذِي طَلَّ مِنْ عَلٍ
مِنْ سِنَاكَ الْمُرْفَلِ مِنْ هَذَاكَ الْمُهَلَّلِ
مِنْ تَجَارِيبِ مَا مَضَى قَدْ رَسَمْنَا لِمُقْبَلِ
وَهَتَفْنَا لِحَاضِرِ سَابِحٍ فِي التَّأَمُّلِ
أَنْ يَرَى فِي حَيَاتِهِ عِبَرَ الْأُمِّسِ : تَنْجَلِي
إِنَّهَا نَوْرُ فَجْرِهِ إِنَّهَا خَيْرُ مِشْعَلِ
رَبُّكَ اللَّهُ رَبُّنَا يَا هِلَلا نُحِبُّهُ

* * *

أنت شهرٌ جَلالُهُ لم يُطِقْه جماله
وصفاءٌ . كمالُهُ حين يَبْدو هلاله
المعاني ثَمَّارُهُ والمغاني ظلاله
والمَواجيد حالُهُ وذراها مائلُهُ
والترانيم موطنُ والشَّحارير آلُهُ
لا سِرابٌ بِقِيعَةٍ يَخْدَعُ العَيْنَ « آله »
إنَّه الحقُّ صادِعٌ شامِخاتٌ جِبَالُهُ
صرعُ الوهمِ فَأَخْتَفَى ثم وَلَّى خِيالُهُ

* * *

ربك الله ربُّنا يا هِلالا نُجْبِه
أَنْتَ يُمَنُّ مُحَقَّقٌ أَنْتَ عَهْدٌ وَمَوْثِقٌ
ونفوسٌ تُحَلِّقُ وقلوبٌ تُصَفِّقُ
الصُّغَارُ البراعِمُ لك تَهْفُو وتَخْفِقُ
والزهورُ الفَواعِمُ بِكَ تَنادى وتَأَلِقُ
والهَوَى الحُر صائِمٌ بِشذى الطُّهر يَعْبِقُ
ربك الله ربُّنا يا هِلالا نُجْبِه

* * *

لا تَدْعُنَا فَإِنَّا إِنْ تَدْعَ وَجَدْنَا : يَمْ
لا تَدْعُنَا فَمَا لَنَا بَعْدَ مَسْراكِ مِنْ قِيَمِ

لا تدعنا فإننا إن تَغِبْ تَقْصِفْ : التَّخْمُ
 قَسَمًا بِالَّذِي هَدَى وَبِقُدْسِيَّةِ الْقَسَمِ
 سوف نحبنا على الهدى فى صِيَامِ عَنِ الْحَرَمِ
 فى وَصَالِ نَعِيشِهِ لَلْقَرَابَاتِ وَالرَّحِمِ
 سَتَرَانَا عَلَى الْمَدَى مِشْعَلِ الْهَدَى لِلْأُمَمِ
 مِثْلَ مَا كَانَ دَأْبُنَا فى الْقَدَاسَاتِ مِنْ قَدَمِ
 مَشَقَّةِ السِّيفِ . مِثْلَهَا مَشَقَّةِ الطُّرْسِ بِالْقَلَمِ
 فِيهَا تُخْطَبُ الْعُلَا وَبِهَا يُرْفَعُ الْعِلْمُ

ربك الله ربنا يا هلالا نحبه

أنت شهر الحقيقة فى النفوس الرقيقة
 فى القلوب المفيقة فى العقول الطليقة
 وقدّها البر والتقى للورى للخليقة
 فى الثوانى تَوَاتَبَتْ بِخُطَاها الرشيقة
 مُحْكَمَاتٌ دَقِيقَةٌ فى الفُهومِ الصفيقة
 أنت فى الكون كله آيَةٌ للحقيقة
 وسلوكٌ موحَّدٌ للحياة السميكة
 طاعة أنت سَمْحَةٌ للنفوس المظيكة
 ليس بالعرق إنما بالمعاني العريكة

يوم الاثنين

فَدَاكَ الهوى كُلُّهُ كَلَهُ حَقِيقَتُهُ : رَسْمُهُ : ظُلُّهُ
مَعَانِيهِ أَنَاقُهُ الْوَاسِعَاتُ : مَجَالِيهِ : أَنْسَامُهُ : طَلُّهُ
حَيَاةُ الْوُجُودِ بِمَا فِي الْوُجُودِ بِسَابِقِ فَرَضِ الْهَوَى : نَفْلُهُ
ذُرَاهُ مَرَابِعُهُ الْحَانِيَاتُ مَنَابِعُهُ : عَلُّهُ : نَهْلُهُ
فَيَا بَاعِثَ الْخُبِّ لَمَّا بَدَا صَحَا . فَجْرُهُ ، وَامْحَى لَيْلَهُ
حَبِيبِي وَيَا حَبَّ هَذَا النَّدَاءِ تَأَلَّقَ بِالْغَيْثِ مُنْهَلُهُ
تَرَانِيمُهُ هَمَسَاتُ الْقُلُوبِ وَأَصْدَاءُ الْهَامَةِ رُسُلُهُ
إِذَا وَمَضَ الْحُبُّ بِالذِّكْرِيَّاتِ وَنَافَسَ دَلَّ الْهَوَى ذُلُّهُ
وَعَرَّدَ بِاللَّحْظَاتِ الْحَسَنَاتِ رَبِيعٌ تَفْتَحُ مُخْضَلُّهُ
غَدَاةٌ تَأَلَّقَ وَادِي الْعَفِيقِ وَهَدَّلَ أَعْصَانُهُ نَحْلُهُ
وَضَاعَتْ ثَنِيَّاتُهُ الْحَانِيَاتِ وَشَعَّعَ فِي « رَامَةِ » أَثْلُهُ
فَذِكْرَاكَ تَلْثُمَهَا النَّيْرَاتُ وَيَحْلُو : بِهَا عُمْرُنَا : كُلُّهُ
فَيَا وَاصِلًا بِالْحَيَاةِ الْحَيَاةَ وَمَا زَالَ : يُسْعِدُنَا : وَضَلَهُ
وَيَا نَاطِمًا سَمَطَ هَذَا الْوُجُودِ وَمَا التَّامَ مِنْ قَبْلِهِ : شَمَلَهُ
وَيَا بَاعِثَ الرُّوحِ مَجْلُوءَةً تَوَهَّجَ فِي سُؤْلِهَا : سُؤْلُهُ
أُحِبُّكَ يَا يَوْمَ مِيلَادِهِ وَيَا لَيْتَنِي دَائِمًا : أَهْلُهُ

وكل « اثنين » ميلاده المفتدي سَلَوَتِ الوجود ولم أَسْلُهُ
 وكل « الأثنين » أَحْبَبْتُهَا وما صَدَّ من عاذِلٍ عَذْلُهُ
 فَسَاعَاتُهَا نَفَحَاتُ الهدي كَأَنَّ شَذَى نَفْحِهَا : مِثْلُهُ
 فَذَاكَ هَوَى جَهْلَتُهُ الْجُفَاءَ وكم هَالِكٍ غَالَهُ : جَهْلُهُ
 أَحِبُّ « الأثنين » مَنْ لِي بِهَا وَمَنْ لِي شَجٍّ : حَائِرٍ مَنْ لَه
 مَلَلْنَا حَيَاةَ الهدي والعُلا وَمَنْ مَلَّ مَجْدَ الهدي : مَلُّهُ

• • •

فِذَاكَ الَّذِي قَدْ زَهَا : غَرُسُهُ من الحب حين سَمَا : أَضْلُهُ
 حَمَاهُ مُطَاوَلَةُ النَّابِجِينَ كما طَاشَ من نَابِلٍ : نَبْلُهُ
 فَمِنْ نَوْرِهِ الْعَذْبِ لَا يُقْرَبُ كَنُودُ يَعَافُ السَّنَا : عَقْلُهُ
 فَفِي نَفْسِهِ غَثِيَانُ الظَّلَالِ وفي الْوَحْلِ : قد رَسَخَتْ : رِجْلُهُ

• • •

لمحتك

لمحتك تمشين الهويننا إلى الصفا
فقال صديق ما لعينيك زاعنا
بنجوى مُغِدَّ للمقام وزمزم
أأبصرتها ؟ كيف اهتدت لمثلهم
فقلت نعم لاحت وما غاب طيفها
أعانقه في كُرْبتي وتأزمت
والنمسه لمس القريب لأنه
قريب على رغم النوي المتجسم
نعم إنها العين التي في ظلالها
أرى كل معنى في وجودي وفي دمي
وما نام في جفن المحبين ساهر
رقيب على النجوي من العين والقم

...

من ويحى الهجرة

اذْكُرِي يَا بِطَاحُ كَيْفَ أَقَامَ اللَّهُ مَجْدًا مَخْلَدًا فِي بِطَاحِكَ
صَافَحْتَهُ السَّمَاءُ فَانْتَشَرَتْ فِيهِ نَجُومًا تَأَلَّقَتْ فِي وَشَاحِكَ
ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَى الْأَدِيمِ مِنَ الْفَجْرِ شُعَاعًا مَقْطَرًا فِي صَبَاحِكَ
وَادِيًا أَسْفَعَ الرُّؤْيَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ . . مَحِيلَ ضَمَمْتِهِ بِجَنَاحِكَ
فَتَنَدَّى كَأَنَّمَا اعْتَصَرَ الْفَجْرُ سُلَاقًا مِنَ الْبُذُورِ الضَّوَاهِكِ
وَتَنَدَّتْ حَضْبَاؤُهُ مِنْ عَقِيْقٍ . . خَاضِبًا لَوْنُهُ زَكِيٌّ جِرَاحِكَ
خَضَخَضَ السُّحْبُ فَاسْتَهَلَّتْ تَعَاطِيَهُ نُضَارًا مُصَفَّعًا فِي قِدَاحِكَ
نَهَلَتْهُ الْحَيَاةُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَرَوَّتْ بِهِ كَرِيمَ صَفَاحِكَ
وَهَى نَشْوَى بِهِ . . بِمَعْنَاكَ . . بِالْمَاءِ نَقِيًّا سَلْسَالُهُ مِنْ قَرَّاحِكَ
وَهَفَا بِالْحَمَامِ لَا عِجْ شَوْقُ عِبْقَرِيٍّ هَدِيْلُهُ مِنْ صُدَاحِكَ
شَادِيًا بِالْأَمَانِ فِي الْحَرَمِ الْآمِنِ مِنْ بَعْدِ شَدْوِهِ بِنُوَاحِكَ
إِنِّهَا فَرَحَةٌ الْهَدَى يَتَرَاءَى تَتَخَطَّى الدُّجَى عَلَى أَفْرَاحِكَ

• • •

سَارِيًا هَادِيًا يُسَامِرُهُ . . النَّجْمُ وَيَمْشِي فِي ظِلِّهِ غَيْرَ وَانِي . .
يَتَحَرَّاهُ مُسْتَمِدًّا هُدَاهُ يَتَمَلَّاهُ فِي السَّنَا الْأَقْحُوَانِي

ضارباً في الرمال ساخَتْ بِهَا أَقْدَامُ شَانٍ مُقَامِرٍ أَفْعَوَانٍ . .
 بعثته قريش عِينًا على الهادي فزَلَّتْ بِسُغِيهِ الْقَدَمَانِ
 والرسول العظيم يَمْضِي لِمَرَمَاهُ رَضَى الْفَوَادِ ثَبَتَ الْجِنَانِ
 ما : قَلَا مَكَّةَ وَمَا فَرَّ مِنْهَا هَارِبًا هَائِمًا عَلَى الْوُدَيَانِ
 كيف يخشى الأَهْوَالَ من سَدَّدَ اللهُ خُطَاهُ فَهَابَهُ الثَّقَلَانِ
 هل يُرَاعُ الْإِيمَانُ وَالْمَبْدَأُ الْحُرُّ سِلَاحُ يَصُولُ بِالْإِيمَانِ
 ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الضَّعْفَ فِيهِ سَبَقَ السَّيْفَ عَذْلُهُمْ بِثَوَانِ
 أنها هِجْرَةُ اللُّجُوءِ إِلَى اللهِ لِدَعْمِ الْكَيَانِ فَوْقَ الْكَيَانِ
 وَلِقَاءَ عَلَى الْمَبَادِيءِ . . . والدعوة هاجَ الحماسَ كَالْبُرْكَانِ
 ترك المصطفى عَلِيًّا مُسَجَّى فِي فِرَاشِ النُّبُوَّةِ الْأَضْحِيَانِ
 ومثني بالصدِّيق لا بُدَّ لِلشَّدَةِ مِنْ صَاحِبٍ كَحَدِّ السِّنَانِ
 يَمْزِجُ الْحُبَّ بِالْفِدَاءِ لِيَبْقَى غُرَّةَ الْمُجْدِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ
 ثَانِيَانِ اثْنَيْنِ فِي مَغَارَةِ « ثَوْر » ثَانِيَانِ اثْنَيْنِ فِي الْعُلَا وَالْجِنَانِ
 خُذْعَةً فِي الْحُرُوبِ شَرَّعَهَا الدِّينُ وَأَعْلَى مَقَامَهَا الْهِندَوَانِي
 خُطَّةٌ لِلْجِهَادِ سَبَاقَةٌ . . الْعِزْمُ الْمُجَلِّيَ مَرْصُوصَةُ الْبُنْيَانِ

...

وَاحْتَفَت بِشَرِّ بِمَكَّةَ فَانْحَاذَتْ جِهَاداً تُجِلُّهُ : الْعَدَوَتَانِ
وَتَلَافَت أَمْوَاجُ نَهْضَتِهِ الْكَبْرِيَّ فَلَمَّتْ أَمْوَاجُهَا الضَّفَّتَانِ
وَتَأَخَى الْكِمَاءُ فِي طَيْبَةِ الْغُرَاءِ فِي ظِلِّ دَوْحِهَا الْفَيْنَانِ
أَثْمَرَ الْقُوَّةَ الرَّهْيِيَّةَ قَدْ صَالَتْ وَجَالَتْ فِي سَائِرِ الْأَكْوَانِ
وَمَشَتْ رَايَةُ الْأُخُوَّةِ فِي الدُّنْيَا عَلَى ضَوْءِ رَايَةِ الْقُرْآنِ
وَالْتَقَتْ مَكَّةُ وَطَيْبَةُ فَاحْتَلَّتْ رَبِّي الْكَوْنِ كُلَّهُ قُوتَانِ
وَصَفَا الْجَوُّ حَالِيَا فَالْأَمَانِي بِاسِمَاتٍ فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
وَالْهُدَى وَالْجَمَالَ وَالْخَيْرُ وَالْحُبُّ كِتَابٌ عُنْوَانُهُ «الْبَلَدَتَانِ»

• • •

يا طير

يا طيرُ هل يشكو الطليقُ كما شكى القيّد الأسيرُ
ويثنّ مُنبسط الجَنَاحِ ويمرح الطير الكسيرُ
وتُغرد الدنيا لِمَفْؤود ويكتئبُ القريرُ

* * *

يا طيرُ لو فتّشتَ عن أسرى المخابئ والقُبُورِ
لَوَجَدْتَ أَشدَّاءَ الرغامِ ألدَّ من أراجِ الثُّغُورِ
وَوَجَدْتَ فى الكفنِ المعفّرِ ما خلتُ منه القُصُورِ
نُعمى على دعةٍ وأطيب من الرُحْمى تُمُورِ
عِزُّ توأكبه الفراقِ قُدُّ والأهْلَّةِ والبُدُورِ
عِزُّ فرائده العظامِ لا تجفُّ ولا تحُورِ
هُنَّ العرائسُ فى رِحابِ المجدِ فالتَمَسَ المُهُورِ
مِنْ أَسْرٍ منطلقٍ بِأفاقِ يَدُورِ ولا تَلُورِ

وَعَوَاطِفٌ مَشْبُوبَةٌ مِنْ دُونِهَا وَقَدْ السَّعِيرُ
وَضَمَائِرُ كَانَتْ تُجِيرُ فَرَاغَهَا أَنْ تَسْتَجِيرَ

* * *

يَا طَيْرُ رُبَّةَ سَابِحٍ فِي الْجَوِّ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
وَالصَّاعِقَاتُ الْمَحْرَقَاتُ تَوُزُهُ الْأَزَّ الْخَطِيرِ
وَالْمُفْرِعَاتُ الْوَاعِلَاتُ مَعَ الْعَشِيَّةِ وَالْبُكُورِ
نَزَعَتْ بِهِ لِلْأَسْرِ أُمْنِيَّةَ كَأُمْنِيَّةِ الْأَسِيرِ
هَذَا يَحِنُّ إِلَى الْقِيُودِ يَزِفُهَا السَّجْنُ الصَّغِيرِ
كَرْهِينَ مَحْبَسَهُ الصَّغِيرِ يَحِنُّ لِلْسَّجْنِ الْكَبِيرِ

* * *

يَا طَيْرُ هَلْ فِي الرُّوْضِ مِنْ حُسْنٍ إِذَا جَفَّ الْعَبِيرِ
أَلَقْتُ الصَّخَارِي الْمُجْدِبَاتِ عَلَى الْمَدَى نَارٌ وَنُورُ
فَإِذَا جَرَتْ بِالشَّرِّ عُقْبَانُ وَضَاقَ بِكَ الْمَسِيرُ
وَدَلِفَتْ تَلْتَقِطُ الْجُبُوبُ وَتَسْتَرِيحُ إِلَى الْغَدِيرِ
فَنَزَلَتْ قَاعًا صَفْصَفًا لَا رَنَقَ فِيهِ وَلَا نَمِيرَ
مَاذَا ؟ أَتَصْبِرُ لِلْهَلَاكِ لِكَيْ يُقَالَ هُوَ الصَّبُورُ
أَوْ تَسْتَبِيحُ مِنَ الْمَحَارِمِ مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

أَوْ أَنْ تُقَامِرَ بِالْحَيَاةِ مَغَامِرًا بَيْنَ الصُّفُورِ
لِتُوَاجِهَ الْمَوْتَ الْمَرِيرَ الَّذِي مِنْ عَيْشِ الْحَقِيرِ
فَإِذَا قَضَيْتِ وَهَبْتَ لِلَّهِ الْحَيَاةَ وَلِلْضَمِيرِ
وَإِذَا وَقَعْتَ أَسِيرَ ظَلَامٍ فَإِنَّ الْأَسْرَ مِفْتَاحُ الْمَصِيرِ

* * *

يَا طَيْرُ غَنِّ لَنَا وَلِلْأَيَّامِ بِاللَّحْنِ الْمُثِيرِ
يَا طَيْرُ أَنْتَ بَقِيَّةُ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا الْغُرُورِ
يَا طَيْرُ أَنْتَ الْفَنُّ أَنْتَ بَشِيرُنَا أَنْتَ النَّذِيرِ
يَا طَيْرُ عَزِّ الْوَحْيِ وَالْإِلَهَامِ وَانْطَلَقِ الصَّفِيرِ
وَتَنَاوَحْتَ عَبْرَ الْجَوَاءِ عَوَاصِفُ هُوجٍ تَثُورِ
فَتَعَثِّرُ الْمَسْرَى وَسَادَ الصَّمْتُ وَانْطَفَأَ الشُّعُورِ
يَا طَيْرُ فَاصْذَحْ بِالشُّجُونِ فَإِنَّتِ مُعْجَزَةُ الْعُصُورِ
فَالْحِسُّ يَطْرُبُ بِالْأَسَى كَالنَّفْسِ تَهْدَأُ بِالزَّفِيرِ

...

رِئَاء

في رثاء الملك عبد العزيز

لا ينطوي المجدُّيا صَمَامةً العرب ولا يَغِيْمُ الهُدي في غَمرةِ الحَقَبِ
صَنَعَتْهَا أَمَلُ التاريخِ ناطِقَةً عِظَانِمَا إِنْ تَغِبَ وَاللَّهُ لَمْ تَغِبِ
سِتٌّ وَسَبْعُونَ قَدْ أَوْدَعَتْهَا حِقَبًا ضَاقَتْ بِهَا سَيَرُ التاريخِ فِي الكُتُبِ
تَلَفَتْهُوا وَلِرَزْءِ الهَوْلِ جَلَجَلَةٌ وَلِلْفَجِيعَةِ فَتْكُ السُّمْرِ والقَضْبِ
وَاسْتَنْطَقُوا مَجْدَكَ الْغَالِي فَطَمَأْنَهُمْ مِنْكَ الصَّدِي فِي وَرِثَةِ الْمَلِكِ وَالْحَسَبِ

...

علم الموت

حَتَّامٌ تَخْدَعُنَا الْأَوْهَامُ وَالصُّورُ وَفِيمَ تَلَهُوْا بَيْنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغَيْرِ
 كَأَنَّا هَدَفٌ لَا تَبْتَغِي بَدَلًا مِنَّا الْخُطُوبُ وَلَا يَفْنَى لَهَا وَطَرُ
 مَا يَنْجَلِي خَطَرُ تَنْزَاحِ غُمَّتِهِ حَتَّى يُعْتَمَّ فِي آفَاقِنَا خَطَرُ
 وَلَا تَأَلَّقَ صَحْوٌ فِي مَرَابِعِنَا حَتَّى تَجْهَمَ : لَا نَبْتُ وَلَا زَهْرُ
 وَلَا يُلْغَلَعُ رَعْدٌ فِي الْحِمَى لَسِنِ إِلَّا اسْتِحَالَ جِهَامًا . . مَا بِهِ مَطَرُ
 تَقَلَّبَ الْكَوْنُ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ فَالْمُنْحَى سَامِقٌ وَالنَّجْدُ مَنْحَدَرُ
 وَلِلطَّبِيعَةِ أَخْلَاقٌ مُعَرَّبَةٌ إِنْ مَسَّهَا الضَّرُّ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ
 وَالشَّرُّ فِي وَمَضَاتِ الشَّرِّ مَتَكِيءٌ وَالْعَقْلُ مَخْتَبِئٌ وَالْحَارِسُ الْقَدَرُ

* * *

يَا « عِلْمُ » مَا لِلْمَدَى الْمَخْدُودِ مُتَّسِعٌ أَقْصَرَ عَدِمْتُكَ إِنْ الْكَوْنُ يَخْتَضِرُ
 ذَابَتْ حَضَارَتُنَا فِي جَوْفِ زَائِفَةٍ أَحَبَّهَا الْبَدْوُ لَمَّا عَافَهَا الْحَضَرُ

وحملت الموت تستشري مَخَالِبِهِ
 أعمى يُدْمَدِم لا سَمْع ولا بصر
 يُطارِد النَجْمَ في عُلْيَا مَنَازِلِهِ
 وزِينَةُ الكون هَذِي الأَنجُمُ الزُّهُرُ
 حَرَمْتَنَا من نعيم المجد في دَعَاةٍ
 مُذْ جَاءَ هَوْلُكَ كَالْبُرْ كَانَ يَنْفَجِرُ
 وكان في مجدنا بَذْلٌ وتَضَحِيَةٌ
 يَطِيبُ في الموتِ وَرْدُ القَوْمِ وَالصَّدْرُ
 تَصَارَعَتْ فِيهِ تَبِجَانُ وَالنُّوبَةُ
 وَالْحَتَفُ عِنْدَكَ مُرُّ الطَّعْمِ مُبْتَسِرُ

وَأَنْتَ يَا شِعْرُ كَمْ هَوَّمتَ في قَمَرٍ
 تَضَاكَكَتْ فِيهِ من أَجَابِيكَ الصُّورِ
 وَكَمْ أَرِقتَ على إِشْعَاعٍ طَلَعَتْهُ
 سُهْدُ الشَّجَى حَلَا في عَيْنِهِ السَّهَرُ
 وَكَمْ شَكَّوتَ النَّوَى وَاللَّيْلُ مُؤْتَلِقٌ
 وَالكَأْسُ شَعَشَعَهَا في لَحْنِهِ الوَتَرُ
 لَا تَأْسُ يَا بَذْرُ إِمَّا حَاوَلُوا عَبَثًا
 أَنْ يَزْحَمُوكَ بِمَسْنَخٍ صَفْوُهُ كَلَرُ
 هَلْ يَسْتَوِي سَاطِعٌ في أَصْلِ خَلْقَتِهِ
 آيَاتُ إِعْجَازِهِ تَبْدُو وَتَسْتَتِرُ
 وَزَائِفٌ في يَدِ التَّيَّارِ مَوْلِدُهُ
 إِنْ لَمْ يُحَازِرْهُ يَحْرِقُ نَفْسَهُ الْقَمَرُ
 قَدْ حَيَّرُونَا وَحَارُوا فَالْمُنَى خَدَعُ
 حَتَّى السَّرَى غَامِضٌ حَتَّى النُّهَى حَذَرُ
 لَكِنَّ قَارِعَةً كُبْرِي بِمَا صَنَعُوا
 تَحِلُّ في دَارِهِمُ وَالْمُنْتَهَى سَقَرُ

خواتم رل

الْكُونُ خَمَرُ الظَّالِمِينَ وَأَنْتَ يَا لَيْلُ الثَّمَالَةِ
إِنْ أَوْغَلُوا فَعَلَى الْحَبَابُ وَإِنْ صَحُّوا تَبِعُوا خَيَالَهُ
يَا لَيْلُ أَنْجُمُكَ الْمُضِيئَةُ عَسَجْدُ وَالْكَأْسُ هَالَةٌ
الْعُمُرُ إِلَّا مَا وَهَبْتُ مِنَ الْمَتَى شَبَحُ الضَّلَالَةِ
وَالْعُمُرُ إِلَّا مَا مَلَأْتَ بِهِ الْحَيَاةَ هُوَ الضَّحَالَةُ
يَا لَيْلُ قَالُوا عَنْكَ مَا قَالُوا وَيَا سُوءَ الْمَقَالَةِ
قَالُوا نَهَارُ الْعَابِثِينَ عَلَى الْغَوَايَةِ وَالْجَهَالَةِ
يَتَلَمَّسُونَكَ لِلْخَنَا سِتْرًا يُفِيئُهُمْ ظِلَالَهُ
وَيُعَاقِرُونَ الرَّاحَ شَيْطَانًا يَمُدُّ بِهَا حَبَالَهُ
فِي وَقْدِهَا عَاشُوا الْحَيَاةَ سُلَالَةً وَرِثَتْ سُلَالَةُ
الدَّفْنِ فِي إِشْعَاعِهَا وَهَجَ تُضِيءُ بِهِ الْغَزَالَةُ
وَالْبَدْرُ مَا حَفَلُوا بِهِ أَبَدًا وَلَا لَمَحُوا هِلَالَهُ

قَنِعُوا بِأَشْرَاقِ النَّدِيمِ يَمِيسُ فِي أُنْهَى غُلَاةِ
 وَالزَّهْرُ يَأْلِفُ وَالنَّدَى ظَمَانٌ يَلْثُمُ مَا بَدَا لَهُ
 وَالْمُتَرْفُونَ الْوَالِهُونَ الْوَاطِئُونَ عَلَى الْعَدَالَةِ
 أَهْلُ الشَّرَافَةِ فِي النَّهَارِ وَفِي الْمَسَاءِ هُمْ الْحُثَالَةُ
 وَالْخَادِعُونَ اللَّهَ وَالْإِنْسَانَ بِالتَّقْوَى الْمُذَالَّةُ
 يَا لَيْلُ قَدْ جَهِلُوكَ وَالْأَقْدَارُ تَنْقُصُ بِالْجَهَالَةِ
 جَحَدُوا الْهِدَايَةَ وَالْهُدَى وَالْكَوْنُ قَدْ مَسَخُوا جَمَالَه
 وَتَنَكَّرُوا لِلآيَةِ الْكُبْرَى مُجَلِّجَةً خِلَالَهُ
 فِي الْأَنْجُمِ الزَّهْرَاءِ فِي الْأَفْلَاقِ دَائِرَةُ حِيَالِهِ
 فِي الضُّجَّةِ الرَّغْنَاءِ تَسْكُنُ فِي هُجُوعِكَ لَا مَحَالَةَ
 فِي الْهَاجِجَاتِ مِنَ الْعَرَائِمِ تَشْمِئُزُّ مِنَ الْبَطَالَةِ
 فِي الْمَشْرِفَى الْعُضْبِ بَعْدَ عِرَاكِهِ أَخْفَى نِصَالِهِ
 فِي السَّمْهَرِيِّ اللَّدَنِ أَفْسَحَ لِلْكَرَى سَحْرًا مَجَالَهُ
 فِي الْفَارِسِ الْغَافِي عَلَى دَعَا يَحُثُّ بِهَا نِصَالَهُ
 فِي الْقَانَتِ الْأَوَّابِ طُولَ اللَّيْلِ لَا يَدَعُ ابْتِهَالَهُ

فِي دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ كَالصَّارُوخِ تَشْتَعِلُ اشْتِعَالَهُ
فِي الْحُبِّ فِي الدَّوْحِ الْمُغْرَدِ بِالْعِرَاقَةِ وَالْأَصَالَةِ
فِي الْوَجْدِ يَغْتَقِلُ الْأَسِيرَ وَلَا يَفُكُ لَهُ عِقَالَهُ
حَتَّى إِذَا أَلِفَ الْمُحِبُّ عَذَابَهُ وَجَفَا وَصَالَهُ
حَرَسَتْهُ أَطْيَافُ اللَّهَيْبِ مِنَ السَّامَةِ وَالْمَلَالَةِ
يَا لَيْتَهُمْ عَبَّوْا عَيْبَ الْحُبِّ أَوْ نَهَلُوا نِهَالَهُ
وَمَشَوْا عَلَى أَشْلَاقِهِ وَعَلَى اللَّطَى وَطُثُوا رِمَالَهُ
فَتَلَمَّلِمُ الْوَادِي كَأَنَّ رِعَانَهُ حَضَنْتَ رِعَالَهُ
وَاللَّيْلُ فَوْقَ اللَّيْلِ أَرْخَى سَدْفَهُ وَثَنَى كَلَالَهُ
يَتَنَوَّرُونَ الْهَمْسَ قَدْ زَحَمَ الْقَلِيبَ وَطَمَّ جَالَهُ
وَالْهَمَّهُمَاتُ عَلَى الْغَدِيرِ مَزَاهِرُ صَدَحَتْ قُبَالَهُ
جَمَعَ الْهَوَى وَاللَّيْلُ أَسْرَابَ الْفَلَا وَحَمَى صِلَالَهُ
وَلَقَدْ رَعَاهُمْ مِثْلَمَا يَرْعَى أَبٌ سَمْحٌ عِيَالَهُ
خَفَضَ الْجَنَاحَ مُبْعَثِرًا فِيهِمْ كَرَائِمَهُ وَمَالَهُ
وَتَلِذُّهُ الشُّكْوَى لِمَنْ يَشْكُو عَلَى الْحِرْمَانِ حَالَهُ

صَبَّ يَذُوبُ مِنَ الْحَنِينِ وَشَادِنُ يَبْكِي دَلَالَهُ
يَا رَبُّ لَيْلٍ قَدْ شَهِدْنَا فِي نَقَائِصِنَا كَمَالَهُ
إِنْ ضَمَّ جَنُوحُ عَائِلَا فَالْخَلْقُ لِلْخَلَّاقِ عَالَهُ
يَوْمٌ وَيَوْمٌ قَدْ أَلْفَنَاهُ وَأَحْبَبْنَا سِجَالَهُ
قَامَتْ عَلَيْهِ ذُرَى الْحَيَاةِ تُطِلُّ مِنْ عَهْدِ الرِّسَالَةِ
هَذَا الدُّجَى كَمْ قَدْ سَقَانَا مِنْ مَنَابِعِهِ زُلَالَهُ
وَمِنَ الْحَرَامِ الْمُكْفَهَرِ لَقَدْ أَسَاغَ لَنَا حَلَالَهُ
وَالْعَبَثَرِيَّةُ هَلْ لَهَا غَيْرُ الدُّجَى يُرْضَى حِجَالَهُ
وَالْفِكْرَةُ الصَّمَاءُ كَمْ فَتَحَتْ مَغَالِقَهَا حِجَالَهُ
لَمْنِي لِأَخْشَى أَنْ يُدْبِلَكَ عِلْمُهُمْ فِيمَا أَدَالَهُ
وَيُجَرِّدُونَكَ مِنْ ظِلَامٍ كَمْ تَحْلَيْنَا جَمَالَهُ
وَنَعِيشُ ضَوْءًا خَانِقًا « زِرٌّ » يُكَيِّفُهُ وَ « آلَةٌ »
وَنَعِيشُ عَصْرًا لَا غِطَاءَ لَهُ وَلَوْ خُضْنَا رِحَالَهُ
عَصْرًا تُصَرِّفُهُ النِّسَاءُ وَرُبَّمَا حَكَمَتْ رِجَالَهُ
يَا لَيْلٍ كَمْ نَاجَاكَ مَبْعُوثُ الْهِدَايَةِ وَالرِّسَالَةِ

يا ليلُ فاذْكُرْ أَحْمَدًا وَاذْكُرْ صَحَابَتَهُ وَآلَهُ
فَلَعَلَّ ذِكْرِي مَنْ نُحِبُّ تَرُدُّ للقلبِ ابْتِهَالَهُ
وَتُعِيدُ للمجدِ الْمُمَزَّقِ فِي رَبِّي الدُّنْيَا جَلَالَهُ
كَمْ عَائِرٍ رَفَعَ الضَّرَاعَةَ مَا غَفَى حَتَّى أَقَالَهُ
يا لَيْلُ وَاِزْعِ زَمَالَهَ الْأَفْلَاكِ فِي أَوْجِ الزَّمَالَةِ
فَلَعَلَّ بِذَرْمِهِمُ الْجَدِيدَ يَحُطُّ عَنْ كُتْبِ رِحَالِهِ
مَاذَا يَكُونُ مَالُنَا وَالشُّعْرُ هَلْ تَدْرِي مَالَهُ

أعزان الشاعر في حوار

قلتُ للشاعر الذي عَصَفَ الحُزْنَ
وتَلَوَّى مِنَ الْأَسَى فَنَوَّى
سَاهِمًا كَالْغُرُوبِ ذَابَتْ حَوَاشِيهِ
وتَدَانَتْ لَهُ الطُّيُوفُ الْبَعِيدَاتِ
والدُّجَى يَنْسِجُ الدُّجَى بَيْنَ
هل أَطَاقَ الْبَيَانُ تَصْوِيرَ
هل وَعَاها مَشَاهِدًا مَائِلَاتِ
صَاحِبَاتِ كَأَنَّهَا ثَبَجُ الْبَحْرِ
هل تَلَمَّسَتْ فِي مُصَابِكِ مَنْ
حينما عَزَكَ الْبَيَانُ وَجَافَكَ
ورَقًا الدَّمْعَ أَيْ وَحَقَّقَ
وتَبَدَّى الْإِحْسَاسَ بِالْغُرْبَةِ الْكُنَاءِ
وَاسْتَدَارَ الرَّهْنُ فِي مَخْبَسِيهِ
يَتَرَجَّى صَمْتِي وَيُثْمَنُ فِي الْغَضِّ

بِأَعْمَاقِ حِسِّهِ وَكَيَانِهِ
صَمْتُهُ الْحُرُّ كَفَكَفَاتِ عِنَانِهِ
وَعَامِ السَّحَابِ فِي أَجْفَانِهِ
غَضَابًا تَنْوَحُ نَوْحُ بَيَانِهِ
أَطَوَاءِ أَسَاةٍ : وَغَمَمَاتِ جَنَانِهِ
بَلَوَاكُ : كَمَا عَاشَهَا بِحَسِّ عِيَانِهِ
تَتَحَدَّى الْخَيَالَ فِي عُنْفُونِهِ
تَمُورُ الْحَيَاةُ فِي شُطْآنِهِ
تَقْدِرُ وَصْفَ الْبَلَاءِ فِي إِبَانِهِ
وَأَنْتَ الْكَمِيُّ فِي مَيْدَانِهِ
حَتَّى الدَّمْعَ أَعْيَاكَ نَافِرًا بِجُمَانِهِ
مُسْتَنْجِدًا بِغَيْرِ لِسَانِهِ
يَتَلَهَّى عَنِّي بِعَضْضِ بَنَانِهِ
عَنِ الْكُونِ أَهْلِهِ وَزَمَانِهِ

...

وَتَعَمَّقْتُ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنِّي
 فَإِذَا بِالصَّدَى يُتَرَجِّمُ مَصْعُوقًا
 قَائِلًا إِنِّي الْأَسِيفُ عَلَى الْعُدَمِ
 إِذْ تَبَيَّنْتُ أَنِّي لَسْتُ شَيْئًا
 كَانَ ظَنِّي بِالنَّفْسِ غَيْرَ الَّذِي كَانَ
 يَصِفُ الْحَرْبَ دَاعِيًا وَمُثِيرًا
 كَانَ أَسْمَى الْبَيَانِ أَنْ أُطْرِبَ النَّاسَ
 فِي جِرَاحٍ لِعِقْطِهَا زَاهِيَاتٍ
 إِنَّ ظُلْمَ الْحَيَاةِ لِلشَّاعِرِ الشَّاعِرِ
 وَبَلَاوِيهِ رَاحَةٌ وَمَأْسِيهِ
 لَا يَقْلُ رَاحِمٌ أَمْوَاتٍ لِيَحْيَا
 فَمَعَانِي الْأَسَى أَحَقُّ بِهِ الشَّاعِرُ
 وَمَقَابِيِسُهُ عَلَى النَّفْسِ لَا تَبْقَى
 وَأَغَارِيدُ بُؤْسِهِ الْعَلَقَمِ الْمُرِّ
 وَإِذَا ذَلَّ بِالكَرِيمِ لُسِيمٌ

غَارِقٌ : فِيهِ فِي حَقِيقَةِ شَانِهِ
 كَثَافَاتٍ صَحْبِهِ وَدُخَانِهِ
 الَّذِي لَمْ يَفْزَ بِيَوْمِ رِهَانِهِ
 غَيْرَ صَوْتِ الزَّمَانِ أَوْ تُرْجَمَانِهِ
 فَقَدْ عُدْتُ فِي الْوَعَى كَجَبَانِهِ
 ثُمَّ يَفْنَى بِحِسِّهِ فِي طِعَانِهِ
 بِكَرْبِ الْبَيَانِ فِي مَعْمَانِهِ
 مِثْلُ زَهْوِ النَّخِيلِ فِي بُسْتَانِهِ
 نَصْرٌ يَفْوَحُ مِنْ أَرْدَانِهِ
 عَطَاءٌ يُضِيءُ فِي حِرْمَانِهِ
 فِي رُؤْيَى مَا تَمِي وَفِي أَشْجَانِهِ
 فِي ذَاتِهِ وَفِي إِيْمَانِهِ
 حُدُودًا : لِأَنَّهَا دُونَ شَانِهِ
 حَصَادُ الْآمَالِ فِي أَلْحَانِهِ
 فَهَوَّ عَزُّ الْكَرِيمِ رَغْمَ هَوَانِهِ

* * *

إلى روح ولدى حمزة

يا رضيعاً راضتْ شمائله البيضُ معانٍ من البنوةِ أسمى
يا حفيهاً بوالديه تسامى بهواه الحبيبِ روحاً وجسماً
يا لبراً مُقَطَّراً أتملاه بسرَّ الحياةِ صَحْواً ونوماً
ملءَ عيني وملءَ روحي فقد زاد جلاءً وإنْ تحجبَ وهما
يا لذاك اللقاءِ فى قربك الحلوى توالى بحرصك العذبِ جما
رغم ما تفصلُ المشاغلُ ما جال بقلبي هذا الذي بك حُماً
لو تحسسته لكنتُ بك الأَحْفَى لقاءً وكنتُ لَصَقَكَ دوماً
ولكان اللقاءُ كلَّ أويقاتي لِقَاءَ أَحَرٍّ لثما وضمًا

* * *

رب مَيِّتٌ مثلي بأجنحة السرِّ قريبٌ إلى حياتِكَ يُنَمِّي
 بالرؤْيِ أَشْرَقَتْ ضِيَاءٌ مِنَ الْغَيْبِ وَبِالْحُبِّ لَمْ أَكُنْ فِيكَ أَعْمَى
 أَتْرَى ذَاكَ حَدِيثِي بِالْأَمْسِ الَّذِي خَلْتُهُ مِنَ الْغَيْبِ رَجْمًا
 إِنَّ نَظْمَ الْحَيَاةِ يُنْثَرُ أَحْيَانًا وَبِالْمَوْتِ يُصْبِحُ النُّشْرُ نَظْمًا
 ذَاكَ تَحْلِيْقُهَا الْبَعِيدُ وَمَا أَسْرَفَ فِي رَكْضِهِ فَفَارَقَ لَحْمًا
 وَالْهَوَى الْحَرُّ كُلُّهُ رَعِشَاتٌ فِي الْمَغَانِي أَبَا وَفِي الرُّوْضِ أُمَا
 إِنَّهَا إِنَّهَا عَصَامِيَةُ الْخُلْدِ تَعَالَتْ أَنْ تَسْكُنَ الْخُلْدَ عَظْمًا
 لَكَ يَا حَمْزَةَ النَّصِيبِ الْمَعْلَى بَيْنَ نَعْمَى مِنَ الْإِلَهِ وَرُحْمَى
 إِنْ بَكَى حَمْزَةُ أَبَا الشَّهْدَاءِ الْغُرَّ طَهَ خَلَاءً وَفِيَا وَعَمَا
 أَوْ اسْأَلِ الدَّمُوعَ فِي فَقْدِ إِبْرَاهِيمَ جَرِّي فَقَدْ تَضَاحَكْتُ رَغْمًا
 رَحْمَةً بِالْقُلُوبِ بِالْأَهْلِ بِالصَّبِيَةِ دَارَيْتُ بِالْغَمِّ غَمًا
 عَلَيْهَا عَلَيْهَا رِضًا لَكَ أَجْدَى مِنْ عَوِيلٍ سَحَّ بِقَلْبٍ أَصَمًّا
 لَمْ تَغِبْ لَمْ تَغِبْ فَمَا أَنْتَ إِلَّا نَسَمَاتُ رَقَّتْ صَفَاءً أَتَمَّا
 أَنَا فِي عُنْصُرِ الْحَقِيقَةِ أَحْيَا مَعَكَ الْيَوْمَ وَالنَّوَى عَادَ حُلْمًا

لَا تَسْلُنِي عَنْ « الْحَنِينِ » فَفِي « الْأَهْدَابِ » أَضْحَى كَمَا تَرَاهِ وَأَسْمَى

فهما الحبُّ نشوةٌ وهما الصفو حياة والروح قلباً وفماً
بيننا أنتَ مائلٌ زهراءُ أنتَ ساقيتَهِنَّ حُبَّكَ جما
فلنا اللهُ ثمَّ أنتَ احتساباً نترجى عقباهُ يوماً فيوماً
ولنا اللهُ في اصطبارٍ لقد عزَّ ولكنهُ تشعشعَ نُعمى
ثمراً أينعَ اليقينُ جناهُ فاستطالَ الإيمانُ طوداً أشماً
رحمةُ اللهِ لم تزلْ تسعُ الكونَ إلى أنْ يَلْمُهُ اللهُ لَمَّا
فالسعيدونَ مَنْ إليهِ أنابوا ورَضُوا أمرَهُ قضاءً وحُكماً
رُبَّ صَبْرٍ للراحلينَ دُعاءُ نالهمُ سرُّه ثواباً وغنمنا

...

أقول الأقسام عام ٧٣

إلى ابني حمزة : - المتوفى في ريعان الشباب عام ١٣٩٠هـ

رحمه الله رحمة الأبرار

بُنِيَ وما أحلاه جَرَسًا مُنْعَمًا يُرْتِّلُهُ قَلْبِي وَيَشْدُو بِهِ فَمِى
ذَكَرْتُكَ والدنيا تَمُوجُ بِنَاسِهَا حَيَارَى سُكَارَى بَيْنَ صَخَوٍ وَنُومٍ
ذَكَرْتُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَفِي السُّرَى وَفِي خَلَجَاتِ الْحِسِّ تَنْبِضُ فِي دَمِي
ذَكَرْتُكَ أَسْتَجِلِي الْمَنَى فِي أَزْدِهَارِهَا أُرْجَى لَهَا نَفْسِي وَرُوحِي وَتَوَامِي
فَأَيَّةَ نَعْمَى أَنْتَ صَبِغْتَ حُشَّاشَةَ وَفَرَحَةَ قَلْبٍ لَا تُقَاسُ بِأَنْعَمٍ
ذَكَرْتُ بِكَ الرَّحْمَنَ مُسْبِغَ ظِلَّنَا يَمَنْ أَتَرَجَى ظِلَّهُ ظِلَّ ضَيْغَمٍ
يَمَنْ أَتَهْدَاهُ لِمَجْدٍ مُرْحَبٍ يَطِيبُ بِذِكْرِهِ الشَّدِيَّ الْمَفْغَمِ
وَأَسْجُدُهَا لِلَّهِ سَجْدَةً شَاكِرٍ رَأَى الشُّكْرَ لِلنُّعْمَى حِمَى الْمُتَحَرِّمِ
فَأَسْسُ بُنَى الْيَوْمِ فِي نَضْرَةِ الصَّبَا عَلَاكَ عَلَى النَّهْجِ السَّيِّدِ الْمُقَوِّمِ
وَرَكَّزَهُ فِي هَامِ السَّمَاءِ مُحَلِّقًا فَمَا تَسْتَوِي فِيهِ بُغَاثٌ بِقَشَعَمِ
وَصُلِّ صَوْلَةَ الْمَشْبُوبِ عَزْمًا مُضْرَمًا فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا لِلَّهِيبِ الْمُضْرَمِ
أَلَا إِنَّهَا يَا حَمَزُ نَفْثَةُ الْوَالِدِ وَنَجْوَى هَزِيعِ مُطْبِقِ الصَّنْتِ مُلْهِمِ

تَلَمَّمْ فِيكَ الْحِسَّ وَالْعَقْلَ وَالْمَنَى
أَلَا إِنَّهَا نَجْوَى الْهَوَى فِي رَجَائِهِ
أَلَا إِنَّهَا رَجْوَى الْمُسِيءِ وَمَالِهِ
فَيَارِبُّ هَبْهُ لِلْمَعَالَى تُرِيدُهَا
وَجَمَلُهُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ حَبْوَتُهُ
وَهَبْهُ مِنَ الرَّحْمَى الَّتِي أَنْتَ رَبُّهَا
وَصُنْهُ وَزَهْرَاتِ حَوَالِيهِ أَرْبَعًا
يُظِلُّلُهُنَّ السُّرُّ مِنْكَ عَلَى الْمَدَى
«مَرَامِي» مَرَامِي «وَالْتَهَانِي» تَهَانِي
وَأَزْهَارُ نَخْبِ الْفَجْرِ نَفْحَ هَزِيعِهِ
فَيَا فَرْحَةَ الْقَلْبَيْنِ أُمًّا وَوَالِدًا
سَلِيلَةَ أَمْجَادٍ نَمَتْهَا فَأَعْرَقَتْ
عُمُومَةً أَحْسَابِ خُؤُولَةٍ مَخْتِدِ
سَلِمْتُمْ وَأَنْجَبْتُمْ مِنَ الْأَصْلِ فَرْعَهُ
أَبُوكُمْ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَنْ أَبُوكُمْ
فَلَمْ يَرِ فِي الدُّنْيَا سِوِي طَيْبِ طَيْبٍ

فَنَاشَدْتُ رَبِّي فِي الرَّجَاءِ الْمُلْتَمِ
وَمَالِي إِلَّا عَبْرَتِي وَتَنَدَّمِي
سِوَى أَمَلِ الْمَكْرُوبِ فِي بَابِ مُكْرِمٍ
وَاللَّخَيْرِ تَحْمِي مَنْ بِهِ الْيَوْمَ يَحْتَمِي
جَمَالَكَ فِي سِرِّ الْجَلَالِ الْمُجَسَّمِ
فَمَا أَنْتَ لِلْقَاسِيِ الْجَنَفِيِّ بِرَاحِمٍ
وَمَا زِلْنَا فِي الْأَكْثَامِ أَشْدَاءَ بُرْعَمٍ
فَلَا ذَلَّ جَانٌ لَا وَلَا بَوْسُ مُعْدِمٍ
وَلَيْلِيَا بِمَنْغُومِ النَّدَاءِ الْمُرْتَمِ
أَهْلَتْ كَاهِلَالَ الرَّبِيعِ الْمَوْسَمِ
هَنِيئًا بِأَخِي الْأُمَّهَاتِ وَأَرْحَمِ
كَرِيمَةٍ إِنْجَابٍ وَفِلَذَةٍ أَكْرَمِ
فَأَنْتُمْ بُدُورٌ قَدْ أُحِيطَتْ بِأَنْجَمِ
كَمَا انْتَسَبَ الْقَرَمُ الْأَصِيلُ لِمُقَرَّمِ
أَبُ عَجَمَتِهِ كُلُّ نَكْبَاءٍ دَمَدَمِ
تَذُوقِ طَعْمِ الْغَرَمِ لَذَّةَ مَغْنَمِ

...

رباعيات

ومحوتُ كلِّ الذكرياتِ البيضِ بعدَكَ مِنْ حياتي
ووصلتُها بكَ أَنْتَ وَحْدَكَ كي أَعِيشَ بغيرِ (آتِي)
حسبي من الدنيا زمانُ كنتَ فيه ضياءً في الحالكات
والحبُّ أرواحُ تشعُّ بها الحقيقةُ فوقَ اشعاعِ الحياة

رباعية

اقرأ خواطرَ نَفْسٍ أَنْتَ مهجتها
واسمَعْ حديثَكَ العذبَ فيها كيفَ يستعِرُ
وَأَشْهَدُ أَبَاكَ الذي ما عاشَ يُبْصِرُهَا
حقائقاً أَنْتَ فيها السمعُ والبصرُ
أَنْتَ الرؤى لم تغبْ عني مشاهدُها
أَنْتَ الهوى عَزَّ فيه الوردُ والصَّدْرُ
واللهِ لم تَنَأَ رُوحاً صافياً عِيقاً
وإنْ نَأَتْ بِكَ عني الذاتُ والصُّورُ

رباعية

وأحسستُ في حُبِّكَ بالوجدِ كُلَّهُ ضِراماً تعالى عن كِياني وعن جُهدي
صحا صحوةً البينِ المُشْتِ فجاءةً وشتانَ بينِ الصحوِ في القربِ والبعدِ
ألا إِنَّهُ الوجدُ الذبيحُ تصارحت لديه أغاريدِ التواجدِ والوجدِ
فكلُّ هوى أحسستُ قبلكَ منطقُ مشاعٌ وحيي فيكَ منطلقِي وحدي
أعيشُ عليه العمرَ سرَّ حقيقةٍ وحييَ نجوى العمرِ في الأملِ الفردِ

رباعية

أرى بعينِكَ ، يا غالي وإنهما عيناَيَ عبرَ (حنيني) عبرَ (أهدابي)
هما الوشيعةُ كما أن رمى قدرُ بسهمه فتحدى كلَّ أسبابي
هما عزائي في أعقابِ داهيةٍ لم تُبقِ غيرَ انكساري بين أحبابي
وُضْتُ الأسي كُلَّهُ في نظرةٍ لهما فلا تُرغ ، فجميلُ الصبرِ أُولي بي

رباعية

وقال طيفُكَ دَعْ ذكرايَ وابتهل فإنَّ فُرْقَتَنَا حقاً إلى أجلِ
حسبي وحسبُكَ حُبٌّ أنتَ مصدرُهُ واللهُ صانعهُ في سابقِ الأزَلِ
وللمقاديرِ رُخْمِي رَغَمَ قسوتِها فاصبرْ لها فهي فوقِ الحولِ والهيلِ
أنِّي وَحَقِّكَ لم أبرحْكَ ثانيةً لكنَّ أحاذرُ دمعَ المشفقِ الثَّكِلِ

رباعية

رجوتك فيها أمنيات نسجتُها بكفّي على وهنٍ يَقْضُ المضاجعا
طويتُ عليها النفسَ بعدَ افتقادها هوى كان ملءَ العين ريانَ ناصعا
طويتُ عليها النفسَ أرحمُ وَقَدَّهَا بدمعٍ عَصِيٍّ قد تحدّى الفواجعا
هو الطيفُ إلا أنَّ في العين ظلُّه يناشدنى السلوانَ لهفانَ ضارعا

* * *

رباعية

لا تراعى فللثرى لمساتُ حانياتُ يدُ السماء عليها
فالثرى أَمِنَا الرؤومُ التي تعد رِفْ من فَرٍّ من يدينا إليها
كان ملءُ العيونِ ثم توارى وطوته فيمن طوتهم لديها
إنما نحنُ فوقها ظلُّ رُحْلٍ والمصيرُ المحتومُ ملكُ يديها

* * *

رباعية

ما حيلةُ المرءِ إنَّ مدَّ الزمانُ يداً إلى الأحبة هل عتبُ على الزمن
قد كنتَ توأمَ نفسي كم فرحتُ لها وكم حزنتُ على مأمَسٍ من حَزَنٍ
أمنيةٌ طابَ في نفسي تنقلُها ومهجةٌ لي في حلي وفي ظنّي
إن سرت يشملي من ضوئها قَبَسٌ أو استقمتُ حلا: في فيئها سكني

* * *

رباعية

« يا عالم الأسرارِ حسيّ محنة علمي بأنك عالمُ الأسرارِ »
يا عالم الأسرارِ كلُّ وسيلتي ذلُّ الكسيرِ ومحنةُ المختارِ
فَصِلِ الحيارى الموجهينَ برحمة يا راحمَ الأخبارِ والأشعارِ
وَأَرِ الظماءَ برىِّ عفوكِ ما لنا إله .. إنا جيرةُ المختارِ

* * *

رباعية

أبا حمزة أحلى نداءٍ يشدني إليك وإن لم تنأ عني ثوانيا
فأنت بحسِّي غير ما أنت .. إنَّه بنفسي حياة تستجيب ندائيا
وَيَهْتِفُ بي هتف الحياة بنبضها وإن كنت في دنيا التماثيل خافيا
واسمى الرؤى يا قرّة العينِ رؤيةً أراك بها حسًّا وأنتَ تَرَانِيَا

* * *

جاوزتُ فيك هوى نفسي فَأَثَقَلَهَا عِبُّ النوى غيرَ مرجو ولا داني
وعنفوانُ الأسى لا الصبر يُخمدُه إلا التجلُّل في صمتٍ وكتمانٍ
فاجعلِ الصبرَ صبرَ الوجدِ مشتعلًا مفرَّحَ الجفنِ لم يخضع لسُلوانٍ
تعيشه النفسُ ذكرى حالمٍ سبحتُ أنفاسُه عبرَ ذاك العالمِ الثاني

* * *

(١) البيت الأول للشاعر الطليعة اسماعيل صبرى .

حومي

حومي يا روحه الغالي هنا وأنظرينا وانظري أحوالنا
 سكنا قبلأ أردناه لنا ليتنا كنا جميعاً : كلنا
 لا تدعنا لا تدعنا وحدنا إنَّ أياماً و « حنوا » (١) بيننا
 فلأجل البعـضِ فارحم كلنا آتس الوحدة فرج كـربنا
 فطيور الخلد في تحويمها لم تدع عشا لها : أو سكنا
 يا حبيبي يامنـي نفسي ويا فرحة مقطوفة قطف الجنـا
 أنت إبنـي وأبـي هل شافع بهما عندك يأسو جرحنا
 أنا يا حمزة لفظ ما له مثل ما تلمح معنى : بينا

• •

يا حمزة

يا قارئاً لأبيه ما كان يلى ويكتب
 بكل شوق البؤنة فى فرحة وترقب
 ولفته التنويه لم أنسها فى تأدب

• • •

فى الحل والترحال تعليقك الحلو : غالى (٢)
 يا حمزتى يا مجالى يا فرحتي : يا وصالى

• • •

(١) الاسم الذى كان يدلل به ابنته حنين •

(٢) حتى فى سفرى كان يكتب لى تعليقاته على ما يقرؤه رحمه الله •

يا حمزة

أَيْنَ تِلْكَ اللَّحَظَاتُ أَيْنَ تِلْكَ الْخُطُوتُ
 أَيْنَ تِلْكَ الْبَسَمَاتُ وَالْعَيُونُ الضَّاحِكَاتُ
 يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا حَمْزَةَ وَالْخُلْدُ : حَيَاةُ
 أَنْتَ فِي الْعَيْنِ وَفِي الْقَلْبِ دَعَاءُ وَصَلَاةُ
 فَالشَّبَابُ الْغَضُّ فِي الْخُلْدِ عَلَيْهِ : الرَّحْمَاتُ

يا حمزة

يَا رَاقِداً فِي ثَرَى أُمِّ الْقُرَى أَمَلاً
 وَمَا الثَّرَى فِي رَحَابِ اللَّهِ غَيْرُ رِضَا
 فَيَا أَبَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ هَبْ وَلَدِي
 مِنْ جَبْرِ لَكَ فِي دَارِ الْهَدَى شَرْفُوا
 يَا سَيِّدِي وَاحْتِسَابُ الْأَجْرِ مَنْزِلَةٌ
 دَعَوْتُ رَبِّي سِرّاً بِالصَّلَاةِ عَلَى
 وَلَنَ أَبُوحَ فَمَا سَرِي بِمَنْكُمُ
 لَا : لَنَ تَكُونَ أَقَاصِيصاً وَلَا حُلُماً وَلَا أُسَاطِيرَ أَوْهَامٍ : لَمَنَ وَهَمَا
 فَأَنْتَ أَنْتَ حَيَاةُ كُلَّمَا ابْتَعَدْتُ
 بِنُورُهُ أَنَا مَجْلَاهَا وَمَشْهَدُهَا
 تَشَامَخْتُ نَسَباً وَاسْتَحَكَمْتُ رَحِمَا
 أَبُوءُ أَنْتَ تَرَعَى قَرَبَهَا أَمَمَا

سَتَنْطِقُ الْحَالُ فِيمَا بَيْنَنَا وَأَرَى بِقُدْرَةِ اللَّهِ مَنْ أَوْدَعَتْهُ الرَّجْمَا
سِرًّا : وَسُرَّكَ يَا مَوْلَايَ يَبْلُغُهُ مِنْ بِالْقُوبِ مِنْكَ صَانِ السَّرَفَانِ كَتَمَا

أول رمضان بعدك يا حمزة

وَأَهْلٌ شَهْرٌ كُنْتَ أَوَّلَ فَرَحَةٍ فِيهِ تُطَالِغُنِي فَغَبْتَ عَلَى الْمَدَى
يَا فَرَحَةَ الرَّمْضَانِ يَا ابْنَ حُشَاشَتِي يَا حِمَزَتِي أَنْتَ الرِّضَا أَنْتَ الْفَدَى
أَيَّ الْهَنَاءِ بَعْدَ وَجْهِكَ أَجْتَلِي وَلَنْ أَبُوحُ بِسَرِّ قَلْبِي الْمَقْفَلِ
قَدْ كُنْتَ تَفْرَحُ بِالْحَدِيثِ صَدَاقَةً وَأَبْوَةً يَا فَرَحَةً لَمْ تَكْمَلِ
قَدْ كَانَ يَمْتَعُكَ الْحَدِيثُ مَعِيَ كَمَا يَرْضِيكَ إِدْنَائِي وَحَسَنِ تَقْبَلِي

يا حمزة

أَقْرَأُ خَوَاطِرَ نَفْسِي أَنْتَ مَهْجَتُهَا وَأَسْمَعُ حَدِيثَكَ الْعَذْبَ فِيهَا كَيْفَ يَسْتَعْرِ
وَاشْهَدْ أَبَاكَ الَّذِي مَازَالَ يَشْهَدُهَا مَشَاهِدًا أَنْتَ فِيهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
أَنْتَ الرُّؤْيَى لَمْ تَغِبْ عَنِّي مَطَالَعُهَا أَنْتَ الْمُنَى عَزَّ فِيهِ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
لَمْ تَنَأْ يَا حِمَزَ رَوْحًا صَافِيًا عَبَقًا وَإِنْ نَأَتْ بِي عَنْكَ الذَّاتُ وَالصُّورُ

أول عام بعدك يا حمزة

يا أبا الحلوطين يا حمزتي الغالي ويا تاركي لِحَرْقِ بُعْدِكَ
قد أهلَّ العامُ الجديدُ علينا يا حبيبي وأنتَ تسكن لحدك
كيف أحيًا لولا حنينٌ وأهدابُ وأخواتك الوحائدُ بعدك
أنتَ في رحمةٍ أعيشُ برجواها ما أكرمَ الخلدَ خلُدك

* * *

يا حمز

يا حمزَ هذا العيدُ أولُ مرةٍ أحياهُ بؤسًا
إنسى أعيشُ الكونَ بعدَكَ كلُّه يا حمزَ رمسا
قد كنتَ لي قمرًا يضيُّ وكنتَ لي يا حمزَ شمسًا
ولأنتَ أهنأُ في رحابِ الله إيمانًا وقُدسا
يا فلذتي طِبُّ في جنانِ الخلدِ عندَ الله نفسا
اليومَ صرتُ وأجملُ اللحظاتِ أحياءُ أنسا
لحظاتِ أدعو اللهَ بالرحمى علانيةً وهمسا
واللهُ أرحمُ بالكسيرِ القلبِ أنفاسًا ونفْسًا

* * *

غياب

أَحَاطَ بِبَيِّ الشَّبَابِ فَلَمْ أَجِدْهُ حَبِيبَ الْقَلْبِ مَا بَيْنَ الشَّبَابِ
تَخَيَّرَ فِي التَّرَابِ هَوًى دَفِينًا وَخَلَّفَنِي أَعِيشُ عَلَى التَّرَابِ
سَبَقْتَ وَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ يَقِينِي بِأَنَّكَ حَافِظٌ عَهْدِي غِيَابِي
وَلَكِنَّ الْمَشِيشَةَ فَوْقَ حَبِي وَمُنِيَّةَ خَاطِرِي وَأَسَى اغْتِرَابِي
وَرُحْمِي اللَّهُ أَغْلَى مِنْ وَحِيدٍ فَقَدَنَاهُ عَلَى غَيْرِ ارْتِقَابِ

إِلَى رُوحِهِ الْغَالِي فِي يَوْمِ عَرَفَةِ

وَتَأْخُذُ الْكَفَّ مِنْي ثُمَّ تَلْشُمُهَا وَأَلْثَمُ الرَّأْسُ فِي حَنُوٍّ وَإِرْفَاقِ
ضَرَعْتُ لِلَّهِ وَالْدُنْيَا تَعِجُّ بِهِ يَوْمًا أَغْرَّ رَعْتُهُ فَيْكَ : أَحْدَاقِي
سَأَلْتُهُ مَنْ قَضَى فِينَا بِحُكْمَتِهِ بِمَا قَضَى : سُؤْلَ مَخْلُوقٍ : لَخْلَاقِ
أَنْ يَمْنَحَنَّكَ مِنْ قَرِيبِهِ مَنْزِلَةً أَدْنَى مِنَ الْقَرَبِ فِي رُحْمِي وَإِشْرَاقِ
وَأَنْ يَوَاصِلَ رُوحِينَا بِمَرْحَمَةٍ تَلْقَاكَ عَيْنِي كَمَا تَلْقَاكَ أَعْمَاقِي
يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ إِمَّا شَاءَ قَالَ لَهُ كُنْ فَاسْتَوَى هِينًا فِي غَيْرِ ارْهَاقِ

إِلَى رُوحِهِ الْغَالِي فِي يَوْمِ عَرَفَةِ

يَا حَمْزَةَ الْبَرِّ مَا أَبْقَى الزَّمَانُ هَوًى أَعَزَّ مِنْكَ وَلَكِنْ يَبُوكُ الْبَسَاقِي
حَبًّا كَحَبِّكَ لَا تَبْلَى مَطَارِفُهُ جَدِيدَةً نُسَجْتُ مِنْ دَمْعِ آمَاقِي
فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ ذَكَرِي مُؤَرَّقَةً يَرْفُ فِي وَمُضِيهَا يَا حَمْزَ : خَفَاقِي

وَأَسْتَرِيحُ عَلَى الْبَلَوَى وَأَنْشُدُهَا فَلِصْدَى فِيهَا رُقِيَّةُ الرَّاقِي
يَا أَنْتَ يَا سِرُّ نَفْسِي بِلِ وَجْهِهَا وَيَا رِضَائِي وَيَا ذَاتِي وَأَخْلَاقِي
الْيَوْمَ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَازْدَلَفُوا أَحْسُ خَطْوَكَ حَوْلِي خَطْوَ مُشْتَاقِي
مُسْلِمًا مِثْلَ تَسْلِيمِ الْغَمَامِ عَلَى مُصَوِّحٍ يَتَلَقَّاهُ بِأَشْفَاقِي

« الحج الثاني بعد حمزة رحمه الله . . »

أَنْتِ أَجَلُ رَبَاعِ الْخُلْدِ فِيهِ بِهِ أَحْرَى لِمَنْ ظَلَّ رَهْنَ الْعَالَمِ الْفَانِي

الحج الثاني بعد حمزة رحمه الله . .

يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ هَذَا حَاجِنَا الثَّانِي وَأَنْتَ نَاءٍ وَفِي أَحْشَائِنَا دَانِي
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ عَشَنَاهُ فِي حُرْقِي وَمَا مَضَى يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: عَامَانِي
عَسَى ضَرَاعَتُنَا الْحَرَّى مَرْفَرَةً تَحْفُفُ رُوحَكَ: يَا صَبْرِي وَإِيمَانِي
إِنِّي أُرْجِيكَ وَالرَّجْوَى هُوَ رَمَقِي أَنْ لَا تَضُنَّ عَلَى رُوحِي وَوَجْدَانِي
رُحْمَى مِنْ اللَّهِ حَاوِلُهَا لِأَجْلِ أَبِي جَمُّ الْحَنَانِ كَسِيرِ الْقَلْبِ أَسْيَانِي
لُقِيَا مَطْمَئِنَّةً لَيْسَتْ بِمَعْجَزَةٍ وَأَنْتَ فِي ظِلِّ مَنْآنٍ وَحَنَانِي
يَا مَنْ سَمَا فَوْقَ حَيٍّ: حُبُّهُ أَتَرَى يَقِلُّ مَقْدَارُهُ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي

البلبل المنقر

(١)

نَجْمَعَتَا عِنْدِي لَمِيسُ وَأَزْهَارُ كَوَفَدَ (غِفَارُ) وَالْهَوَى الْأَبُّ غِفَارُ
وَفِي عَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا ظِلُّ نَسْمَةٍ شَدَي عِطْرَهَا أَشْيَاءُ كَثِيرٌ وَأَخْبَارُ
وَأَقْبَلْنَا أَمَّا الدَّلَالُ فَنَاطِقُ وَأَمَّا الْمَرَامَى تَمْتَمَاتُ وَأَسْرَارُ

(٢)

وَبَعْدَ حِوَارٍ مَنْ يَكُونُ الْمَقْدَمُ تَصَدَّتْ لَمِيسُ وَهِيَ لِلزَّهْرِ تَوَامُ
وَقَالَتْ غَدًا مِيلَادُ أَزْهَارٍ كَيْفَ لَا تُفَكِّرُو أَيْنَ الْحَفْلِ أَيْنَ التَّبَسُّمِ
وَلِلْعِيدِ لَمَّا أَنْ نَسِيتُ غَرَامَةً مُؤَخَّرَهَا شَيْءٌ وَشَيْءٌ مُقَدَّمُ

(٣)

فَقُلْتُ رَضِيتُ الْحَكَمَ فَوْقَ قَبُولِهِ رَجَاءٌ هُوَ الْعَفْوُ الَّذِي أَنَا أَمَلُ
وَلَمْ أَنْسَهُ عَمْدًا وَلَكِنْ أَبَوْكُمَا أَنَاخَ عَلَيْهِ كَلْكَلٌ ثُمَّ كَلْكَلُ
وَمَالِي لِهَذَا الْقَوْلِ هَيَّا تَعَجَّلَا فَإِنِّي بِأَمْرِ الْحُلُوتَيْنِ لَا عَجَلُ

(٤)

فَقَالَتْ لَمِيسُ أَلْفَ شُكْرٍ وَإِنِّي وَأَزْهَارُ بِاسْمِ الْعِيدِ تَطْلُبُ (دُرَّتَيْنِ)

(٥)

فَوَاحِدَةٌ الْقَمَرَيْنِ كَأَنَّمَا عَرَاها هُزَالُ الصَّبِّ فَارَقَ إِلْفَهُ
فَنَاحَتْ وَفِي حَسِّ ابْنَتِي كَأَنَّمَا تُغْنِي كَمَا غَنَّى الْهَزَارُ الْمَرْفَهُ
وَأَوْغَلَ فِيهَا السُّقْمُ تَحْجِبُ سِرَّهُ وَأَضْحَتْ كَظَلِ الْمَوْتِ أَوْهَى طَيْفَهُ

(٦)

وَحَيْرَنَا هَذَا الْخَفَاءُ الْمُسْبِرُحُ أَسْقَمُ ثَوَى أَمِ عِلَّةٌ لَيْسَ تَبْرَحُ
وَهَذَا الْأَلِيفُ الْخُلُو لَصُقُّ جَنَاحِهَا فَلِمَ يَا تَرَى هَذَا الْأَسَى الْمُتَرَنَّحُ
إِلَى أَنْ لَمَحْتُ السَّرَّ فِي هَتَفٍ صَادِحٍ يَحُومُ طَلِيقًا وَهِيَ فِي الْأَسْرِ تَرْزَحُ

(٧)

وَشَدَّ الْأَسَى شَدًّا عَلَى الدَّرَّةِ الَّتِي نَأَى جَارُهَا مَهْمًا شَكَى مِنْ جَوَارِهَا
فَأَرَقَهَا جُرْحَانِ جُرْحُ اغْتِرَابِهَا وَجُرْحُ شَهِيدِ دَارِهِ غَيْرُ دَارِهَا
فَجَارَ عَلَيْهَا الْيَأْسُ حَتَّى أَحَالَهَا إِلَى عَاصِفٍ فِي سِرِّهَا وَجِهَارِهَا

(٨)

وَصَرَّحَ فِيهَا الشَّرُّ تَصْرِيحَ ثَائِرٍ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَعْجِلًا أَخَذَ ثَارِهَا
وَحَاوَلَ أَقْصَى مَا يُحَاوَلُ هَارِبٌ مِنَ الْعَمْرِ وَالْأَقْدَارُ رَهْنٌ مَدَارِهَا
وَأَبْصَرَهَا قَارُورَةً ظَنَّ مَا بَهَا زُعَافًا فَمَا لِلنَّفْسِ غَيْرَ انْتِحَارِهَا

(٩)

وَلَمْ تُجِدِهِ فَاحْتَارَ يَزُمُّ مَدِيَّةً وَأَحْجَمَ أَعْيَاهُ اقْتِنَاصَ شِفَارِهَا

ولما رأى زَحَمَ الْإِسَارِ وَقَرَّوْهُ
تَحَايَلْ يَبْنِى الْهَلَكِ يَدْنُو بِجِيدِهِ
وضاقت به الدنيا بِضْطِ إِسَارِهَا
يُمَزُّقُهُ تَمَزِيقَ نَفْسٍ بِعَارِهَا

(١٠)

وَيَلْكَزُ فِي الْأَسْلَاقِ رَأْسًا مُحْطَمًا
وَمَا زَالَ حَتَّى خَرَّ فِي نَفْسِ رُكْنِهِ
لِيَقْدَحَ شَرًّا وَاقِدًا مِنْ شِرَارِهَا
صَرِيْعًا وَهَلَكُ النَّفْسِ بَعْضُ انْهِيَارِهَا
وَمَا رَاعَنِى إِلَّا ابْتِنَايَ بِحُرْقَةٍ
يَنُوحَانُ نَوَاحَ الْوُرْقِ بَعْدَ سِفَارِهَا

(١١)

يَقُولَانِ قَتَلَانَا ضَاجِيَةٌ فَرَحَةٌ
فَيَا لَيْتَ أَنَا قَدْ رَحِمْنَا هَوَاهُمَا
وَهَا نَحْنُ نُكْوَى مِنْ أَسَاهَا بِنَارِهَا
فَمَا تَسْتَرِيحُ النَّفْسُ فِي غَيْرِ دَارِهَا
وَقُلْتُ لِيَبْنِى أَرْبِعَا وَتَرَفَّقَا
فَإِنْ عَذَابَ النَّفْسِ فِي سِجْنِ عَارِهَا

(١٢)

وَلَا تُطْلِقِ الْأَيَّامُ غَيْرَ شِرَارِهَا
وَأَنْكِ مَعَانِي الْأَسْرِ خَلْفَ طِبَاعِهَا
وَلَا تَحْبِسُ الْأَيَّامُ غَيْرَ خِيَارِهَا
فَلَا تَلْتَقِ طُولَ الْمَدَى فِي حِوَارِهَا
فَقُولَا مَعِيَ يَا رَبُّ عَفْوًا وَتَوْبَةً
وَنَخْلٌ دُجَى الدُّنْيَا لَنَا كَنَهَارِهَا

(١٣)

وَدَعْنَا نَذُوقَ الشَّهْدِ فِي خِصْبِ أَرْضِهَا وَنُبْصِرَ حُلُوءَ الشَّدَى فِي قِفَارِهَا

* * *

موكب الجمال

في دمة على فقيده الشاب الأستاذ محمد فدا

أنا ما عرفتُك من قريب بل عرفتُك من بعيد
وكبرتَ في الأمداء وحدك مذ كبرتَ عن المهود
وتوزعتَ بلداتك الآرابُ في الوطن العبيد
ومضيتَ كالفلّاح تحرثُ ثم تغرسُ من جديد
وخطوتَ كالجندي يمشي الهندي خلف البُود
عفتَ الصدارة حين ذابتَ في النُحور وفي النُهود
ورضيتَ بالشقر الحمي وليس بالشفر البرود
وتضيتُ حامية الثُغور على المدي خلف السُود
أمجادها سيان فوق الأرض أوبطن اللُحود
والنور يخترق الحدود ولا يطبق هوى الحُود
للموت خاطرة تؤز أزيز طائرة الحديد

نَقَّالَةَ الذُّكْرَى مِنْ الْأَمَلِ الطَّرِيفِ إِلَى التَّلِيدِ
تَنْدَاحَ خَالِدَةِ الْمَآثِرِ حِينَ تَزْلِفُ لِلْخُلُودِ
وَدُمُ الْأَبْيِّ الْحَرِّ يَالِقُ عِرْقَهُ كَدَمَ الشَّهِيدِ
نَسَقُ نَهَجَتَ بِهِ إِلَى الْعَلْيَاءِ لِلْهَدَفِ السَّدِيدِ
لَكِنَّهُ النَّهْجُ الْوَحِيدُ يَلِيقُ بِالْأَمَلِ الْوَحِيدِ
وَلَقَدْ عَيْنَنَا بِالطَّرَائِقِ فِي الْمُرَادِ وَفِي الْمُرِيدِ
لَا تُوهِمُنَا بِالرَّحِيلِ فَأَنْتِ فِي أَوْجِ الصُّعُودِ
فِيمَا رَسَمْتَ وَمَا بَنَيْتِ وَمَا سَتَبْنِي مِنْ بَعِيدِ
فَلَكُمْ تَوَارِي اللَّيْثِ يَهْوِي سَمْعُهُ زَأَرَ الْأَسُودِ
وَالْوُرُقُ تَطَرَّبُ لِلصَّدى مِنْهَا وَتَفْرَحُ بِالنَّشِيدِ
الْمَوْتُ أَنْطَقُ بِالْحَيَاةِ وَسِرُّ جَوْهَرِهَا الْفَرِيدِ
وَلَكُمْ يَعِيشُ الْمَوْتُ أَعْمَاقَ الْغَبَاوَةِ فِي الْبَلِيدِ
وَيَعِيشُ فِي حَقْدِ الْحَقُودِ لَكُمْ أَنْفَاسُ الْحَقُودِ
وَيَعِيشُ فِي الْجَاهِ الْمُنْعَمِ بِاللَّامَةِ وَالْكُنُودِ
فِي الرَّمَّةِ الشَّوْهَاءِ تَعْجِزُ عَنْ مُعَاشَرَةِ الْقُرُودِ

فِي الرَّاقِصِينَ عَلَى الْحَرِيرِ الْوَاطِئِينَ عَلَى الْخُدُودِ
 الْمُسْبِلِينَ إِزَارَ أَخْرَارٍ عَلَى بَدَنِ الْعَيْدِ
 فِي الْحَائِكِينَ الزُّورَ وَالْبُهْتَانَ فِي أَحْلَى الْبُرُودِ
 فِي السَّاهِرِينَ وَصَحْوُهُمْ يَنْحَطُّ عَنْ صَحْوِ الرُّقُودِ
 فِي الْقَابِضِينَ الْجَمْرَ يَحْرِقُهُمْ وَيَنْفُذُ لِلْجُلُودِ
 حَسْبُوه دُخْرَ حَيَاتِهِمْ وَالْمَجْدُ فِي الْبَذْلِ الْمَجِيدِ
 صَدَقَ الْخَلِيلُ أَبُو خَلِيلٍ فِي الْغِيَابِ وَفِي الشُّهُودِ
 مُذْ قَالَ إِنَّكَ فِي شَبَابِ بِلَادِنَا بَيْتُ الْقَصِيدِ
 أَيَّامَ صَنَفْنَا الْكَفَاءَةَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدِ
 بِالْجُهْدِ بِالْعَرَقِ الْمُشْغَعِ لَا بِأَغْرَاقِ الْجُدُودِ
 سِرُّ الْفَرَّاسَةِ لَا يَخِيبُ وَصِدْقُهَا صِدْقُ الْعُهُودِ
 عِشْ فَوْقَ مَا تَهْوَى فَمَا الْفِرْدَوْسُ إِلَّا لِلنَّجِيدِ
 وَصِلِ الْحَيَاةَ وَزِدْ فَإِنَّتِ الْيَوْمَ أَجْدَرُ بِالْمَزِيدِ

• • •

تأبين شاعر

لا تُنوحوا عليه لا تُزعِجوه فهو للموت مثله للحياة
نغم تسبح المواكب فيه وهوى نابض الرؤي باسِمَات
ومعانٍ ترنّحت فتلاقت بمعانٍ قُدسيّة النفحات
إنّها رحلة المشوق لصحبٍ أوفياء فوق السحاب .. أباة
قد دَعُوهُ إلى الوصال فلبّى دَعَوَاتٍ مُجابه الدّعوات
وضله بينكم وبين رحاب غامرات بفيضها غامرات
تتحرى أنسامكم بلسانٍ شاعر الحس .. شاعر الكلمات
فهو فى عالم الخلود سفير وافد للحياة عبر الممات
لا تقولوا قضى لأروع جلّى ثم صلى وحقق المعجزات
إن أخلى الأيام فى عُمر الشاعر يومٌ يَضجُّ بالذكريات
طالما أرسل المواجيد فى الحرف مُضِيئًا إضاءة الآيات
عَبَقْرِيُّ الإيمان وقد المَعانى من ترانيم حسّه فى صلاة

قَدْ تَسَامَى وَلَمْ يَزَلْ يَتَسَامَى فِي إِبَاءٍ عَلَى هَوَى الْغَانِيَاتِ
إِنَّهُ طَامِحٌ وَلَكِنْ إِلَى الْخُلْدِ وَسِيمِ الرُّؤْيِ شَفِيفِ السَّمَاتِ
تَتَرَوْنَ مِنْهُ الْكُؤُوسُ أَفَانِينَ وَيَرُشِفْنَ أَعْطَرَ النَّسَمَاتِ
قَبَسٌ كَالصَّوَى يُغَرِّدُ لِلْفَجْرِ وَيَسْرِي مَعَ الدَّجَى فِي أَنَاةٍ
وَمَعِينٌ ثَرٌّ تَحُومُ عَلَيْهِ نَاهِلَاتُ كَرَائِمِ الْأُمْنِيَّاتِ
الْهُدَاةِ . . الْهُدَاةِ رَجْعُ مَعَانِيهِ وَأَطْيَابُهُ قُلُوبُ الْهُدَاةِ

* * *

لَا تَنُوحُوا عَلَيْهِ لَا تَزْعَجُوهُ لَا تَشْقُوا الْجُيُوبَ كَالنَّائِحَاتِ
فَهُوَ لَمْ يَبْرَحِ الْمَوَاقِفَ عَاشَتْ فِي مَثَانِيهِ حَيَّةٌ خَالِدَاتِ
وَهُوَ بَيْنَ الْمُرُوجِ عِطْرُ شَذَاهَا أَخَذَتْ عَنْهُ أَنْضَرَ الْبَسَمَاتِ
وَهُوَ لِلْأُمْنِيَّاتِ بُلْبُلُهَا الشَّادِي يُدَاوِي الْآهَاتِ بِالْآهَاتِ
وَالْحَيَاةِ الْحَيَاةِ مُصْدَرُ إِلْهَامٍ دَفُوقٍ مُجَنِّحِ الْوَمَضَاتِ
دَيْدَبَانٍ عَلَى الزَّمَانِ فَمَا ضَاقَ بِمَاضٍ وَلَا اطمَأَنَّ لِآتِ
جَاذَبَ الطَّيْرَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ إِذْ تَهَزَّجَ صَدَاخَةً بِشَتَّى اللُّغَاتِ
وَأَذَاقَ الْجَمَالَ رَضْبَ حَمِيَاهُ شُمُوخًا فِي الْأَعْيُنِ السَّاحِرَاتِ

وَأَبَاحَ الْأَغْصَانِ حُسْنَ التَّنْيِ فِي دَلَالِ الْكَوَاعِبِ الْمَائِسَاتِ
وَجَلَا فِي الصُّدُودِ عِزَّةَ تَيَّاهٍ صَدُوفًا عَنِ الْخَنَا وَالْهَنَاتِ

فَاعِزُّوْا حَوْلَ نَعْشِهِ وَأَعِيدُوْا لَحْنَهُ الْغَضَّ رَاقِصَ النَّغَمَاتِ
وَانْسَجُوا بِالْأَقَاحِ إِكْلِيلَ غَارِ ضَفَرَتِهِ أَنْامِلُ الْفَاتِنَاتِ
صَفَّقُوا الرِّاحَ وَالْهُبُوءَ بِلَطَى الْحَبِّ قِدَاحًا حَرَّاقَةَ اللَّذَعَاتِ
وَصِلُّوْهُ بِمَجْدِهَا فَالْكَرِيمُ الْحَرُّ رَجَوَاهُ فِي وَشِيجِ الصَّلَاتِ
طَاوَلَ الشَّامِخَاتِ نِدَاً لِنِدٍّ لَمْ تَجِدْهُ رِحَابُهَا فِي الْعُفَاةِ
طَمَنُّوْهُ عَلَى الْمَوَاهِبِ غَدَاها فَضَاعَتْ كَالْأَنْجُمِ النِّيَرَاتِ
وَإِذَا صَلَّتْ الْجَوَارِحُ تَكْرِيمًا لِأَهْدَافِهِ الَّتِي وَاللَّوَاتِ
فَتَحَرُّوْهُ فِي الْمَوَاقِفِ صَدَّاحًا وَفِيَا مُبَارَكِ الْخَطَوَاتِ
لَفَتَاتُ الْحِسَانِ قَدْ قَبَسَتْ مِنْهُ وَفُزْتُمْ بِأَرْوَعِ اللَّفَتَاتِ
وَأَسِيرُ اللَّحَاطِ دُونَ أَسِيرِ أَوْثَقْتَهُ خَنَادُسُ الذِّكْرِيَّاتِ

لَسْتُ أَرْجُو لَهُ رِعَايَةَ أَبْنَاءِ صِغَارٍ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ بَنَاتٍ
إِنْ آبَاءَهُمْ مَبَادِيئُهُ الْحَرَّةُ أَخْنَى حَتَّى مِنْ الْأُمَّهَاتِ
لَا تَقُولُوا جَرَى الزَّمَانُ بِمَا نَكُرُهُ فِينَا إِذْ مَزَّقَ الْآصِرَاتِ
فَالزَّمَانُ . . الزَّمَانُ أَخْلَاقُ أَهْلِيهِ وَمِيزَانُهُ مَعَالِي الصُّفَاتِ
إِنَّمَا اسْتَمِيعَ لِلشَّاعِرِ الْعُذْرَ وَأَدْعُوا أَمْجَادَهُ لِلْحَيَاةِ
فِي مَغَانِيهِ فِي مَجَالِيهِ لَا تَنْضُبُ فِي الْخَاطِرَاتِ فِي الْأُمْنِيَّاتِ
فِي الْعَظِيمَاتِ كَانَ صَيْدَحَهَا الْغَرِيدَ فِي الْخَاطِرَاتِ فِي النِّفَحَاتِ
فِي الْبُطُولَاتِ صَالَ فِيهَا مَصَالُ اللَّيْثِ فِي أَضْيَقِ الضَّائِقَاتِ
يَوْمَ تُجَلَّى عَرَائِسُ الْفِكْرِ فِي الْآفَاقِ ضَجَّتْ بِهِ صَجِيجُ الْغُرَاةِ
أَقْرَوُهُ السَّلَامَ يَوْمَ نَضَحْنِي فِي سَبِيلِ السَّلَامِ بِالْمُهْجَاتِ
يَوْمَ نَسْمُو عَلَى النُّفُوسِ عَلَى الْآرَابِ عَافَتْ إِلَّا حَيَاةَ الْهُدَاتِ
لَا تَنُوحُوا عَلَيْهِ بَلْ رَتِّلُوهُ إِنَّهُ رَحْمَةٌ مِنَ الرَّحْمَاتِ
إِنَّهُ زَاهِدٌ تَبَتَّلَ لِلَّهِ فَأَغْنَى إِلَّا عَنِ الْهَمَسَاتِ
وَتَوَارَى عَنِ الْعَيُونِ وَخَلَّى رُوحَهُ لِلْسَّحَابِ الْهَاطِلَاتِ
فِي مَهَبِ الرِّيَّاحِ فِي الْأُفُقِ الْمَكْشُوفِ لِلرَّائِحَاتِ لِلْغَادِيَّاتِ

لِلْفَضَاءِ الرَّحِيبِ طَالَمَا لَوْنُ آفَاقِهِ بِأَخْلَى الشَّيَاطِينِ
إِنَّهُ الْوَعْدُ فِي حَقِيقَتِهِ الْكُبْرَى الَّتِي عَاشَهَا عَلَى الْمِرْآةِ
قَدْ تَصَدَّى لَهَا عَلَى وَضَحِ الذَّاتِ وَكَمْ هَامَ فِي ظِلَالِ الذَّاتِ
عَاشَهَا بِالْخِيَالِ صَوْرَهُ الْفَنُّ جَمِيلًا فِي أَرْوَاعِ الرَّائِعَاتِ
فَإِذَا أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ بَيْنَضَاءِ تَبَدَّتْ فِي أَبْدَعِ الطَّلَعَاتِ
فَهِيَ أَحْلَامُهُ الْعَذَابِ تَرَاءَتْ صَائِحَاتٍ فِي أَصْدَقِ الْيَقَظَاتِ
لِتَقُولُوا عَنْهَا نُبُوءَاتِ حَسِّ شَاعِرِيٍّ عَمِيقَةٍ صَادِقَاتِ

* * *

الشريف عبد الله المنديلي

فَقَدْنَاهُ أَذْنَى مَا يَكُونُ لَأَنْفُسٍ تَشَاكُلُ فِيهَا بِالْمَجْبَةِ مَشْرَبُ
عَزِيزًا أَثِيرًا جُهِدُهُ ذَوْبُ نَفْسِهِ يَجُودُ بِهَا وَالرُّوحُ لِلرُّوحِ مَطْلَبُ
تَنْوَعُ حُبُّ النَّاسِ ذَوْقًا وَمَذْهَبًا وَحُبُّكَ أَهْلَ اللَّهِ فِي اللَّهِ مَذْهَبُ
شَوَاغِلُ مِنْهَا كُنْتُ فِيهَا مُوزَعًا تُبَاعِدُ عَنْهَا تَارَةً وَتُقَرِّبُ
وَقُرْبِي إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ قَرِيبَةً تَهْيِجُ إِذَا قَالُوا «حُسَيْنٌ وَزَيْنَبُ»
تَأَلَّقَ فِيكَ الْحُبُّ نُورًا وَبَهْجَةً فَلَا صَبْوَةً تُلْهِى وَلَا ثَمَّ مَأْرَبُ
لَقَدْ نَأَىكَ الْعِيبُ الثَّقِيلُ وَإِنَّهَا مَتَاعِبُ أَهْلِ اللَّهِ تُوْهِى وَتُكْرِبُ
أَيَّا جَارِ أَنْسٍ طَابَ لِي فِي جِوَارِهِ كَرِيمٌ وَقَاءُ مِنْكَ حُلُوٌ مُجَبَّبُ
تَوْشَحُ فِي أَوْلَادِنَا مِنْ وَلَانِنَا وَلَاءُ رِعَاهِ مِنْ أُبُوَيْنَا أَبُ

عَجِبْتُ لَهُ إِذْ جَاءَ بِي فِي جِوَارِهِ
وَزَا حَمْنَا بِالذِّكْرِيَّاتِ تَنَوَّعَتْ
لِيُشْرِقَ فِينَا قُرْبُهُ ثُمَّ يَغْرُبُ
صَبَاحًا مَسَاءً طَيْفُهَا يَتَوَثَّبُ

(٢)

لِلنَّاسِ يَخْبِي بِمَا نَالُوا وَمَا ظَفَرُوا
يُعْطَى لِيَسْتَوْهَبِ الْأَنْفَاسَ ضَارِعَةً
وَالرَّائِدَ السَّمْعَ إِذْ تَعْنُو الصُّعَابُ لَهُ
وَتَشْرِبُ لَهُ الْأَعْنَاقُ زَا حَفَةً
تَحْكِي سِرَائِرَهُ صَفْوًا وَتُشَبِّهُهَا
فَأَيُّ مَطْلَبٍ عِزٌّ لَا يَلِينُ لَهُ
وَفِي مَرَامِهِمُو يَحْلُو لَهُ السَّبْقُ
مِنْ وَاثِقِينَ بِمَا فِي ذَاتِهِ وَثِقُوا
لَنْ يَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ الْمَوْضِعَ الْقَلِقُ
مَوَدَّةً لَيْسَ فِيهَا الْمِينُ وَالْمَلَقُ
صِدْقًا تَوْحَّدَ فِيهِ النَّهْجُ وَالنَّسَقُ
وَأَيُّ شَعْبٍ بِمَا يُمْلِيهِ لَا يَشْقُ

(٣)

وَحَتَّى صِغَارِ الدَّارِ كَانَ يَحُوطُهُمْ
إِذَا طَرَقَتْ فِي الْبَابِ طَرَفَةٌ طَارِقُ
فَيَا غَائِبًا مَا سَاءَ مَا مِنْهُ حَاضِرُ
تَحَرَّيْتُ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ غِيَاهِبًا
جَزَتْكَ الْغَوَادِي رَحْمَةً أَنْتَ أَهْلُهَا
وَلَا زِلْتُ حَيًّا فِي بَنِيكَ وَكُلُّهُمْ
وَإِنِّي عَلَى عَهْدِ الْمَوَدَّةِ رَاجِيًا
بُودٌ عَجِيبٍ وَالنَّوْيُ مِنْهُ أَعْجَبُ
تَنَادَوْا لَقَدْ جَاءَ الشَّرِيفُ وَرَحِبُوا
وَلَكِنَّا فِي غَيْبِهِ نَتَعَذَّبُ
تَمُرُّ إِلَى أَنْ لَفَكَ الْيَوْمَ غَيْبُهَا
تَظَلُّ عَلَى أَفْيَانِهَا تَتَقَلَّبُ
نُجُومٌ عَلَيْهَا مِنْ رِضَائِكَ كَوَكَبُ
بِحُبِّكَ قُرْبُ اللَّهِ إِذْ أَتَقَرَّبُ

إلى روح ولدي

لو عشت أبصرت آمالا مُحَقَّقة كانت مقاصدك الكبرى تُرجيها
 ما أثمرت غير ما قد كُنتَ تغرسه يا ليت قاطفها من كان ساقِها
 يا غيثُ طيَّب ثراه إنَّه جدَّت ما إن له غير رُحْمى الله يُوليها
 ويا أبا ضاقَ بى ما تمَّ من أمل إذ لم تكن حارس النعمى وحامِها
 رَسَمَتِها والنهى من حولها قَبَس وقلت دونك فى العلياء عاليها
 ورثتني خلقَ الأمجادِ أنشُدُها منى على الجُهد تطوينى وأطويها
 قلت الرزايا ميادين مُشَوَّكة يجتازها هادم الدنيا وبانيها
 وما عدتني من الأحداثِ مُزعجة ممَّا علَمت ومما لست تدريها
 فيها رضاؤك بعد الله زاملنى فما رأتني البَلَايا غير راعيها
 دُقْتُ الأُمَريْن من جورٍ ومن عنتٍ لم يحِمْني من طِبَاعِي خيرٌ ما فيها
 والعِلْمُ والفِكر قَادَانِي لِصَاحِبَةٍ من الكُروب تَمَادَت فى تَجْنِيها

جَرَّائِرُ الْخُلُقِ الْعَالِي أُجَرَّعُهَا وَالْوَعْدُ يَسْحَبُ أَذْيَالَ الْعُلَا تِيهَا
 وَمَا أَنَا الْيَوْمَ إِلَّا نِضْوُ مَعْرَكَةٍ أَبَقْتُ عَلَى مَنْ الدُّنْيَا مَعَانِيهَا
 الْفَضْلُ عِنْدِي تُرَاثُ عَزٍّ وَارِثُهُ وَالْمَالُ عِنْدِي مِنَ الْأَخْلَاقِ عَالِيهَا
 إِنْ سَأَلْتَنِي الدُّنَا أَوْ أَنْ قَسَتْ شَرَعَ لَسْتُ الْحَرِيصَ عَلَى غَيْرِ الْهَدْيِ فِيهَا
 إِنْ عَاجَلْتَنِي لَمْ أُعْجَلْ وَإِنْ هَجَعْتُ هَجَعْتُ مَلءَ عَيْنُونِي عَنْ مَآسِيهَا
 لَمْ تُعْطِ مِثْلَ الَّذِي أَبْلَتْ وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْنِي الْقُويَ وَضَعِيفَ الْقَلْبِ رَاجِيهَا

* * *

حمزة ومرام

يَا فَلَذَنِي كَبْدِي وَبَهْجَةً مَا أَرَى فِي كَوْنِي الْمَتَرْنَحَ الْبَسَامَ
 تَابَعْتُ آمَالَ الْحَيَاةِ وَصَفْوَهَا فَوَجَدْتُهَا فِي (حمزة) و (مرام)

* * *

فِي رِثَاءِ مُصْطَفَى مَفْتَى

تلميذ عزيز عندي - مات في العشرين من عمره

فَقَدْتُهُ عَزَّ مَفْقُوداً عَلَى الزَّمَنِ نَأَى وَأَوْرَثَنِي شَجْناً عَلَى شَجَنِ
يَا لَيْتَهُ نَأَى عَوْدٍ اسْتَعْلُ بِهِ لَكِنَّهُ الرِّزْقُ قَدْ أَضْحَى وَلَمْ يَهِنْ
يَا مُصْطَفَى مَا اضْطَقْتُ نَفْسِي بِهِ بَدَلاً فِي غُرْبَتِي عَنْ بِلَادِ الْمُصْطَفَى وَطَنِي
قَدْ كُنْتُ تَوَأَّمُ نَفْسِي كَمْ فَرِحْتُ لَهَا وَكَمْ حَزِنْتُ عَلَى مَا مَسَّ مِنْ حَزَنِ
وَأَوْدَعْتُكَ عَظِيباً مِنْ سَرَائِرِهَا لَمَّا رَأَتْ يَقْظَا لِلْعَهْدِ لَمْ يَخُنْ
أُمْنِيَّةً كَانَتْ فِي نَفْسِي تَنْقُلُهَا وَمُهِجَةً لِي فِي حِلْيٍ وَفِي ظَعْنِي
إِنْ سِرْتُ يَتَّبَعْنِي مِنْ ضَوْئِهَا قَبَسٌ أَوْ اسْتَقَمْتُ حَلَاً فِي فَيْئِهَا سَكْنِي
يَا رَاحِلاً وَلَهُ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ هَلَّا رَحَلْتَ بِقَلْبٍ فِيكَ مُفْتَتِنِ
لَعَنَ ذِكْرُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْرَمَةً فَإِنْ رَوْحَكَ بَيَّنَّ الْخُلْدَ تَذَكَّرْنِي

...

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
بيان .. بقلم الأستاذ هاشم دفتر دار المدني	٣
(زحمة العمر) بقلم المرحوم الشاعر ضياء الدين رجب	٧
مقدمة .. بقلم الأستاذ الشيخ محمد علي مغربي	٩

القسم الأول - زحمة العمر :

تحية العالمين	٢٣
بغداد	٢٥
وحدة القلوب	٢٨
يا مصر	٣٠
ليس يجدي	٣٢
ليل وهول	٣٦
نهجنا	٣٩
أفراح الجزائر	٤٠
عيد الثورة	٤٣
جناسان	٤٥
أغنية زمزم و « أريس »	٤٨
في ربوع المدينة	٥١
قيمة الشعب	٥٤
فأكرم به عبد العزيز موفقاً	٥٦
خلود البطل	٥٩
فجيرة الحب الحالم	٦١
قصة الحرم العقيم	٦٣

٦٩ مهداة إلى الفيلسوف الهادر (البحر)
٧٣ الفرحة الكبرى
٧٤ أغادير
٧٦ خاطرة الولاء
٧٨ طرفة
٧٩ يوم الاحتفال
٨١ يا فيصلا
٨٢ فلسطين
٨٤ ذكريات
٨٧ « أمشاج » من جعبة المستعمرين
٨٩ تحية مصنع الحبس في الرياض
٩٢ أسمع الرجال
٩٥ صدحة المجدد
٩٨ تحية
٩٩ عظيم
١٠٠ ثلاثية من قصيدة مفقودة
١٠١ حقيقة في خيال
١٠٢ ذكريات ماجدة
١٠٥ ومضات
١٠٨ يا عيد
١١٢ تحية وذكري
١١٤ يا ليلة حوت النبوغ
١١٦ مساجلة بين شاعرين
١١٩ سحر الكراسي
١٢٠ التاريخ الشامت
١٢٢ بيني وبين الدينار

رقم الصفحة

الموضوع

١٢٤	مجد الأدب
١٢٥	الثلاثيات
١٢٦	الناقد والمنقود
١٢٧	الصديقان
١٣٠	عندما يبكي العقل
١٣٢	عندما يضحك الدم
١٣٣	دودة القز
١٣٥	إلى تهاني
١٣٨	شاعر الأمس
١٤٠	أدوا الأمانات
١٤٢	تهنئة وشكر
١٤٥	البراعة الحاملة
١٤٩	حلم غادة
١٥٣	المريض الجاني
١٥٥	إلى أبي العلاء المعري في عالمه
١٥٧	ذكرتك
١٥٨	الشاعرة
١٦٠	ضاحك العين
١٦١	لماذا أحبته؟
١٦٢	يا نسمة
١٦٤	يا مي
١٦٦	يا صمتها
١٦٨	لو كان
١٦٩	هو وهي
١٧٦	يارب
١٧٩	أفلا

رقم الصفحة

الموضوع

١٨٠	ساعتها
١٨٣	ساعتها تجيب
١٨٥	الصحو الخالم
١٨٧	أتنسين ؟
١٨٨	الكوافير
١٩٠	المستقيمة
١٩١	قالت
١٩٣	قولي
١٩٤	سلمت يدك
١٩٥	أمل
١٩٦	أعلمت ؟
١٩٨	الحب الشاعر
١٩٩	لا تلمني
٢٠٧	الجواب المنشور
٢٠٨	سامحي
٢٠٩	الشراب الحديد
٢١١	من مثلها ؟
٢١٢	اعتذار
٢١٣	قصة العمر الضائع
٢١٦	إليها
٢١٧	أنحلاك
٢١٩	واختلفنا
٢٢٣	الهوى الأول
٢٢٤	عتب
٢٢٦	رسالة
٢٢٨	في القطار

رقم الصفحة

الموضوع

٢٢٩	صباح
٢٣٠	وقالت
٢٣١	إليها . . على صورتها
٢٣٣	أنا والشيشة
٢٣٤	حب وأشواق
٢٣٦	إليها أيضاً
٢٣٧	ثنائيات
٢٣٨	تعالى
٢٣٩	الفتنة الراقصة
٢٤١	ضمي إليك
٢٤٣	صورة
٢٤٥	اللقاء الباكي
٢٤٧	من هي ؟؟
٢٤٩	عن دمشق وإليها
٢٥٠	نجوى
٢٥٢	ليلة العيد
٢٥٣	على صورتها
٢٥٤	ثلاثيات
٢٥٥	الأمل الخائر
٢٥٩	اللؤلؤة . . الحمراء
٢٦١	أول لقاء
٢٦٢	عينك
٢٦٣	كفه
٢٦٥	ساعتها
٢٦٧	الحسنة والمروحة
٢٦٩	ذكرتك

رقم الصفحة

الموضوع

٢٧١	تقول
٢٧٣	ساعة
٢٧٤	صورة
٢٧٥	التفاحة
٢٧٦	هوى الجحيم
٢٨٠	طعنتان
٢٨٢	أوبرا رائعة
٢٨٧	قطوف وألوان
٢٩٠	العائدة
٢٩٢	المتشائمة
٢٩٧	صورة
٢٩٩	كفكف دموعك
٣٠١	رشف العناقيد
٣٠٢	قلب الحب
٣٠٤	الفلة البيضاء
٣٠٤	صدقت
٣٠٥	جان سارتر والجائزة العالمية
٣٠٦	لمن تغنين ؟
٣١١	إليها
٣١٢	يسامي
٣١٣	كيف ؟
٣١٥	التذكار
٣١٦	تصوري
٣١٨	الحارس
٣١٩	مولد الطائفة
٣٢٢	اشتياق

رقم الصفحة

الموضوع

٣٢٤	ضاربة الودع
٣٢٧	تلك الخيام
٢٣٠	نجاة ونجوى
٣٣٢	لا تكوني
٣٣٤	يا حبيبي
٣٣٧	النادمة
٣٣٩	غيرها
٣٤٠	أيام خالدة

القسم الثاني - مسبحات

٣٤٥	يا رب
٣٤٦	حنين لبيت الله
٣٤٩	في رحاب المدينة
٣٥١	مكة الحب الكبير
٣٥٣	إلى الحبيب الأعظم
٣٥٤	برعمة الزهراء
٣٥٦	الصلاة والسلام عليك يا رسول الله
٣٥٧	دار الهدى
٣٥٩	متزل الوحي
٣٦٣	التوبة النائية
٣٦٤	أحلى ربيع
٣٦٨	ها هنا الملتقى
٣٧٤	من وحي الذكرى الخالدة
٣٧٩	رحلة في رسالة
٣٨٠	أيام التشريق
٣٨١	عرفات

٣٨٢	السعي بين الصفا والمروة
٣٨٣	باب السلام
٣٨٤	حراء
٣٨٥	ذكريات عزيزة
٣٨٨	هذه النخلة
٣٩٢	من أغاريد رمضان
٣٩٥	يوم الاثنين
٣٩٧	لمحتك
٣٩٨	من وحي الهجرة
٤٠١	يا طير

القسم الثالث - رثاء

٤٠٧	في رثاء الملك عبد العزيز
٤٠٨	عِلْمُ الموت
٤١٠	خواطر ليل
٤١٥	أحزان الشاعر في حوار
٤١٧	إلى روح ولدي حمزة
٤٢٠	أقول الأعمار عام ٧٣
٤٢٢	رباعيات
٤٣٠	غياب
٤٣٢	البلبل المنتحر
٤٣٥	موكب الجمال
٤٣٨	تأبين شاعر
٤٤٣	الشريف عبد الله المنديلي
٤٤٥	إلى روح ولدي
٤٤٧	في رثاء مصطفى مفتي